

تَحَايَا نَبِيَّ الْأَنْبِيَاءِ

وَزَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

بِحَقِّيقِ

عَبْدِ الْفَتْحِ مُحَمَّدٍ الْخَلَوِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَحَدَّأْنِي سَرَّحَ عَيُونِ الْبَصَائِرِ فِي رِيَاضِ النِّعَمِ ، رِيَاضَ زَهَتْ فِيهَا رِيَاحِينَ الْعُقُولِ ،
وَتَفْتَحَتْ بِنَسِيمِ اللَّطْفِ أَنْوَارَ الْحِكْمِ ، فَاجْتَنَتْ مِنْهَا أَيْدِي الْمُنَى فَوَاكِهَ الْأَرْوَاحِ ،
وَأَقْتَنَطَتْ شَقِيقَ الشَّقِيقِ مِنْ بَيْنِ أَقَاحِي الصَّبَاحِ ، وَالنَّدَى طَرَزَ^(١) بَرْدَ النَّسِيمِ بِبِلَالِهِ ،
لَمَّا رَأَى بِجَاوِزِ الزَّهْرِ نَحْتَ أَذْيَالِهِ .

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرشِفَ شَمْسُ الضُّحَى رَيْقَ الْغَوَادِي مِنْ تَغُورِ الْأَفَاقِ
وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا بِطَوِّقِ جَيْدِ الْبَلَاغَةِ نَظِيمُ عَقُودِهِ ، وَيَنْسِجُ بَيْنَانِ الْبَيَانِ عَلَى مِئْوَالِ
الْبَرَاةِ رَقِيقُ بُرُودِهِ ، عَلَى نَعَمٍ لَا تَفْنَى مِنْ مَعَادِنِ الْوُجُودِ جَوَاهِرُهَا ، وَلَا تَذْوِي^(٢)
مِنْ خَمَائِلِ الْفَصَاحَةِ أَزَاهِرُهَا .

وَنَهْدِي صِلَاتِ الصَّلَاةِ لِنَظْمِ عَقْدِ الدِّينِ بَعْدَ نَثَرِهِ ، الْمُؤَيَّدِ بَأَيَاتٍ لَا يَزَالُ يَتْلُوهَا
لِسَانُ الدَّهْرِ وَلَوْ طَارَ تَسْمَرُ السَّمَاءِ مِنْ وَكْرِهِ ، وَكَلَّتْ^(٣) دُونَهَا أَلْسِنَةُ الطَّاعِنِينَ ،
وُحِّيتْ حَدِيثُهَا بِشَوْكَةِ الْإِعْجَازِ فَلَمْ تَلْسُنْهَا يَدُ أَفْسَاكَرِ الْمَعَارِضِينَ ، فَصَارَ السَّابِقُونَ فِي
حَوْمَةِ الْبَلَاغَةِ ، الْمَاهِرُونَ فِي صِنَاعَةِ الصِّيَاغَةِ ، مَا بَيْنَ سَاكِتِ أَلْفَا ، وَنَاطِقِي خَلْفَا^(٤) ،
وَمُشْمَرٍ ذَيْلِهِ ، وَمُدَّرِعٍ لَيْلِهِ ، تَسْرُبَلُ سَابِقَةَ دُجَى ، قَتِيرُهَا^(٥) نَجُومُ لَيْلٍ دَجَا ،
حَتَّى اشْتَفَتْ نَفْسُ الْإِسْلَامِ مِنْ دَائِهِمْ ، وَزَالَ كَلْبُ الْكُفْرِ بِمَا أَرِيقُ مِنْ دِمَائِهِمْ ،
فَبَيَّوْهُمْ خَاوِيَةً ، وَنَفَّوْهُمْ عَلَى أَثَرِ تِلْكَ الْبُيُوتِ قَافِيَةً .

(٢) فِي ١ : « تَزْوِي » وَفِي ب ، ج : « تَزْوِي » .

(٤) الْخَلْفُ (بِالْفَتْحِ ثُمَّ السَّكُونِ) : الرَّدِيُّ مِنَ الْعُقُولِ .

(١) فِي ١ ، ج : « طَرَا » .

(٣) كَلَّتْ : « فَتَرَتْ » .

(٥) الْقَتِيرُ : الشَّيْبُ وَرَعُوسُ مَسَامِيرِ الدَّرْعِ .

وعلى آله الذين تفتحت لهم كاهنُ المعازل عن زهرة^(١) النصر ، وتحلى بمقود عهودهم
جيد كل عصر .

جَنَفُوا لهم ثمرَ الوقائع يانعا بالقر من ورق الحديد الأخضر
لا زالت سحب الرِّحمة المطنِّبة^(٢) بالقطر مخيِّمة على مراقدهم ، ولا برحت تحايا الزن
مُهَيِّمة^(٣) بلسان الرعد على معاهدهم ، ماسق غديرُ الجرة روضة السماء ، وزها نرجس
النجم تحت بنفسج الظلماء .

هذا وإني كنت قبل أن تُشيب^(٤) منى الخطوب الذوائب ، وتصبح كبدى
وأحشائى بلطى الذوائب ذوائب ، والزمان ربيع ، وروض الشباب مريع ، أعد الأدب
عنوان صحائف الشمائل ، وبيت القصيد فى ديوان المآثر والفضائل ، أنفق نقد عمرى
فى اقتنائه واقتناص شوارده ، وأملأ صدف المسامع مما يستخرج غواص الأفكار من
فرائده ، وأشيم بارقة السحر من نقائنه ، وأشم عبير السرور من أزدان نسائنه ،
وأرتشف من طبعى^(٥) ما يئتم على سر الزُّجاجة ، وأشتف^(٦) منه ما أسارته الجدود
من ذوابة خفاجة ، صباة مجدى لم يكدرها فى جام المشارب ورد الخطوب ،
وازدهام الشواذب .

فإنى من العرب الأكرمين وفى أول الدهر ضاع الكرم
وما زلت على هذا الحال ، منذ فارقتى الحال ، لا دأب لى إلا تلقى وفوده ،
لاستهداء تحف الأخبار التى هى ألطف من دمع الطل فى وجنات الأزهار .
ومن يسأل الرُّكبان من كان نائما فلا بد أن يلقى بشيرا وناعيا

(١) فى م : « زهر » .

(٢) طنب الشيء (بالتشديد) كثر حتى لا يرى أقصاه من كثرته .

(٣) الهيمنة : الصوت الحنى . (٤) فى ب : « يفوق » . وفى ج : « يفرق » .

(٥) فى ب : « سمى » . (٦) فى ا ، ب : « وأستف » ، واشتف ما فى الإناء : نقصاه .

مِنْ أَحَادِيثِ يُشْتَقَى^(١) بِهَا الْعَلِيلُ ، وَيَصْخُ مِزَاجُ النَّسِيمِ الْعَلِيلِ ، تَنْفَتِّحُ مِنْهَا^(٢) فِي رِيَاضِ الْمُسَامَرَةِ ، مِنْ أَجْفَانِ السَّكَاثِمِ عَيُونُ أَنْوَارِهَا الزَّاهِرَةِ ، وَيَحْسُو قَمَّ السَّمْعِ مِنْهَا مَاءَ حَيَاةٍ يُطِيلُ عُمَرَ الْمُسَرَّةِ ، وَتَكْتَحِلُ مِنْهَا الْمَائِرُ بِمَا هُوَ لَعِيُونُهَا قُرَّةٌ ، مِنْ كُلِّ مَنْ هُوَ لِتَشْيِيدِ الْمَجْدِ أَكْرَمُ بَانِي ، حَتَّى تَكْفُلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِعَمْرِ ثَانِي ، يَشِيبُ فِي وَجْهِ السَّمَاءِ حَاجِبُ الْقَمَرِ هَلَالًا ، وَيَشْتَعِلُ^(٣) رَأْسُ الشَّمْسِ شَيْبًا وَلَمْ يَرِ^(٤) لَهُ مِثَالًا .

إِذَا مَا رَوَى الْإِنْسَانُ أَخْبَارَ مَنْ مَضَى فَتَحَسَّبُهُ قَدْ عَاشَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ وَتَحَسَّبَهُ قَدْ عَاشَ آخِرَ دَهْرِهِ إِلَى الْحُشْرِ إِنْ أَبْقَى الْجَمِيلَ مِنَ الذِّكْرِ فَقَدْ عَاشَ كُلَّ الدَّهْرِ مَنْ عَاشَ عَالِمًا كَرِيمًا حَلِيمًا فَانْتَغَنِمِ أَطْوَلَ الْعُمَرِ وَسَوَاءٌ تَلَقَّتُ الْمَرِيضُ لِلطَّيِّبِ ، وَفَرَحَةُ الْأَدِيبِ بِلِقَا الْأَدِيبِ ، لَا سِيمَا أَهْلَ الْعَصْرِ ، الْمَاصِرِ أَغْصَانِ الْمُنَى أَلْطَفَ هَضْرٍ ، الْقَائِلِينَ فِي رِيَاضِهَا^(٥) ، الْوَارِدِينَ تَمِيمِ^(٦) حِيَاضِهَا ، فَقَدْ مَرَّتْ كَلِمَاتُهُمْ مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا ثَنَاءُ نَسِيمِ الرِّيَاضِ عَلَى الْعُهُدِ ، وَقَدْ انْتَصَرَ لِكُلِّ عَصْرِ مِنْ أَحْيَاءِ مَيَّتِهِ ، وَعَمَّرَ مِنْ دَارِ عَهْدِهِ بَيْتَهُ^(٧) ، كَصَاحِبِ « الْيَتِيمَةِ » وَ « قَلَانْدِ الْعَقِيَانِ » ، وَ « الدَّمِيَّةِ » وَ « الذَّخِيرَةِ » وَ « عَقُودِ الْجُمَانِ » ، وَحِمِيَّةِ الْمَرْءِ لِعَصْرِهِ ، وَقِيَامُهُ عَلَى مَنَابِرِ نَضْرِهِ ، مِنْ آيَاتِ الْفُتُوَّةِ ، الَّتِي هِيَ عَلَى لِسَانِ الْحَمِيَّةِ مَتَلَوَّةٌ ، فَلَيْسَ مَنًّا مَنْ لَمْ يَقْتَدِ بِدَرِّ الْمَجْدِ فِي مِهَادِهِ ، وَلَمْ يَفْتَخِرْ فِي الْحَافِلِ بِأُسْتَاذِهِ وَإِسْنَادِهِ ، إِلَّا أَنْ الْأَدَبَ^(٨) فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ ، قَدْ هَبَّتْ عَلَى أَطْلَالِهِ رِيحُ ذَاتِ إِعْصَارٍ ، حَتَّى أَخْلَقَتْ عُرَى الْحَامِدِ ، وَاسْتَرْخَى فِي جَرِيهِ عِنَانُ الْقَصَائِدِ ، وَتَقَلَّصَتْ أَذْيَالُ الظَّلَالِ ، وَخَطَبَ الْبَلَاءُ^(٩) عَلَى مَنَابِرِ الْأَطْلَالِ ، وَعَقَا رَسْمُ السَّكَرَامِ ، فَعَلِمَهُ مَنَى السَّلَامِ .

(٢) فِي ١ : « يَنْفَتِّحُ مِنْهَا » وَفِي ج : « يَنْفَتِّحُ فِيهَا »

(٤) فِي م : « وَلَمْ يَرِ » .

(٦) فِي ب ، م : « عَيْنِ » .

(٨) فِي ١ : « الْأَدِيبِ » .

(١) فِي ١ : « يُشْفَى » .

(٣) فِي م : « وَيَشْتَعِلُ مِنْهُ رَأْسُ » .

(٥) فِي م : « غِيَاضُهَا » .

(٧) فِي ١ ، ب ، ج : « بَيْتِهِ »

(٩) فِي ١ : « الْبَلَى » .

وَمَا أَعَانَ عَلَى الزَّمَانِ عَفَافُ يَدِي وَعُلُوُّ الْهِمَمِ
والرؤساء شعراء لا ينظمون ولا ينثرون ، وما ^(١) فيهم من صفات الشعراء إلا أنهم
يقولون ما لا يفعلون ، وإذا كذب مادح أحدهم اهتز وطرب ، وجازى من سراب وعده
بكذب على كذب ، وبالوعد الفطير لا يخمر الخمير .

* وبأحسنَت لا يُباع الشعيرُ * ^(٢)

وبرعد الوعد ، لا يسقى غرس الحمد .

فلا تلوموه في وعدٍ يُردُّه في وقتٍ مدحٍ له علمته الكذباً
ومع هذا ، فكم هبت لهم أنفاسٌ معطرةٌ بالنجاح ، مُزريةٌ في وقتها بأنفاس الصبا
في الصباح ، يهز لها السَّمَاحُ هيف معاطفه ، وينشر تحت أقدامها الزمانُ بساطَ عواطفه ،
تمسك كف الشمال بأذيالها ، وتتقيأ العشاق في هجير الأشواق ضافٍ ^(٣) ظلها ، وتردُّ
صافى زلالها ، من كلِّ حديثٍ تليدٍ وطارفٍ ، له وثنى على كاهل المجدي ولا كوشى
المطارف ، تزهو به الطروس على صفحات الخدود المحسَّات ^(٤) بالسَّوَالِف ، في كل
ورقةٍ منها خمائل ، تسوغ مياه فصاحتها في لهوات الجداول .

تسكاد يدي تغذى إذا ما لمسها وينبت في أطرافها الورق الأخضر
من كل من ألحق التأخر بالمتقدم في تطبيق مفاصل معانيه ، وإخراج مُحَبَّاتِ عطره
من جُونة ^(٥) مبانیه ، وإن تأخر عصره فلا بأس ، في تأخر الفنيحة عن القياس ، والخدم
تقدّم بين يدي السادة ، والسُّنَنُ أمير بتقديمها على الفروض في العبادة ، وتقدّم الآحاد ،
برقي مرتبة الأعداد .

(١) في م : « وليس » .

(٢) في ا ، ب : « وبالخطبة » وفي ج : « وبما حسنت » وانظر التمثيل والمحاضرة ١٠٧ .

(٣) في ج : « ضالى » وفي ب ، م : « صافى » .

(٤) زيادة من : م .

(٥) في ا ، ب ، ج : « المحشة » .

(٦) الجونة : سلبية مغطاة أداما تكون مع المطارين . القاموس (ج و ن) .

أَوْ مَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا فَاقَ الْبَرِيَّةَ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلٍ

فِي أَدِلَّةِ الْهُدَى إِنِّي آنَسْتُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا بِهَا تَهْتَدُونَ ، أَوْ آتَيْتُكُمْ
بِشَهَابٍ قَبَسٍ لِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، فَإِنْ لَمْ يَتْرَكِ الْأَوَّلُ شَيْئًا لِلْآخِرِ ، نَغْيَرُ مِنَ الْكَثِيرِ الْغَائِبِ
الْقَلِيلُ الْحَاضِرُ ، وَيَا مَنْ هُمْ فِي مُحْيَا الْأَيَّامِ حَسَنَةً ، لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ ، فَلَا يُزِرُ بِالنُّورِ تَأْخُرُهُ عَنْ غِرَاسِ أَغْصَانِهِ ، وَلَا يُكِلُ مَضَاءَ السَّفَانِ كَوْنُهُ
فِي أَطْرَافِ مُرَّاتِهِ ^(١) ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَسَاوَى الْأَصَانِلُ وَالْبُكَرُ ، وَتَنَشَّاهُ طُرُرُ الْعِشْيَاتِ
وَالسَّحَرُ ، وَلَيْسَ إِلَّا لِلْحَسَدِ رَغِبٌ ^(٢) الطَّبَّاعُ ، عَنْ مُحَاسِنِ الْعَصْرِ ^(٣) هِيَ مِلَّةُ
الْأَفْوَاهِ وَالْمَسَامِيعِ .

وَمَا شُكْرُكُمْ لِلَّيْتِ إِلَّا لِأَنَّهُ بِمَا حَلَّ فِي أَيْدِيهِمْ غَيْرُ طَامِعٍ
وَلِلَّهِ دَرُّ ابْنِ رَشِيقٍ ، فِي قَوْلِهِ :

أَوَّلَعَ النَّاسُ بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ وَبَذَمِ الْجَدِيدِ غَيْرِ الذَّمِّ
لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ حَسَدُوا الْحَيَّ فَرَقُوا عَلَى الْعِظَامِ الرَّمِيمِ ^(٤)

^(٥) وَالْحَرُّ وَإِنْ حَلَّ تَبْهًا وَبَادِيَةً ، فَسْتَغْدُو مُحَاسِنَهُ عَلَى رَغَمِ الْخَمُولِ بَادِيَةٍ ، وَلَنَا فِي
ذِمَّةِ الدَّهْرِ دِيُونٌ بِأَوْقَاتِهَا مَرَهُونَةٌ ، فَإِذَا جَاءَ إِبْتَانُهَا فَكَّ الزَّمَانُ رُهُونَهُ .

عَلَى أُنَى أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ دَهْرٍ كَلَّتْ فِيهِ مُرْهَفَاتُ الطَّبَّاعِ ، وَنَفَضَتْ الْأَمَالُ فِيهِ
يَدَهَا مِنْ غُبَارِ الْأَطْمَاعِ ، وَافْتِنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ ، وَقَدْ قَلَعَ ضِرْسَ النَّدَمِ ، بَعْدَ مَا أَكَلَ
بَاكُورَةَ الْكِرْمَاءِ ، وَشَابَتْ بِالصَّبَاحِ لِيَالِيهِ الدَّهْمَاءُ ، وَدَبَّ خَرَفًا عَلَى عَصَا الْجَوْزَاءِ .

وَكُنْتُ لَمَّا ذُبُلَ بِالنَّوَى عَيْشِي النَّضِرُ ، وَلَيْتَ سِيَاحَةً ^(٦) الْآفَاقِ فَصِرْتُ خَلِيفَةً

(١) المِرَانُ : الرِّمَاحُ الصَّلْبَةُ اللَّدْنَةُ . (٢) فِي م : « الْحَسَدُ رَغْبَةٌ » .

(٣) فِي م : « لِأَهْلِ الْعَصْرِ » . (٤) فِي أ ، ب : « وَرَقُوا لِي » وَفِي ج : « وَمَالُوا لِي » .

(٥) فِي م : « وَالْحَيُّ إِنْ حَلَّ تَبْهًا بَادِيَةً » .

(٦) فِي أ : « وَلَيْتَ مَسَاحَةً » وَفِي ج : « وَوَلَيْتَ سَاحَةً » .

الْخَضِرَ ، تَهَادَتْنِي التَّنَائِفُ^(١) ، وَفَذَفَتْنِي الْأَمَانِيُّ فِي أَهْوَاتِ الْخَاوِفِ ، كَأَنَّ قَذَاةَ
بَاجِفَانِ الدَّهْرِ ، أَوْ سَفَاةَ^(٢) بُوْجِهْ نَهْرٍ ، أَوْ كُرَّةَ لَاعِبٍ ، أَوْ سَهْمِ مُحَارِبٍ ، طَوْرًا
أَشَقُّ^(٣) قَلْبَ الشَّرْقِ كَأَنِّي أَفْتَشُّ عَلَى الْفَجْرِ ، وَتَارَةً أُمَزِّقُ كَيْسَ الْغَرْبِ حَتَّى كَأَنِّي
أُرِيدُ أَنْ أَخْرِجَ مِنْهُ دِينَارَ الْبَدْرِ ، أَفْلَى لُتْمَةِ لَيْلٍ دَجَا ، شَابَ فَوْقَهَا فِرْقُ ابْنِ جَلَا ،
يُخَيِّلُ لِي^(٤) أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعَ أَنَا فِيهَا مَرُّ الْمَلَامِ ، أَوْ فَكْرَ بَلِيدٍ أَنَا حَوْلَهُ^(٥) مَعْنَى دَقَّ
أَنْ تَنْصَوِّرَهُ الْأَوْهَامَ ، غَرِيبٌ فِي عَيُونِ الظُّنُونِ ، كَأَنِّي بَيْتَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ^(٦) فِي
دِيْوَانِ سَحْنُونٍ ، أَوْ مُصَحَّفٍ فِي بَيْتِ زَنْدِيقٍ ، أَوْ عَابِدٍ فِي صَوْمَعَةٍ بِطَرِيقٍ ، أَوْ
بِكْرٍ مَعْنَى سَارٍ فِي مَثَلٍ ، أَوْ غَضٍّ عَمْرٍ جَرَى خَلْفَهُ رَائِدُ أَجَلٍ ، أَوْ خَبَرٍ لَمْ يَصِحَّ لَهُ
سَنْدٌ ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنَ الثَّقَاتِ أَحَدٌ ،

كَأَنَّ لَهُ دَبْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ ثَارًا لَدَى^(٧) كُلِّ مَغْرِبٍ
أَرِدُ مَوَارِدَ الْحُوبِ^(٨) ، مُكَدَّرَةً بِفُصُصِ الْخَطُوبِ ، فَلَمْ أَرِبْ^(٩) بِيَدُوْ
وَلَا حَضَارَةٍ ، كَأَنَّنِي مِنَ الشَّهْبِ السَّيَّارَةِ ، وَقَدْ قِيلَ تَنْزِيلُ الْأَقَابِ مِنَ السَّمَاءِ ، فَلَسْكَلَ
مِنْ أَسْمِهِ نَصِيبٌ انْحَطَّ أَوْ سَمَا

وَطَنِي حَيْثُ حَطَّتِ الْعَيْسُ رَحْلِي وَذِرَاعِي الْوِسَادُ وَهِيَ مِهَادِي
فَكُلْ جَوْلِي بَيْنَ إِبْرَاقٍ وَإِزْعَادٍ ، وَأَمَانِي فِي مَهَامِهِ الْخَيْرَةِ بَيْنَ إِيْتِهَامٍ وَإِنْجَادٍ ،
وَالْزَمَانُ يُضْمِرُ سَلْبَ مَا أَوْلَاهُ بِخُلَا إِنْ جَادَ^(١٠) ، وَالسَّنَةُ أَبْنَانُهُ عَنِ الْإِجَابَةِ صُنَّتْ ،

(١) التنوفة والتنوفية : المفازة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف ، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس
وإن كانت معشبة . القاموس (تن ف) .

(٢) السفاة من السفى ، وهو كل شجر له شوك . (٣) في م : « أشق » .

(٤) في ١ ، ج : « يخيل أن البلاد » . (٥) في ج ، م : « أناحواله » .

(٦) في م : « الثابت » . ويعني بسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي أبو سعيد ، صاحب « المدونة »
في الفقه المالكي ، توفي سنة ٢٤٠ هـ . انظر وفيات الأعيان ٢/٣٥٢

(٧) في ب : « لدى » وفي م : « على » . (٨) الحوب : الهلاك .

(٩) في ١ : « ألب بيد » . وألب : أقام ، وفي ب ، ج « أرث » . وأرب بالمسكان : أقام .

(١٠) في ١ : « بخلا وإن جاد » وفي ب : « بخيلا إن جاد » .

وآذَانُهُمْ عَنْ صَرِيحِ الْاسْتِغْنَاءِ صُمَّتْ ، فَقَدْ خَلَا مِنَ الْمَكَارِمِ ^(١) مَغْنَاهَا ، وَأَصْبَحَ لَا يَجَاوِبُ الْيَوْمَ إِلَّا صَدَاهَا .

لَكِنِّي مَعَ أَهْوَالِهِ ، وَدُرُوسِ رُسُومِ السُّرُورِ فِي أَطْلَالِهِ ، وَإِنْ تَوَسَّدْتُ ذِرَاعَ الْهَمِّ فِي دِيَاجِيهَا ، وَقَطَعْتُ ^(٢) ظُلْمَةَ الشَّدَائِدِ فِي سَنَا بَذْرِ أُمَانِيهَا ، أَنْعَلَلْتُ بَأْنَ السَّيْفِ لَا يَقْطَعُ فِي قِرَابِهِ ، وَاللَّيْثَ لَا يَصِلُ لِفَرْضِ الْفَرَّاسِ فِي غَابِهِ ، وَلَوْلَا مُفَارَقَةُ الْقَوْسِ مَا أَصَابَ سَهْمٌ ، وَلَوْلَا بُعْدُ ^(٣) الدَّرِّ عَنِ الصَّدْفِ لَمْ يَظْفَرَنَّ مِنَ الْغَيْدِ بِأَوْفَى سَهْمٍ ، فَلِذَلِكَ أَضَاحِكُ مِبَاسِمِ الْأُمَانِي ، وَأَغَازِلُ عِيُونَ الْأَمَالِ وَالتَّهَانِي ، وَأَنْزَهُ طَرْفِي فِي رِيَاضِ الدَّقَاتِرِ ، وَلَمْ أَقِلْ مَعَ السُّرُورِ إِلَّا فِي ظِلِّ طَائِرٍ ، فَرِمَانٍ مَسْرَاتِي ^(٤) أَقْصَرُ مِنْ عَمْرِ الْكِرَامِ ، وَفَوَادِي لَمْ يَهْتَدِ إِلَى طَرَفِ سَلْوَةِ الْمَدَامِ ، فِي أَوْيَاقَاتِ أَنْقَلٍ مِنَ الشُّؤَالِ ، وَأَطُولُ مِنْ عَمْرِ الْأَمَالِ ، أَشَامُ مِنْ وَجْهِ خَنَاسٍ ^(٥) ، وَأَثْقَلُ مِنْ غَرِيمٍ مُلِحٍّ عَلَى إِفْلَاسٍ .

وَلَمْ يَكْفِ الدَّهْرَ مَا وَرَثَنِيهِ مِنَ الْحِرْمَانِ ، حَتَّى ابْتَلَانِي بَعْدَ الْإِثْبَاتِ بِالنَّقْيِ كَأَنِّي نِكْتُ أُمَّ الزَّمَانِ ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا ، وَلَا أُرْتَضَى بِمَعْرَةِ أَبِي الْعَلَا ، فِي قَوْلِهِ ^(٦) :

إِذَا مَا ذَكَرْنَا آدَمًا وَفِعَالَهُ وَتَزْوِيجَهُ لَا بَنِيَهُ بِنْتِيهِ فِي اخْتِلَافٍ ^(٧)

(١) فِي ١ : « الْكِرَامِ » . (٢) فِي ج : « وَتَقَطَّعَتْ » .

(٣) فِي ١ ، ب ، ج : « فَقَدْ » . (٤) فِي م : « مَسْرَاتِي » .

(٥) فِي ١ : « جِبَاسٍ » وَفِي ب ، ج : « حِبَاسٍ » .

(٦) خُرَيْدَةُ الْقَصْرِ ، قِسْمُ الثَّامِ ٢٥٢/٣ ، مَرَاةُ الزَّمَانِ (تَعْرِيفُ الْقَدَمَاءِ ١٧٩) ، مَعَاهِدُ التَّنْصِيفِ ٥١/١ ، مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٦٥/٣ ، نِكْتُ الْهَمِيَانِ ١٠٦ ، النُّورُ السَّافِرُ ٤١٠ ، الْوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ (تَعْرِيفُ الْقَدَمَاءِ ٢٨٢ ، ٢٨٣)

(٧) فِي م : « وَتَزْوِيجَهُ بِنْتِيهِ لَا بَنِيَهُ فِي الْخُتَا » وَالْمَثْبُوتُ فِي ١ ، ب ، ج : وَبِوَافِقِهِ مَا فِي الْوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ ، وَرَوَايَةٌ مُتَوَافِقَةٌ مَا فِي مَعَاهِدِ التَّنْصِيفِ ، وَمَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ، وَفِي مَرَاةِ الزَّمَانِ : « وَتَزْوِيجُ لِبْنِيهِ لِبْنَتِيهِ فِي الدَّنَا » ، وَفِي نِكْتُ الْهَمِيَانِ : « وَتَزْوِيجُهُ لِبْنِيهِ بِنْتِيهِ فِي الْخُتَا » ، وَفِي النُّورِ السَّافِرِ : « وَتَزْوِيجُهُ بِنْتِيهِ بِابْنِيهِ فِي الدَّنَا » .

عَلِمْنَا بِأَنَّ الْخَلْقَ مِنْ نَسْلِ فَاجِرٍ وَأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ عُنْصُرِ الزُّنَا^(١)
فَإِنَّهُ كَفَرَتْ مِنْ وَسْوَسةِ الشَّيَاطِينِ^(٢)، وَغُلُوٌّ مِنْهُ فِي خَلْعِهِ رِبْقَةُ الدِّينِ^(٣)، بَلْ
أَقُولُ مَا قَالِ ابْنُ عَنِينَ^(٤) :

انْفُوا الْمُؤَذِّنَ مِنْ بِلَادِكُمْ إِنْ كَانَ يُنْفِي كُلَّ مَنْ صَدَقَا^(٥)
وَلِلْحَسَنِ بْنِ أَبِي عُقَامَةَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ ، أَيْ عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ :

لَعَمْرِي أَمَّا فِيكَ فَالْقَوْلُ صَادِقٌ وَتَكْذِيبُ فِي الْبَاقِينَ مِنْ شَطِّ أَوْ دَنَا
كَذَلِكَ إِقْرَارُ الْفَتَى لِأَزْمٍ لَهُ وَفِي غَيْرِهِ لَعْنٌ كَذَا جَاءَ شَرْعُنَا^(٥)

فَلَا سَمِيرَ لِي أَجَالِسُهُ ، وَلَا نَدِيمَ لِي أُوَانِسُهُ ، سَوَى أَوْرَاقٍ كُنْتُ خَلَعْتُ عَنْ
مَنْكِبِ الْإِقْبَالِ بُرْدَهَا الْخَلِيعَ ، وَجَعَلْتُهَا كَبَيْتِ الْعُرُوضِ ادْخَارُهَا لِلتَّقْطِيعِ ، فَوُجِدْتُ
فِيهَا نَبْذًا^(٦) مِنَ الْحَاسَنِ أَسَرَّهَا الدَّهْرُ فِي خَاطِرِهِ ، شَاهِدَةً لِقَوْلِ مَعْنَدِنِ الْحَكَمِ : « أَمَّتِي
كَالْمَطَرِ لَا يُدْرَى الْخَيْرُ فِي أَوَّلِهِ أَمْ فِي آخِرِهِ »^(٧) ، ثُمَّ جَرَّ عَلَيْهِ الزَّمَنُ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ،

(١) في م ، ج : « عَلِمْنَا بِأَنَّ النَّاسَ » ، وَالثَّبُوتُ فِي أ ، ب ، وَالْمَصَادِرُ السَّابِقَةُ ، وَفِي ب ، م : « وَأَنَّ
جَمِيعَ الْخَلْقِ » ، وَهِيَ رَوَايَةٌ تَوَافَقَ مَا فِي مَعَاهِدِ التَّنْصِيسِ ، وَنَكَتِ الْهَمِيَانِ ، وَالْوَاقِ بِالْوَفَايَاتِ ،
وَالثَّبُوتُ فِي أ ، ج ، وَبِوَافِقِهِ مَا فِي مِرَاةِ الزَّمَانِ ، وَمَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ، وَالنُّورِ السَّافِرِ .
(٢) فِي م : « الشَّيْطَانُ » .

(٣) فِي م : « رِبْقَةُ الْإِيمَانِ » ، وَفِي ج : « لِرِبْقَةِ الدِّينِ » .

(٤) دُبُورَانَهُ ٩٤ . وَنِسْبَةُ الْبَيْتِ إِلَيْهِ سَاقِطَةٌ مِنْ ج .

(٥) زِيَادَةٌ مِنْ ج ، م ، وَفِي ج خَلْطٌ ، وَوَضَعَ النَّاسِخُ هَذَا قَبْلَ قَوْلِهِ : « فَإِنَّهُ كَفَرَ مِنْ وَسْوَسةِ ... »
وَالْحَسَنِ بْنِ أَبِي عُقَامَةَ ، هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَمِينِي ، وَقَدْ جَاءَ اسْمُهُ مُضْطَرَبًا فِي ج هَكَذَا : « وَلَأَبَى الْحَسَنِ الْيَمِينِي » ،
وَقَدْ تَرَجَمَهُ الْعَمَادُ فِي الْحَرِيدَةِ ، قِسْمُ الثَّامِ ٣ / ٢٤٥ - ٢٥٣ . وَالبَيَانُ فِيهَا صَفْحَةُ ٢٥٣ وَفِي الْمَصَادِرِ
السَّابِقَةِ عَدَا مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ، وَفِي هَذِهِ الْمَصَادِرِ عَدَا مَعَاهِدِ التَّنْصِيسِ : « لِعَمْرِكَ » ، وَفِي ج : « كَمَا جَاءَ
شَرْعُنَا » ، وَالثَّبُوتُ فِي م ، وَمِرَاةِ الزَّمَانِ ، وَنَكَتِ الْهَمِيَانِ ، وَالْوَاقِ بِالْوَفَايَاتِ ، وَفِي النُّورِ السَّافِرِ :
« بَذَا جَاءَ شَرْعُنَا » .

(٦) فِي م : « نَبْذَةٌ » .

(٧) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صَحِيحِهِ (أَبْوَابُ الْأَدَبِ ، بَابُ الْأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
١٤٢/٢ ، وَلَفْظُهُ : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ يَحْيَى الْأَنْجِيُّ ، عَنْ ثَابِتِ الْبَنَانِيِّ ، عَنْ أَسُسَ ، قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ »

وأسكنه تحت أطباقِ الثرى ، فخلَّ نَحِيمَ البلى ، كأنه سِرٌّ في صدره ، ومن باقٍ على هامةِ
الليالى تعبَقُ أنفاسُ الرِواءِ بذكره ، مَن رَكِبْتُ لرؤياه مطايا أم عمرى ، أو نابت عني
في مشاهدته أهلُ عصرى ، فاجتَلَوْتُ حُجَيَّاهُ ، أو رأيتُ مَنْ رآه ^(١) ، حتى طرِبْتُ على
الاستماع ، وعلتُ أن الذِّكْرَى طَيْفُ الاجتماع ، وإذا كان الحُبُّ مَنْوعًا ، فالصَّبُّ
قَنْوَعًا ، يتعلَّلُ ببارقِ ثَنِيَّةٍ ^(٢) ، وتسكفيه لَمَحَةٌ إشارةٍ أو تَحِيَّةٍ .

فإن تمنعوا ليلي وحسنَ حديثها فلن تمنعوا مني البُكا والقوافيا ^(٣)
فهلَّا منعتمْ إذ منعتم حديثها خيالاً يوافيني على النَّأْيِ هادياً ^(٤)
فجمعتُ منها ماهو لظرفِ الدهرِ حَوَر ، ولجيدِ الأدبِ عَقْدٌ يَدَسِّمُ منظومه هُزْؤاً
بعقدِ الدُّرَر ، ولكاسِ الأدبِ خِتَام ، ولعقدِ حُبَّابه نِظَام ، تُذَكِّرُ العهودَ والمودَّةَ ،
وتطلع في وَجْنةِ الوفاءِ وردَّةَ ، وتندُب من ألقى للبلَاءِ قِيَادَه ، وتلبس عليه وَجَهَ الطُّرسِ
حِدَادَه ، وتسيل في عاتقِ الحاسنِ غَوَالِيَا ، وترقُّ فلا تدرى أَلْفَظٌ رَقٌّ أم دمعُ تَرْقُرُقِ
جَارِيَا ، وتسجدُ الأَقلامُ في محرابِ طِرسها الذى هو للمحاسنِ جَامِع ، ويودُّ كل عضو
إذا تَلَيْتُ أحاديثها لو أنه مسامِيع ، وهى وإن كانت عَقْدًا منقترًا ^(٥) دُرَّه ، وأفقًا تبدَّد
بيد الصباح زُهره ، وتوَّراً نشرته كفُّ ^(٦) الشَّمال ، فانتظم على ترائبِ الماءِ السَّاسال ،
فلرُبَّما نثرَ العِقدُ المِفْصَلَ ، ليعود أحسنَ فى النِّظَام ^(٧) وأنجل .

فهذه ذخائرُ من « خبايا الزَّوايا ، فيما فى الرِّجال من البَقايا » تنفِّس الدهرُ بها عن

(١) فى ١ : « أورايت مزاره » ، وفى ب ، ج : « أورايت من يراه » .

(٢) فى م : « بيارقة سنية » .

(٣) البيت الأول فى ديوان الجنون ٢٩٤ ، وتزيين الأسواق ٦٩ ، وفى م : « وطيب » ، وقد سقط عجز
هذا البيت ، وصدر البيت الثانى من : ج ، ورواية البيت فى الديوان :

فإن تمنعوا ليلي وتحموا بلادها على فلن تحموا على القوافيا

(٥) فى م : « يفتتر » .

(٤) فى ١ : « إن منعتم » .

(٧) فى ١ : « النظائر » .

(٦) فى ب ، ج : « زهرة » .

نَفْحَةٍ عَنَبَرِيَّةٍ ، وَهَبَتْ بِهَا أَنْفَاسُهُ النَّدِيَّةُ نَدِيَّةً ، تَنْفُسَ الرُّوضِ فِي الْأَسْحَارِ ^(١) بِأَفْوَاهِ
العَبِيرِ عَنْ ^(٢) أَفْوَاهِ النُّورِ وَالْأَزْهَارِ .

يَسْرِي عَلَى رِيحَانِهَا نَفْسُ الصَّبَا سَحَرًا فَيُوهِمُ أَنَّهُ ذِكْرُهَا
فَلِذَا سَمِعَتْهَا ^(٣) :

﴿ رِيحَانَةُ الْأَلْيَا ، وَزَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

فَإِنِّي شَمَمْتُ بِهَا رَوَائِحَ الشَّبَابِ ، وَنَظَرْتُ فِي مِرْآئَتِهَا وَجُوهَ الْأَحْبَابِ ، وَتَذَكَّرْتُ
غَابِرَ الْأَيَّامِ ، إِذِ الْعَيْشُ غَضُّهُ وَالزَّمَانُ غَلَامُ ، مِنْ أَعْلَامِ شُمِّ الْأَنْوَفِ إِنْ دَعَى بِهِمْ ^(٤) بَوَّ
الْصَفَارِ تَشْمِخٌ ^(٥) ، فِي غُرَرِ أَيَّامٍ تُقَامُ بِهَا مَوَاسِمُ الدَّهْرِ وَتُورَخُ .

وَجَعَلْتُ مِسْكَ الْخِتَامِ ، ذِكْرَ سَادَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ ، فَإِنَّ بَصْبَا أَنْفَاسِهِمْ
يَنْقَشِعُ ^(٦) غَمَامُ الْغَمَّةِ ، وَبَذِيرُهُمْ فِي نَادِيْنَا تَنْزِيلُ الرَّحْمَةِ ^(٧) .

فَإِنْ عَذَبَتْ مَوَارِدُهَا ، فَلَتَقْرَنَ بِالْدُعَاءِ فِرَائِدُهَا ، فَإِنْ عَثِرَ مِنْهَا عَلَى كَنْبُوتٍ ، فَلْيَبْذُلْ
لَهَا اللَّيْبُ عَفْوَهُ :

عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أَحْمَلَ الْهَوَى وَأَخْصَصَ مِنْهُ لَا حَلِيَّ وَلَا لِيَا
وَهَا أَنَا ذَا أُمْتِيعِ الْأَسْمَاعِ ، بِرَبِيعِ أَخْوَى الظَّلَالِ أَلَمَى التَّلَاعِ ، فَإِذَا رَأَيْتَ كَلَامًا
لِأَهْلِ الْعَصْرِ لَمْ تَتَرَنَّحْ أَعْطَافُهُ لِهَذَا النَّسِيمِ ، فَتَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَهُ مِنْ شَمِيمِ ^(٨) ،
فَلَيْسَ مِنْ لَيْلٍ وَلَا سَمَرٍ ، وَلَا مِمَّا يَهْدِي لَنَا ^(٩) مِنَ الْأَدَبِ بَاكُورَةُ نَمَرٍ ، فَكَمْ مِنْ
أَشْعَارٍ ، لِلْبُخْلِ ^(١٠) فِيهَا أَعْذَارُ :

(١) ساقط من : م (٢) في ١ ، ج : « وسمتها » .

(٣) كذا بالأصول ، والبو : جلد الحوار يحشى ثماما أو تبنا فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر .

القاموس (ب و) .

(٤) في ١ : « يتشعشع » . (٥) في ١ : « تنزل » .

(٦) في ١ ، ب ، ج : « فما بعده شميم » .

(٧) في ١ : « ولا مما يهدي لناد من الأدب » وفي م : « ولا مما يهدي الناد من الأدب » .

(٨) في م : « للبخيل » ، وفي ج : « للبخيل بها » .

تَاللّهِ مَا بَخِلَ الْكَرَامُ وَإِنَّمَا لِجُرُودِ الْأَشْعَارِ قَدْ جُودَ الْفَدَى
 فَمَا كُلُّ مُرْتَفَعٍ تَجِدُ ، وَلَا كُلُّ وَادٍ يُنْبِتُ الشَّيْخَ وَالرَّانِدَ ، وَمَا كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةٍ ،
 (١) وَلَا كُلُّ صَهْبَاءَ خَمْرَةٍ (٢) وَلَا كُلُّ بَيْضَاءَ (٣) شَحْمَةٍ (١) وَلَا كُلُّ حَمْرَاءَ لَحْمَةٍ (١)
 وَلَا كُلُّ نَبْتٍ يَعْلُو بَنَمَائِهِ ، وَلَا كُلُّ بَرْقٍ يَجُودُ بَمَائِهِ .
 اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْأَنَامِ ، كَمَا يَسَّرْتَ الْإِبْتِدَاءَ يَسِّرِ الْإِخْتِمَامَ (٣) ، صَارِفًا عَنَّا سُوءَ
 الْقَضَا ، نَاظِرًا إِلَيْنَا بَعَيْنِ الرِّضَا .

(٢) في ١ ، ب : « بيضة » .

(١) زيادة من : م .

(٣) في م : « الختام » .

القسم الأول

في محاسن أهل الشام ونواحيها ، ومن برز من سريرة ربّاهَا
وبطن واديها ، وتغذى بنسيمها ، وتربّى في حجر رياض نعيمها
وقال في ظلال أغصانها ، المتعانقة هوى وودًا ، وتعطر بأنفاس
شمائيلها ، التي صارت للندّ ندًا ، وطعم من ما بها العذب
وروى بذوب لؤلؤها الرطب ، وهو ماء الحياة في سائر الصفات
إلا أنه في نور التقديس وهو في الظلمات .

أحمد العنایاتی*

صديقُ الصّدق ، وخِذْنُ الصّلاح ، شقيقُ النّدى ، وتربُّبُ السّماح ، رَوْضُ سَجِيّته
غَضُّ ناضِر ، لو رآه المُتَنَبّي لقال ما هذا إلا ساحر ، خَلَبُ الأسماع بِنَقّائِهِ ، ونَسَجُ على
مِنوال الرّفّة حُللَ عِنَايَاتِهِ .

ذو حَسَبٍ تَلَمِيذ ، وبَايَعُ في المجد طويل مَدِيد ، لم يُسْطَرْ مثلُ مُحاسِنِهِ في كتاب
الزّمان ، ولم يُمَلَأْ بأنفسٍ من جواهره حِقَاقُ الآذان ، فيألفها جواهر إذا شاهدتها مُفْتَقِر
إلى البيان ، أغناها ياقوتُها وجوهرُها ، و^(١) خَرَانِدُ جَمَعَتْ له بين الحُسْنِ والإحسان
منظرها طيّب ومخبرها^(٢) ، تُغَرِّدُ على قُضْبٍ براعتِهِ^(٣) حمائمها ، وتفوح أنوارُ
بلاغتِهِ^(٤) إذا قُضَّت الطُّروس عنها كَأَمَّهَا^(٥) ، طلعت شمسُ الأدب من أفقِ أشعاره ،
وتفجّرت بفايِعُها من خلال آثاره .

وهو الآن في جبهة^(٥) الشّام غُرّة ، وفي حدائقها النّضرة زهرة ، وفي سماء كالأرض الزّاهية

(*) أحمد بن أحمد أبي العنايات بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم العناياتي .

أصله من نابلس ، وولد بمكة بعد رحيل أبيه إليها ، ولكنه رحل إلى ديار الشام ، واستقر بدمشق
سنة ست أو سبع وثمانين وتسعمائة .

وكان رث الهبة ، لم يتزوج في عمره .

جمع شعره - كما يقول المحي - بين جودة السبك وحسن المعنى . وله ديوان شعر .

توفي في عشرين من ذي القعدة أو حادى عشره ، سنة أربع عشرة بعد الألف ، وقد تجاوز الثمانين .

تراجم الأعيان ٩٢/١ ، خلاصة الأثر ١٦٦/١ ، ديوان الإسلام ١٦٠ ، خبايا الزوايا لوحة ١٥٠ .

(١) في م : « عن » .

(٢) في م : « مخبرها يطيب ومنظرها كبدري على قضيب » .

(٣) في م : « براعته براعة حمائمها » .

(٤) في م : « إذا قُضت الطروس عنها سيجف كأممها » ، وفي ج : « الطروس عنه » .

(٥) في م : « جهة » .

زُهْرَة ، وقد حَلَّى بِحُلَلِ الزَّهْدِ كَالِه ، ورَأَى بِرَأْيِهِ الصَّائِبِ أَسْمَالَه أُنْسَى لَهُ ، لم يَحْتَفِلْ
بِأَمْرِ غَد ، قَانِعًا بِظُلِّ الْحُمُولِ نَسْكَدًا أَمْ رَغَد ، قَانِلًا فِي خَائِلِهِ الرَّحَابِ ، عَفَّ السَّرِيرَةِ
طَاهِرَ الْأَثْوَابِ ، لم يَشْرَقْ بِسُؤَالِ ، ولم يَفْصَحْ بِبَدَامَةِ الْأَمَالِ ، ولم يَأْلَفْ سَكْنًا ،
وَيَتَوَطَّنَ مَسْكَنًا .

كما قيل :

وَمِنْ عَجِيبٍ أَنْ أَكُونَ شَاعِرًا وَلَيْسَ لِي فِي النَّاسِ بَيْتٌ يُعْرِفُ
كَاصْفَ زِيَّهٍ فِي قَصِيدَتِهِ الزَّائِيَّةِ بِقَوْلِهِ :

إِذَا لَمْ أُعِزَّ فَمَنْ ذَا يَعِزُّ وَفَقِرِي وَقَنْعِي كَنْزٌ وَحِرْزُ^(١)
لَيْسْتُ مِنَ الْيَأْسِ فِي النَّاسِ ثَوْبًا عَلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْفَضْلِ طَرَزُ
وَلَسْتُ أَرَى الدَّلَّ إِلَّا إِذَا كَا نَ فِي الْحُبِّ وَالذَّلِّ فِي الْحَبِّ عِزُّ
وَمِثْلِي حَرٌّ عِبَاةً غِنَاهُ إِذَا اسْتَعْبَدَ النَّاسَ خَزٌّ وَبُزُّ^(٢)
وَسَيَّانٌ مَن حَبٌّ أَوْ مَن قَلَى وَمَنْ رَاحَ يَمْدَحُ أَوْرَاحَ يَهْزُو^(٣)

ومن غرره قوله :

قَلْبِي عَلَى قَدِّكَ الْمَشُوقِ بِالْهَيْفِ طَيْرٌ عَلَى الْفَصَنِ أَمْ هَمْزٌ عَلَى الْأَلْفِ
وَهَلْ سُوَيْدَاهُ أَمْ خَالٌ بِجَدِّكَ أَمْ خُوَيْدِمٌ أَسْوَدٌ فِي الرَّوْضَةِ الْأَنْفِ^(٤)
وَهَذِهِ غُرَّةٌ فِي طُرُقٍ طَلَعَتْ أَمْ بِدَرُتِمٍ بَدَا فِي ظُلْمَةِ السَّدَفِ
تَخْفِي النُّجُومُ بِنُورِ الْبَدْرِ وَهُوَ بَنُورُ رَ الشَّمْسِ وَهِيَ بَنُورُ مَفْكَ غَيْرُ خَفِي

(١) في ب : « فمن ذا أعز » .

(٢) في ج : « ومثلي جر عباة غناه » ، وفي م : « حر غناه عباة » ، وفي خلاصة الأثر ١/١٦٧ :
« ومثلي حر عباة غناه » .

(٣) هذا البيت زيادة من : ج .

(٤) في المطبوعة : « وهل سويداؤه خال » .

يأبدرُ قلبي وطرفي فيك مُنتَصِفٌ
القلبُ واصلتُ فيه ووصلَ مُنْزَجٌ
ظبيُّ نالفتُ منه غيرَ مُلتَقِ
شغاه حرَّ غليلى برزْدُ ريقتهِ
ويلاه من وردِ خدي غيرِ مُقتَطِفِ
عذلتُ عاشقَ عدلى في محبتهِ
يظنُّ أن سِواءه منه لى خلفُ
عذرى عِشْقى عذرى فيه مُتَضَحٌ
فَنِيتُ سَقَمًا بِمُخَصَّرٍ مِنْهُ مُخْتَصَرٌ
يطير قلبي إلى الحَاظِهِ شَغَفًا
يا أيها الرِّشَاءُ الضَّارِى عَلَى مُهْجِ اِ
بما بِحُسْنِكَ مِنْ تِيهِ وَمِنْ صَلَفِ
اللهِ فى كَبْدِ للوَجْدِ فى كَمَدِ
ومُغْرَمِ مَالِهِ مَنْ مُسْعِفٍ لَعِبَتْ
أشقى بِحَقِّ الضَّئِى لَمَّا هَجَرَتْ بِهِ
يا بَاخِلاً بَلَقَاءُ بِأَذَلٍّ لَدِى
حُزَّتَ الْجَمَالَ أَلَا تُؤَلِّى الْجَمِيلَ فَقَدْ

بالوصل منك وهذا غيرُ مُنتَصِفِ (١)
والطَّرْفُ صَدَّيْتُ عَنْهُ صَدًّا مُنْحَرِفِ
غُصْنٌ تَعَطَّطَتْ مِنْهُ غَيْرَ مُنْعَطِفِ
والْبُرْدُ مِنَ الدَّنْفِ فى الْحَظِّهِ الدَّنْفِ
مِنْهُ وَمِنْ حَجَرِ رَيْقٍ غَيْرِ مُرْتَشِفِ
فَاعْجَبْ لَدَى شَغَفٍ يَلْجِى عَلَى الشَّغَفِ (٢)
أَسَاءَ فى الظَّنِّ هَلْ لِّلرَّوْحِ مِنْ خَلْفِ
كُوجِهِ وَهُوَ مِثْلُ الشَّمْسِ فى الشَّرَفِ (٣)
فِيهِ وَطَرَفِى وَنَوَى جِدًّا مُخْتَلِفِ (٤)
فَاعْجَبْ لَهُ كَيْفَ يَرْمِ السَّهْمَ بِالْهَدَفِ
أَسَادِ بِالسَّيْفِ مِنْ جَفْنِيهِ لَمْ يَخَفِ
وَمَا بِعِشْقِي مِنْ ذَلٍّ وَمِنْ كَلَفِ
إِلَيْكَ أَمْرَفِ فِيهَا الشَّوْقُ فى السَّرَفِ
بِهِ اللَّوَاعِجُ لَعِبَ الرِّيحَ بِالسَّعْفِ
عَلَى التَّلَافِ وَلَوْ وَاصِلَتُهُ لَشُقِى (٥)
فَالْوَعْدُ يَخْلِفُ مِنْهُ وَالْوَعْدُ يَفِى
يُصَادَفُ الْحُسْنَ بِالْإِحْسَانِ فى الصَّدَفِ

(١) فى ب : « وطرفى ذاك مُنتصف » . (٢) فى ب : « فاعجب إلى شغف » .

(٣) فى ب : « عذرى وعشقى » .

(٤) فى م : « غير مُختلف » ، وقد سقط عجز البيت فى أصل ١ ، وكتب فى الهامش : هكذا عجز البيت

* وَزِدْتُ وَجْدًا بِرِدْفٍ غَيْرِ مُرْتَدِفٍ *

(٥) فى ١ : « لما هجرت له على التلّاق » ، وفى ب : « مخاف الضئى » .

﴿ تَمَّة ﴾ (١)

اعترض على هذا المطلع بأنه لا وجه لتشبيه القلب بالهمز .

وأجيب بأن له وجهاً ؛ لأنه (٢) وقع تشبيهه بالطائر لخفقانه ، وهم قد شبهوا الطائر على الغصن بالهمز ، والغصن بالألف ، ولما شاع هذا شبه به القلب ، وقد الحبيب ، فهذا في باب التشبيه كالمجاز على المجاز ، والكناية على الكناية ، كما قيل في وصف قصيدة همزية :

والقوافي إليك حذت حنيني فتأمل فهمزها ورفاه
وقوله : « والبرء من دنقي » إلخ ، معنى مشهور ، كقول ابن مطروح (٣) :
أشتكى سقمي إلى أجفانه ومتى يشفى سقامي بسقم
وقوله :

ورنا إلى بطرفه فكأنما أهدى السقام لمدنفٍ من مدنفٍ
وقول ظافر الحداد :

مريض لحاظ الطرف لولا جفونه لما كنت أدرى السقم كيف يكون
وأصله قول المتنبي (٤) :

أعارني سقم عيني وحملني من الهوى ثقل ما تحوى مآزره
وقوله : « فاعجب له كيف يرمى السهم بالهدف » نوع من البديع يسمى العكس ،

(١) في ب : « فائدة » . (٢) في م : « هو أنه » .

(٣) ديوانه ١٧٥ ، من قصيدة يمدح بها السلطان الملك الناصر يوسف ، عند مسيره إلى حلب ، وفي

م : « سقامي بسقم » ، وفي ج : « سقام من سقم » ، والثبت في : ا ، ب ، والديوان .

(٤) ديوانه ٣٦ .

بدیع فی بابہ ، وهو کہ قول الذہبی :

یطیرُ فؤادی لأخاظِہ
غراماً وشوقاً وفيہا التَّلَفُ
فیا مَنْ رَأى قَبْلَہَا أَسْہَمًا
بطیرُ اشتیاقاً إلیہا الھَدَفُ
ونحوہ قول ابن نُباتۃ المِصری^(١) :

صیرتَ نومی مثلَ عِطْفِکَ نافرًا
وترکتَ عِزِّی مثلَ جَفْنِکَ فاطرًا
وسکنتَ قلبًا طارَ فیکَ مَسَرَّةً
أرأیتَ وکراً قَطُّ أصبحَ طائرًا
ومما أنشدتہ لہ قولہ أيضًا من قصیدة :

یا أيُّہا المَلَأُ المِلاحُ افتُونی
مِنْ کُلِّ أَمْرٍ سَنَ قَتَلَ مُحِبِّہ
قمرُ لہ فی القلبِ أَشْرَفُ مَنْزِلٍ
بِسِنانِ أَخَوِی طَرْفِہ المَسْنُونِ
روضُ نَضِیرٍ لَمْ یَرُدْہُ نَاضِرٌ
إِنْ المَکانَ مُشْرِفٌ بِمَکِینِ
إِلَّا وَرَدَّ عِیونَہ بَعِیونِ

العیون : جمع عَین بمعنى الباصرة ، وبمعنی الجاسوس .

یحیی بن رَجِیسَہ أَقاحی ثَغْرِہ
وحياتِہ وَہی الیمینُ وإِناہا
ماخنتُہ إلیَّ وشخصُ جِمالِہ
ویرِصونُ وَرَدَ الخَدَّ بالمِرسینِ^(٢)
قَرَنَ الودادُ لہ فـؤادی بِالْأَسی
حيثُ اتَّجَہْتُ عَلَيَّ مِثْلُ أَمینِ
فاترُکَ حَدِیثَ شَجونٍ مَن قَتَلَ الھوی
أَکْذا يُجَازِی وَدُّ کُلِّ قَرینِ
قَبْلی وَخَذَ مِنِّی حَدِیثَ شَجونِی^(٣)
قَسماً لو أَنَّ العاصِریَّ مُعَمَّرٌ
ما جُنَّ إِلَّا مُعْجَبًا بِجَنونِی

(١) دیوانہ ١٨٩ .

(٢) فی ١ ، ب : « خد الورد » .

(٣) فی ١ ، ب فوق قولہ : « من قتل الھوی » : « تضمین کما سترہ » .

والعقلُ مَنى ضاع في ثغرٍ له فيه الثنايا بين ميم سين^(١)
 إذا الملاحمة والذى بجيئته في كل ليل ملاممة يهذي
 لا يطرقنَّ اللومُ باب مسامعي وعليه من صدغيك كالزرفين^(٢)
 يالأمي لك في الملامة دينك الواهي كما لي في الصبابة ديني
 لا يخطرُ الشلوانُ عنه بخاطري إلا وردَّ من الجوى بكمين^(٣)
 كم خضتُ بحر الموتِ دون وصاله الغالى ولم أكُ قانعة بالدون
 وشفيتُ حرَّ الوجد من بردِ اللمى علماً بأن الماء ما يشفيني^(٤)
 مُتعباً من خدّه بالماء ير وبني أساً وبنارهِ يُوريني
 وبخطِّ عارضه أساورُ أزقما منه فأقرأ منه ما يرقيني
 ويظنُّني حاشاهُ أسلو حبه والله من ظنَّ الحبيب يقيني^(٥)

وهي عراض^(٦) قصيدة الرئيس أبي منصور على بن الفضل ، الكاتب المعروف
 بصردر^(٧) :

أكذا يجازى وُدُّ كل قرين أم هذه شيمُ الأطباءِ العينِ
 قصوا على حديث من قتل الهوى إن التأمى روحُ كل حزينِ
 ولئن كتمتمُ مُشفقين فقد درى بمصارعِ العذريِّ والمجنونِ^(٨)

(١) في ١ : « فالعقل أصبح ضائعاً في ميمس » ، وفي ب ورد البيت هكذا :

والعقلُ أصبح ضائعاً مَنى بها تيك الثنايا بين ميم سين

وفي ج : « والعقل أصبح ضائعاً في ميمس » .

(٢) الزرفين بالضم والكسر : حلقة الباب ، وقد زرفن صدغيه جعلهما كالزرفين . القاموس (زرفن) .

(٣) في م : « لا يخطر . . . يمكن » . (٤) في م : « لا يشفيني » .

(٥) في ١ ، ب : « حاشاك » وفي م : « من ظن العذول » .

(٦) في ١ ، ب : « عروض » . (٧) ديوان صردر ٥٣ - ٥٦ ، وتبلغ القصيدة ٤٠ بيتاً .

(٨) في الديوان : « فقدوتى * بمصارع » .

فوق الرّكاب. ولا أطيل مُشَبَّهاً^(١) بل نَمَّ شهوةً أنفُسٍ وعيون^(٢)
هَزَّتْ قدودُهم وقالت للصَّبَا هُزُّوا أعند البانِ مِثْلُ غُصُونِي^(٣)
وكأَنَّما نَقَلْتُ مآزِرهم إلى الـ جَدَد الحى الأنقاء من يَبْرين^(٤)
ووراء ذِيَاك المُقَبَّل مَوْرِدُ حَضْبَاؤُه مِِنْ لُوْلُو مَكْنُونِ^(٥)
إِما بيوتُ النّجْلِ بين شفاهِهم مَنْصُودَةً أو حانَةُ الزَّرْجُونِ^(٦)
ترمى بعَيْنَيْكَ الفِجَاجَ مُقَلِّباً ذَاتَ الشِّمَالِ بها وذاتَ يَمِينِ
لو كُفْتُ زَرْقاءَ اليمامةَ ما رَأَتْ من بارقٍ حَيًّا على جَبَرُونِ^(٧)
شكواك مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ وإِنَّمَا أَرَقِي بليلاً ذَوَائِبِ وَقُرُونِ^(٨)
ومُعْنَفٍ فِي الْوَجْدِ قُلْتُ لَهُ أَتُنْذِرُ فَالْدَمْعُ دَمْعِي وَالْحَنِينُ حَنِينِي^(٩)
ما نَافِعِي إِنْ كَانِ لَيْسَ بِنَافِعِي جَاهُ الصَّبَا وَشَفَاعَةُ الْعَشْرِينِ
لا تُطْرُقَنَّ خَجَلاً لِلْوَمَةِ لِأَنَّمِ ما أَنْتَ أَوَّلُ حَازِمٍ مَفْتُونِ^(١٠)
أَسْوَئُهُمْ وَهُمْ الْأَجَانِبُ طَاعَةً وَهَوَاىَ بَيْنَ جَوَانِحِي يَعْصِدِينِي^(١١)

- (١) في م : « تشبهاً » والمثبت في الديوان أيضاً .
(٢) في ج ، م : « ميل غصوني » والمثبت في الديوان أيضاً .
(٣) هذا البيت زيادة من ا ، وهو في ديوان صردر ٥٣ . وفيه : « إلى * جدد الحى » والجدد :
ما استرق من الرمل ، ويبرين : رمل لا تدرك أطرافه عن عين مطلع الشمس من حجر اليمامة . معجم
البلدان ٤/١٠٠٥ ، وانظره في ١/٥٧ .
(٤) في ب ، ج : « ذياك المصلى » . (٥) الزرجون (محرّكة) : الخمر . وانظر حلية الكعبين ٧
(٦) بارق : ركن من أركان عارض اليمامة . مراد الاطلاع ١٥١ ، وجيرون : سقيفة مستطيلة على
عمد وسقائف ، حولها مدينة تطيف بها ، وهي بدمشق ، وقيل : جيرون قرية الجبارة في أرض كنعان
ولمها المقصودة في البيت . انظر المراصد ٣٦٦ .
(٧) في ا : « ذوائب وجبن » وليل التمام بالكسر لا غير : أطول ما يكون من ليل الشتاء .
اللسان (ت م) ١٢/٦٧ .
(٨) في ا ، ب ، ج : « ومعنى في الوجد » والمثبت في م وهو يوافق رواية الديوان ، وفي م :
« فالدمع دمعى والجفون جفوني » والمثبت في ا ، ب ، ج ، وهو موافق لرواية الديوان .
(٩) في م : « حازم مقبون » والمثبت في ا ، ب ، ج ، والديوان .
(١٠) في الديوان : « وهواى بين جوانحي يصيدني » وانظر تعليق ناشري الديوان .

دَبْنِي عَلَى ظَنِّيَاتِهِمْ مَا يَنْقُضِي فَبِأَيِّ حُكْمٍ يَقْبِضُونَ رَهُونِي ^(١)
وَحَشِيتُ مِنْ قَلْبِي الْفِرَارَ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَقَدْ طَالَبْتُهُ بِضَمِينِ
كُلِّ النَّكَالِ أَطِيقُ إِلَّا ذِلَّةً إِنْ الْعَزِيزَ عَذَابُهُ بِالْهُونِ
يَاعَيْنُ مَثَلُ قَدَاكَ رُؤْيَا مَعْشَرِ عَارٍ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَالَّذِينَ
لَمْ يُشَبِّهُوا الْإِنْسَانَ إِلَّا أَنَّهُمْ مُتَكَوِّنُونَ مِنَ الْحَمَاءِ الْمُسْنُونِ
نَجَسُ الْعَيُونِ فَإِنْ رَأَيْتُمْ مُقْلَتِي طَهَّرْتُهَا فَتَزَحْتُ مَاءَ جُفُونِي ^(٢)
أَنَا إِنْ هُمْ حَسِبُوا الذَّخَائِرَ دُونَهُمْ وَهُمْ إِذَا عَدُّوا الْفَضَائِلَ دُونِي
لَا يُشَبِّتُ الْحَسَادَ أَنْ مَطَامِعِي عَادَتْ إِلَى بَصْفَقَةِ الْمَغْبُورِ ^(٣)
مَا يَسْتَدِيرُ الْبَدْرُ إِلَّا بَعْدَمَا أَبْصَرْتَهُ فِي الضَّمَرِ كَالْعُرْجُونِ ^(٤)
هَذَا الطَّرِيقُ اللَّحْبُ زَاكِرٌ نَاقَتِي وَالْيَمُّ قَاذِفٌ فُلُكِي الْمَشْحُونِ ^(٥)
فَإِذَا عَمِيدُ الْمُلْكِ حُلَّ بِرَبْعِهِ ظَفَرًا بِقَالِ الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ ^(٦)
قَوْلُهُ : « أَسْوَمُهُمْ وَهُمْ الْأَجَانِبُ طَاعَةُ » الْبَيْتُ ، هُوَ مِنْ قَوْلِ الْبُخْتَرِيِّ ^(٧) :
وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عَصِيَانِ قَلْبِكَ لِي عَمْدًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِيَنِي
وَبَعْدَهُ ^(٨) :

مَلِكٌ إِذَا مَا الْعَزْمُ حَثَّ جِيَادَهُ مَرِحَتْ بِأَزْهَرِ شَامِخِ الْعَرَنِينِ ^(٨)

- (١) فِي م : « لَا يَنْقُضِي » فِي الدِّيَّانِ : « مَا يَنْقُضِي » بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ ، « يَقْبِضُونَ رَهُونِي » .
(٢) النَّجَسُ (بِالْتَّجْرِيسِ) يَكُونُ لِلوَاحِدِ وَالْآثِنِ وَالْجَمْعِ وَالْمَوْثُ بِالْفَتْحِ وَاحِدٌ . الْإِنْسَانُ (ن ج س)
٢٢٦/٦ . وَفِي م : « فَتَزَحْتُ مَاءَ عَيُونِي » .
(٣) فِي الدِّيَّانِ : « أَنْ مَطَامِعِي » .
(٤) فِي الدِّيَّانِ : « لَا يَسْتَدِيرُ » وَفِي م : « أَبْصَرْتَهُ كَالْعُرْجُونِ فِي الْعُرْجُونِ » .
(٥) فِي أ : « هَذَا الطَّرِيقُ اللَّحْبُ » وَفِي ب : « هَذَا طَرِيقُ الْحَبِّ » وَفِي ج : « هَذَا الطَّرِيقُ الْجَدُّ »
وَالْمَثَبُ فِي الدِّيَّانِ ، وَاللَّحْبُ : الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ ، وَفِي أ : « وَالْيَمُّ قَارِبٌ » .
(٦) فِي أ ، ب ، ج : « فَإِذَا عَمِيدُ الْمُلْكِ » وَالْمَثَبُ فِي م وَالدِّيَّانِ ، وَفِي م : « حُلَّ بِرَبْعِهِ » وَفِي
الدِّيَّانِ : « حَلَّ بِرَبْعِهِ » .
(٧) دِيَّانُهُ (الْبَرْقُوقُ) ٢/٢٩٥ .
(٨) هَذَا الْبَيْتُ زِيَادَةٌ مِنْ م عَلَى مَا فِي أ ، ب ، ج ، وَهُوَ فِي دِيَّانِ صَرْدَر .

ومثله ^(١) قول الشَّريف الرَّضِيِّ ^(٢) :

أرومُ انتصافي من رجالِ أباعدٍ ونفسي أَعْدَى لي من النَّاسِ أَجْعَا
إذا لم تكنْ نفسُ الفتى من صديقه فلا يُحْدِثُنْ مِن خِلَةِ الْغَيْرِ مَطْمَعًا ^(٣)
وأصله من قول بكر بن حارثة ^(٤) :

قلبي إلى ماضري داعي يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي ^(٥)
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي ^(٦)

وقوله : « يا عين مثل قذاك رؤية معشر » إلخ ، هو معنى بديع ، وقد سبق إليه ،
قال الشعالي ^(٧) : اتَّفَقَ لي في زمن الصَّبَا معني بديع ، لم أُسَبِّحْ إليه ، وهو :

قلبي وجداً مُشْتَعِلٌ وبالهُمومِ مُشْتَفِلٌ
وقد كستني في الهوى ملابسَ الصَّبِّ الْغَزَلِ ^(٨)
إنسانةٌ فتنانةٌ بدرُ الدجى منها خجلٌ
إذا زنتُ عيني بها فبالذمومِ نغتسلُ
وقد سبقه ابن هِنْدُو ^(٩) ، في قوله ^(١٠) :

يقولون لي ما بال عَيْنِكَ مُذْ رَأَتْ محاسنَ هذا الطَّيِّبِ أَدْمُعُهَا هُطْلُ ^(١١)
فقلتُ زنتُ عيني بطلعةِ وجهه فكان لها من صَوْبِ أَدْمُعِهَا غُسْلُ

(١) في م : « ومنه » .

(٢) ديوانه ١/٥٠٥ .

(٣) في الديوان : « في خلة الغير » .

(٤) نسب ابن بسام هذين البيتين إلى بكر بن حارثة أيضاً في الذخيرة ، القسم الأول ١/٣٦٥ ، وهما
للعباس بن الأخنف في ديوانه ١٧٨ ، ١٧٩ ، وفي الأغاني ٨/٣٦٣ ، وأمالى المرتضى ١/٤٦٠ ، وزهر
الأدب ٩٤٤ ، ومعجم الأدباء ١٢/٤٢ .

(٥) في م : « إلى ماضري » والتثبت من : أ ، ب ، ج ، والمصادر السابقة .

(٦) في أ ، ب ، ج : « له » .

(٧) يتيمة الدهر ٣/٣٩٨ ، ٣٩٩ .

(٨) في أ : « وقد كسانى » .

(٩) في أ ، ب : « وقد سبق له » وفي ب ، ج ، م : « ابن هند » والتصويب من أ ، واليتيمة .

(١٠) يتيمة الدهر ٣/٣٩٨ .

(١١) في م : « عينيك » وفي أ : « مدامعها » .

قال أبو علي الفارسي: لست أعجب من توارده ، وإنما أعجب من قوله لم أسبق إليه^(١) وقد قال أبو الطيب في الحمى^(٢) :

إذا ما فارقته غسّلتني كأننا عاكفان على حرام

وقد سلم من شناعة ذكر الزنا ، وما في قبّح لفظه من الخلفاء ، فعناه^(٣) أصح ؛ لأنه ذكر في هذا الشعر من نفسه وزائرتة ذكراً وأنثى ، جرى بينهما ما يقتضي الغسل . وإن قيل : إن قوله « عاكفان على حرام » من لغو الكلام ، وهما ذكرا ، زنا بين اثنين^(٤) ، ولو قال : زنى ناظري ، أو لحظي ، كان أحسن .

قلت : هذا كله كلام ناء عن حسن الأدب ، وهو^(٥) سُخْفٌ ، ولكن أيُّ الرّجال المهذب ، ومع ذلك فقد وقع هذا في كلام من تقدّمهم ، ومعناه أصح^(٦) ودّ ياجته أطف وأوضح ، كقول يزيد بن معاوية :

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع^(٧)

أجلّك يا ليلى عن العين إنما أراك بقلب خاشع لك خاضع^(٨)

ثم مشى على أثرهم الناس ، وولدوا معاني لا تحصر ، كقول السّراج الوراق :

يانازح الدّار مرّ نومي يُعاودني فقد بكيتُ لفقد الطّاعنين دما^(٩)

أوجبت غسلاً على عيني بادئها فكيف وهى التي لم تبلغ الحُلماً

(١) في أ ، ب : « لم يسبق إليه » ، وفي ج : « أنه لم يسبق إليه » .

(٢) ديوانه ٤٧٧ . (٣) في م : « فعنى ما قاله » .

(٤) في أ : « وهما ذكر الزنا بين اثنين » ، وفي ب : « وهما ذكر زنا بين اثنين » وفي م : « وهما ذكرا زانيتين اثنتين » والمثبت من ج .

(٥) في أ : « وهو سخيف القول أي » ، وفي ب : « وهو سخيف يقول أي » وفي ج : « وهو سخيف تقول أي » والمثبت في م .

(٦) في م : « أفصح » . (٧) في أ ، ب : « وقد طهرتها » .

(٨) في م : « أراك بقلب خاشع لك خاشع » .

(٩) في م ، ج : « من نومي » . وهو كذلك في فوات الوفيات ١١١/٢ ، وفيه : « لفقد النازحين » .

محمد الصالحى الهلالى *

هُمام بعيد الهمّة ، قريب منال مياه الجُمّة^(١) ، له دَرارى شيم ، هى غُرّة^(٢) دُهم^(٣) اللّيمالى ، وبناتُ أفكار لم ترتضِعْ غير دَرّ المعالى ، فلا أقسم يربّ المشارق والمغارب ، إنها شمس لم تزل طالعةً من سماء المناقب ، وهى الآن شامةٌ فى وجنات الشام ، وروضة تفتّحت أنوارها بثغور ذاتِ ابتسام .

ومن سُنّته الاعتزالُ عن الناس ، وتقديمُ الوحشة على الاستئناس ، مُنقطعا لافتِطاف زهرات^(٤) العلوم ، يمدُّ أقرى الأسماع موائد المنثور والمنظوم ، فى زهدٍ مُتَحَلٍّ بخِلاله ، تدقّ صفاتُ المدح عن معانى جلاله ، بعزمٍ هو أبو العجب ، لو قدح زنده لهبٌ له لهب ، وخطّ تُسرّ به النفوس ، وتوشّى بدّيباجه الطُّروس .
خطّ زهتْ أزهاره . والروض يُنبِته السحاب^(٥)

وشعره شقيق الرياض ، المُطرّدة الحياض ، تُستخرج الجواهر من بحوره ، وتُحَلّى لبّات الطُّروس بقلائد سطورِه ، لم يصرِفْه لمدح كريم ، ولا تغزل بلميح كريم ، ولعمري

(*) محمد بن نجم الدين بن محمد ، شمس الدين الصالحى الهلالى .
ولد بدمشق سنة ست وخسين وتسعمائة ، ورحل إلى مكة فقرأ على علمائها ، وعاد إلى دمشق بعد وفاة والده سنة أربع وستين وتسعمائة .
وكان من خلقه حب العزلة ، جمع مالا عظيما ولم يتزوج .
وبرع فى الفقه والتفسير والأدب ، مع ذكاء مفرط ، وحسن فهم .
وله ديوان فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، سماه « صدح الحمام فى مدح خير الأنام » .
توفى سنة اثنتى عشرة بعد الألف .
تراجم الأعيان لوحة ٣٣٢ ب ، خبايا الزوايا لوحة ٧ ب ، خلاصة الأثر ٢٣٩/٤ .
(١) بئر جمّة (بالفتح) : كثيرة الماء ، وجمّة المركب البحرى : الموضع الذى يجتمع فيه الماء الراشح من حوزوه . والجمّة (بالضم) : الماء نفسه . انظر اللسان (ج م م) ١٠٥/١٢ .
(٢) فى م : « غرر » . (٣) بعد هذا فى الزيادة : « جياذ » .
(٤) فى م : « ثمرات » . (٥) فى م : « كالروض » .

إنه قطع منه ميداناً لم يصل إليه الكميت ، ونقى الفاظه وهذب معانيه فلم يقل فيه « لو » ولا « ليت » .

وبالجملة فهو في عصره إمام الأدب المتقدمى به ، والبليغ الذى لا تنثر أغصان الأفلام إلا فى رياض آدابه .

ولما قدم القاهرة أفاض على لباس مودة لم تبلى عهدوها ، ألا حبذا إخلافاً وجديدها ، وورق الدنيا خضر ، وعود الشباب غض نضر ، والأدب لم يعف مناره ، ولم تحب^(١) ناره وأنواره ، لا كاليوم إذ حام قومٌ حول حماه ، فوقعوا فى ظلماتٍ ليس فيها عين الحياة ، وهو إذا ذاك أستاذ وملاذ ، تذوق أفهامنا من موائد فوائده أنواع الملاذ ، فأنحفنى بطرف أشعاره ، ونزه أحدق فكرى فى حدائق آثاره ، فأسكر سمعى بسلافة أدارتها كؤوس بيانه ، وتقلدتُ بمذهب البحترى^(٢) فى اجتناء الورد من أغصانه :

واسمعه ممن قاله تزدد به عجباً فحسن الورد فى أغصانه^(٣)

طالعت^(٤) له فصلا فى ديوانه ، الذى سماه « صدح الحمام » ، فى مدح خير الأنام « ذكر فيه نبذاً من صفاته ، ومعاهد أنسه ولذاته ، ومسارح آرام تربه ولداته » ، وهو : « إني^(٥) لما نشأت بمكة المشرفة ، والأماكن التى هى بالجوزاء بمنطقة ، وبالثريا مشقة ، وكسانى الزمان قشيب بروده ، وطفقت أرقل^(٦) ما بين عقيق

(١) فى م : « تحب » .

(٢) ديوانه (البرقوى) ٣١٥/٢ .

(٣) فى الديوان :

اسمعه من قواله تزدد به عجباً فطيب الورد فى أغصانه

(٤) ساقط من : ب ، ج .

(٥) فى ب ، ج : « فصل منه : إني » وقد ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٢٤٠/٤ هذا الفصل ، ويبدو أنه نقله عن خبايا الزوايا ، ففيه زيادات كثيرة ليست فى الريحانة .

(٦) زيادة من : أ ، ب . وفى ج : « أدخل فيه » .

الحِمْيَ وَزَرُودِهِ^(١) ، وَغُصْنِ الصَّبَا بِأَيَّامِ السَّعَادَةِ مُورِقٍ ، وَبَذَرِ الشَّبَابِ فِي سَمَاءِ السَّكَالِ
مُشْرِقٍ ، لَا دَأْبَ لِي إِلَّا تَوْسَمُ وَفُودِ الْعُلُومِ فِي سَوْقِ عُكَاظِهَا ، وَلَا شُغْلَ لِي إِلَّا
اسْتِكْشَافِ وَسَائِمِ^(٢) وَجُودِ الْمَعَانِي الْمُخْبِتَةِ تَحْتَ بَرَاقِعِ الْفَظَاهِ ، ثُمَّ لَمَّا بَطَلَتْ حَرَكَةُ
الدَّوْرِ ، وَتَنَقَّلَ الزَّمَانُ مِنْ طَوْرٍ إِلَى طَوْرٍ ، أَعْمَلْنَا حُرُوفَ^(٣) النَّجَائِبِ تَنْصُ^(٤) بِنَا
الْبَيْتِ دَاءِ فِي سُرَاهَا ، وَلَطَمْنَا خَدَّ الْأَرْضِ بِأَخْفَافِهَا إِلَى أَنْ بَرَاهَا الشَّرَى فِي بُرَاهَا^(٥) ،
فَكَمْ جَاوَزْنَا جِبَالًا شَوَامِخَ زَاخَمَتْ بِمَنَاقِبِهَا أَكْثَافَ السَّحَابِ ، وَذَرَعْنَا بِأَذْرُعِ^(٦)
النَّاجِيَاتِ شَقَّةَ قَفَرٍ لَمْ تُطَوِّ إِلَّا بِأَيْدِي الرُّكَّابِ ،^(٧) فَكَمْ مَنِ رَاسَلْتُهُ وَرَاسَلَنِي^(٨) بِرَائِقِ
شِعْرِهِ وَسَجَعِهِ ، وَأَدَارَ وَأَدْرَتْ كُؤُوسَ قَوَافِي شِعْرِي عَلَى أَفْوَاهِ سَمْعِهِ ، وَزَفَقْتُ
عَلَيْهِ عَرَائِسَ أَفْكَارِي اسْتِجْلَابًا لِدَوَادِهِ ، وَتَلَوْتُ عَلَيْهِ غَرَائِبَ أَسْمَارِي اسْتِغْدَادًا
لِوَارِي زِنَادِهِ .

وَهُنَّ عَذَارَى مَهْرُهَا الْوُدُّ لَا النَّدَى وَمَا كُلُّ شَيْءٍ مَنِ يُعْزَى إِلَى الشَّعْرِ يَسْتَجِدِّي^(٩)

انتهى .

وهذه نبذة من نثرنا نثره ، وسافرَّط سمعك^(٩) بجواهر شعره .

وَكُنْتُ كَتَبْتُ لَهُ قَصِيدَةً تَائِيَّةً ، مُلَغِّزًا مِنْ شِعْرِ الصَّبَا ، الَّذِي يَحْسُدُ مَهْلَهْلَ بُرْدِهِ
فِي رِقَّتِهِ نَسِيمُ الصَّبَا^(١٠) ، لَا كَمَا قَالَ الْبَاخَرَزِيُّ هُوَ التَّمَرُ بِاللَّبَّا^(١١) . فَهُوَ^(١٢) بِأَكُورَةٍ

(١) زرود : موضع بطريق مكة ، بعد الرمل ، فيه قصر أصفر ، لعلها سميت به ، وبركة وآبار .

(٢) سافط من : م ، وفي ج : « إلا الاستكشاف عن وسائم » .

(٣) الحرف : الناقة العظيمة أو الضامرة أو المهزولة . القاموس (ح ر ف) .

(٤) نص نافته : استخرج أقصى ما عندها من السير .

(٥) البرة : حلقة في أف البعير . (٦) في ب : ج : « بأزرعة » .

(٧) في أ : « فكم مرة راسلني وراسلته » . (٨) سقط هذا البيت من : ج .

(٩) في أ : « الأسماع »

(١٠) في أ : « يحسده رقة نسيم الصبا » .

(١١) اللبأ (كضلع) : أول اللبن . القاموس (ل ب أ) . وانظر دمية الفص ٨٠/١ ، تحقيق .

(١٢) في أ : « بل هي » .

ثمرات الآداب ، بل الرّوض الأريض ، الذى سقى من ^(١) ماء الشّباب ، فأجاب وأجاد ، وصنّى من قذى السكدر موارد الوداد ، وهذه ^(٢) كواكبها المشرقة فى دياجى نفسه ، وثمراتها الزّاهية فى رياض طرسه ^(٣) :

طالت وقد قصرت عنها العبارات	وحازت الحسّن هاتيك البراعات
غراءه فائقة باللطف رائقة	تحلو الخلاعات فيها والصبّابات
أخت الغزاة إشرافاً ومُلتفتاً	لها لدى السّمع لذات ونشأت
نسيبها أطرب الأسماع موقعه	ومدحها ماله فى الحسّن غايات
كان حُرّ معانيها ورقتها	فى لفظها الخمر تجلوه الزّجاجات
يجلو المكرّر من الفاظها ولكم	ملّ المكرّر طبعاً والمعادات
أنت إلى وبدر الفكر منخسف	وماله فى سما الإذراك هالات
وللهوم أطراد فى الفؤاد كما	ضمت عتاق المدّاكى الجرد حليات
أسامر النّجم فى الليل الطويل ولا	أغفو وكم لعيون النّجم غفوات ^(٤)
فقت فى الحال إجلالاً لها ومرت	عنى الهموم وزارتنى المسرات
وظلت مُتصبّبة لما ارتفعت بها	وكان عندى بذلّ النفس كسرات ^(٥)
قبلتها ألف ألف ثم زدت فلم	أحسب وكما للكثير العد غلطات ^(٦)
وكان أفق زمانى مظلماً فبدأ	فيه شهاب لنامنه إنارات
شهاب علم ولكن نوره أبداً	بالذات ماعرضت فيه الإضاءات

(١) فى م : « بماء » .

(٢) نقل المحيى فى خلاصة الأثر ٤/٦٤٢ هذه القصة عن الشهاب فى خبايا الزوايا على صورة أوسع وأشمل ، ثم ذكر ثلاثة أبيات من القصيدة ، ثم ذكر الفصل الآتى فى الاستخدام ، واعترضه فى كلام طويل .

(٣) فى أ : « غفلات » .

(٤) رجل ذو كسرات وهدرات ، محركتين : يغين فى كل شىء . القاموس (ك س ر) .

(٥) فى أ ، ب : « لكثير العد » .

غُدِّي بِدَرِّ لِبَانِ الْفَضْلِ مُذْ زَمَنِ
 شَيْخِ الْعُلُومِ وَمِفْتَاحِ الْفُهْرِيِّ وَغَلَا
 بَاهَتْ بِهِ أَرْضُ مِصْرٍ وَازْدَهَتْ فَلِذَا
 قَدْ شَادَ بَيْتَ الْعُلَا فَوْقَ السُّمَى وَلَهُ
 تَسْتَنُّ أَقْلَامُهُ فِي الطَّرْسِ مِنْ مَرَجٍ
 فِيهَا النِّقِيزَانِ مِنْ نَفْعٍ وَمِنْ ضَرَرٍ
 مِنْهَا اغْتَدَتْ طَوْعَ بَارِيهَا مُلَازِمَةً
 أَشْعَارُهُ الْغُرُّ مِثْلُ الدَّرِّ قَدْ نُظِمَتْ
 مَا إِنْ حَسَا كَأْسُ سَمْنَى مِنْ سُلَافِهَا
 لِلَّهِ أَحْجِيَّةٌ مِنْهُ أَنْتَ فَسَرَتْ
 وَأَذْكَرْتَنِي بِأَنْ الْقُدْسَ مِنْ سَكَنِي
 وَالْوُرُقُ رَقَّتْ لِمَا أَتَاهُ سَاجِدَةً
 وَأَنْتَ يَا أَفْضَلَ الْعَصْرِ الَّذِي اجْتَمَعَتْ
 سَامِعٌ إِذَا هَفَوْتُ لِلذَّهْنِ قَدْ عَرَضْتُ
 فَسَيْفُ فِكْرِي لَا لَاقِيَتْ فِيهِ صَدَا
 وَالْجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالْقَلْبُ فِي وَطَنِ

فَشَبَّ كَالنَّارِ لَا تَعْرُوه فَتَرَاتُ^(١)
 بُ الْخَصْمِ إِيذًا عَنَّتْ مُلَاحَاةُ
 قَدْ كَادَ أَنْ تَحْسِدَ الْأَرْضُ السَّمَوَاتُ^(٢)
 مِنْ فَوْقِ ذَاكَ مَقَامَاتُ عِلِّيَّاتُ^(٣)
 كَأَنَّهَا عِنْدَ نَفْثِ السَّمِّ حَيَّاتُ^(٤)
 ذَاكَ الْأُمَانِيُّ إِذْ ذَاكَ الْمَنِيَّاتُ
 لِلْخَمْسِ تَعْدُو لَهَا فِي الطَّرْسِ سَجْدَاتُ
 مِنْهَا عَقُودٌ وَلَكِنْ لَوْ تُؤْيَبَاتُ
 إِلَّا اغْتَرَبْتَنِي لِقَرَطِ الشُّكْرِ نَشَوَاتُ
 مِنْهَا إِلَى السَّمْعِ نَفْحَاتُ زَكِيَّاتُ^(٥)
 وَبَانَ بِالْبَانَ مِنْ شَكْوَايَ مَيْلَاتُ^(٦)
 كَأَنَّهَا فَوْقَ غُصْنِ الْبَانِ قَيْنَاتُ
 فِيهِ الْعُلُومُ وَفِي الدَّهْمَاءِ أَشْقَاتُ
 فَكَمْ امْتَلَيْ بِالْتَقْصِيرِ هَفَوَاتُ
 وَكَمْ لَهُ عِنْدَمَا أَرْجُوهُ نَبَوَاتُ^(٧)
 لَمْ تُدْنِهِ مِنْهُ أَيَّامٌ وَلَيْسَلَاتُ

(١) في أ، ج : « من زمن » وفي ب : « منذ ربي » .

(٢) في أ، ب : « تاهت » وفي ج : « نارت » .

(٣) في أ : « فوق السما » .

(٤) في أساس البلاغة ٤: ٦٣ : « واستن الفرس ، وهو عدوه لإقبالاً وإدباراً ، في نشاط وزعل »

وفي ب ج : « من مدح » .

(٥) في هامش م : « قوله منها إلى السمع إلخ ، في نسخة من عودها الرطب » .

(٦) في م : « بأن القدم من سكتي » . (٧) في م : « عندما أجلسه » .

والبال في قلبي والنفس في شجن
فأى شخص بهذا الوصف مُتَّصِف
بقيت مفرد علم للهدي علماً
ودمت طود حجي في الجود بحر ندي
مالمح نجم على الخضراء مُتَّقِد
يعتادها لفراق الإلف زفرا
تطيه من قوافي الشعر أبيات
يُجلى به الجهل عناً والضلالات
تأثني إليه المعالي والكالات
ومارعتة الجياد الأعوجيات^(١)



﴿ سائحة ﴾^(٢)

في قوله « رعته » استخدام^(٣)؛ لعوده إلى النجم ، بمعنى الكوكب ، على ملاحظة
معنى النَّبْت .

وقد يتعدّد ذلك ، كما في قول ابن الوردي^(٤) :

ورُبَّ غزالةٍ طلعتْ بقلبي وهو مرعاه^(٥)

(١) أعوج : فرس لبني هلال ، تنسب إليه الأعوجيات ، كان لكندة فأخذته سليم ، ثم صار إلى
بني هلال . أنساب الخيل ١٦ ، ٢١ ، ٤٢ ، وانظر القاموس (ع و ج) .
(٢) في م : « قلت » .

(٣) في مواهب الفتح لابن يعقوب المغربي : ومن البديع المعنوي (الاستخدام) أى ما يسمى
بالاستخدام ، بالخاء والذال المعجمتين ، وربما يقال بالخاء المهملة ، وكلاهما بمعنى القطع ، ومنه المخذم للسيف
القاطع ، يقال خذمه : قطعه ؛ وإنما سمي هذا النوع بذلك ؛ لأن الضمير فيه قطع عما يستحق أن يعود له
من المعنى وجعل لغيره .

وفي حاشية الدسوقي على شرح السعد : (قوله الاستخدام) بمعجمتين وبمهملة ومعمجة وبمعجمة
ومهملة ، وكلها بمعنى القطع . انظر شروح التلخيص ٣٢٦/٤ .

(٤) ديوانه ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، وذكر الدسوقي أبيات ابن الوردي في حاشيته على شرح السعد شروح
التلخيص ٣٢٧/٤ ، كما ذكرها العاملي في الكشكول ٤١٨/١ .

(٥) زاد الدسوقي والعاملي بعد هذا :

نصبت لها شباكاً من لجن ثم صدناها

وفي الديوان والكشكول : « نضار ثم صدناها » . ثم قال الدسوقي : « معنى الاستخدامات
الأربعة ، بذلت الذهب ، فأكحل عينك بطلوع عين الشمس ، وجرى العين الجارية من الماء » . ورواية
الديوان « وزنت العين » .

وقالت لي وقد صرنا إلى عينٍ قصدناها

بذلت العين فأكحلها بطلعتها ونجراها

وقد يكون الاستخدام بالضمير ، من غير اشتراك ^(١) أيضا ، كما في قوله تعالى ^(٢) :

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾ .

وقد يكون بالضمير المستتر في حال ونحوها ، كقولك ^(٣) :

بذلت العين جاريةً مكحلةً وطالعةً

وقد يكون بالتمييز من غير ضمير ، كقوله في هذه القصيدة :

* أختُ الغزاةِ إشرافاً ومُلتفتاً *

وقد يكون باسم الإشارة ، كقولي :

* رأى العقيقَ فأجرى ذاكَ ناظرُهُ *

وقد يكون بالاستثناء كقول البهاء زهير ^(٤) :

أبدأ حديثي ليس بأُ منسوخٍ إلَّا في الدفانِ

فذكر النسخ بمعنى الإبطال ، واستثنى منه بمعنى الكتابة . وهو استثناء غريب ،

يحتاج إلى نظرٍ دقيق في ^(٥) إدخاله في أحد نوعيه ^(٥) .

وله من قصيدة :

وتجردت بيضُ الصَّباحِ وأُلبستُ علقَ النَّجيعِ كحُلَّةٍ خراءِ

(٢) سورة فاطر ١١ .

(١) في م : « استنار » .

(٣) في م : « كقوله » .

(٤) ديوانه ٩٤ ، وقد أخطأ المحي فنسبه في خلاصة الأثر ٤/٣٤٦ ، ٣٤٧ إلى عمر بن الفارض ، وقد نقل الدسوقي عن الشهاب هذا القسم والبيت في حاشيته على شرح السعد ٤/٣٢٧ ، ثم تعقبه بقوله : « لكن المعروف أن هذا من شبه الاستخدام » .

(٥) في أ : « في إدخال أحد نوعيه »

وَالشُّمْرُ مُذْ سَقَتِ الدِّمَاءُ زُجَاجَهَا أَضَعْتُ ثِمَاراً أَرْوَسُ الْأَعْدَاءُ
وله من أخرى :

كَأَنَّمَا الْخَلِيلُ فِي الْمَيْدَانِ أَرْجُلُهَا صَوَالِجُ وَرِءُوسُ الْقَوْمِ كَالْأَكْر
(١) وَمِنْ رِسَالَةِ لَابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ (١) :

أَصْبَحَ الْأَعْدَاءُ كَأَنَّمَا جُزِرَ (٢) أَجْسَادُهُمْ جَزَائِرُ ، يَتَخَلَّلُهَا مِنَ الدِّمَاءِ السَّيْلُ ،
وَرِءُوسُهُمْ أَكْرٌ تَلْعَبُ بِهَا صَوَالِجُ الْأَيْدِي وَأَرْجُلُ الْخَلِيلِ .
وله من أخرى :

سَقَى طَلَلًا حَيْثُ الْأَجَارِعُ وَالسَّقَطُ وَحَيْثُ الظُّلُمَةُ الْعَفْرُ مَا يَنْبَغُهَا تَعْطُو
هَزِيمٌ كَهْمُولُ الْوَدْقِ مُرْتَجِسٌ لَهُ بِأَفْنَانِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ سَقَطُ (٣)
وَلَوْ أَنَّ لِي دِمْعًا يُرَوِّى رِحَابَهُ لَمَّا كُنْتُ أَرْضَى عَارِضًا جُودَهُ نَقَطُ
وَلَكِنْ دِمْعِي صَارَ أَكْثَرُهُ دِمًّا فَأَنَّى يَرْجَى أَنْ يُرَوِّى بِهِ قَحْطُ
ومنها :

كَأَنَّ أَسْيَابَ الرُّمَحِ فِي الدَّرْعِ سَالِحٌ مِنَ الرُّقَشِ فِي وَسْطِ الْفَدِيرِ لَهُ غَطُّ (٤)
وَالْبَيْتُ الثَّلَاثُ كَقَوْلِ مِهْيَارَ (٥) :

بَكَيْتُ عَلَى الْوَادِي خَرَمْتُ مَاءَهُ وَكَيْفَ يَحِلُّ الْمَاءُ أَكْثَرُهُ دَمٌ
وقول الأبيوردي (٦) :

سَقَى اللَّهُ لَيْلَ الْخَلِيفِ دِمْعِي وَالْحَيَا أَرِيدُ الْحَيَا فَالْدِمْعُ أَكْثَرُهُ دَمٌ

(١) سقط من : ب ، ومكانه في ج : « وفي بعض الرسائل » .

(٢) في أ : « جزل بر » .

(٣) في ب : « هزيل » ، وفي ج : « هذيل » ، وفي م : « يزيه » . والهزيم : الرعد . ورجست السماء : رعدت رعداً شديداً ونمخضت .

(٤) السالح : اسم الأسود من الحيات . القاموس (س ل خ) .

(٥) ديوانه ٣/ ٣٤٤ ، وفي هامش م : « هكذا في النسخ ، والصواب الرابع » .

(٦) ديوانه ٣٢٩ ، وفيه : « دمي أو الحيا » ، وفي أ : « أريد الحيا والدمع .. » .

والأخير كقول المَعَرِّي^(١) :

تَوْهَمَ كُلُّ سَابِغَةٍ غَدِيرًا فَرَنَقَ بِشَرَبِ الْحَلَقِ الدَّخَالَا
وله من أخرى :

مَالَا حَ فِي أَفْقِي الْحَاسِنِ إِذْ سَرَى إِلَّا حَمَدْتُ بَلِيلَ طُرَّتِهِ الشَّرَى
عَقَدَ الْإِزَارَ عَلَى كَثِيبٍ فِي نَقَا فَعَدَا اضْطِجَارِي وَهُوَ مُحْلُولُ الْعُرَى^(٢)
لَا تَذَكِّرُ الْفَزْلَانَ عِنْدَ كِنَاسِهِ مَعَهُ فَإِنَّ الصَّيْدَ فِي جَوْفِ الْفَرَا^(٣)
وله أيضا :

إِلَى كَمْ أُمْنَى الْقَلْبَ وَالْقَلْبُ مُوَلَّعٌ وَأَزْجَرُ طَرْفِ الْعَيْنِ وَالطَّرْفُ يَدْمَعُ
وَحَتَّى مَتَى أَشْكُو فِرَاقَ أَحَبَّتِي عَفَا بِالنَّوَى مِنْهُمْ مَصِيفٌ وَمَرَبَعٌ^(٤)
وَأَسْتَعْرِضُ الرُّكْبَانَ عَنْهُمْ مُسَائِلًا عَسَى خَبِرْتُ عَنْهُمْ بِهِ الرُّكْبُ يَرْجِعُ
تَصَبَّرْتُ عَنْهُمْ وَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ النَّصْبِ مَنَزَعُ
أُرَاعِي نَجْمَ اللَّيْلِ أَرْقُبُ طَيْفَهُمْ وَكَيْفَ يَزُورُ الطَّيْفُ مَنْ لَيْسَ يَهْجَعُ
وَمَا زِلْتُ أَبْكِي لَوْلَا بَعْدَ بَيْنِهِمْ إِلَى أَنْ بَدَأَ مُرْجَانُ دَمْعِي يَهْمَعُ
وَمَا كَانَ تَبْكِي الْعَيْنُ لَوْلَا فِرَاقُهُمْ عَقِيقًا وَلَا يَشْفِي النَّفْوَادَ طَوِيلُ^(٥)
فَلَا حَاجِرٌ بَعْدَ الْأَحْبَةِ حَاجِرٌ وَلَا لَعَلَّعٌ مَذْفَارُ الْحَى لَعَلَّعُ^(٦)
غَرَبْنَ شُمُوسًا فِي بَدْوٍ أَكِلَّةٍ فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا مِنْ الْخِلْدَرِ مَطْلَعُ

(١) شروح سقط الزند ١٠٧/١ . قال التبريزي : السابغة : الدرع . ومعناه أن هذا الرمح الذي ادعى ظمأه توهّم أن الدروع غدِير ، فرنق ليرد فيشرب حلقتها المداخل بعضها في بعض ؛ لأنه حسب أنه ماء . ورنق ، من قولهم : رنق الطائر على الماء ، إذا حام حوله .

(٢) في م : « من نقا » . (٣) في م : « كناسها » .

(٤) في م : « أحبة » .

(٥) طويلع : ماء لبني يربوع ، من تميم ، وهو اسم لمياه وأماكن أخرى . راجع مراصد الاطلاع ٨٩٨ .

(٦) في م : « ولا حاجر بين الأحبة » ، وحاجر : مكان بطريق مكة . أساس البلاغة ١٥٤ ، ولعلم منزل بين البصرة والكوفة . مراصد الاطلاع ١٢٠٥ . وقد كثر ذكر هذه الأماكن في شعر العشاق .

وشابهن غزلان النقا في نفاها
لها من مهارة الرمل عين مريضة
ومن قُضِبِ البانِ الرطابِ معاطفُ
وتغدو سيوفُ الهندِ لما تشبَّهتْ
ذكرتهمُ والقلبُ بالهم طافحُ
وما تنفعُ الذكرى لمن صدَّهمُ قلى
ولا عجبُ فالبخلُ في الغيدِ والدُمى
كما لعلِّي كلُّ جودٍ وسودٍ
وله من أخرى :

وركب طلائع صاحبو النجم في السرى
يخوضون بحر الآل يطفو عبابه
كان المطايا والأكلَّة فوقها
سفين بأيدى الأرحبيات تجدفُ^(٧)

وكان له نديم أخطب ، يسمى أبا الخير ، يمدُّه عَيْبَةَ أسرارهِ ، وجهينة أخبارهِ ،
وهو يُدِيرُ عليه شمول ودادهِ ، ويحنى إليه من كل وادٍ ثمراتِ فؤادهِ ، ويُنشدُهُ ترجُمان
لسانهِ عن مُحجَّبِ جفانهِ :

ولقد جُبلتُ على حَبَّةٍ ودَّه ما الحبُّ إلا للإمام الصالح

(١) في ١ : « بالحرب في الحرب تفرى وتقطع » ، وفي ب ، ج : « بالمأظهم في الجو تفرى وتقطع » .

(٢) أسفع : أسود .

(٣) في م : « جههم قلى ... وفيهم تمنع » . (٤) في م : « فالبخل » .

(٥) في ١ : « طلاع » ، وطلح البعير : أعبأ ، وزيد بغيره : أتعبه . القاموس (ط ل ح) ، وفي ١ ،

ب : « ترائى بهم والسير » ، وفي ج : « نرى ما بهم والسير » .

(٦) الآل : السراب .

(٧) الأرحبيات : نسبة إلى أرحب ، خل من الإبل . القاموس (ر ح ب) .

جميع إخوانه إليه يلجأون ، ومن كل حَدَب إلى جُرْثُومته يَنسِلون ، خَفَتْ روحه
فَأَقَتْ بَدَنَه خلفه ظَهْرِيًّا ، وَاتَّخَذَتْ ماسِواءَ شَيْئًا فَرِيًّا ، كَأَنَّهُ خَافَ الخُطُوبَ فهو مُتَجَمِّعٌ
حَذَرَ الوُثُوبِ .

وما الدهرُ في حال الشُّكُونِ بِساكنٍ وَلَكِنَّهُ مُسْتَجِمِعٌ لَوُثُوبِ
وله به عِزٌّ أَقْسَمُ ، في رَبَوَةِ المَعَالِي يُغْرَسُ ، وطَبْعُهُ بِالظَّرْفِ ربيعٌ أَخْصَبُ ، وفي
أَمثالهم : « أَظْرَفُ من أَحَدَب » ، فهو سَنَامُ اللُّطْفِ وَغَارِبُهُ ، وَبِحَرٍّ أَحَدَبُ الأمواجُ ،
بِدَائِعِ^(١) بَدَائِهِ عَجَائِبُهُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَعْتَمِ^(٢) وَدَادَهُ ، حَتَّى قَبِضَتْ جِوَاهِرَ عُمُرِهِ يَدُ
الدهرِ النَّقَادَةَ .

كل ابنِ أُنْتَى وإن طالتْ سلامتهُ يَوْمًا على آلَةٍ حَدَبَاءَ مَحْمُولُ^(٣)



فصل

ولم أسمع في وصف أَحَدَبِ اللُّطْفِ من قول ابنِ النُّجَّيِّ في ابنِ حُصَيْنَةَ المَعَرِّي^(٤) :
يا أَخِي كَيْفَ غَيَّرْتَنَا اللَّيَالِي وَأَطَالَتْ مَا بَيْنَنَا بِالْمِحَالِ^(٥)
حَاشَ لِلَّهِ أَنْ أَصَافِيَ خِلَاءً فَيَرَانِي فِي وَدِّهِ ذَا اخْتِلَالِ
زَعَمُوا أَنِّي نَفَظْتُ هَجَاءً مُعَرِّبًا فَيْكَ عَنْ شَنِيعِ المِقَالِ
كَذَبُوا إِنَّمَا وَصَفْتُ الَّذِي حُزُّ تَ من الفضلِ وَالبَها وَالكَمَالِ
لَا تَنْظُنَّ حَدَبَةَ الظَّهِرِ عَيْنِيَا وَهِيَ فِي الحَسَنِ مِنْ صِفَاتِ الهَلَالِ
وَكَذَلِكَ القِسْيُ مُحْدَوْدِبَاتٌ وَهِيَ أَنْسَكِي مِنَ الطُّبَا وَالْعَوَالِي

(١) في ج : « بديع » . (٢) اعتام المال : أخذ خياره .

(٣) البيت لسكعب بن زهير ، وهو في ديوانه بشرح السكري ١٩ .

(٤) في ج ، م : « المصري » .

(٥) المحال (بالسكسر) : السكيد وروم الأمر بالجيل .

وإذا ماعلا السنامُ ففيه تقروم الجمالِ أي جمال^(١)
وأرى الإنخفاء في منسِر البازي لم يعدْ مَخْلَبَ الرُّبَالِ
كوْن الله حَذْبَةً فيك إن شئت من الفضلِ أو من الأفضالِ
فأنت ربوة على طود علم وأنت موجةً يبحر نوالِ
ماراتها النساء إلا تمت وأبو الفصن أنت لا شك فيه
عُدْ إلى ودنا القديم ولا تُصْ وتذكر لياليا حين ولت
أترى بالدعاء يُجمع شملِي أم رجائي مُخَيَّبٌ وابتهالي
وإذا لم يكن من الهجر بُدٌ فعسى أن تزورنا في الخيالِ

وعلى هذا النمط نسج ابن دانيال قوله في رجل أحذب ، يسمى حسانا :

قسماً بحسنِ قوامِك الفتانِ يا أوحداً الأمراء في الحدبانِ
أنت الحسام زهاير ووقتِ حَذْبَةٍ فزها على الخطيئة المُرَّانِ^(٢)
يا مُخْجِلاً شكَلَ الهلالِ بقده حاشاك أن تُعزَى إلى نُقصانِ
ومائلاً قدَّ القضيْب إذا مشى من حَذْبَتِيهِ يَمِيس كالرَّيَّانِ
ماعاب قامتك الحسودُ جهالةً إلا أجبتُ مقالهُ بديانِ
هل يُحسِنُ الجوكان إلا أن يرى مع أكرّة في حَلْبَةِ المِيدانِ^(٣)
أو هل يَزِينُ اللَّتَنَ إلّا رَدْفُهُ حُسناً فكيف بمن له رَدْفانِ
والنود أخذب وهو الهوى مطربٍ ولقد سمعتَ بنقمة العيدانِ

(١) الفرم (بفتح فسكون) : الفحل .

(٢) للران : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . القاموس (م ر ن) .

(٣) الجوكان : عصا لها طرف مستدير ، تستعمل في لعبة البولو . انظر مفاتيح الحلان ١/٣٩ ، والأكرّة : لغة في الكرة .

وكذا سَفِينِ البحرِ لولا حَدَبُهُ في ظهري لم يَقَوْ لِلطُّوفانِ
 وإذا اكْتَسَى الإنسانُ قِيلَ تَمَثَّلًا في المدح قَامَتْ حَدَبَةُ الإنسانِ
 ومُدَبَّرُ الإكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا في علمه لِلْقِسْطِ في الميزانِ
 بِفَدْيِكَ في الحَذْبَانِ كُلُّ مُسْكِرٍ بِحِ يَمْشِي المُوَيْبِيُّ مَشْيَةَ السَّرَطَانِ (١)
 مُتَجَمِّعِ السَكْتَيْنِ أَقْبِصُ قد بدا في هَيْئَةِ التَّجَمُّعِ الصَّفْعَانِ (٢)
 ومن بدائعِ ابنِ خَفَاجَةَ الأَنْدُلُسِيِّ ، في ساقِ أَحَدَبِ أسود ، قوله (٣)
 وكَأْسِ أنْسِي قد جَلَتْهَا المَنَى فَبَاتَتِ النفسُ بِهَا مُعْرِسَةً
 طافَ بِهَا أسودُ مُحْدَوِّبٍ يُطْرِبُ مَنْ يَلْهُو بِهِ بِمَجْلِسِهِ (٤)
 فِخْلَتُهُ من سَبَّحِ رَبُّوَّةٍ قد أَنْبَتَتْ من ذهبِ نَرْجِسِهِ (٥)
 ولعبدِ الله بنِ النُّطَّاحِ ، في أَحَدَبِ (٦) :
 قَصَرْتُ أَخَادِعَهُ وَغَاضَ قَذَالَهُ فَكَأَنَّهُ مُتَوَقِّعٌ أَنْ يُصَفَّعَا (٧)

(١) في أ ، ب ، ج : « مَكْرِجٍ » . وكَرَجِهِ : صرعه ، أو الكَرْجَةُ : الشد المتناقل ، وعدو دون
 الكرَدحة . القاموس (ك ر ب ح)

(٢) في أ : « في مشية التَّجَمُّعِ الصَّفْعَانِ » وفي ب : « في هَيْئَةِ » . وفي الأصول : « أَقْبِصُ » بالنون ،
 ولا وجه له ، والقَبْصُ ، محرَّكة ، ضَخَمُ الهَامَةِ ، قَبْصٌ ، كَفَرَحٌ ، فهو أَقْبِصُ الرأسِ ضَخَمٌ مدور . القاموس
 (ق ب ص) . ورجل صفعان : يصفع وفي أ : « الصَّفْعَانِ » وصَفَعَهُ ، كَنَعَهُ : ضربه ، أو على رأسه .
 القاموس (ص ق ع) .

(٤) في الديوان : « يطرب من لهُو » .

(٣) ديوانه ٢١٠ .

(٥) في ب : « سَبَّحِ » والسَّبْجَةُ والسَّبْجَةُ : درع ، عرض بدنه عظيمة الذراع ، وله كم صغير نحو الشبر
 تلبسه ربات البيوت . وفي ج : « في سَبَّحِ » والمثبت في أ ، م ، والديوان ، والسَّبَّحِ : خرز أسود ،
 دخيل معرب . انظر اللسان (س ب ج) ٢٩٤/٢ .

(٦) هذان البيتان لابن الرومي في ديوانه ١٤٦ ، وهما في الرسالة المصرية « نواد المخطوطات ٥٣/١ »
 لأبي محمد عبد الله بن الطاخ ، وهما في عنوان المرقصات والطربات ٦٦ لعبد الله بن الطباخ أيضا ، وقد
 أجمعت كل أصول الريحانة على أنه بالنون « النطاح » ، وقد أورد العباسي البيهقي أيضا في معاهد التنصيص
 ١٧١/١ ، واتفق مع الريحانة على أنهما لعبد الله بن النطاح .

(٧) في م ، ج ، والمعاهد : « وغاس قذاله » وفي م : « مستوقع أن يصفعا » والقذال : جماع مؤخر
 الرأس ، والأخادع : جمع الأخدع ، والأخدعان : عرفان في جاني العنق خفيان . وفي ديوان ابن الرومي :
 « وطال قذاله . فكأنه متربص » . وفي عنوان المرقصات « وغاب قذاله » .

وكانه قد ذاق أولَ صَفْعَةٍ وأَحَسَّ ثَانِيَةً لها فَتَجَمَّعًا^(١)

وإذ جررنا ذيلَ البيان ، وسحبنا بُرْدَ سَحَابٍ على الحُدْبَانِ ، فنقول : قوله « وأَحَسَّ ثَانِيَةً » إلخ ، كقول ابن دَانِيَالٍ : « متجمع السكتفين » إلخ ، وهو معنى بديع في بابه ، لأن مُتَوَقَّعَ الضرب يتضاءل من خوفه ، ونظيره من يريد الوُثُوبَ^(٢) يَتَجَمَّعُ لِيَتَّبِ^(٣) ، فهيئته كهيئة من يريد السكون .

ولقد أجاد صالح الشَّنْتَرِيّ^(٤) من شعراء المغاربة ، في قوله :

نَحَازِرُ أَحَدًا — دَاثَ اللَّيَالِي وَقَلَمًا خَلَا مِنْ تَوَقِّيهِنَّ قَلْبُ أَدِيبٍ
وَرَتَابُ بِالْأَيَّامِ عِنْدَ سَكُونِهَا وَمَا رَتَابُ بِالْأَيَّامِ غَيْرُ أَرِيبٍ
وَمَا الدَّهْرُ فِي خَالِ الشُّكُونِ بِسَاكِنٍ وَلَكِنَّهُ مُسْتَجِمِعٌ أَوْثُوبٍ
وهو مأخوذ من قول الآخر :

سَكَنْتُ سَكُونًا كَانَ رَهْنًا لَوَثْبَةٍ تَشُورُ كَذَاكَ اللَّيْثُ لِلْوَثْبِ يَلْبُدُ^(٥)
وقول الآخر :

قَدْ قَلْتُ يَا قَوْمُ إِنْ اللَّيْثُ مُنْقَبِضٌ عَلَى بَرَائِنِهِ لِلْوَثْبَةِ الضَّارِي
وفي المثل : « الدَّهْرُ أَرْوَدُ ذُو غَيْرٍ » .

(١) في ب : « وكانه قد ذاق صفعاً مرة » . وفي ديوان ابن الرومي : « وكانما صفعت قفاه مرة » ، وفي الرسالة المصرية : « وكانه قد ذاق أولَ دَرَّةٍ » . وزواية معاهد التنصيص ، وعنوان المرقصات تتفق مع ما أثبتته .

(٢) ساقط من : ١ .

(٣) اضطربت النسخ في هذه النسبة ، ففي أ : « الشريفي » وفي ب : « الشتريسي » وفي ج : « الشترى الأندلسي » وفي م : « البشتريني » وفي هامش م : « في نسخة الشيريني » ولم أجده في أيدي من مراجع الأندلس أو المغرب . ولعل ما أثبتته أقرب إلى الصحة ، وشنترين : مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي الأندلس ، ثم غربي قرطبة ، وعلى نهر تاجه قريب من انصبابه في البحر المحيط . معجم البلدان ٣/ ٣٢٧ .

(٤) في أ : « ثوب » .

قال الجوهري^(١) أى يعمل عمله فى سكون ، لا يشعر به .
ويقال : « تَلْبِيدٌ خَيْرٌ مِنَ التَّصْيِي »^(٢) يُقال لمن يتشاجع^(٣) ، ويضرب مثلاً
للفرار^(٤) كما قاله الأصمعي .

وفى معناه قولى :

أقولُ لنائمِ الغفلاتِ جهلاً تنبّه كم فسادٌ فى صلاح^(٥)
وكم رجّع الزمانُ عن الرّزايا رُجوعَ التّيسِ أفعى لانتطاح



(١) الصحاح : (رود) ٤٧٦/١ .

(٢) رواية المثل فى النسخ مضطربة ، وقد أثبت ما فى : م ، وهو الصحيح . والتلبيد : أن يلزق شعر رأسه بصمغ ، يجعله عليه ؛ لئلا يتشعث ، والتصي : أن يشور الرأس ليغسله ، ثم لا يبتقى وسخه ، يقال لبدت الشعر فتلبد ، وصيأته فتصياً . يقول : لأن تتركه متلبداً خير من أن تتركه متصيثاً ؛ يضرب لم قام بأمر لا يقدر على إتمامه . بجمع الأمثال ٩٨/١ .

(٣) فى أ : « يتجاشع » وفى ب : « يتخاشع » .

(٤) فى أ : « للفرات » وفى ب ، ج : « للفرأ » .

(٥) فى م : « اللائم العقلاء » وفى أ ، ب : « لنائم العقلاء » والمثبت من : ج .

حسن بن محمد البوريني*

دِيباجةُ الدنيا ، ومَكْرُمةُ الدهرِ ، ونسكتهُ عَطَارِدُ التي يفتخرُ بها الفخر ، حسنةٌ اعتذرُ بها الدهرُ عما جَنَى ، ودَوْحةُ فضلِ غَضَّةِ الأنوارِ والجَنَى ، وزهرةُ الدنيا التي أنبتَها اللهُ تعالى برياضِ^(١) الشام نباتاً حسناً ، فجعل الأدبَ لِرَوْضِ فضله سِياجاً ، وأنارَ بدره في سماءِ السكالِ سراجاً وهاجاً ، ولم تزل مُسألةُ الرُّكبانِ تُتَجَفَّى بهدايا أخبارِهِ ، ونسيمُ المسامرةِ يهبُّ مُعطراً بنفحاتِ آثاريهِ ، وأنا أوَمِّلُ اجتلاءَ بدرِهِ المنيرِ ، وهو على جمعِهِمْ إذا بشاءَ قدير .

فمن نفحاتِهِ ، وغُرِّ^(٢) لُمعَاتِهِ^(٣) قوله^(٤) :

يقولون في الصُّبْحِ الدِّعَاءُ مُؤَثَّرٌ فقلتُ نعم لو كان ليلى له صُبْحُ
فيا عجباً مــــــــــــــــــــــنِّي أرومُ لقاءهِ وفي جَفْنِهِ سيفٌ ومِنْ قَدِّهِ رُمَحُ^(٥)
وإنسانُ عيني كيفَ ينجُو وقد غدا يطولُ له في لُجٍّ مَدَمَعِهِ سَبْحُ

(*) حسن بن محمد بن محمد بن حسن ، بدر الدين البوريني الشافعي .

ولد في قرية صفورية ، سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، وهاجر مع أبيه إلى دمشق ، ثم ارتحل معه إلى بيت المقدس .

واشتغل بالتدريس والوعظ بمدارس الشام ومساجدها .

وكان عالماً محققاً ، ذكي الطبع ، فصيح العبارة ، طليق اللسان ، متين الحفظ ، حسن الفهم ، عذب المفاكهة . وقد جمع ديواناً من شعره .

توفي بدمشق ، سنة أربع وعشرين وألف .

خبايا الزوايا لوحة ١١٤ ، خلاصة الأثر ٥١/٢ ، ديوان الإسلام لوحة ٢١ ب .

(١) في ج : « بأرض » . (٢) في م : « وغرر » .

(٣) في ج : « لمحاته » .

(٤) ذكر المحي هذه الأبيات ، في خلاصة الأثر ٥٦/٢ ، ٥٧ .

(٥) في الخلاصة : « وفي قده رمح » .

وإن كان يوم البين يسود فحمةً في نفسي نارٌ وفي مهجتي قدحٌ^(١)
وليس عجيباً أن دمي أحمرٌ وفي مهجتي قرحٌ وفي مقلتي رشحٌ^(٢)
وفي البيت الأول معنى حسن ، قال : إنه ترجمه من الفارسية ، مع أنه مشهور في
كلام العرب قديماً وحديثاً ، كقول ابن شبيب :

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت وأهوى لنفسي أن تهب جنوبٌ^(٣)
يقولون لو عزيت قلبك لازعوى فقلت وهل للعاشقين قلوبٌ
ومثله قول ابن أذينة^(٤) :

قلت وأبشنتها سري فبخت به قد كنت عندي تحب السر فاستتر^(٥)
أست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري
وتابعه الباخريزي ، فقال من قصيدة^(٦) :

قلت وقد فشت عنها كل من لاقيته من حاضرٍ أو بادي
أنا في فؤادك فارم طرفك نحوّه ترني فقلت لها وأين فؤادي^(٧)
وللبهاء زهير^(٨) :

(١) في ج : « فن مهجتي نار ومن نفسي قدح » وفي م : « في نفسي نار وفي مهجتي قدح » ، وقد
ورد البيت هكذا في خلاصة الأثر :

وإن كان يوم البين يسود فحمة في مهجتي نارٌ ومن نفسي قدحٌ

(٢) في م : « وفي كبدي قرح ومن مقلتي رشح » وفي خلاصة الأثر : « وفي مهجتي جرح وفي
مقلتي قرح » .

(٣) في م : « إذا سرت » .

(٤) زهر الآداب ١/١٦٧ ، والشعر والشعراء ٢٢٦ .

(٥) في م : « تحت السر » وفي زهر الآداب والشعر والشعراء وخلاصة الأثر : « تحت الست » . وفي
خلاصة الأثر : « وأودعتها سري » .

(٦) البيتان في الملتقط من ديوان الباخريزي ٢ ، وهو منشور بأخر دمية القصر ، وهما أيضاً في
الكشكول ٢/١١٠ .

(٧) في الملتقط من ديوان الباخريزي : « فارم لحظك » ، والثبت في الأصول ، والكشكول .

(٨) ديوانه ٥٠ .

جعلَ الرِّقَادَ لِسَكْنَى بُوَاصِلَ مَوْعِدًا
من أين لي في حُبِّه أن أَرْقُدَا
وللأرجى :

وزعمت أن الدهرَ يُعَقِّبُنِي
صَبْرًا عَلَيْكَ وَأَيْنَ لِي صَبْرُ
وفي معناه قولي :

يقولون لي لم تُبْقِ لِلصُّلَحِ مَوْضِعًا
وقد هجروا من غير ذَنْبٍ فَمَنْ يُلْحَى
صدقتُمْ وَأَنْتُمْ لِلْفُؤَادِ سَلْبَتُمْ
ومالي قلبٌ غيرُهُ يطلبُ الصُّلَحَا
وقلت أيضًا :

مُذْ أودَعُوا قَلْبِي سِرَّ الهَوَى
خافوا من الواثي على حُبِّي
فانتهبوا لُبِّي ولم يَقْنَعُوا
باللُبِّ حَتَّى أَخَذُوا قَلْبِي (١)
عودًا على بَدْء .
وله أيضًا :

وَكُنَّا كَعُصْنَى بَانَةٍ قَدْ تَأَلَّفَا
على دَوْحَةٍ حَتَّى اسْتَطَلَا وَأَيْنَمَا
يُنْفِيهمَا صَدْحُ الْحَمَامِ مُرْجَمًا
وَيَسْقِيهِمَا كَأْسُ السَّحَابِ مُتَرَعًا
سَلِيمِينَ مِنْ خَطْبِ الزَّمَانِ إِذَا سَطَا
خَلِيَيْنَ مِنْ قَوْلِ الْحَسُودِ إِذَا سَعَى
فَفَارَقْنِي مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَيْتُهُ
وَأَبْقَى بِقَلْبِي حُرْقَةً وَتَوَجُّعًا
عفا اللهُ عَنْهُ مَا جَنَاهُ فَإِنِّي
حَفِظْتُ لَهُ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ وَضِيْعًا
وله أيضًا :

أُحْوَلُ وَجْهِي حِينَ يَقْبِلُ عَامِدًا
مَخَافَةَ وَاشٍ يَيْفِنَا وَرَقِيبَ

(١) ورد البيت في م هكذا :

فانتهبوا قلبي ولم يقنعوا
بالقلب حتى أخذوا لبي

وفي باطنى والله يعلم أعينٌ تلاحظه في أضلعِ وقلوبٍ^(١)
وهذا مما تداولوه كثيرا . كقول أبي عبادة^(٢) :

أحنوا عليك وفي فؤادى لوعةٌ وأصدُ عنك ووجهٌ ودَى مُقبلٌ
وقوله أيضا^(٣) :

حبيبى حبيبٌ يسكنم الناسَ حبه لنا حين تلقانا العيونُ قلوبُ
يُبَاعِدُنِي فِي الْمُلْتَقَى وفؤاده وإن هو أبدى لى البعادَ قريبُ
ويُعْرِضُ عَنِّي والهوى منه مُقبلٌ إذا خاف عينا أو أشار رقيبُ
فتنطقُ ممّا أعينٌ حين نلتقى وتخرسُ منا ألسنٌ وقلوبُ^(٤)
ولأبى تمام^(٥) :

ولذلك قيل من الغانونِ جليّةٌ علمٌ وفي بعضِ القلوبِ عُيونُ^(٦)
وأحسن منه قولى :

تنازع فيه الشوقَ قلبى وناظرى فأنثر فيه الطّرفُ والقلبُ واجبُ
وتنظره من قلبى الصّبُّ أعينٌ عليها لمخني الضّلوعِ حواجبُ
وله فى ترجمة معنى من الفارسيّة :

وَرَقُّ الغُصُونِ دَقَاتِرٌ مشحونةٌ مملوءةٌ بأدلةِ التّوحيدِ^(٧)

(١) فى م : « والله أعلم » .

(٢) ديوان البحتري (الصيرفي) ١٦٠٠/٣ .

(٣) فى ا : « وله أيضا » ويبدو أن الأبيات للمترجم ، فإن لم أجدها فى أى من طبعات ديوان البحتري .

(٤) فى م : « ألسن وجنوب » . (٥) ديوانه بدمرح التبريزى ٣٢٦/٣ .

(٦) فى الديوان : « صدق وفي بعض القلوب عيون » ، وعلق عليه التبريزى بقوله : « من قولهم إن

المؤمن ينظر بنور الله » .

(٧) سقط عجز هذا البيت من : ا ، وورد فى ج هكذا :

ورقُ الغُصُونِ دَقَاتِرٌ مشحونةٌ بأدلةِ التّوحيدِ والتّمجيدِ

والثبت من ا ، ب ، م ، وخلاصة الأثر ٥٧/٢ ، وورد صدر البيت فى الخلاصة هكذا : « ورق الغُصُونِ

إذا نظرت دقاتر » .

وله أيضا قوله :

النَّاسُ نَحْوَ مَعَادِمٍ وَمَعَاشِهِمْ يَسْعَوْنَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْإِمْسَاءِ
وَأَنَا الَّذِي أَسْنَى لِلذَّهْرِ نَظْرَةً مِنْ وَجْهِكَ الْمُزْرَى بِبَدْرِ سَمَاءِ
وَالنَّاسُ يَخْشَوْنَ الصَّدُودَ وَإِنَّمَا أَخْشَى سَلَمَتَ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ
وأحسن من هذا قولى فى رباعية :

ما بى مهما رَضِيتَ عَنِّي بَاسُ وَالصَّبْرُ بِمَرْهَمٍ لِيَجْرَحِيَّ آسُ
لَكِنِّي أَخْشَى إِذَا طَالَ نَوَى أَنْ يَشْمَتَ فِي الرَّجَامِنِي النَّاسُ^(١)

وله أيضا^(٢) :

أما ينقضى هذا الغرامُ من القلبِ أما ينطوى هذا الملامُ عن الصَّبِّ
ألا حاكمُ بيني وبين عواذلى فيسألهم ماذا يريدون من عَتْبِي
ألا اراحمُ في الحبِّ أشكو ظلامتي إليه فقد زادت يدُ البَيْنِ في حَرْبِي
ألا ساعةٌ أخلو به فأبشُّه لَوَاعِجَ نِيرَانٍ أَقَامَتْ عَلَى قَلْبِي
أما فى الورى من فيه رِقَّةٌ رَحِمَةٍ فَيُبْذَى لَهُ حَالِي وَيُوصِلُهُ كُتْبِي
لقد ضاقت الدنيا على لُبْعُدِهِ عَلَى رَحْبِهَا مِنْ غَايَةِ الشَّرْقِ لِلْغَرْبِ
إذا لاح تبدؤ وقفه فى تَلْقُظِي وَأَعْدُوا لِمَا أَقَامَ أَحْيَرُ مِنْ صَبِّ
فما فى إفصاح ولا فيه رَحْمَةٌ فَيَسْأَلُ عَنْ حَالِي وَيُعْرِجُ عَنْ كَرْبِي^(٣)
ولا أنا ذو فِكْرٍ صَحِيحٍ يَدُلُّنِي عَلَى سَبَبِ التَّائِسِ أَوْ سَبَبِ الْقُرْبِ
وإنى إلى مولاي أنهيتُ حالتي فَعَايَةُ شَكْوَى الْعَاجِرِينَ إِلَى الرَّبِّ

(١) فى ب ، م : « لَكِنِّي أَخْشَى » وفى ج : « لَكِنِّي أَخْشَى إِذَا بَنَّا طَالَ نَوَى » ، « فى الدجى » .

(٢) سقطت هذه القصيدة كلها من : ب ، ج . (٣) فى ا : « من كربي »

وله أيضا :

إلهي أديم حاكم الحب فينا مطاعاً وكلّ البرايا أسارى
إلهي وزد ذلك القدر ليّناً واشرب سقيم الجفون العقارا
إلهي على ضعف أهل الهوى أنل لحظة في القلوب اقتدارا
إلهي جنود الهوى أعطاها على قوة الصابرين انتصارا
إلهي على الحب أقيت صبراً وعن حسنه ما أظقت اضطبارا
إلهي أجبت رسول الهوى ولم ألق منذ دعاني اختيارا
إلهي رضيت بما ترنّضى بسرّي وسلّمت أمري جهارا
إلهي لي الجبر فيما ترى وإن ظنّه العاذلون انكسارا
إلهي أعد ليلاً هجرانه بصبح الوفا والتلاقي نهّارا

أقول : هذا أسلوب من أساليب الفصاحة لطيف ، كما بيناه في كتابنا المسمى بـ « حديقة السحر » ، وهو نقل الكلام من طريق إلى آخر ، كاستعمال ما عهد استعماله في الدعاء والمباجاة في التغزل ، كما هنا .

ومثله قول ابن الوكيل ^(١) :

ياربّ جفني قد جفاه هجوعه والوجد يعصى مهجتي وبطيمه
ياربّ قلبي قد تصدّع بالنوى فإلى متى هذا البعاد يرّوعه
ياربّ في الأظعان سار فؤاده ياليتّه لو كان سار جميعه ^(٢)

ولم يزل يكرّر « يارب » إلى آخر القصيدة ^(٣) :

(٢) في ج : « ياليتّه قد كان » .

(١) في م : « ومثله لابن الوكيل » .

(٣) في م : « حتى أتم القصيدة »

ومنه استعمال ما ورد في الرسائل والمكاتبات في غيره ، كقول الشاب الظريف ابن العفيف (١) :

أعزَّ الله أنصارَ العيون وخَلَدَ مُلْكَ هاتيكِ الجفونِ
وأَسْبَغَ ظِلَّ ذاكِ الشَّعرِ دَوْمًا على قَدَرٍ به هَيْفُ الغصونِ (٢)

ومن شعر صاحب الترجمة قوله :

لها في رُبِّي قلبَ الحبِّ مَقِيلُ وظِلُّ بأخفاءِ الضُّلوعِ ظَلِيلُ
وإن ظَمِئْتُ فالوَرْدُ من ماءِ دمِعه يُبِيلُ به عندَ الهَجِيرِ غَلِيلُ (٣)
فَكَمْ أَلَفْتُ هذا النِّفَارَ كأنما فؤادُ المعنَى بالسَّقامِ مُحِيلُ (٤)
أَجَلُ إن عَفَا مِن بَعدِهم فسَكانُنا يُجَرُّ عليه للجَنُوبِ ذُبُولُ (٥)
منازلُ هذا القلبِ كُنَّ أو اهَلًا وها هيَ من بَعدِ الفِراقِ طُلُولُ
لَكَ اللهُ يا ابنَ الأَكْرَمينَ أَيْشَتَنِي فؤادُ لَبَيْنِ الظَّاعِنينَ عَلِيلُ
ويا ظَبِي هل بَعدَ النِّفَارِ تَأَنَسُ ويا بَدْرُهل بَعدَ الأُفولِ قُفُولُ (٦)
ويا مَنزَلَ الأَحبابِ أينَ تَرَحَّلُوا وهم في فؤادِي ما حَيَّيتُ نُزُولُ
يَمِيلونَ عَنِّي للوُشاةِ وإِنِّي إِلَيْهِم وإِن طال الصَّدودُ أَمِيلُ
أَيَجْمَلُ من أَحبابِ قَلْبِي غَدْرُهُم بَعْدَرِي وماغْدُرُ المُحِبِّ جَمِيلُ (٧)
عَلَيَّ لَهم حِفْظُ الودادِ وإن جَنَوْا وَليسَ إلى نَقْضِ العَهودِ سَبِيلُ

(١) ديوانه ٦٤ .

(٢) في : ب ، ج ، م : « وأَسْبَغَ ظِلَّ ذاكِ الشَّعرِ يَوْمًا » وفي الديوان : « وأَسْبَغَ ظِلَّ ذاكِ الشَّعرِ فِيهِ » وترتيب هذا البيت الرابع في الديوان .

(٣) في ١ : « وإن ظَمِئْتُ » .

(٤) في ج ، م : « فؤادُ المعنَى بالسَّقامِ نُحِيلُ » وفي ١ ، ب : « فَكَمْ أَلَفْتُ » .

(٥) قبل هذا البيت في ب : « مِنْهَا » .

(٦) في م : « وَيَا ظَبِي هل بَعدَ النِّفَارِ تَأَلَّفَ » .

(٧) في م : « أَيَجْمَلُ في أَحبابِ قَلْبِي » .

وظيَّيَ أراد العاذلون سُلوهُ
وقد ضاع قلبي مذ رأيتُ جماله
وما حاجتي إلا ابنُ ورفاء سُحرَةٍ
يُرَدُّ في صُحفِ الرِّياضِ قصائدًا
يُحِيلُ أبَ البينِ آذَى فؤاده
ولم تحتمك فيه اللَّيالي ولم يَبينِ
أما والهوى لو ذُقتَ ما ذُقتُ في الهوى
على أنه ما فارق الإلفَ دهره
تسَنَّم غُصنًا في رِياضٍ أريضةٍ
يُصَفِّقُ جَذلانَ الفؤادِ كأنما
وأبعُدُ شيء ما أراد عَذولُ
فهل لي عليه في الأنامِ دَليلُ
له فوق أفنانِ الرِّياضِ هَدِيلُ^(١)
من الشَّوقِ يُمْلِئُها لنا وَيَمِيلُ
وكيف ولما بَنَّا عنه خَليلُ
عليه لَبَّيْنِ رِقَّةً ونُحُولُ
لما ازدان بالأطواقِ منك تَلِيلُ^(٢)
ومالي إلى وَصلِ الحبيبِ وَصُولُ
تَهَبُّ عليها شَمَالٌ وَقَبُولُ^(٣)
تُدارُ عليه في الكُتُوسِ شَمُولُ

وأنشدني له بعض الأدياء رباعية ، هي :

يا قلبُ إلى متى عَدَاكَ النُّصْحُ
كم تَمزحُ كم جنى عليك المَزحُ^(٤)
كم جَارِحَةٍ عدا عليها الجَرْحُ
ما تَشعرُ بِالخُمارِ حتى تَضْحُو
قلتُ : ليست هذه له ؛ فإنها في « ديوان محمد بن علي »^(٥) ، كما ذكرناه في

« ديوان الأدب »^(٦) .

ومن شعره ، أعني^(٧) صاحب الترجمة :

(١) في ١ : « فوق أعناق الرِّياض » .

(٢) التلِيل : العنق .

(٣) القبول : ربح الصبا ؛ لأنها تقابل الدبور ، أو لأنها تقابل باب السكبة ، أو لأن النفس تقبلها .

المقاموس (ق ب ل) .

(٥) في ١ : « في ديوان محمد » فقط .

(٤) في ١ ، ج : « وكم جنى » .

(٦) ساقط من : ب .

(٧) في ج : « ومن شعره أيضا » وفي م : « ومن شعر صاحب الترجمة » .

ألا سامح أخاك إذا تمدَّى وألقِ إليه في الحربِ السِّلَاحَا
فن يعتبِ على الخِلَّانِ يتمبِّ ومن لزم للمُسامحة استراحَا
وله أيضاً :

صاحبي من يودُّني بالفؤادِ لا قربي في حِلَّتِي وبلادي^(١)
ليت شعري إذا تفتَّتْ قلوبُ أي نفع لصُحبة الأجسادِ
وله أيضاً :

خَبَأْتُكَ في عيني لتخفى عن الوريِّ لذلك قالوا إن في العينِ إنساناً^(٢)
وأحسن من هذا قولِي^(٣) :

خَبَأْتُكَ في العينِ خوفَ الوُشَاةِ وكم شرفَ الدارِ سُكَّانُهَا
ومن غيرةٍ خِفْتُ أن يفطنُوا إذا قيل في العينِ إنسانُهَا
ومن فوائده : أنه سئل عن قول صاحب الحمزية^(٤) :

شمسُ فضلٍ تحقِّقُ الظنَّ فيه أنه الشمسُ رِفْعَةً والضياءُ
فإذا ما ضحى محاً نورُهُ الظَّلُّ وقد أثبتَ الظَّلَّالَ الضَّحَاءُ
فكان الغمامةَ استودعته مَنْ أظلتْ من ظله الدفَاءُ

فذكر ما للشَّارحين فيه من الكلام الذي لا مُحصلَ له ، نغالفهم فيما قالوه من أن
« الدفء^(٥) » بقاءين ، « وأظلت^(٦) » فيه بالطاء المشالة ، وذكر كلاماً لا طائل تحته ،

(١) في أ : « لا قربي » وفي أ ، ب ، ج : « في محلي »

(٢) في أ ، ب ، ج : « لإنسان » وهو خطأ واضح . وفي خلاصة الأثر ٥٨/٢ : « وما كنت أدري أن في العين إنساناً » .

(٣) ذكر المحي هذين البيتين ، في خلاصة الأثر ٥٨/٢ .

(٤) انظر المنح المكية ، شرح الحمزية ١٥٢-١٥٥ ، و طراز المجالس ٢٤٨ .

(٥) في م ، ج : « الدفاء » . وقال ابن حجر : « الدفاء : جمع داف ، وهم جيوشه ، سمي الجيوش بذلك لأنهم يدفون نحو العدو ، أي يسرون إليه لدفعه واستئصاله » .

(٦) في أ : « وظلت » .

بناءً على أن « أضلت » بالضاد ، من الضلال بمعنى الإضاعة « والدفا^(١) » بمعنى جماعة مُسرّين^(٢) من الجيش أو الملائكة ، وفيه خَبَطَ وخالَطَ ، والذي عندى فيه أنه تحرف عليهم أجمعين ، وإنما هو هكذا :

فَكَانَ الْغَمَامَةُ اسْتَوْدَعَتْهُ مُذْ أَظْلَتْ مِنْ ظِلِّهِ الدَّقْعَاءُ

« فاستودعته » و « أَظْلَتْ » مبنيان للمفعول بصيغة المجهول ، « ومذ » بيم مضمومة وذال معجمة « والدَّقْعَاءُ » بدال مفتوحة مهملة وقاف وعين مهملة [ثم مذ^(٣)] بمعنى الأرض وترابها ، كما هو مُصرّح به في كتب اللغة ، والمعنى أن الغمام إنما^(٤) أَظْلَهُ لثلاثين ظله الأرض ؛ فلذا أخذه ودبعة عنده ، ليصونه عن مسّ التراب ، وهذا معنى بديع ، يعرفه من ذاق حلاوة الشعر ، وعرف مغزاه .

وفي قوله « مذ أَظْلَتْ » إلخ ، معنيان : أحدهما ، مذ مسّ ظله التراب . والآخر : مذ صارت الأرض كلها في حمايته ؛ لأنه ظلُّ الله .

وفي معناه رباعية لى :

مَا جُرَّ لَظِيْلُ أَحَدٍ أَذْيَالُ فِي الْأَرْضِ كِرَامَةً كَمَا قَدَّ قَالُوا

هَذَا عَجِيبٌ وَكَمْ لَهُ مِنْ عَجَبٍ وَالنَّاسُ بِظِلِّهِ جَمِيعًا قَالُوا^(٥)

وفي التائية المنسوبة للشبكي التي نظم فيها معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، وشرحها بعض المتأخرين^(٦) :

(١) في م : « والدفا » ، وفي ج : « والرفقاء » .

(٢) في ج : « مصرعة » .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة تفسد المعنى ، وهي موجودة في الأصول كلها ، وفي حاشية ب تنبيه إلى هذا ، حيث قال : « قوله ثم مذ بمعنى الأرض تحريف من الكتاب ، والذي بمعنى الأرض هو الدقعاء ، كما صرح به صاحب القاموس » . وانظر القاموس ٢١/٣ .

(٤) ساقط من م .

(٥) في م : « هذا عجيب » ، وفي ا ، ج : « وكَمْ به من عجب » ، وفي ب : « وما به من عجب » وقالوا في البيت الأول من القول ، وفي الثاني من القيلولة .

(٦) ذكر خير الدين الزركلي ، في الأعلام ١٨٦/١٠ أن محمد بن أحمد ، ابن الحلي ، التوفي سنة ٨٩٠ هـ شرح هذه التائية ، وهي مخطوطة بالمكتبة العربية بدمشق .

لقد نَزَّهَ الرَّحْمَنُ ظِلَّكَ أَنْ يُرَى عَلَى الْأَرْضِ مُلْقَى فَأَنْطَوَى لِمَزِيَّةٍ
وَأَثَرٌ فِي الْأَحْجَارِ مَشِيكَ ثُمَّ لَمْ يُوَثِّرْ بِرَمْلِ حُلٍّ بَطْحَاءَ مَكَّةَ
قال شارحها : قيل : إنه عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظله على الأرض ؛ لأنه
نور رُوحَانِي .

مَا لَطُهُ رَأَى الْبَرِيَّةُ ظِلًّا هُوَ رُوحٌ وَلَيْسَ لِلرُّوحِ ظِلٌّ
وَالنُّورُ لَا ظِلَّ لَهُ ، وَكَذَا الرُّوحَانِيَّاتُ كَالْمَلَائِكَةِ ؛ لِأَنَّهَا أَنْوَارٌ مُجَرَّدَةٌ .
قيل : ولهذا أظهر^(١) الأُمِّيَّةُ ؛ لِثَلَا يَقَعُ ظِلُّ يَدِهِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ لَوْ كَتَبَهُ ،
وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ .

وقيل : لَمْ يُرَ ظِلُّهُ ؛ لِأَنَّ الْغَمَامَ يُظِلُّهُ .
وقيل : هُوَ تَسْكِرِيمٌ لَهُ ، لِثَلَا يَقَعُ ظِلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَيُوطَأَ مَحَلُّهُ .
وَنُقِلَ أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ كَانَ يَطَأُ ظِلَّ الْمُسْلِمِينَ إِهَانَةً لَهُمْ ، فَصَيَّنَ لِثَلَا يُنْتَهَنَ .
وقيل غير ذلك .

وَأَمَّا كَوْنُ قَدَمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَثِّرُ فِي الْحَجَرِ دُونَ الرَّمْلِ ، فَكَانَ فِي ذَهَابِهِ
لِفَارِثٍ مَعَ أَبِي بَكْرٍ ، كَانَ يَقُولُ لَهُ : « ضَعْ قَدَمَكَ مَوْضِعَ قَدَمِي فَإِنَّ الرَّمْلَ لَا يَسِيمُ
عَلَيْهِ » لِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِخْفَاءَ^(٢) أَثَرِهِ عَمَّنْ يَطْلُبُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ؛ وَلِأَنَّ لَهُ الْحَجَرَ إِظْهَاراً
لِأَنَّهُ لَا يَسْتَعِصِي عَلَيْهِ ، وَلِتَسْكُونَ فِيهِ سِمَةٌ يَنْجُو بِهَا مِنَ النَّارِ ، الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ ، وَدَلَالَةً عَلَى شِدَّةِ قَسْوَةِ قُلُوبِ الْكُفَرَةِ^(٣) . إلخ .



(١) في ١ : « وكذا أظهر » ، وفي ج : « ولذا أظهر »
(٢) في ١ ، ب ، م : « لإخفاء » . (٣) في ١ : « الكفار » ، وفي ج : « المشركين » .

أبو المعالي درويش محمد الطالوي *

وحيدٌ له الحزم ترَبُّبٌ واللفظ قرين ، وماجدٌ ماله في قَصَبِ السَّبْقِ رَهين ، وَرِيقُ
قُضْبِ المُرُوَّةِ ، فاتحُ حصونِ المُلِمَّاتِ عُنُوَّةِ ، سائِلُ المعالي والكرم ، رقيقُ حواشي الطبع ^(١)
والشَّيمِ ، فكم في علاه مَسْرَحُ المَقال ، وبِجَالِ المَضْمَرَاتِ الأمانى والآمال .

إذا أعجبتك خِصَالُ أُمْرِيءَ فَكُنْهُ تَكُنْ مِثْلَ مَا يُعْجِبُكَ
فليس على المجدِ من حاجِبٍ إذا جِئْتَهُ زائراً يُحْجِبُكَ

حَسَنُ عصره ، وأبو عُبَادَةِ دَهْرِهِ ، له في المجدِ زَنْدٌ وَرِيٌّ ، وللأسماعِ من مَوْرِدِهِ
العذبِ شَرِبٌ وَرِيٌّ ^(٢) ، نورُ مُحْيِيَةٍ في ظِلْمَةِ الخُطُوبِ هَادٍ ، وصِيْتُ كَرَمِهِ لِرُكَّائِبِ
الآمالِ حَادٍ ، وبِجَرِّ فِكْرِهِ المديدِ سَريعٍ ، ونَسْجُ طَبِيعِهِ أُنْهَى وَأُنْهَجَ من وَشْيِ الرِّبيعِ ،
إذا حَلَّى أَجْيَادَ الغُصُونِ بِعُقُودِ الدِّمَائِمِ ، وألْبَسَ هَامَاتِ الرُّبُوبِيِّ مِنَ النَّبْتِ مُحَضَّرَ
العمائمِ ، فَكأنَّه بِسِحْرِ ^(٣) البَيَانِ ، أَغْدَى عِيُونََ الغَيْدِ الحِسانِ .

(*) درويش محمد بن أحمد - وقيل محمد - أبو المعالي الطالوي الأرتقي الحنفي .
ولد بدمشق ، سنة خمسين وتسعمائة ، من أب رومي وأم من أسرة آل طالو .
ولزم في أول أمره صنعة السروج ، ثم حُببَ إليه الشهاب الغزي طلب العلم ، فترك حرفته .
وقد ارتحل إلى الروم ونابلس ومصر ، واشتغل بالتدريس والقضاء .
وكان ماهراً في كل فن من الفنون ، مفرط الذكاء ، فصيح العبارة ، مفشئاً بليفاً ، حسن التصرف في
النظم والنثر ، وجمع أشعاره وترسلاته في كتاب سماه : « سائحات دمي القصر » .
توفي بدمشق ، سنة أربع عشرة بعد الألف .
تراجُم الأعيان لوحة ١٢٢١ ، خبايا الزوايا لوحة ١٧ ب ، خلاصة الأثر ١٤٩/٢ ، ديوان
الإسلام لوحة ٥٥ ب .

وفي م : « درويش بن محمد الطالوي » . وما أثبتناه في : أ ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) في أ : « روي » .

(١) في م : « الطابع » .

(٣) في أ : « بجر » .

نَجْمٌ يُجَلَّى عَلَيْهِ الْمَعَانِي صُورَةً فَصُورَةً ، وَتُتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُ الْفَضْلِ سُورَةً
بعد سورة .

وإذا كاتب بالفاظه الرقيقة ، وَدَّ السَّحْرُ لو كان قِنَهُ ^(١) ورقيقه ، فكم سَرَّحَ
طَرَفَ طَرَفِي فِي رِيَاضِ الْمَنُورِ ، فَجَنَى مِنْ حَدَائِقِهِ بَيْدَ الْفَكْرِ غَضَّ الزَّهْوَرِ ، ففاح
نَشْرُ بِلَاغَتِهِ فِي لَيْلِ حَبْرِهِ ^(٢) ، وَلَا بَدَعَ لِلْمَنُورِ إِذَا عَبَقَ فِي عَنَبَرِ الظُّلُمَاءِ غَيْبُ نَشْرِهِ ،
خَلَّيْتُ لِسَانِي بِعُقُودِ إِنْشَائِهِ الذَّرِّيَّةِ ، وَأَشْرَقَ عَلَيَّ مِنْ فَلَكَ الْمُسَامِرَةِ كَوَاكِبُهَا
الذَّرِّيَّةِ ، وَرَأَيْتُ سَبَّحَ سَطُورِهَا فِي يَدِ الْمَجْدِ ، وَخَيْلَانُ ^(٣) نَقَطُهَا تَزِينُ مِنْ وَجْهِ
الطُّرْسِ صَفْحَةَ الْخَدِّ ، فَسَبَّحْتَ عَجَبًا مِنْ دُرِّ ^(٤) لَوْنِهِ السَّوَادِ ، وَمِنْ رِيَاضِ كَافُورِ
تَنْبَتِ مِسْكَ الْمِدَادِ .

فَكَأَنَّ أَسْطَرَّهُ غَصُونُ حَدِيقَةٍ وَمِنْ الْقَوَافِي فَوْقَهُنَّ حَمَامُ ^(٥)
وهو فرعٌ من شجرة آل طَالُو ، الَّذِينَ فَاقُوا فِي رَتَبِ الْعُلَى وَطَالُوا .

إِنْ حَارَبُوا مَلَأُوا الْبِلَادَ مَصَارِعًا أَوْ سَالَمُوا عَمَرُوا الدِّيَارَ مَسَاجِدًا ^(٦)
طَلَعُوا فِي رُبَى الْجِيَادِ غَصُونًا مُورِقَةً بِالسَّلَاحِ ، وَبَسَقَتْ فُرُوعُهَا مِنْ بَيْضِ الصَّفَاحِ
وَتَمَرِ الرَّمَاحِ ، صَيَّرُوا أَكْفَهُمُ لِلْمَسْكَارِمِ مَعْدِنًا ، وَأَبْوَابَهُمْ لَوْفُودِ السَّعَادَةِ مَوْطِنًا ، فَكَمْ
مِنْ رَاكِبٍ عَجَلَ اسْتَوْقَفْتُهُ فَوْقَ ، وَأَهْدَى إِلَى مِثْلِ آثَارِهِ تَحْفًا بِكُلِّ طَرَفَةٍ تَحْفَ ^(٧) ،
حَتَّى وَرَدَ عَلَى بِالرُّومِ فَقَرَّ بِهِ نَظْرِي ، وَلَمْ تَسْمَعْ أَذْنِي بِأَحْسَنِ مِمَّا قَدْ رَأَى بِبَصْرِي ، فَطَارَ
غُرَابُ الْبَيْنِ مِنْ وَكْرِ الْعَنَا ، وَنَثَرَتْ عَلَى قَوَادِمُ يُمْنِهِ ^(٨) نِثَارُ الثَّنَا ، وَأَنَا كَأَنَّ غَرِيبُ

(١) فِي ١ : « قِنَهُ » ، وَفِي ج : « فَنِيهِ وَرَقِيقَهُ » .

(٢) فِي ١ : « حَبْرِهِ » .

(٣) الْخَيْلَانُ : جَمْعُ الْخَالِ ، وَهُوَ شَامَةٌ فِي الْبَدَنِ . الْقَامُوسُ (خ ي ل) .

(٤) فِي ١ ، ب ، ج : « لَدْرِي » . (٥) فِي ١ : « حَمَامٌ » .

(٦) سَقَطَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ : ب (٧) فِي ١ : « مِنْ آثَارِهِ تَحْفًا بَعْدَ تَحْفٍ » .

(٨) فِي ١ : « بَحْنُهُ » وَفِي ج : « يَمْنُهُ » .

الوجه واليد واللسان ، وليست الفرقة فقد الأهل بل فقد الأحبة والإخوان^(١) ، فدار
 بيني وبينه كنوس محاورات تُسكر الأذهان ، ويَحْدِسِي حُمَيَّاهَا فِكْرُ كُلِّ لَبِيبٍ بِأَفْوَاهِ
 الأذان ، وَيُوسِّمُ بِهَا عَقْلُ^(٢) الدهر ، وَتُغْضِي حَيَاءَ مِنْهَا عَيُونُ الزَّهَرِ .
 فَمَّا كَتَبْتُهُ إِلَيْهِ ؛ لَأَسْتَمَطِرَ سَحَابَ طَبْعِهِ الْغُرَّ ، وَأَسْتَجِدِّي كَرَمًا مِنْ رَقِيقِ خُلُقِهِ
 الْحُرِّ ، وَأَسْتَمَرِّي مِنْهَا مَاءَ الْحَيَاةِ عَلَى غَلَّةٍ ، قَطَرَاتٍ لَوْ وَقَعَتْ فِي بَحُورِ الْأَشْعَارِ لَمْ يَكُنْ
 بِهَا عِلَّةٌ ، قَوْلِي^(٣) :

قَبِلْتُ مُصْطَبِحًا شِفَاءَ الْأَكْوُسِ	وَالصَّبْحُ يَبَسُّمُ لِي بِشَفْرِ الْأَنْسِ
حَتَّى غَدَتْ مِنْهُ الْغَزَالَةُ وَاخْتَفَى	مِسْكُ الدُّجَى عِنْدَ الْجَوَارِي الْكُنَسِ
وَالنَّهْرُ سَيْفٌ وَالنَّسِيمُ فَرِنْدُهُ	وَلَهُ حَائِلٌ مِنْ خَائِلِ سُندُسِ ^(٤)
أَوْ صَدْرُ خُودٍ فَتَحَتْ أَطْوَأَهَا	أَوْ شَقَقَتْ لِلْوَجْدِ حُلَّةَ أَطْلَسِ
وَالطَّيْرُ تَشْدُو وَالْفَصُونُ رَوَاقِصُ	فِي وَشْيٍ دِيْبَاجِ الرَّبِيعِ الشُّنْدُسِيِّ ^(٥)
وَعَلَى الْخَلَاعَةِ لَيْسَ جَيْدِي عَاطِلًا	مِنْ حِلْيَةِ الْمَجْدِ الْعَزِيزِ الْأَنْفَسِ
وَلَوْ أَحِظَ مَرَضَى بِهَا اعْتَلَّ الصَّبَا	وَالصَّبُّ بِالشَّقْمِ الْمُبَرَّحِ مُكْنَسِ
فَتَنَنْتُ بِأَنْفُسِهَا فَفِيهَا عِلَّةٌ	مِنْ وَجْدِهَا وَفَتُورٍ مَهْجُورٍ نُسِيِّ ^(٦)
فَلَكُمْ قَطَفْتُ نَمَارًا لَهَا أَيْنَعَتْ	وَعَفَلْتُ عَمَّا قَدْ جَنَى الدَّهْرُ الْمُسِيَّ
وَطَرَدْتُ آمَالِي بِرَاحَةِ عَفَّتِي	إِنْ التَّمَنَّى رَأْسُ مَالِ الْمَقَاسِ
رَامَ الْقَلَمُ بَذْلَ شَعْرِي بُرْهَةً	فَطَرَحْتُ كَصَحِيفَةِ الْمُتَلَمَّسِ

(١) في م : « والخلان » .

(٢) في ب : « عقد » وفي ج : « عَقْلِي » .

(٣) أنبت المحي في خلاصة الأثر ١٥٣/٢ افتتاحية هذه القصيدة . وافتتاحية قصيدة الطالوي ، التي

أجاب بها .

(٤) سقط بجزء هذا البيت من : أ .

(٥) في ب ، ج : « بالنسيم فرنده » .

(٦) سقط هذا البيت من : ب .

وَكَحَلْتُ طَرْفِي بِالشَّهَادِ صَبَابَةً
وَنَظَرْتُ خَدَّ الْوَرْدِ لَمَّا احْمَرَّ مِنْ
وَأَظُنُّ خَجَلَتَهُ لَخْدِ الطُّرْسِ إِذَا
يَاعِقَدَ جِيدَ الدَّهْرِ غُرَّةَ فُجْرِهِ
بَلْ كَعْبَةٌ حَبَّتْ لَهَا آمَالُنَا
مِنْ آلِ طَالُو فِتْيَةٍ طَالُوا الْوَرَى
بِمَقَابِ تَلَيْتْ لَنَا آيَاتُهَا
وَرِياضَ فِكْرٍ بِالْفَضَائِلِ أَثْمَرَتْ
أَسْكُرُنَا بِسُلَافِ شَعْرِ لَفْظِهِ
وَسَرَتْ نُسَيْمَاتٌ سَحِيرًا أَرْقَصَتْ
فَاعْجَبْ لَهَا مِنْ أَكْوَامٍ مَا أُبْرِزَتْ
وَسَهَامِ أَفْلَامٍ لَهُ نُصْمِي الْعِدَا
نَاجِيَّتُهُ وَظِلَامُ فِكْرِي قَدْ دَجَا
فَجَلَا السُّرُورَ لَهُ بِغَيْرِ بَاسِمٍ
فَإِنِّي كُفْتُ مَنَى قَوَافِي دَوْحَهَا
بِكُرْأٍ إِلَى كَفِّ تَزْفٍ وَمَهْرُهَا
لَا زِلَّاتٍ فِي حُلَلِ الْمَسْرَقِ رَافِلًا

وَوَهَبْتُ نَوْمِي لِلْعَمِيونِ النَّعْسِ
خَجَلٍ وَقَدْ بَهَتَتْ عَيُونُ الزَّرْجِسِ
أَمْسَى بَوْشِي عِذَارِ شَعْرِكَ مُكْتَسِي (١)
وَطِرَازَ مَاحَاكَ الْعُلَا مِنْ مَلْبَسِ (٢)
فَدَنَنْتُ إِلَى حَرَمِ السَّكَمَالِ الْأَقْدَسِ
بَذَرِي أَشْمَ مِنْ الْمَعَالِي أَفْعَسِ
عَنْهَا يَكَادُ يُبَيِّنُ نَظْقُ الْأَخْرَسِ
فَعَدَنْتُ تُحَدِّثُنَا بِطَيْبِ الْمَغْرَسِ
كَأَنَّ لَهُ فِكْرِي بِسَمْعِي مُحْتَسِ (٣)
طَرَبًا بِهَا عَقْلَ اللَّيْلِ الْأَكْدَسِ (٤)
إِلَّا رَأَاهَا الذَّوْقُ نَقْلَ الْمَجْلِسِ (٥)
وَتَظَلُّ بَيْنَ مُسَدَّدٍ وَمُقَرَّطِسِ
وَصَبَاحُ صَفْوَى عَنْهُ لَمْ يَنْتَفَسِ
طَلَقَ الْجَبِينِ كَوْجَهُ يَوْمَ مُشْمِسِ
زَاهٍ بِغَيْرِ يَدِ النَّهْيِ لَمْ يُنْمَسِ
نَقْدُ الْجَوَابِ بِرَاحَةِ الْمُسْتَأْنَسِ (٦)
مَا حَدَّثَتْ لَيْلًا عَيُونُ الْخُلَسِ (٧)

(١) جاء « مكنتي » هكذا لضرورة القافية .

(٢) في ا ، ب : « غرة فخره » ، وفي ا : « وطراز ما حاز العلا » .

(٣) في ا ، ب ، ج : « بسلاف طبع » . (٤) في ا ، ب : « سحر ارقصت » .

(٥) النقل : ما ينتقل به على الشراب .

(٦) في م : « براحة المتأنس » .

(٧) في م : « أحدثت » والثابت من : ا ، ب ، ج . والتعديق : شدة النظر بالحدقة . وفي حديث معاوية بن الحكم : خدعتني القوم بأبصارهم . أي رموني بمقدمهم . اللسان (ح د ق) ٣٩ / ١٠ ، ٤٠ .

فأجاب وأجاد رحمه الله :

خَدْتُ تَوَرَّدَ مِنْ لَهَيْبِ تَنْفَسِ
أَم قَدْ مَعْسُولِ الْمَرَّاشِفِ الْعَسِ
مِنْ رِيحِ وَجَرَةٍ أَوْ جَاذِرِ جَائِمِ
ابْسَ الشَّبَابِ الرَّوْقِ أَحْسَنَ مَلْبَسِ (١)
مُتَوَشِّحًا خَطِيءًا قَامَتِهِ فَإِنِ
مَاسَتْ فَيَاخُجَلِ الْفَصُونِ الْمَيْسِ
فَإِذَا رَنَا فَالْلَّحْظُ مِنْهُ بَابِلُ
هَارُوتُ مِنْهُ نَطَقَهُ كَالْأُخْرَسِ (٢)
أَم عِقْدُ غَانِيَةِ الْحَسَنِ زَهَتْ بِهِ
تِيهًا عَلَى زُهرِ الْجَوَارِي الْكُنَسِ (٣)
أَم لَوْلَوْ رَطْبُ تَوَائِمُ زَانِهِ
حُسْنُ النِّظَامِ بِحَبِيدِ ظَنِّيَّةِ مَكْنَسِ
أَم رَوْضَةُ غَنَاءٍ غَنَّتْ فِي ذُرَى
أَغْصَانِهَا وَرُقْ بِلَحْنِ مُؤْنِسِ
حَاكَتْ لَهَا أَبْدَى الْجَنُوبِ مَطَارِفًا
وَكَسَتْ مَعَاطِفَهَا غِلَائِلُ سُنْدُسِ
مَابِينِ أَصْفَرَ فَاقِعٍ أَوْ أَحْمَرِ
قَانٍ وَأَبْيَضَ نَاصِعٍ وَمُورَسِ
أَم غَادَةٌ هَيْفَاءُ أَذْكَرَتِ الصَّبَا
صَبًّا تَنَاسَى الْعَهْدَ مِنْهُ وَمَانَسِي
وَأَفْتُ وَأَفْرَاسُ الصَّبَا قَدْ عُرِّيَتْ
وَالْقَلْبُ أَقْصَرَ عَنْ هَوَاهُ وَمَا أَسِي (٤)
وَأَفْتُ وَفِيَّ بَقِيَّةُ أَلْهُو بِهَا
مِنْ شَرَحِي الْمَاضِي تَعَلَّةَ مُفْلِسِ
مِنْ مَاجِدٍ وَشِهَابِ فَضْلِ ثَاقِبِ
حُلُوِ الشَّمَائِلِ بِالْفَضَائِلِ مُكْتَسِ
فَظَنَنْتُ رَبْعَانَ الشَّبَابِ أُعِيدَ لِي
حَتَّى الْوَصَالُ مِنَ الْحَبِيبِ الْمُؤْنِسِ
فَطَفِقْتُ أَهْصِرُ بَانَةً مِنْ قَدَّهَا
وَالْقَلْبُ بَيْنَ تَوَجُّسٍ وَتَهَجُّسِ
حَتَّى اطْمَأْنَنْتُ فَاجْتَلَيْتُ بِوَجْهِهَا
قَرَّ السَّمَاءِ بِلَيْلٍ شَعْرِ حَنْدَسِي (٥)

(١) وجرة : منزل من طريق مكة من البصرة ، بينه وبين البصرة أربعون ميلا ، ليس بينهما منزل ، فهو مربي للوحش ، مرصد الاطلاع ١٤٢٦ . وجاسم : اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ ، على يمين الطريق الأعظم إلى طبرية . المرصد ٣٠٦ . والرواق من الشباب : أوله .
(٢) في ب ، ج : « هاروت فيه » . (٣) في ب : « زهر النجوم » .
(٤) سقط هذا البيت من : ب . وفي أ : « وأفراس الضبا قد غربت » ، وأسى : حزن .
(٥) الحندس ، بالكسر : الليل المظلم ، والظلمة .

لَمَّا بَدَا خَفِيتْ لَهُ شَمْسُ الضُّحَى
نَطَقَتْ مَنَاطِقُهَا فَأُخْرِسَ دُونَهَا
لَمْ لَا وَنَاطِقُهَا الشَّهَابُ مِنْ اعْتَلَى
فَرَزَعَتْ تَمَاهٍ إِلَى خَفَاجَةٍ تَحْتَدُّ
وَأَفَتْ لَنَا مَفْهَ حَدِيقَةٍ رَوْضَةٍ
طَرِسَتْ بِهِ زَهْرُ النُّجُومِ كَأَنَّهُ
لَتَمَتْ شِفَاهُ الْغَيْدِ قَدَمًا نَفْسَهُ
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ شِهَابٍ قَدْ سَمَا
وَالشَّهْبُ تَطَلَّعُ فِي السَّمَاءِ وَحَدَّثَهَا
لَا زِلَتْ فِي حُلَلِ الْفَضَائِلِ رَافِلًا
خُذَهَا وَإِنْ كَانَتْ مُقَصَّرَةً فَمِنْ
شَامِيَّةٍ يَعْتَوُّ لِبَاهِرٍ حَسَنِهَا
وَانْعَمَ بِهَا لَا زِلَتْ تَرْشِفُ سَمْعَنَا
وَمَا أَشْدَنِيهِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

بِرَاعِكَ أَمْضَى مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ
مَضَاهُ يَقْدُ الْمُرْهَفَاتِ وَعَزَمَةٌ
ومنها :

بَسِيَّارَةٍ مِثْلِ النُّجُومِ طَوَالِمْ
تَسَاقَطَ فِي الْأَسْمَاعِ لَوْ لَوْ لَفِظِهَا
قَوَائِفَ لَعَمْرَى أَخْمَتِ كُلَّ نَازِلٍ
تَسَاقَطَ طَلٌّ فَوْقَ زَهْرِ السَّكَاكِمِ

(١) في ج : « بكمال فضل أنفس » .

(٢) النفس ، بالكسر : المداد . القاموس (ن ق س) .

(٣) في ب : « مضاه يفل المرهفات » .

بَقِيتَ لِهَذَا الْمَلِكِ تَحْمِي ذِمَارِهِ بِسُورِ بَرَّاعٍ اَلْخَطُّ لَا بِالصَّوَارِمِ
جَنَابُكَ مَحْرُوسٌ وَبَابُكَ كَعْبَةٌ لِبَطْحَائِهَا حَجَّى وَفِيهَا مَوَاسِمِي
وله أيضا (١) :

كَفَى بِهِ جَائِرًا فِي الْحَكَمِ مَا عَدَلَا لو كَانَ يَسْمَعُ فِي أَحْبَابِهِ عَدَلَا
وَرَا حَ يُضْمِرُ سُلُوءًا بِخَاطِرِهِ عَن مَّائِسَاتِ قُدُودٍ تُنْجِلُ الْأَسْلَا (٢)
بَلْ كَيْفَ يَصْحَوْ غَرَامًا أَوْ يُفَيِّقَ هَوًى مَن بَاتَ بِالْأَخْوَرِ الْعَيْنَيْنِ مُشْتَقِلَا
فَمَا الْهَوَى غَيْرُ أَجْفَانٍ مُسَهَّدَةٍ تَهْمِي بِقَلْبٍ بِنِيرَانِ الْأَسَى شُعِلَا
وَلَا الْغَرَامُ سِوَى وَجْدٍ يُكَابِدُهُ إِلَى الْحَمَى يَاسَقَى اللَّهُ الْحَمَى نَهَلَا
حَتَّى دِمَشْقٍ سَقَاهَا غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الْغَمَامِ وَرَوَى رَوْضَهَا عَلَلَا
حَتَّى تَظَلَّ بِهَا الْأَرْجَاءُ بِاسْمَةٍ وَيَضْحَكُ النُّورُ فِي أَكْرَامِهِ جَدَلَا (٣)
وَخَصَّ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مَنَزِلَةً لَبِستُ فِيهَا الشَّبَابَ الرُّوقَ مُقْتَبِلَا
مَعْنَى الْهَوَى وَمَعْنَى اللَّهِو حَيْثُ بِهِ مَهًا إِذَا طَلَعْتُ بَدْرُ السَّمَاءِ أَفَلَا
تِلْكَ الْمَنَازِلُ لَا تُشْرِقُ كَاظِمَةٍ وَلَا الْعَقِيقُ وَلَا شَعْبُ الْغَوِيرِ وَلَا (٤)
دِيَارُ كُلِّ مَهَاةٍ كَمَا أَقُولُ لَهَا وَالصَّبْرُ يَنْجَلُ فِي جَسْمِي كَمَا نَحَلَا
بِمَا بَعْنِيكَ مِنْ سَحَرٍ صَلِي دَنِفًا يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتَ فَلَا (٥)
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِي بَعْدَ فُرْقَتِهَا فَارَقْتُ شَرِيخَ الصَّبَا وَاللَّهُوَ وَالْغَزَلَا (٦)

(١) من هنا يبدأ سقط في : ب ، ج ، ينتهي بانتهاء المختارات من هذه اللامية .

(٢) الأسل : الرماح . (٣) في ١ : « ويضحك الروض » .

(٤) كاظمة : جو على سيف البحر ، في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركابا كثيرة ، وماؤها شروب . مرصد الاطلاع ١١٤٣ ، والغوير : ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة ، وانظر المرصد ١٠٠٦ .

(٥) في ١ : « بما بعنيك وأما إن صدرت فلا » .

(٦) قبل هذا البيت في ١ : « تضمنين » .

ما كنتُ لولا طِلابُ المجدِ أهجرُها هجرَ أمرىءٍ مُفرِّمٍ بالراحِ كأسَ طِلالٍ
ولا تَخَيَّرْتُ أرضَ الرُّومِ لى سكناً ولا تعوَّضْتُ عنها بالصِّبَا بَدَلاً
ولا امْتَطَيْتُ عِثاقَ الخيلِ راميَّةً بى الوَوامى تجوبُ السَّهْلَ والجِبَلَا
مِنْ كُلِّ رَفٍّ بِفوقِ الطَّرَفِ سُرْعَتُهُ وسابحٍ مثلَ سَيدِ الرَّمْلِ ماعَسَلاً^(١)
إذا تَطَلَّعَ مِنْ لُجِّ السَّرَابِ يُرَى بذراً غداً بهلالِ الأفقِ مُنتَعِلاً
ومنها:

مَتى أتى بى أرضَ الرُّومِ مُنتَجِعاً روضاً أريضاً وماءً بارداً وكلاً^(٢)
وقال بُشْرَاك رَوْضُ الفُضْلِ قَلْتُ لَهُ رَوْضُ ابنِ بُسْتَانَ مولانا فقال بَلَى
هو الجِوَادُ الذى سارت مواهبُهُ تدعو العُفَاةَ إلى نَعْمائِهِ الجَفَلَى^(٣)
ومنها:

وهاكُمَا مِنْ بَنَاتِ الفِكرِ غَانِيَّةَ شامِيَّةَ الأَصْلِ مَهْمَا سَأَلْتُ سَأَلَا
غَرِيبَةً فِي بِلَادِ الرُّومِ لَيْسَ لَهَا كَفُوٌّ سِوَاكَ فَأَنْقَذَ مَهْرَهَا عَجَلَا
وَكَتَبَ لَهُ بَعْضُ أَحْبَابِهِ قَصِيدَةً هَزَّتْ بِنَسِيمِ عُثْبِهَا عِطْفَ آدَابِهِ ، فَأَجَابَهُ بِقَوْلِهِ ،
عَفَا اللهُ عَنْهُ :

تَوَشَّحَتْ كالنَّجُومِ الزُّهْرِ فِي الظُّلَمِ سَمَطَيْنِ مِنْ لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ وَمِنْ كَلِمٍ
وَقَلَّدَتْ جَيِّدَ آرَامِ النِّقَا دُرَّاراً بَزَتْ بِهِنَّ دَرَارِي الأَفْقِ بِالقَلَمِ^(٤)
وَأَقْبَلَتْ فِي مُرُوطِ الزُّهْرِ رَافِلَةً تَجَرُّ تَيْهًا فُضُولَ الرِّيطِ مِنْ أُمَمٍ^(٥)

(١) فى ١ : « يفوت الطرف » . والسيد ، بالكسر : الأسد والذئب . وعسل الذئب أو الفرس : اضطرب فى عدوه وهز رأسه .

(٢) فى ١ : « حتى أتى » . (٣) دعاء الجفلى : أى بجماعتهم وعامتهم .

(٤) فى ١ : « بالعلم » .

(٥) فى ب ، م : « مروط الزهر » والريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق كالرائطة ، الجمع ريط . القاموس (رى ط) . والأمم : القرب .

جيداء مصقولة القرطين مائسة الـ
 كأنها حين وافت والفؤاد بها
 فما الرياضُ بكأها الفطرُ ليلته
 شوقاً لطيف خيال بات يرقبه
 بضاحك المزُن فيه الأقحوان ضحى
 فالورقُ صادحة والروضُ ضاحكة
 تجاذبُ الرّيحُ أطرافَ الغصون بها
 يوماً بأحسنَ مرأى من شمائلها
 مُهذب القـول إلا أنه أذن
 لا يعرفُ الودَّ إلا مذاقَ ساعته
 هنيهات ما الودُّ ممن كنتُ أعده
 فياله من عتابٍ لم يفقه أبداً
 سوى امرئٍ ساء ظناً في صنائعه
 وشاتمُ العرضِ فيما قيل، كُنْ فظناً
 لا يعزّين ذاك للإحسان والنعم
 كم من أخٍ صارمٍ ودّى صبرتُ له

مطفنين مخضوبة الأطراف بالنعـم^(١)
 صبّ صباية شمرخ مرّ كالخلم
 بكاء طرفٍ قريح بات لم ينم^(٢)
 من ناقض العهد والميثاق والذمم
 عن نقرٍ مبيتسم بالدرّ منتظم
 نفوره بين مُهلٍ ومُنسجم^(٣)
 فتنثنى والهوى ضربٌ من اللّـم
 وقد أتت بعتابٍ من أخى كرم
 يُصغى إلى قول واشٍ بالنفاق سبي
 والشاهدُ الدلّ ما يتلوه من قسم^(٤)
 باقٍ وقد حال عن عهدى ولم يدّم^(٥)
 بمثله أحدٌ في سالفِ الـامم^(٦)
 فساء ظناً بخيلٍ غير مُتهم^(٧)
 من بلغ القول لا من ذاك عنه نعي
 بل ذاك يُعزى لبهم القاع والنعم^(٨)
 حتى ارعوى وودادى غير مُنصرم

(١) في أ : « مصلفة القرطين » وفي ب : « مصلطة القرطين » وفي ج : « مطلقة القرطين » .

(٢) في أ : « بكاه الطرف » وفي ب ، ج : « بكأها الطرف » .

(٣) في ب : « ومبتسم » . وانسجم القطر : تتابع .

(٤) في ج : « لا يصرف الود إلا مذاق » . ويقال : فلان يمدق الود ، إذا لم يخلصه .

(٥) في أ ، ب ، ج : « وقد حال من عهدى » .

(٦) في أ ، ج : « لم يفد أبداً » وفي ب : « لم يعد أبداً » .

(٧) في ب : « سوى أخ » .

(٨) في أ : « لا يعزبن ذاك بالإحسان » وفي ب : « لا يعزبن قال » وفي ج : « لا يعزمن قال » .

يا مَنْ تُعَمِّرُ مِنْهُ بَيْتَ باطنِهِ — وظاهرُ الأمرِ أن البيتَ لم يرم
يا مَنْ له مِنْ وِدَادِي كُلِّ خالصةٍ أَصْفُوها صَفْوَةَ الْأَخْلَاقِ مِنْ شَيْمِي ^(١)
أَصِخْ إِلَى الْقَوْلِ وَاسْمَعْ مَا أَقُولُ فَلِي صَبْرٌ لَهُ رُكْنٌ رَضَوِي غَيْرُ مُنْهَدِمٍ ^(٢)
قَدْ كُنْتُ رِبْحَانَةَ الْعَيْشِ الَّتِي بَسَقَتْ أَغْصَانُهَا فِي حَيِّ الْمَعْرُوفِ وَالْكَرَمِ
فَصَوِّحْتُ وَذَوَى الْفَصْنِ الرُّطِيبُ فَلَا دَارٌ بِحَزَوِي وَلَا رَنْجٌ بِذِي سَلَمٍ ^(٣)
وَلَا مَعَاجِزٌ عَلَى سِقْطِ الْاَوَى وَبِهِ جَاذِرٌ قَدْ كَحَلَنَ الْوُدَّ بِالسَّقَمِ
وَلَا عَلَى طَلَلٍ دَمْعٌ يُرَاقُ وَلَا يُورِّقُ الْجَفْنُ ذِكْرُ الْبَانِ وَالْعِلْمِ
خُذْهَا عَقِيلَةً فَكِرٌ بِنْتُ لَيْلَتِهَا وَشَاحُهَا النِّجْمُ عِقْدٌ غَيْرُ مُنْقَصِمٍ
وَاسْلَمْ عَلَى حَالَتِي وَدِّ وَصِدْقٍ وَلَا مَازَانَ عِقْدَ نِظَامِ جَوْهَرٍ الْكَلَمِ ^(٤)

وكان له غلام يُعَصِّرُ مِنْ شِمَائِلِهِ سُلَافَةَ اللَّطَافَةِ ، هَمَّتْهُ ^(٥) فِي خِدْمَتِهِ خِفَّةُ النِّشَاطِ إِلَّا
أَرْدَافَهُ ، أَحَلَّى مِنْ ظَفَرِ عَانِي ، وَأَلَذُّ مِنْ حَدِيثِ ^(٦) الْأُمَانِي ، لَوْ قِيلَ لِلْحُسْنِ تَمَنَّى الْمُنَى .
تَمَتَّى أَنَّهُ مِثْلُهُ ، لَشَفَقَهُ بِهِ سَلَمٌ لَهُ قَلْبُهُ ، فَسَرَى بِهِ ^(٧) رُبُّهُ وَحَلَّهُ ، فَسَلَبَهُ مِنْهُ الزَّمَانُ
أَبُو الْبِدَائِعِ ، وَمَا كُلُّ خَرْقٍ إِذَا وَهَى لَهُ رَاقِعٌ ، فَكَتَبَ إِلَى الشَّرِيفِ أَمِيرِ الشَّامِ ،
يَسْتَعِذُّ بِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ بِالْحِمَاةِ الْهَاشِمِيَّةِ الْمُوَرُّوثةِ مِنْ آبَائِهِ ، بِقَوْلِهِ :

بِاللَّهِ يَا نَشْرَ الْعَبِي ر سَرَى بِرَوْضَاتِ الْغَرِيِّ
طَافَ الْمَشَاهِدَ وَأَنْثَى نَشْوَانَ مِنْ كَأْسٍ رَوِيٍّ

- (١) في ب : « ومن له في وداي » . (٢) في م : « أصخ لقولي » .
(٣) حزوي : موضع بنجد في ديار تميم ، وذو سلم : واد ينحدر على الذنائب (ثلاث هضبات بنجد)
المراسد ٤٩٠ ، ٥٨٨ ، ٧٣٠ .
(٤) في ا ، ج : « وصدقلا » .
(٥) في م : « قد عمته » والمثبت في ا ، ب ، ج : وهمة خفة النشاط : أذابت جسمه وأذهبت لجه .
(٦) في ا ، ب : « أحاديث » .
(٧) في ا : « فسر به » وفي ب : « فشق به » وفي ج : « فشد به » .

وأقام بالزّوراء مِنْهَا في رياض الخابريّ
مُنَزَّلَ الْإِلَهِ الْكَرِيمِ وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ السَّيِّ
إِنْ جُمْتُ رُبْعَ الشَّامِ فَأَوْ صِدْ سَاحَةِ الشَّرَفِ الْعَلِيِّ
أَعْنَى الشَّرِيفِ ابْنَ الشَّرِيفِ فِ ابْنِ الشَّرِيفِ الْمُوسَوِيِّ
مُتَحَمِّلًا عَنِ السَّلَا مَ كَسِكَ دَارِينَ الذِّكْرِ^(١)
لِحَنَابِ مَوْلَانَا الْوَزِيرِ رَ وَلِيٍّ مَوْلَانَا عَلِيٍّ
ثُمَّ أَشْرَحَنْ مِنْ حَالِ مَوْلَانَا الْحَبِّ الطَّالَوِيِّ
مَاذَا أَتَى فِي ثَقَرِ صَيِّدِ دَا مِنْ دُرُوزِي غَوِيٍّ
دِينَ التَّنَاسُخِ دِينُهُ لَا بَلْ يَدِينُ بِكُلِّ غَيٍّ
وَبِرَى الطَّبَائِعِ أَنَهَا فَعَالَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ
وَأَقَى بِمَكْتُوبِ الشَّرِيفِ فِ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِ قَصِيٍّ
يُوصِيهِ فِيهِ كَأَنَّهَا أَوْصَاهُ فِي أَخَذِ الصَّبِيِّ
فَسَقَاهُ يَوْمَ فِرَاقِهِ لَا كَانَ بِالْكَأْسِ الرَّوِيِّ^(٢)
وَعَدَا الْحَشَا مِنْ بَعْدِهِ يَبْنِي بِدَمْعٍ عِنْدَمِيَّ
فِي غُرْبَةٍ لَا يَشْتَكِي فِيهَا إِلَى خِلٍّ وَفِيَّ
لَا جَارَ يَحْمِيهِ وَلَا يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ قَوِيٍّ
إِلَّا إِلَى رُكْنِ الشَّرِيفِ فِ الطَّاهِرِ الشَّيْمِ الزَّكِيِّ
حَامِي حَيِّ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فِ بِكُلِّ أَيْضٍ مَخْذَمِيَّ^(٣)

(١) في م : « متحملا عنى السلام » ودارين : فرضة بالبحرين يحلب إليها المسك من الهند ، فينسب إليها . مراصد الاطلاع ٥٠٩ .
(٢) في م : « بالكأس الردي » .
(٣) مخذمي : نسبة إلى مخذم ، هو سيف الحارث بن أبي شمر الغساني . وانظر القاموس (خ ذ م) .

مولای لی حقٌ علیک فجُذِّبه من غیرِ لی^(١)

بولاءِ حیدرة الوصی م. أخى النبى الهاشمی^(٢)

لا تَهْمِلُنْ مِنْ أَخَذِ ثَا رِی من کفورٍ بالنبی

وابعثْ إلیه مَقَانِبًا فیها الکمیُّ علی الکمی^(٣)

لو حاربتْ جُنْدَ القضا ءُ ثُنْتُ سُرَاهُ عن مُضَى^(٤)

جرّافة لم تُبقِ فی أَطْلَالِه غیرَ النّوی

وأشيعتْ یُنْعِی الدّیا رَمَعَ ابن دایة فی النّعی

قلتُ : هذا بُرْد سَابِرِی^(٥) أو سحرٌ سَامِرِی ، تجرى منه مياه الفصاحة ،
وتزهو^(٦) من مُحَيَّاه أنوارُ الملاحاة^(٧) ، وفيه نَفْحة عُلویة^(٨) ، وشِکایة^(٩) من ابن مَعْن^(٩) ،
وهو من الطائفة المُلحدة القائلین بالتناسخ ، على رأى الحاكم بأمر الله ، ويقال

(١) ورد هذا البيت في هكذا :

مَوَالِی لِمَوَالِی إِنْ لِي حَقًّا لَدَيْكَ بَغِيرَ لِي

وورد في ب ، ج هكذا :

مَوَالِی سَمْعًا إِنْ لِي حَقًّا لَدَيْكَ بَغِيرَ لِي

(٢) في ا ، ب : « بولای » وفي ج : « مولای » .

(٣) القنب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو زهاء ثلاثمائة . القاموس (ق ن ب) .

وفي ج : « وابعث إلى مقانبا » .

(٤) في ج : « ثننت سواء » .

(٥) السابري : ثوب رقيق جيد . القاموس (س ب ر) .

(٦) سقط من : ج .

(٧) في ب : « علوية وضاحة » . (٨) في ا ، ب : « وشكايته » .

(٩) في ، ب ، م : « ابن سيف » ، وفي ج : « ابن سيف » ، وهو فخر الدين بن قرقاس بن معن

الدرزي . انظر خلاصة ٢٦٦/٣ .

لهم : دُرُزِيَّةٌ^(١) نسبة لحسين^(٢) الدُرُزِيّ ، وهو صاحب دعوة الحاكم ، ومعنى الدُرُزِيّ : الخياط .

وقوله : « الوصى » هو على رضى الله عنه ، زعم الشيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة للإمام على رضى الله عنه حين تأخى^(٣) معه فى غدير خم^(٤) ، وهو أمر مخالف لأهل السنة ، إلا أن ممدوحه كان يقول بذلك ، لجرى فى شعره على مُعْتَقَدِهِ ، والله أعلم بالسرائر .

وقوله : « لو حاربت » غُلُوٌّ كان ينبغى تركه .

و « الغرّي » موضع بالكوفة ، دفن فيه على كرم الله وجهه .

« والنوئى » بضم النون والهمز ، جمع نوئى ، وهو ما يُحْفَرُ حول الخباء حتى

لا يدخله المطر .

والمراد « بأشيعت » تصغير أشعث ، الوتد^(٥) ؛ لأنه يشعث إذا دُقَّ .

« وابن داية » كُنْيَةُ الغراب^(٦) ، والمراد أنه لا يبقى لهم أثر^(٧) .

(١) فى ج : « دروزية » ، وفى تاج العروس (درز) ٣٥/٤ : « والدري ، بالفتح : الخياط ، وأبو محمد عبد الله الدرزي ، صاحب دعوة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وإليه نسبت الطائفة الدرزية الخارجة عن جادة المريعة ، السكّانة بـجبال الشام ، وهم الإسماعيلية . كذا فى شفاء الغليل للخفاجي ، والعامة تضم الدال ، ويقولون فى الجمع الدروز ، والصواب الدرزة ، محرّكة » .

وفى شفاء الغليل ٩٩ : « والدرزية طائفة تنسب إلى أبي محمد الدرزي ، صاحب دعوة الحاكم ، وهم يقولون بمذهب الإسماعيلية ، من الحلول والتناسخ وحل الفروج ، والناس يقولون دروزية ، فيحرفونه » وانظر خلاصة الأثر ٢٦٨/٣ .

(٢) فى ١ : « لحسن » ، وفى ب : « لحوز » .

(٣) فى م : « أوصى له بالخلافة حين تأخى ... » .

(٤) غدير خم : بين مكة والمدينة ، قيل على ثلاثة أميال من الجحفة . وقيل : على ميل . حراسد الاطلاع ٤٨٢ .

(٥) فى م : « وهو الوتد » . (٦) زيادة من : م .

(٧) فى ١ : « والمراد لا يبقى لهم أثر » وفى ب ، ج : « والمراد أنهم لا يبقى لهم أثر » .

وعما أنشدنيهِ قوله ، ^(١) وقد أرسلها من الروم إلى الشام :

أنْسِيْمَةَ الرُّوضِ المَطَّيرِ	بالعهدِ في زمنِ الشُّرُورِ ^(٢)
وَأَنْيَقَ أَيَّامِ الشَّبَا	بِوَعْيَشِهِ الغَضِّ النَّضِيرِ
وَوَثِيْقَ أَيَّامِ التَّصَا	بِیَالَمَعْهَدِهَا الخَطَّيرِ
ومعاهدِ كانِ الشَّبَا	بُوشَرْخُهُ فِيهَا سَمِيرِی
هوَمْتُ فِيهِ فصاحِ بِي	داعِی الصَّبَاحِ المُسْقِنِیْرِ
فطَفِقْتُ أَنْظَرُ مِنْهُ فِي	أَغْصَابِ بَرْقِ مُسْتَطِيرِ
قد كانِ حَسَّانُ المِرا	بِعِ فِيهِ حَسَّانُ البُدُورِ
أَيَّامَ غُصْنِ شَبِيبَتِي	رَبَّانٍ مِنْ ماءِ الفُرُورِ
وَذَوَابَتِي شَرَكِ المَها	وَحُبَالَةِ الظُّبَى الغَرِيرِ ^(٣)
حَيْثُ الشَّبِيبَةُ رَوْضَةٌ	غَنَاءُ صَافِيَةِ النَّدِيرِ
فَنَاءُ رَائِدُهَا المَها	ةُ الرُّودُ مِنْ رِيْمِ الخُدُورِ ^(٤)
مِنْ كُلِّ مَخْطَفَةِ الحِشَا	كَأَخِي الرِّشَا أختِ الغَرِيرِ ^(٥)
طَلَعَتْ بَلِيلَ ذَوَائِبِ	أَبْهَى مِنْ القَمَرِ المَنِیرِ
بِیَضَاءٍ وَشَحَتْ التِّرا	ثَبَّ وَالنَّجُورَ مِنَ الثَّغُورِ
فَكَسَى مَعَاظِفَهَا الشَّبَا	بَ الرُّوقِ حَسَّانُ الحَبِيرِ
تَمَشَّى أَنَاةَ الخَطُورِ فِيهَا رَوْعَةُ الظُّبَى النُّفُورِ	

(١) سقط من : ب ، ج .
 (٢) في ١ : « من زمن » وفي ج : « في روض » .
 (٣) سقط عجز هذا البيت من : ج ، وكذلك سقط البيت الذي يليه وصدر البيت الثالث .
 (٤) في ١ : « قفا » وفي ب : « غناء أيدها » والفناء : الكثيرة الأغصان .
 (٥) مخطفة الحشا : ضامرة البطن .

قَوِيَتْ عَلَى قَتْلِي وَفِي الْحَاطِظِهَا ضَعُفُ الْفُتُورِ^(١)
 وبما جرى يومَ النُّوى من دُرٍّ مَذْمُوعٍهَا النَّثِيرِ
 كَالْعَقْدِ أَسْلَمَهُ النَّظَا مُ مِنَ التَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ
 وَبَوَقْفَةِ التَّوَدُّعِ وَالْأَنْفَاسُ تَصْعَدُ بِالزَّفِيرِ
 وَيَدُ الْفِرَاقِ تَشْبُ فِي الْإِحْشَاءِ نِيرَانِ السَّعِيرِ
 إِلَّا سَرَبَتْ مَعَ الصَّبَا بِأَنْسَمَةِ الرُّوضِ الْمَطِيرِ^(٢)
 فَاجْتَزَتْ مِنْ أَرْضِ الْعَرَا قِي عَلَى الْخَوَزَنْقِ وَالسَّيْرِ^(٣)
 وَوَقَفَتْ بِالزُّورَاءِ وَقَفَةً زَائِرٍ أَوْفَى مَزُورِ
 وَحَلَّتِ لِلْكَرْخِ التَّجْيِيسَةَ مِنْ أَخِي شَجَنِ أُسِيرِ^(٤)
 وَنَزَلَتْ مِنْ نَهْرِ الْأُبُلَّةِ وَالصَّرَاةِ عَلَى شَفِيرِ^(٥)
 وَأَقَمْتُ فِي شَطِّ الْفَرَا تِ بِمُلْتَقَى الْعَذْبِ الْنَمِيرِ
 وَسَمِعْتُ هَيْئَمَةَ الرِّيَا ضِ وَصُوتَ جَائِشَةِ الْخَرِيرِ

(١) سقط بحز هذا البيت من : ب ، ج ، كما سقطت الأبيات الثلاثة التالية ، وصدر البيت الرابع ، وبدأ ما هو موجود في الرابع بكلمة « الأحشاء » .

(٢) في ب ، ج : « في نسمة » .

(٣) الخوزنق : قصر للنعمان الأكبر ، والسدير : نهر بالحيرة ، ويقال : قصر فيه قباب مداخله .

(٤) في ج : « من أخى محن » . والكرخ : من نهر الرفيل . يقول ياقوت : وقد أكرش الشعراء من ذكره ، ولا أثر له يعرف ألبته . ويقول صفي الدين البغدادي : وليس كذلك ، بل أثر النهر القديم باق ، ولما استخرج له قم أعلى منه ، وقد كان قديما يدخل في المحال في أنهار تتفرع منه فيدخل إلى الكرخ ، والمحال التي في شرق الصراة ، ويدخل إلى مدينة المنصورة في غربي الصراة بعبارة أسفل من القنطرة ، ولما خربت المحال لم يبق لها ولا لما كان يدخلها من الأنهار أثر ، وبقي النهر مختصا بالمزارع .
 مراصد الاطلاع ١١٥٥ .

(٥) الأبله : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى ، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .
 والصراة : نهران ببغداد ، الصراة الكبرى والصراة الصغرى ، ولياقوت في تحديدها قول خطأه فيه صفي الدين البغدادي وفي الأصول كلها : « الصراط » وهو خطأ . انظر مراصد الاطلاع ١٨ ، ٨٣٦ ، وانظر التعليق السابق .

وَجَذَبْتَ فِي تِلْكَ الْحَدَا ثِقِي طَوْقَ سَاجِعةِ الْهَدِيرِ
 حُفَّتْ بِسَرَوْ كَالْقِيَا نِ تَلَفَعْتُ خُضْرَ الْحَرِيرِ
 وَلَثَمْتُ خَدَّ الرُّوضِ فِيهِ نَبَاتُ رَيْحَانٍ طَرِيرِ^(١)
 وَثَنَيْتِ عِطْفَكَ وَالصَّبَا حُ يَكَادُ يُؤْذِنُ بِالسُّفُورِ
 وَأَتَيْتِ بَابِلَ فَاصْطَبَحْتَ بِمَثَلِ مُصْبَحِ مَنْبَرِ
 يُغْنِيكَ مُنْهَمَةً وَمُنْ جِدَّةً سَنَاهَا عَنْ خَفِيرِ^(٢)
 ثُمَّ انْبَرَيْتِ مَعَ الْجَنُوبِ بَ وَحُدَّتِ عَنْ مَسْرَى اللَّيْلِ بُورِ^(٣)
 حَتَّى نَزَلَتْ عَلَى الْأَرَا كَةِ أَوْ رَسَيْتِ عَلَى ثَبِيرِ^(٤)
 فَسَقَطَتْ مِنْ أَرْضِ الْخَزَا مَيِّ وَالْبَشَامِ عَلَى الْخَمِيرِ
 وَطَلَعَتْ نَجْمُداً وَالِدَجَى يُسْتَلُّ مِنْ أَثْوَابِ قَبْرِ^(٥)
 وَمَشَيْتِ فَوْقَ عَرَارِهِ مَا بَيْنَ حَوْذَانٍ وَخَيْرِ^(٦)
 وَهَبَطْتَ غَوْرَ تِهَامَةٍ وَالشَّهْبُ مَالَتْ لِلْغَوِيرِ^(٧)
 وَنَزَلَتْ فِي سَفْحِ الْأَرَا كِ وَشَفَّتِ زَاهِيَةَ الْبَرِيرِ^(٨)

- (١) سقط هذا البيت من : ب ، ج . (٢) في ب : « عن حقي » وفي ج « عن خضير » .
 (٣) في ب : « ثم استربت عن الجنوب » وفي ج : « ثم انبريت عن الجنوب » والدبور : ريح
 تقابل الصبا .
 (٤) في ا ، ب ، ج : « حتى نزلت بنى الأراك » والأراك : الواحدة من وادي الأراك ، قرب
 مكة . وذو الأراك : موضع باليمامة . المراد ٤٩ .
 (٥) القبر والقار : الزفت ، وشيء أسود يطلى به السفن والإبل .
 (٦) الحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء في أصلها صفرة ، وورقته مدورة ، والحافر
 يسمن عليه ، وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم . اللسان (ح و ذ) ٤٨٨/٣ . و « خير » هو
 الخيري ، وهو زهر من الرياحين طيب الرائحة . نظام الغريب ٢١٦ ، وانظر شفاء الغليل ٨٨ ، وتاج
 العروس (خ ي ر) ١٩٧/٣ .
 (٧) الغوير : ماء بين العقبة والقاع ، في طريق مكة . المراد ١٠٠٦ .
 (٨) في ا : « وسقت زاهية البرير » وفي م : « رشفت » وفي ج : « وسف » والمثبت من : ب
 وشفته شوقاً : جلوته . والبرير : الأول من ثمر الأراك .

وسلكت من وادى العميق منابت العجم الشكير^(١)
وأملت فيه ذوائب الـ أغصان من طلع نصير^(٢)
وهصرت بانات النقا هضر الروادف للخصور
فحملت منها من غوا لى المسك فاغية الزهور^(٣)
وعبرت دارين العطا ر وشمت غالية العبير^(٤)
وازددت من أرج الكبا ورندة عند المسير^(٥)
وجزعت وادى الشجر لىلا واشتيت مع البكور^(٦)
والصبح يحطر فى الدجى كالوخي يحطر فى الضمير
والنسر فيه واقع خوف الصباح لدى الوكور^(٧)
وكواكب الجوزاء تمسكة الأعنة عن مسير
خافت سهيلا فانتضت سيفاً من الشعري العبور^(٨)

(١) العجمة (بالتحريك) : النخلة تنبت من النواة . اللسان (ع ج م) ٣٩١/١٢ . والشكير : فراخ النخل . القاموس (ش ك ر) . وفى ب ، ج : « المم الشكير » .

(٢) فى ا : « من طلع » .

(٣) فى ب ، ج : « حملت منه » . وفى ا ، م : « فاغمة الزهور » والفاغية : نور الحناء ، أو يفرس غصن الحناء . قلوبا فيثمر زهرا أطيّب من الحناء . القاموس (ف غ ي) .

(٤) فى ب : « دارين العطان » وفى ج : « دارين القطا » وفى م : « دارين العطا » والمثبت من : ا . وفى ا : « وشمت غالية العبير » وفى ج ، م : « وشمت » والمثبت من : ب .

(٥) كذا وردت « الكباء » فى ا ، ج ، م وهى فى ب : « البكاء » ولست أدري المعنى المقصود ، وفى ج : « فاذدت من » .

(٦) جزع الوادى : قطعه . القاموس (ج ز ع) والشجر : ساحل البحر بين عمان وعدن . وفى م : « السحر » وفى ج : « الشيخ » .

(٧) فى ج : « حول الصباح » ، وفى م : « لدى الدكور » وفى ج : « لدى البكور » والمثبت من ا . وورد البيت فى ب هكذا :

والنسر أوقع فيه من حول الصباح لذى الوكور

(٨) فى ب : « فافت سهيلا » .

والنجمُ يهوى للغرو بـ كأنه كفُّ المشير
 فهبطت رنح الشام دا رَ اللّهُو بل مغنى السرور
 ونزلت بالوادي المقدّم س شاطئاً غير الشطير^(١)
 وخطرت من بطحاء وا دى النيربين على الصخور^(٢)
 ووقفت في تلك الرّبي مابين روض أو غدير
 وقرأت سُكَّانَ القصو رها السلام بلا قصور
 لاسيّما شيخ الملو م مفيد أزباب الصدور
 شمس الهداية والدرا ية شيخ جامعها الكبير^(٣)
 كشاف أسرار البلا غة عُمدة الفتح القدير
 مُعلّي منار الشّرع مُغنى المُعتفى كنز الفقير
 ورئيسها قاضي جما عها المُحكّم في الأمور
 الفاضل اللّسن المُفو و والمنزه عن نظير
 أغنىني به القاضي مُحبّ م الدّين ذا الرأى المنير
 مولى أراع يرأعه قلب الطّروس مع الشّطور
 بديع وشي نُحجّل وشي البديع أو الحريري
 وأبى الضّيّا حسن حليف الفضل والأدب الغزير^(٤)
 عجبا له فاق الأو ثل وهو في الزّمن الأخير
 أدب بروقك مثل زهر الروض غبّ حيا مطير^(٥)

(١) في ب : « ونزلت وادى القدس » .

(٢) النيران : ثغنية نيرب ، قرية مشهورة بدهشق ، على نصف فرسخ ، في وسط البساتين ، يقول

ياقوت : « أنزه موضع رأيت » ، ويرد في الشعر مثني . معجم البلدان ٨٥٥/٤ .

(٣) هذا البيت ساقط من : ب ، ج ، وسقط بعده ثمانية أبيات .

(٤) في م : « وأبو الضيا » على الرفع .

(٥) سقط هذا البيت من : ب ، ج ، وسقط بعده خمسة أبيات .

ومنها :

وَمُشِيدِي أَرْكَانِهَا أَمْراءُ مُعْلِمِهَا الْخَطِيرِ^(١)
 مِنْهُمْ جَنَابُ الطَّا لُؤِيَّ سَلِيلُ أَرْتَقَ ذِي السَّرِيرِ
 مُخَيِّ مَكَارِمَ حَاتِمٍ بَيْنَ الْأَنَامِ بِلَا نَكِيرِ^(٢)
 وَالنَّجَبِ كَيْئُ مُحَمَّدُ السَّمِ امِي عَلَى الْفَلَكَ الْأَثِيرِ^(٣)
 فَمَوْ الْأَمِيرُ ابْنُ الْأَمِيرِ ابْنُ الْأَمِيرِ ابْنُ الْأَمِيرِ
 ذَكَرَتْهُمْ الْأَنْوَاءُ ذِكْرِي بِالْعَشِيِّ وَالْبُسْكَورِ^(٤)
 وَكَسَاهُمْ خُلَعُ الشَّبَابِ بِالرَّوْقِ مُقْتَبِلُ الدُّهُورِ
 وقد عارض بهذه القصيدة مافي « الحماسة »^(٥) وللناس على منوالها قصائد كثيرة ،
 أحسنها مالمشرف الرضوي^(٦) :

نَطَقَ اللِّسَانُ عَنِ الضَّمِيرِ وَالسَّرُّ عُنْوَانُ الصَّدُورِ^(٧)
 وَعَلَى مَنَوَالِهَا لَأَنَّى بَكَرَ الْخَوَارِزْمِيُّ قَصِيدَةً ، مَطْلَعُهَا :
 إِنْ الْأَلَى خَلَفَ الْخُدُورِ هُمْ فِي الضَّمَائِرِ وَالصَّدُورِ
 وَقَعَ الْغُبَارُ عَلَيْهِمْ فَقَدْ يَتِيهِ عَلَى الْعَبِيرِ

(١) في ١ : « ومشيدي أركانها » . (٢) في ١ : « فلا نكير » .

(٣) في ١ : « الفلك المنير » .

(٤) قبل هذا البيت في ١ : « منها » وفي ١ : « في العشية » وفي ب : « ذكرتهم أنواء... بالعشية » :

(٥) انظر قصيدة المنخل الأيشكري في الحماسة (شرح المزدوقي) ٢/٢٣٠ ، ومطلعها :

إِنْ كُنْتُ عَاذِلَتِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي

(٦) ديوانه ١/٣٢٧ .

(٧) في ب : « على الضمير... عنوان الضمير » وفي ج : « عنوان السرور » ورواية الديوان :

نطق اللسان عن الضمير والبشر عنوان البشير

وفي حاشية ب إشارة إلى أن المصراع الثاني : « والبشر عنوان السرور » ثم قال : « لكن يرجع لأصله فينظر » .

أَمَّا مَشِينٌ عَلَى الثَّرَى تَاهَ التَّرَابُ عَلَى الْأَثِيرِ
يَاسَائِلِي مَنْ فِي الْهَوَا دِجَ وَالْبَرَّاقِعِ وَالسُّتُورِ^(١)
فِيهَا الرِّضَاعُ مِنَ الْمَنِيِّ وَالْفِطَامُ عَنِ الشَّرُورِ
وَأُنْشَدَنِي مِنْ قَصِيدَةِ أُخْرَى لَهُ :

ذَكَرَ الْعَقِيقَ فَسَالَ مِنْ أَجْفَانِهِ	فَاشْتَقَّهُ وَجَدًا إِلَى سُكَّانِهِ ^(٢)
وَاشْتَمَّ فِي رِيحِ الصَّبَا أَرْجَ الصَّبَا	فَصَبًا حَلِيفَ جَوَى إِلَى أَوْطَانِهِ
وَشَجَاهُ مَسْجُورَ الْفَوَادِ إِلَى الْحَمَى	وَزُقَّ سَوَاجِعُ هِجْنٍ مِنْ أَحْزَانِهِ ^(٣)
تَمَلَّى مِنَ الْوَرَقِ الْفَرَامَ وَطَالَمَا	دُرِسَتْ فَنُونُ الْعِشْقِ مِنْ أَفْنَانِهِ
فِيهِنَّ سَالِمَةُ الْحَشَا مِنْ لَوْعَةٍ	لَمْ تَذَرِ طَعْمَ الْوَصْلِ مِنْ هِجْرَانِهِ
تَمَسَّى وَتَصَبَّحُ فِي أَرَائِكِ أَيْسَكِمَا	مَعَ الْفَهْمِ وَالْعَمْرِ فِي رِبْعَانِهِ
تَرْتَادُ أَرْضَ الشَّامِ أَخْضَبَ مَنْزِلٍ	حَيْثُ الْعَرَارُ صَفَا إِلَى حَوْدَانِهِ ^(٤)
حَيْثُ الْغَوَانِي مُشْرِقَاتٌ بِالْذُمَى	وَالْغَانِيَاتُ يُطْفَنُ حَوْلَ مَعَانِهِ ^(٥)
فِي ظِلِّ مُنْبَجِسِ اللَّجَيْنِ جَرَى بِهِ	ذَهَبُ الْأَصِيلِ يَسِيلُ مِنْ عَقِيَانِهِ
أَحْوَى الظَّلَالِ كَانَ سُمرَّتُهُ لُمَى	عَذْبُ الرَّاشِفِ نَدَّ عَنْ غِزْلَانِهِ
بَيْنَمَا تَرَدَّدُ فِيهِ مِنْ عَذْبٍ إِلَى	عَذْبٍ يَتَوَقُّ إِلَى الْعُذْيَبِ وَبَانِهِ ^(٦)
مَعَ صَفْوٍ عِيشٍ إِذْ رَمَتْهَا نِيَّةٌ	لِلرُّومِ فَاجْتَهَتْ بِسُودِ رِعَانِهِ

(١) قِيلَ هَذَا الْبَيْتُ فِي ١ : « مِنْهَا » وَفِي ج : « وَمِنْ قَصِيدَةِ أُخْرَى لَهُ » وَفِي ب ، ج : « يَاسَائِلِي مَا فِي الْهَوَادِجِ » .

(٢) فِي ب : « وَاشْتَقَّهُ وَجَدًا » .

(٣) فِي ١ : « سَوَاجِعُ هُنَّ مِنْ أَشْجَانِهِ » وَفِي ب : « سَوَاجِعُ هُنَّ مِنْ هِجْرَانِهِ » وَفِي ج : « وَرَقُ مَوَاجِعِهِنَّ مِنْ سِجَانِهِ » .

(٤) فِي م : « صَفَا إِلَى حَوْدَانِهِ » .

(٥) فِي ب ، ج : « حَيْثُ الْغَوَانِي » وَفِي م : « حَوْلَ مَعَانِهِ » .

(٦) فِي ب : « عَذْبُ يَفُوقُ » وَفِي ج : « عَذْبُ يَفُوقُ عَلَى » .

هبطت بها الأقدار أرضاً لم يكن
 فيها نزول الوحي مع فرقانه
 سوداء مظلمة الرحاب كأنها
 قلب الحسود علتها ظلمة رانه (١)
 فعدت تنوح على البلاد بمدمع
 سح يباري الغيث في تهتكه (٢)
 مأسورة القلب المغنى من جوى
 مسجورة الأحشاء من نيرانه
 تبكى إذا ذكر الحى حيث الحى
 روض تُرد في ذرى أغصانه
 تنفك تنسـر لؤلؤاً من أدمع
 كالدر ينظم في سموط جمانه (٣)
 حتى ترى روض الحى أو تجلى
 روض ابن بستان وحيد زمانه (٤)
 ذورتبه في الجدر رام بلوغها الفلك المحيط فلج في دورانه (٥)
 سبقت فاستغدى علينا طويلاً
 لصحائف الأعمار في مرعانه

وله من أخرى :

لى فيكم كدرارى الأفق سائرة
 هي اللآلى إلا أنها كليم
 من كل شائخة العرنيين تحسبها
 في الشعر لئناً لها من نفسها أجم
 تبقى على صفحات الدهر خالدة
 كالأنجم الزهر عقداً ليس ينقص
 أو غادة حسنها قيد النواظر في
 الحاظها سقم في أنفها شم

وله من أخرى :

حى الشام جاد الغيث ماحل تربه
 مغاني الهوى فيها مغاني أحبي (٦)
 وبات بأعلى النير بين مع الصبا
 تطارحها ذكرى عمود بربرة

(١) في ١ : « غلته ظلمة رانه » وفي ج : « عليه ظلمة رانه » .

(٢) في ١ ، ج : « في هتانه » . (٣) في م : « من أدمع . . . في عقود جمانه » .

(٤) في ج : « لاذ تجلى » وفي م : « وجه ابن بستان » .

(٥) في ١ : « ذوهمة » .

(٦) في ب : « مغاني الهوى فيها مغاني أحبي » وفي م : « مغاني الهوى فيها مغاني أحبي » .

على نَهَرٍ حَصْبَاؤُهُ الشَّهْبُ قد جرى خلالَ سَمَاءِ رَوْضَاتِهَا كَالْجَرَّةِ (١)
 يجابُ تَسْجَاعَ الْحَمَامِ خَرِيرُهُ فَتُصْنِي لَهُ الْوَرَقَاءُ مِنْ فَوْقِ أَيْكَةِ (٢)
 وَلِلَّهِ دَرُّ أَبِي الْحَكَمِ ، فِي قَوْلِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وتحدَّثَ الْمَاءُ الزَّلَالُ مَعَ الْحَصَى فَجَرَى النَّسِيمُ عَلَيْهِ يَسْمَعُ مَا جَرَى
 فَكَأَنَّ فَوْقَ الْمَاءِ شَيْئًا ظَاهِرًا وَكَأَنَّ تَحْتَ الْمَاءِ سِرًّا مُضْمَرًا (٣)
 وَقَوْلُهُ مِنْ أُخْرَى (٤) :

بَيَاضُ طِرْسٍ جَرَى ذَوْبُ النُّصَارِ عَلَى جُلَيْنِهِ بِلَالٍ حَيَّرَتْ فِكْرِي (٥)
 كَاللُّوْلُو الرُّطْبِ إِلَّا أَنَّهُمَا فَقَرَّ غَيْرُ الْأَدِيبِ إِلَيْهَا غَيْرُ مُفْتَقِرٍ
 وَمِنْهَا فِي الشُّقْنِ :

رَكَائِبٌ لَيْسَ تَرْضَى بِالْجَدِيلِ أَبَا لَكِنَّمَا مِنْ بَنَاتِ الْمَاءِ وَالشَّجَرِ (٦)
 شَمُّ الْعَرَانِينَ دُھَمٌ مَا بَهَا وَضَحٌ إِلَّا نُجُومُ اللَّيْلِ إِلَى مَوْضِعِ الْفُرَرِ
 مَا زِلْتُ أَجْدِفُ طُوفَانَ الْخَطُوبِ بِهَا وَأَتَتَّقِي حَادِثَ الْأَيَّامِ وَالضَّرَرِ (٧)
 وَمِنْهَا :

خُذْهَا فَذَلِكَ نَفُوسُ الشَّعْرِ قَاطِبَةً فَقَدْ عَلِمْتُ بِمَدْحِ فَيْكِ مُبْتَكِرِ (٨)
 طَائِيَّةُ الْأَصْلِ إِلَّا أَنَّهَا نَشَأَتْ بِرَبْوَةِ الشَّامِ فِي رَوْضٍ عَلَى نَهَرٍ

(١) في م : « روضاته » وفي ب : « قد حوى » .

(٢) في م : « يجاب سجاع الحمام » .

(٣) سقط هذا البيت من : ب ، ج . (٤) في ا ، ب ، ج : « وله » .

(٥) في م : « اللآل » .

(٦) الجدِيل : الزمام المجدول من أدم ، وجبل من أدم أو شعر في عنق البعير . القاموس (ج د ل)

وفي ا ، ب : « من نبات الماء والشجر » .

(٧) في ب ، ج : « ما زلت أفذف » . (٨) في ب ، ج : « غير مبتكر » .

ورأى نِيلَوْفَرَةَ^(١) صدقاً لِدُرِّ السحاب ، وحقّة^(٢) لجوهر الندى المذاب ، كأنها
بوتقة أذاب بها الجوؤ نضاره ، أو كأس في يد مُصْطَبِحٍ يُداوي بها خُماره ، أو مقلّة
صَبَّ كَتِيبٍ قد فجأه على الغفلة الرقيق ، بعد ما مَيَّلاتُ بدمعِ الهوى^(٣) ، وتردّد
فيها الدَّمْعُ من حَيَرَةِ النَّوَى ، وقد طفا عليها الماء الزُّلال ، فبلغ حافتيها وماسال ، بل
لِخْشِيَةِ فراقِها ، تشبّت بأهداب أوراقيها ، فقال مُضْمِنًا وأجاد :

ونوفرة كمين الصَّبِّ شَكْرَى تجمُّ الماء خشيّة أن يُراقا
ذكرت لها النَّوى يوماً ففاضت وصارت كلها للدَّمْعِ ماقا
« وشكرى » بشين معجمة بمعنى ممثلة ، وهو من قصيدة للمتنبّي^(٤) ، أولها :
نظرتُ إليهمُ والعين شَكْرَى فصارت الخ^(٥)
وأنشدني له أيضا :

شامَ بَرَقَ الشَّامِ بالرُّومِ خدوعا فانبرتْ أجفانه تذري الدُّموعا
هَبَّ من عليا دِمَشْقٍ مُوهِنًا هَبَّةَ المِصْبَاحِ في الليلِ ذَرِبًا
جَزَعَ الآفاقِ في هَبَّتِهِ وأتى الرُّومَ سُرَى الأَينِمِ جزوعا^(٦)
خَفَقَتْ راياته في أَفْقِهِ خَفَقَانَ القلبِ قد أَمسى مَرُوعا
وقعتْ شُعَلَتُهُ وَسَطَ الحِشَا وَسَنَاهُ طارَ في الجوّ رَفِيعًا

(١) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة . القاموس (ن ف ر) وقد نقل المحبّي في
خلاصة الأثر ١٥٣/٢ هذا النص عن الحفاجي . وفيه : « صارت صدقا » . وفي ١ : « ورأى نيلوفره
صدف لدر السحاب » وفي ب : « صارت لدر السحاب »

(٢) الحقّة : وعاء من خشب . وفي ١ : « وحقبة » . وفي خلاصة الأثر : « وحقّة لدر الندى » .

(٣) في خلاصة الأثر : « الجوى » . (٤) ديوانه ٢٧٩ .

(٥) في ج . « ففاضت » وعجز البيت في الديوان :

* فصارت كلها للدَّمْعِ ماقا *

(٦) في ١ : « سرى الأيم مروعا » .

ليس يذرى وقعها غير شج
أو معني بهوى تيمه
يُججلُ الشمسَ سناءً وسناً
أسهر الجفنَ خلياً عن كرى
كيف يكرى ناظره فارقه
وشباب شرخه مُقتبِلُ
لم يكن إلا كحلٍ وانقضى
أزمنت حسرتُه لا تنقضى
لست أرى منه بالسقياله
والذى هاج الهوى قمريةً
كلما ناحت على أفنانها
وإذا غنت له غنت له
يا سقى الله حياها وإيلاً
حيث رُبّع اللهو منه أهلُ
كل رُودٍ لبست شرخ الصبا
كم لنا فيهن من بهنّانةٍ

فارق الأوطان مثلي والرُّبوعاً
من غزالٍ راح للوصلِ منوعاً
ومهاة الرمل جيداً أو تليعاً
مقلّة لا تطعمُ النومَ هُجوعاً^(١)
ناضرُ العيش من الليل هزيعاً
كان للصبّ لدى الغيد شفيعاً
أو خيالٍ في الكرى مرّاً سريماً
آه ما أسرع ما ولّى زميماً^(٢)
وسحابُ الجفن يسقيه النجيماً^(٣)
بالضحى تهتفُ بالأليك سَجُوعاً
هاجّت الصبّ غراماً وولوعاً
ذكر الشّام فزادته صدُوعاً^(٤)
مُسبَل الطرف من الغيث همُوعاً
والقوانى في مغانيها جميعاً^(٥)
وهوى إن تدّعه لبي مُطيعاً
وليع القلبُ بها خُوداً شُموعاً^(٦)

(١) في أ : « لم تطعم النوم » .

(٢) في أ ، ب ، ج : « آه ما أعجل » . والزميع : السريع .

(٣) في ب ، ج : « يسقيه الربيعا » .

(٤) في أ : « وإذا غنت له غنت له » وفي ب ، ج : « وإذا غنت له غنت له » ، وفيها : « فزادته ولوعاً » .

(٥) في ب : « حيث ربيع الأهل » وفي أ : « من مغانيها » وفي م : « في مغانيه » .

(٦) البهنّانة : الطيبة النفس والريح ، أو اللينة في عملها ومنطقها ، والضحاكة الخفيفة الروح .
القاموس (ب ي هـ) والشموع : المراحة اللعوب . القاموس (ش م ع) .

لستُ أنسى ساعة التوديع إذ وقفتُ في موقفِ البين خضوعاً
وهي تذرني لؤلؤاً من ررجسٍ فوق وُردٍ كاد طيباً أن يَضُوعاً
علقتُ ذنبلي وخانتها الهوى فانثنتُ من وقفةِ البين صريعاً
وأفاقتُ وبها حرُّ الجوى ثم قالتُ وشكتُ دهرأ خدوعاً^(١)
لا رعى اللهُ العالى مطلباً كم نرى صبيهاً بها مفرى ولُوعاً^(٢)
كنتُ لى بدرأ منيراً فاخترتُ فى سِرارٍ بعد ما سرى طُلُوعاً
وشباباً لاح برقاً عندما أشعلَ الرأسَ سنّاً راح سريعا^(٣)
أيها الظاعنُ والقلبُ على إثرِهِ مذ سار ما زال هُلُوعاً
لا تكن للعهد بعدى ناسياً يا حياى واعظفَنُ نحوى رُجوعاً

وهي طويلة ، ذكر فيها نغزاً به بالروم ، واشتياقه للشام^(٤) .



(١) فى ب : « رس الهوى » وفى ج : « رش الجوى » والرس : ابتداء الشيء ، وفى ب ، ج : « دهرأ خلوعاً » .

(٢) فى ج : « لا رعى الله الفانى » وفى ب ، ج : « لم نرى مفرى بها صبا » .

(٣) فى ا ، ب ، ج : « وشباب » وفى ا : « أشعل الرأس شيباً راح مريعا » وفى ب : « سنا راح مريعا » وفى ج : « سنا مر سريعا » .

(٤) فى ج : « إلى الشام » .

محمد بن قاسم الحلبي*

يتيمة الدهر ، وبَيْضَةُ البلد ، ممن نزلت فضائله بين العلياء والسند ، أخ لمن تجنبه الدهر شقيق ، حرّ العرض على أنه عبدُ الصديق ، فكم له من يدٍ خضراء تنبئها يدُ بيضاء ، كما اخضرت الهضابُ ، من أبيض نسج خيوط السحاب .

تمدُّ له الآفاقُ ببيضَ خيوطه فتنسجُ منها للثرى حُلَّةً خضراء^(١)

وله شعر راقٍ بجيد الدهر عقده ، وعذب على لسان الدهر المحلّ بالفصاحة ورّده ، وزها في يانع رياضه^(٢) البهية شقيقه وورّده ، مع فضلٍ حلا في أفواء الليالي ثناؤه ، وأضاء في دجى المشكلات سنّاه وسناؤه .

له صحائف أخلافي مهذّبة منها الحجى والعلا والفضل ينتسخ^(٣)

وكانت أخباره تغدو^(٤) على مسامعي ، فتتشوّق إلى لقياء أجفان عيون مطامعي ، حتى لقيته بالروم ، فاهتزت به أعطاف المسرة ، ونلت به^(٥) ما هو للروح قوتٌ والطرف^(٦) قرّة ، وعود الدهر المورق يختال في غلائله ، وفيّنان روضه كأنما سرق الحسنُ

(*) محمد بن أحمد بن قاسم ، الشهير بالقاسمي الحلبي .

نادرة الزمان ، وفريدة العصر .

كانت ولادته بمجلب ، ثم قدم الروم ، وصار بها من كبار المدرسين ، ثم كف بصره فتقاعد برزق عين له من قبل السلطان .

مات بالروم ، ودفن بدار الخلافة ، سنة ١٠٥٤ هـ .

إعلام النبلاء ٢٧٥/٦ ، خبايا الزوايا لوحة ٢٥ ب .

(١) ق م : « تمد على الآفاق » وفي أ : « فتنسج منها للورى » .

(٢) ق م : « الرياض » .

(٣) ق ب : « منها العلا ومنها الفضل ينتسخ » وفي م : « منها الحجى والعلا » وفي ج : « ينتسخ » .

(٤) ق أ : « تغد » وفي ب : « تعد » وفي ج : « تعدد » .

(٥) ق أ ، ب ، ج : « ونالت منه » . (٦) ق أ ، ج : « واطرف الطرف » .

من بعض شمائله ، بطبع أرق من بُرد النسيم هلمه^(١) الشمال ، وأضنى من ريق مُدَامَةٍ صَفَقَهَا الْعَذْبُ^(٢) الزلال ، فدارت بيننا شُمُول آدابٍ ظَلَّ لها نَعْرُ الأُنسُ باسمًا ، وانتظمت عقودُ عُهُودٍ^(٣) كان لها كِفُّ المودَّةِ ناظمًا ، ولمَّا لم يَرْضَ مقامه بحلب ، وفطمَ أمله مما أدرَّ الدهرُ له بها وحلب ، لأن زامِرَ الحى لا يُطرب ، وما كل حاملةٍ إذا أُنتَجَتِ^(٤) تُنَجِّب ، سار عنها وسلك الطريق ، حتى نزل بين وادى العذيب والعقيق ، فلما أخذ الله كريمتيه ، وعوضه جنةً عَذَنَ لديه ، تربَّتْ أقدامُ أقدامه ، وقد سُقِطَ في يديه ، فقعده ينتظر دعوته حتى تلقاه ، وإن كان مع الرِّكَبِ اليمانيين هَواه .

على المرء أن يَسْمَعَ لما فيه نفعه وليس عليه أن يساءده الدهرُ

فما دار بيننا من كؤوس الأدب ، ما كتبته إليه وقد قدِمَ من حلب :

حَتَّى مَ يَغْزُونِي صُدُودُهُ وَالصَّبْرُ قَدْ كَسِرَتْ جَنْوَدُهُ^(٥)
سَكَرَانُ مِنَ الْخَاطِطِ قَامَتْ عَلَى قَلْبِي حُدُودُهُ
وَسَقَمَ طَرْفِي لَمْ تَزَلْ أَبْدَأُ لَوَاحِظُنَا تَعُودُهُ
بَرَقَتْ بَوَارِقُ وَضْلِهِ وَالْهَجْرُ قَدْ خَرَسَتْ رَعُودُهُ
غَصْنٌ تَمِيلُ بِهِ الصَّبَا فِي كُنْبِ أُرْدَافٍ تَتُودُهُ^(٦)
لَمْ أَدْرِ فَاتِرُ جَفْنِهِ وَالْخِصْرُ أَسْقَمُ أُمِّ عُهُودُهُ
نَشْوَانٌ يَعْثُ بِى كَا عَبَثْتُ بِأَمَالِي وَعُودُهُ
لَوْلَا مِيَاهُ الْحُسْنِ جَا لَتَ فِيهِ لَاحْتَرَقَتْ خَدُودُهُ

(١) فى ١ : « وشملة الشمال » وفى ب : « ميله الشمال » وفى ج : « مهيلة الشمال » .

(٢) فى ١ ، ج : « صفقتها بالعذب » . (٣) فى م : « عهد » .

(٤) فى ١ : « انتجت » وفى م : « انتجب » .

(٥) فى م : « قد كثرت » .

(٦) فى م : « تميد به الصبا » وتثقله .

كالصَّبِّ لولا دمعُهُ يهْمِي لأحرَقَهُ وَقودُهُ
 يُخْفِي الهوى وعيونه بفرامِهِ الْمُضْنَى شهودُهُ
 بشهادةٍ ليست تَرَدُّم فليس يَنْفَعُهُ جُجودُهُ
 فسقى رياضَ الحُسْنِ من دمعِي حَيًّا يَهْمِي مَدِيدُهُ^(١)
 زَمَنٌ بِجِدِّ اللّهِ قد نُظِمَتْ على نَسَقٍ عودُهُ
 إِذْ دَوَّحُ أَنْسَى يانِعٌ بكموسِنَا انْفَتَحَتْ وُروُدُهُ
 والكَاسُ نَجْمٌ لاحَ في فَلَاكِ السَّرَّةِ لى سَمودُهُ
 يصفُو فيخْكِى ذِكْرَ مَنْ قد زَيْنَ الدُّنْيَا وُجودُهُ
 ذاكَ ابنُ قاسِمٍ الذى مازالَ فى تَعَبٍ حَسودُهُ^(٢)
 رُفِيتَ بهِ حُلَالُ المَلا وزَهَتْ بطلَعَتِهِ بُرودُهُ
 مازالَ يُسْقَى من مِيا هِ الفضلِ حَتَّى اخْضَرَّ عودُهُ
 فيكادُ يورِقُ بالسَّما دةٍ مُثْمِرًا مِنْهَا وفودُهُ
 قد كانَ دَهْرِي عاطلاً حَتَّى تَحَلَّى مِنْهُ جِيدُهُ
 بَجَدِّ طَرِيفٍ يُفْرِقُ الـ أَفْكارًا إِذْ يَبْدُو تَكْلِيدُهُ
 يامالِكا رِقَّ القُلُو بِ فَكَلِّهَا حُبًّا عَبِيدُهُ
 بل جَنَّةٌ فيها بطِيبٍ ثنائِنَا أَبداً خلودُهُ^(٣)
 فى الشَّعرِ ليس ببالِغٍ أَذْنَى بَدِيهِتِهِ وَلِيدُهُ^(٤)
 قد كانَ فِكْرِي صائِماً حَتَّى طَلَعَتْ وَأَنْتَ عِيدُهُ

(١) فى ب ، ج : « يسقى رياض الحسن » وفى ب : « يهيمى مزبده » .

(٢) فى ا : « لازال » .

(٣) فى ا ، ب : « يطيب » وفى ا : « لثنائنا » وفى ب « لثانيا » وفى ج : « بطيب لساننا » .

(٤) فى هامش ب : « فالشعر » .

فَالْيَسْكَا عِقْدًا لَجِيدِ الدَّهْرِ زَيْنُهُ نَضِيدُهُ
بِكْرًا يَرُومُ جَوَابَهَا مَهْرًا تَرُوقُ لَهَا نَقُودُهُ^(١)
وَلَنْ تَكُنْ قَيْدَ النَّهْيِ فَالْحُبُّ تُسْتَحْلَى قِيودُهُ
فَالْبَسَ لِبَاسَ مَسْرُورٍ فِي الدَّهْرِ لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ

فأجاب ، وأجاد :

لَلظَّنِّ لَفَتَتْهُ وَجِيدُهُ وَالْوَرْدِ مَا أَبَدَتْ خَدُودُهُ
وَالدَّرُّ يَزُهُو بِالذِّى فِي ثَقَرِهِ مِنْهُ نَضِيدُهُ
وَبُوجْهِهِ شَرَكُ الْعُقُودِ لِي فَأَيُّ قَلْبٍ لَا يَصِيدُهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْهُوَى مِنْ حُسْنِهِ مَعْنَى يَزِيدُهُ
رَوْضٌ سَقَاهُ اللَّهُ مَا الْحَسَنِ فَاحْرَتْ خَدُودُهُ^(٢)
يَسْتَوْفُّ الْأَبْصَارَ حَتَّى لَا يَسُوعَ لَهَا وَرُودُهُ
مَلِكٌ تَحْكُمُ فِي الْجَمَا لِي فَنَالِ مِنْهُ مَا يُرِيدُهُ
وَجَرَى بِأَسْرَارِ الْهُوَى لِلنَّاسِ مِنْ دَمْعِي بَرِيدُهُ
مَازَالَ يَسْطُو فِي الْوَرَى مِنْ فَعْلٍ مُقْلَتِهِ جُنُودُهُ
حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ بِالْأَجْزِ آثَرُهُ شَهِيدُهُ
يُبْدِي الصَّدُودَ وَكَلًّا صَانَعْتُهُ عَنْهُ يُعِيدُهُ
أَتَرَاهُ يَجْحَدُ مَا لَقِيَ يَتُّ بِهِ وَهْلُ يُغْنِي جُحُودُهُ
وَهُوَ النَّهَارُ إِذَا بَدَا مِنْ نَفْسِهِ قَامَتْ شُهُودُهُ
كَضِيَاءٍ مَوْلَانَا شِهَا بِالْفَضْلِ إِذْ طَلَعَتْ سُعُودُهُ

(١) في ا ، ب ، ج : « بكر » .

(٢) في هاشب : « وجه شفاء - نسخة » وفي ا : « فاحرت وروده » .

ما زال يَسْمُو في سَما ۝ المجدِ زِينَتُها وُجودُهُ
 حتَّى تَقَطَّعَتِ المطا ۝ معُ عنه واستَعفى حَسودُهُ
 وَقَادُ فِكْرٍ أَيْ خَطْبٍ لَيْسَ يُطْفِئُهُ وَقودُهُ
 كَرُمَتْ لَهُ هِمَمٌ إِلَى غيرِ العُلا لَيْسَتْ تَقودُهُ
 يَزْهُو عَلَى جِيدِ الزَما ۝ نِ بِمَا يُنَمِّقُهُ فَرِيدُهُ
 مِنْ كُلِّ سَجْعٍ مِنْ مِزا ۝ يا الحَسَنِ قَدْ نَظِمْتَ عَقودُهُ (١)
 وَإِذَا ذَكَرْتَ الشَّعْرَ فَمَ ۝ وَ كَمَا سَمِعْتَ بِهِ لَبِيدُهُ (٢)
 قَدْ كُنْتُ أَجْهَدُ فِي ابْتِغَا ۝ لِقَاءِ أَيَّامٍ تُفِيدُهُ (٣)
 حتَّى وَفَّتْ لِي بِالذِّى ۝ قَدْ كَانَ فِي أَمَلِي وُعودُهُ
 فَلَقِيْتُهُ الْبَحْرَ الْخَضَمَ ۝ م يَفِيضُ لِلْعَافِينَ جودُهُ
 مُتَدَفِّقًا بِالْفَضْلِ ۝ شَى أَنْ يَفِرَّقَهَا وُفودُهُ
 مَوْلَايَ عُدْرًا إِنِّهَا ۝ مِنْ خَاطِرٍ قَدْ جَفَّ عودُهُ
 بَعْدَتْ بِقَوْلِ الشَّعْرِ فِي ۝ عَهْدِ الصَّبَا حِينَمَا عُودُهُ
 لَبِّي دُعَاكَ وَأَيْ مُو ۝ لِي لَا تُكَلِّبِيهِ عَيْدُهُ
 مَاضِرَةً عَيْدُ نَأَى ۝ مَا دَامَ مِنْ لُقْيَاكَ عَيْدُهُ (٤)

وَمَا أَنشَدَنِيهِ قَوْلُهُ :

مُتَعَنَّا يَوْمَنَا بِصَحْوٍ ۝ لَيْسَ عَلَى الشَّمْسِ مِنْهُ سِتْرُ (٥)
 كَأَنَّ فِي الْجَوِّ مِنْهُ كَنْزًا ۝ سَالِ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُ تَبْرُ

وقوله في مَليح مُصَفَّرِ العِذار ، كأنما خاف الدهرَ على ذهابِ حُسْنِهِ ، فَقَيِّدُهُ بِسِلَاسِلِ

(١) في ١ : « قد قطعت عقوده » . (٢) في ١ : « وإذا ذكرنا الشعر » .

(٣) في ١ : « أيام تقيده » وفي ج : « تعيده » .

(٤) في ب ، م : « ما ضره عيد نأى » . (٥) في م : « ليس على السر » .

النُّضَار، أو ^(١) ملك الجبال بلغ كماله ، فذَّ لِمَشْكَاةٍ صُدْغِهِ ^(٢) سِلْسِلَةَ الْغَزَالَةِ ^(٣) :
لَمَّا التَّحَى تَمَّتْ مَحَا سُنُّ وَجْهِهِ وَصَفَتْ طِبَاعُهُ
وَعَدَا بِلُطْفٍ عِذَارِهِ قَرَأَ أَحَاظَ بِهِ شُعَاعُهُ
ومما رَوَيْنَاهُ فِي مَعْنَاهُ ، قول الخَطِيبِ الحَظِيرِيِّ ^(٤) :

وَأَشْقَرِ الشَّعْرَ مِنْ لَطَافَتِهِ يَجْرَحُ لَحْظُ الْعَيُونِ خَدَّيْهِ
فَإِنْ بَدَأَ مَنْ يَشْكُ فِيهِ فِلِي شَاهِدُ عَدَلٍ مِنْ لَوْنِ صُدْغَيْهِ
وله أيضا :

كَانَ صُدْغَيْهِ فِي أَحْمَرَارِهَا قَدْ صُيْغَا مِنْ مُدَامٍ وَجَنَّتِهِ
وله أيضا :

مَا أَحْمَرَّ شَعْرُ حَبِيبِي أَنْ وَجَنَّتَهُ سَقَّتَهُ مِنْ صَبْفِهَا خَرًّا وَلَا خَجَلًا
وَلَمَّا لَفَحَتْ خَدَّيْهِ مِنْ كَبْدِي نَارٌ فَدَبَّتْ إِلَى صُدْغَيْهِ فَاشْتَعَلَا
ومما أَنشَدْنِيهِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى وَدَاعِيَ التَّصَابِي فَاتَتْ دُونَ صَبْرِهِ مِنْ أَلِيمٍ أَلٍ
فَذَوَى غُصْنَهُ الرُّطِيبُ وَجَفَّتْ شَعْرُ الْمَرْءِ نُسْخَةُ الْعُمَرِ وَالْأَيِّ
فَإِذَا نَمَّ مِنْهُ مَا كَتَبَتْهُ لَسْتُ آسَى عَلَى الصُّبَا إِنَّمَا أَذْ
قَدْ سَقَّتَنِي عَهْدُهُ الْعَيْشَ صَفْوًا وَكَسَنِيهِ مُونِقَ الْجَلْبَابِ
لَا دَّكَارِ الْأَوْطَانِ وَالْأَحْبَابِ وَجَدِ نَارٌ شَدِيدَةً الْإِتْنَابِ
مِنْ رِيَاضِ الصُّبَا مِيَاهُ الشَّبَابِ أَمُ فِيهَا مِنْ أَصْدَقِ الْكُتَّابِ
تَرْبَّتُهُ مِنْ شَيْبِهِ بَرَابِ كُرُ حَقًّا لِأَقْدَمِ الْأَصْحَابِ

(٢) في ا ، ب ، ج : « هجره » .

(١) في ا ، ب ، ج : « وملك » .

(٤) في م : « الخطيرى » ، والثابت في ا ، ب ، ج ،

(٣) في ج : « العذار » .

وهو سعد بن علي بن القاسم ، انظر عقود الجمان ، الجزء الأول ، لوحة ٤٤ ، الباب ١/٣٠٦ .

ومنها ^(١) :

بحرُ فضلٍ لو قيسَ بالبحرِ كان ١١ بحرُ في جنبه كَلَمَعِ السَّرابِ ^(٢)
 مزج الفضلَ بالسَّخاءِ كما ما زَجَ ماءَ الغمامِ صفوَ الشَّرابِ
 وإذا قيل خُلِقَ الرُّوضُ أضْحى الرُّوضُ م وضُ طَلَقاً بذلك الإنتسابِ
 ما عسى أن أعدَّ من مَكْرُماتٍ ضَبَطَها قد أعْيَى على الحُسابِ
 وإذا ما الأفكارُ أُمِينُ فيها غرِقَتْ من بحارها في عُبابِ
 أنتَ من ناظِرِ الزَّمانِ سوادُ السَّعِينِ والنَّاسُ منه كالْأَهْدَابِ



فصل

قوله : « شَعَرَ المرءَ نسخةَ العمرِ » إلخ ، معنَى بديع ، ونحوه قولي :

لَعَمْرِي إِنْ الدَّهْرَ خَطَّ بِمَقَرِّي رسائلَ تدعو كلَّ حَيٍّ إِلَى الْبَلَى
 أرى نُسخةَ للعُمرِ سوَّدها الصَّبَا وما بُيِّضَتْ بالشَّيْبِ إِلَّا لَتُنْفَلَا

ونحوه قول الأَرَجَانِي :

وقد عانتُ غُبْرَةُ الشَّيْبِ الشَّيْبَةَ لِي فَبِتْهُ لِلْأَجَلِ الْمَكْتُوبِ مُكْتَلِيَا
 كِتَابُ عُمْرِي اللَّيَالِي تَرْبَتْهُ وَمَا أَذْنِي الْمُتَرَبِّ أَنْ تَلْقَاهُ مُنْطَوِيَا ^(٣)

وللأمير العاصمي ، وهو شاعر معاصر للصاحب ، وإن لم يذكره ^(٤) في « اليقظة » :

تَعَجَّبْتُ حِينَ ذَاعَ شَعْرِي مِنْ بَعْدِ نَضْوَى الْخِطَابِ حَالِي ^(٥)

(١) في ١ : « ومن مديحها » .

(٢) في ب ، ج : « كل فضل » ، وفي ١ ، ب ، ج : « كلع سراب » .

(٣) في ١ : « كتاب عهد الليالي » ، ولم أجد البيتين في ديوانه المطبوع .

(٤) أي التاليف .

(٥) في ١ : « زاع شعري » وفي ب : « راح شعري » وفي م : « راح شعري » واللتب من : ج

وفي ١ : « نضو الخطاب » .

قالتُ أهذا الذى أراهُ غُبارُ طاحونةٍ بدّا لي
فقلتُ لا تعجبي فهذا غُبارُ طاحونةٍ الآيالي
قلت : لولا مشاكلةُ الطاحونة السابقة ^(١) ، ودوره معها لقبحت هذه
الاستمارة جدا .
وللغزّي :

مسحت عارِضِي وماذاك إلا أنها ظننتِ الشَّيبَ غُبارا
وقال العماد : تشبيهُ الشَّيبِ ^(٢) بالغُبار حسن ، وكنت أظن أني ابتكرته في قولي :
ليلُ الشبابِ تولى والشَّيبُ صُبغُ تالِق
ما الشَّيبُ إلا غُبارُ من رَكضِ عُمرى تعلق
قال : وشبهته أيضا بالتَّريب ، في قولي :

أصدوداً ولم يصدَّ التَّصابي ونفارا ولم يرُك الشَّيبُ
وكتابُ الشَّبابِ لم يطوهِ الشَّام وق ولا مسَّ نقشه تَتريب ^(٣)
ولحمد القيسراني ^(٤) :

لا تُنكرى وضحا لبستُ قَتيرةُ رَكضُ الزَّمانِ أثار هذا العنبرِ
وقوله : « كنت أظن أني ابتكرته » عجيب منه ، مع قول ابن المعتز ^(٥) :
صدت شريرُ وأزمت هجرى وصفت ضائرها إلى الغدر ^(٦)
قالت كبرت وشيت قلت لها هذا غُبارُ وقائع الدهرِ

(١) في م : « الأولى » .
(٢) في ا : « الشَّيبة » وفي ب ، ج : « الشَّيب » .
(٣) لها : « ولا مسَّ نقشه تريب » والنقش ، بالكسر : المداد .
(٤) خريدة القصص ، قسم الشام ١/١٤١ . (٥) ديوانه ٣٣٧ .
(٦) في م : « صدت برير . . . وصفت » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، والديوان . وشرير : اسم امرأة .

وهو مسطور في « ديوانه » وقد تابعه عليه كثير من الشعراء وتطفل عليهم العباد ،
لكنه طفيلي^(١) ، وقد حدا حدوه في قوله :

إذا كَتَبَ الشَّابُّ سَطُورَ مِسْكِ وَأَتْرَبَنَ كَافُورُ الْمَشِيبِ^(٢)

فيا أَسْنَى وما أَسْفَى وَحُزْنِي سِوَى طَى الصَّحِيفَةِ عَنْ قَرِيبِ^(٣)

على ذكر الترتيب ، فما أحسن قول الطُّغْرَائِي في وصف كَتِيبَةٍ من قصيدة له :

عليها سَطُورُ الضَّرْبِ تُعْجِمُهَا الْقَنَا صَحَائِفُ يَغْشَاهَا مِنَ النَّقْعِ تَتْرِبُ^(٤)

وَالْمُهَذَّبُ الْمَوْصِلِي^(٥) :

تُرْدِي الْكَتَائِبَ كَتْبُهُ فَإِذَا غَدَتْ لَمْ تَدْرِ أَنْفَذَ أَسْطَرًا أَمْ عَسْكَرًا^(٦)

لَمْ يَحْسِنِ الْإِتْرَابَ فَوْقَ سَطُورِهَا إِلَّا لِأَنَّ الْجَيْشَ يَمْقِدُ عَنِيرًا^(٧)

ومن إنشاء ابن الأثير :

صَدَرَ^(٨) هَذَا الْكِتَابُ وَالْفَتْحُ غَضُّ طَرِيٍّ لَمْ تَنْصُلْ^(٩) حُمْرَةَ يَوْمِهِ ،

وَلَا أُنْغِدْتَ سِوْفَ قَوْمِهِ ، فَسَطُورُهُ تَتْرَبُ بِمُثَارٍ عَجَاجِهِ ، مُثَلَّةٌ بِخَطِّ ضَرْبِهِ^(١٠) ،

وإعجام زُجَاجِهِ .

وقلتُ مع زيادة حسن التعليل :

(١) في م : « وأشربهن » . (٢) في ا ، ب ، ج : « من قريب » .

(٣) في م : « تعجم بالقنا » وفي ا : « يغشاها » وفي ج : « يغشاها » .

(٤) خريدة القصر ، قسم الشام ٢٨٦/٢ .

(٥) في م ، ب ، ج : « أنفذ عسكرا أم أسطرا » وهذا الترتيب من : ا ، والحريدة .

(٦) في م : « لم يحسن الترتيب » والمثبت من : ا ، ب ، ج : والحريدة .

(٧) في ا : « أصدر » .

(٨) في ا : « لم تنصل » وفي ب : « لم تنصل حر جرة يومه » وفي ج : « لم ينتصل جرة يومه »

ونصلت اللحية : خرجت من الخضاب ، واللصة والحة : خرج سهما . القاموس (ن ص ل) .

(٩) في م : « بضرب خطيه » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

جَيْشٌ كَانَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ صُحُفٌ غَدَّتْ أَقْلَامَهُنَّ الرَّمَاحُ^(١)
مُدَّ سَطْرَ الْجُنْدِ عَلَى وَجْهِهَا تَرَبَّهَا النَّقْعُ فَلَاحُ الْفَلَاحِ
وأصل هذا ما رواه جابر ، عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إذا كَتَبَ أَحَدُكُمْ
كِتَابًا فَلْيُتَرَبَّهُ ، فَإِنَّهُ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ » .

رواه أبو داود .

وقد تكلم الناس فيه ، وقيل : إنه موضوع .

وفي « النهاية »^(٢) : معناه ، لِيَجْعَلَ عَلَيْهِ التُّرَابَ^(٣) .

وقال الطَّبَّيُّ^(٤) : لِيُسْقِطَهُ عَلَى التُّرَابِ ، حتى يصير أقرب إلى المقصد ، اعتمادا على

الله في إيصاله إليه .

وقيل : معناه التَّوَضُّعُ فِي خِطَابِهِ ، والمراد بالتَّعْتِيبِ المبالغة في التواضع . انتهى

ومما أنشدنيهِ :

يَا رَبِّعُ سَقَاكَ كُلُّ مُزْنٍ غَادٍ قَدْ كُنْتُ مَحَلَّ أَنْسِفِ الْمَعْتَادِ
هَلْ يَلْحُظُنِي الزَّمَانُ بِالْإِسْعَادِ يَوْمًا فَتَعُودُ فِيكَ لِي أَعْيَادِي

(١) في أ ، ب ، ج : « صحف غدا » .

(٢) النهاية ١٨٥/١

(٣) في م : « ترابا » والذي في النهاية : وفيه « أترَّبوا الكتاب فإنه أنجح للحاجة »

يقال : أترَّبْتُ الشَّيْءَ ، إذا جعلت عليه التراب .

(٤) وهو الحسين بن محمد ، شرف الدين ، كان آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة ، توفي سنة

٧٤٣ هـ . بغية الوعاة ١/٥٢٢ ، وهو فيه « الحسن » ، الدرر الكامنة ٢/٦٨ .

فائدة

قال السيوطي في «شرح السنن»^(١) : الإسعاد المعاونة في النياحة خاصة ، وفي غيرها المساعدة ، وأصله من وَضَعَ السَّاعِدَ عَلَى السَّاعِدِ^(٢) . انتهى

وعلى هذا فالإسعاد هنا ليس مُسْتَعْمَلاً فيما وضعته العرب ، وإن صح على أنه مجاز مُرْسَل في مُطلق المعاونة ، لكنّ الفصحاء يستقبحون مثله .

وقد بيناه في كتاب قرض الشعر^(٣) ، المُسمّى « حديقة السحر » فانظره ثمة .

وما أنشدنيهِ أيضاً قصيدةٌ في تهنئةٍ بِخِتَانٍ ، واخترتُ منها قوله :

وَقُرَّةَ عَيْنِ الْعُلا وَالْكَامِلِ	أَعْلَامَةَ الْوَقْتِ مَوْلَى الْمَوَالِي
وَضَعُ نَعْلَ مَسْعَاكَ فَوْقَ الْهَلَالِ	تَبَوُّاً مِنْ الْمَجْدِ أَعْلَى مَقَامِ
بِمِثْلِكَ فِي الدَّهْرِ عَيْنُ الْمُحَالِ	فَقَدْ أَيقِنَ الْمَجْدُ أَنَّ الْحَيَّ
بِهِ لَبَسَ الْمَجْدُ ثَوْبَ الْجَمَالِ	فَبَشَّرَنِي لَكُمْ بِالْخِتَانِ الَّذِي
أَنَارَتْ بِهِ حَالِكَاتُ اللَّيَالِي ^(٤)	هُوَ الشَّمْعُ إِنْ قُطَّ لَا غَرَوْ أَنْ
أَكْفُ الْمَكَارِمِ مِنْهُ حَوَالِ	وَضُفَّرَ بِتَقْلِيمِهِ لَا تَزَالُ
لِنَيْلِ الْأَمَانِي وَكَسْبِ الْعَالِي ^(٥)	وَتَشْمِيرُ ذَيْلٍ لَدَى الْإِسْتِيقِ
فَضْلٌ يُعَدُّ عَلَى كُلِّ حَالٍ	وَمَا لِلْإِرَاعِ إِذَا لَمْ يُقَطَّ

(١) زهر الربى ، شرح سنن النسائي ١٨٤/٢ .

(٢) الذي في شرح السنن للسيوطي : « الإسعاد : المعاونة في النياحة خاصة » فقط .

(٣) في ب ، م : « الشعراء » .

(٤) في م : « أنيرت به » .

(٥) في م : « وتشمير ذيل » وفي ج : « لدى الإشتياق » .

وَمِنْ بَعْدِ بَرِّيِ الْفُصُونِ اَزْدَهَتْ عَلَيْهَا اَسِنَّةُ شُمْرِ الْعَوَالِي (١)
فَلَا بَرَحَتْ مِنْ مَزَايَاكُمْ بِحَيْدِ الزَّمَانِ عَقُودُ اللَّالِي

فصل

في معناه للقاضي الفاضل :

الحمد لله الذي أطلعه بِثَنِيَّاتِ السَّكَمِ ، وَبَلَغَهُ غَايَاتِ الْجَمَالِ ، وَيَسَّرَهُ لِدَرَجَاتِ
الْجَلَالِ ، وَنَقَلَهُ تَنْقَلِ الْهَلَالِ ، وَشَذَّبَهُ تَشْدِيبِ الْأَغْصَانِ ، وَهَذَّبَهُ تَهْذِيبِ الشُّجْعَانِ ،
وَأَجْرَى فِيهِ سُنَّةَ سَنٍ لَهَا الْحَدِيدُ فَتَقَصَّه الزِّيَادَةُ ، وَاسْتَخْلَصَهُ لِسَيَادَةِ ، وَدَرَّبَهُ لِلْإِصْطِبَارِ ،
وَأَدَّبَهُ لِلْإِنْتِصَارِ ، وَآتَى عَنْهُ فَضْلَةً فِي أَطْرَاحِهَا الْفَضِيلَةُ ، وَقَطَعَ عَنْهُ عِلَاقَةً حَقٌّ مِثْلُهَا
أَلَّا تَكُونَ بِمِثْلِهِ مَوْصُولَةً ، فَلَمْ يَزَلِ التَّقْلِيمُ مُنَوَّهَا بِالْأَغْصَانِ ، وَمُنَبِّهَا لِلشَّمْرِ الْوَسْنَانِ ،
وَمُبَشِّرًا بِالنَّمَاءِ ، وَمُيسِّرًا لِلنَّشْوِ (٢) وَالْإِنْتِشَاءِ .

وَلابنُ فَضْلِ اللَّهِ ، فِي خِتَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ (٣) :

لَمْ يُرَوِّعْ لَهُ الْخِلْتَانُ جَنَانًا مُذْ أَصَابَ الْحَدِيدُ مِنْهُ حَدِيدًا
مِثْلُ مَا تَنْقُصُ الْمَصَابِيحُ بِالْقَطْعِ فِتْزَادًا فِي الضِّيَاءِ وَقُودًا (٤)
وَأَصْلُهُ قَوْلُ الْغَزَّيِّ :

تَمَالَكَ وَدَّى حِينَ قَلَمْتُ رَأْسَهُ قِيَاسًا عَلَى الْأَقْلَامِ وَالشَّمْعِ وَالظُّفْرِ (٥)

(١) في أ : « بَرِّي » وفي م : « يرى » وفي ب ، ج : « عليها الأسننة » .

(٢) في ج : « للنشور » وفي م : « للنشوء » .

(٣) فوات الوفيات ٢/٢٤، ٢٣ (٤) ورد البيت في م هكذا :

مِثْلُ مَا تَنْقُصُ الْمَصَابِيحُ بِالْقَطْعِ فِتْزَادًا فِي الضِّيَاءِ وَقُودًا

وَالثَّبْتُ مِنْ أ ، ب ، ج ، وَفَوَاتُ الْوَفَايَاتِ .

(٥) في م : « حين قلت » والتصويب من : أ ، ب ، ج .

ولابن مطروح^(١) :

لقد سَرَتِ البشائرُ والتَّهَانِي إلى الثَّقَلَيْنِ من إنسٍ وجانٍ
وَيَصْغُرُ كُلُّ مُبْتَهَجٍ إِذَا مَا نَسَبْنَاهُ إِلَى هَذَا الْخِطَانِ
تَوَدُّ الزَّهْرَةُ الزَّهْرَاءُ فِيهِ لَوْ اتَّخَذَتْ لَهُ إِحْدَى الْقِيَانِ^(٢)
وَأَنْ الْبَذَرُ طَارَ فِي يَدَيْهَا وَأَنْ مُرَاسِلَيْهَا الْفَرَقْدَانِ^(٣)
وَتَسْتَمْلِي مِنَ الْأَفْلَاكِ لِحْنًا فَمَا قَدَرُ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي
وَتُسْقَى بِالزُّبْيَا فِيهِ كَأْسًا وَلَا أَرْضَى لَهَا يَنْتِ الدَّنَانِ^(٤)
وَلَكِنْ مِنْ رَحِيقِ سُلَيْبِيلٍ بِأَيْدِي عُبْقَرِيَّاتٍ حِسَانٍ
وَيَصْغُرُ خَادِمًا بِهَرَامٍ فِيهِ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ بَأْسِ الْجَنَانِ
فَلَوْلَا أَنَّهُ فَرَضَ عَلَيْنَا لِمَا مُدَّتْ خِلَاتِنِهِ يَدَانِ
وَقَطَّ السَّمْعَ يُكْسِبُهُ ضِيَاءُ وَقَطَّ الظُّفْرَ زَيْنَ لِلْبَنَانِ^(٥)
وَالصَّنَوْبَرِي أَيْضًا :

أَرَى طَهْرًا سَيُثْمِرُ بَعْدَ غَرَمٍ كَمَا قَدْ تُثْمِرُ الطَّرَبُ الْمُدَامَةُ
وَمَا قَلَمٌ بِمَعْنٍ عَنْكَ إِلَّا إِذَا مَا أُلْقِيَتْ عَنْهُ الْقَلَامَةُ^(٦)

قلت : « الطَّهْر » بالضم ، والطَّهْرُ بِالْفَتْحِ ، والتَّطْهِيرُ كِنَايَاتُ^(٧) عَنْ الْخِطَانِ ،
اسْتَعْمَلَهَا الْمُحَدِّثُونَ ، كَقَوْلِهِمْ لِلْأَعْوَرِ^(٨) ، « مَمْتَع »^(٩) كَمَا ذَكَرَهُ الشَّعَالِيُّ فِي كِتَابِ
« السَّكْنَايَةِ »^(١٠) ، وَفِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِـ « مَرَاةِ الْمُرَوَّاتِ » ، وَغَيْرِهِ .

(١) ديوانه ١٨٠ .

(٢) فِي ج : « الزَّهْرَاءُ فِيهَا » وَفِي م : « لَوْ اتَّخَذَتْ بِهِ » . وَفِي أ ، ب ، ج : « لَهَا » ، وَالتَّيْنُ فِي الدِّيَوَانِ .

(٣) الْمُرَاسِلُ فِي الْغَنَاءِ وَالْعَمَلِ : هُوَ الْمَثَالِي . قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ . انْظُرِ الْإِسَانُ (ر س ل) ٢٨٤/١١

(٤) فِي م : « وَتَبْقَى بِالزُّبْيَا » .

(٥) فِي م : « وَقَطَّعَ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ . وَفِي الدِّيَوَانِ ١٨١ « أَفْضَرَ لِلْبَنَانِ » .

(٦) فِي م : « أُلْقِيَتْ مِنْهُ الْقَلَامَةُ » . (٧) فِي أ ، ب ، ج : « كِنَايَةُ » .

(٨) فِي ب : « لِلْأَعْوَى » .

(٩) فِي ب ، ج ، م : « مَمْتَع » ، وَالصُّوَابُ فِي : أ ، وَالسَّكْنَايَةُ ٣٦ ، وَمَرَاةُ الْمُرَوَّاتِ ٢٧ .

(١٠) الَّذِي فِي كِتَابِ السَّكْنَايَةِ ١٨ : « يَكْنَى عَنْ الْخِطَانِ بِالطَّهْرِ وَالتَّطْهِيرِ » .

ومن ^(١) شعر صاحب الترجمة :

ما كنتُ أحسبُ أن يكو نَ كذا تفرُّقنا سريعاً
قد كنتُ أنتظرُ الوصا لَ فصِرتُ أنتظرُ الرجوعاً

وله أيضاً :

واللهِ لولا حصولُ معنَى في خاطري منك لا يزولُ
ما كان بالعيشِ لي انتِفَاعٌ ولا إلى مطلبٍ وُصولُ

وله ^(٢) :

قد كنتُ أبكي على من مات من سلفي وأهلُ وُدِّي جميعاً غيرُ أَشتاتِ
واليومَ إذ فرقتُ بيني وبينهم نَوَى بكيتُ على أهلِ المودَّاتِ
فما حياةُ امرئٍ أضحتْ مدايمُهُ مَقسومةً بينِ أحياءٍ وأمواتِ

وله :

وَيْلِي مِنَ الْمَغْرَضِ لاقِسْوَةٍ لَكِن لَأَقْوَالِ الْعِدَى وَالْوُشَاةِ
مَالاحَ لِلْعَيْنِ سَنًا وَجْهُهُ إِلَّا وَفِيهَا مِنْ رَقِيبٍ قَدَاهُ

وله مُضْمَنًا ^(٣) :

صَبَّ عَلَى الشَّنَبِ الْمَعْسُولِ ذَابَ أَمِّي وَبَاتَ مِنْ حَرِّ نَارِ الشَّوْقِ فِي شُعْلِ
كَالشَّمْعِ يَبْكِي وَلَا يَدْرِي أَعْبَرَتْهُ مِنْ صُجْبَةِ النَّارِ أَمْ مِنْ فُرْقَةِ الْعَسَلِ
وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ^(٤) فِي مَرَضٍ اعْتَرَاهُ ، فَلَمْ أَعُدْهُ لِمَرَضٍ أَصَابَنِي ، فَعَتَبَ عَلَيَّ ، وَلَمْ يَذَرِ
مَاعَاتِنِي عَنِ الْعِيَادَةِ : سَيِّدِي وَمَوْلَايَ يَعْلَمُ أَنَّ الْقُلُوبَ ، وَهِيَ حِصُونُ الْمَوَدَّةِ لَا تَفْتَحُ
عَفْوَةً ، وَالْدَهْرُ لَمْ يُبْقِ لِلصُّلَحِ مَوْضِعًا تَتَمَسَّكُ مِنْهُ يَدُ الْأَمَلِ بِعُرْوَةٍ :

(١) من هنا يبدأ سقط في ب ، ج ينتهي عند قوله : « وكتبتُ إليه في مرض اعتراه » .

(٢) إعلام النبلاء ٢٧٨/٦ . (٣) إعلام النبلاء ٢٧٩/٦ .

(٤) في ج ، م : « وكتب لي » وهو خطأ ، صوابه : ن ، ا ، ب .

وودادى كما عرفت ودادى وفؤادى كما عهدت فؤادى
وصاحب البيت أذكرى بالذى فيه ، وأن للبيت رباً بحميه ، وقد عرض من السقم
ماعاق عن العيادة ، وأقعدنى عن القيام بأمرها وهى عبادة ، وكيف يصح بدن وروحه
سقيمة ، فلذا أنشد لسان حال المودّة السليمة :

رأيتُ الفضلَ فى الدنيا غريباً ضعيفاً فى معالمها نحيفاً
فلما أن سألتُ الدهرَ عنه أجاب ملاحظاً معنى لطيفاً
وقال لى ابنُ قاسمٍ المُفدى وعينُ الفضلِ قد أمتى ضعيفاً
فقلتُ له سمى اللهُ المعالى بصِحَّتِهِ وآمنه المخوفاً
وكتبتُ مع ذلك شعراً ، عرضته عليه ، وهو قولى مُضمّناً :

يزيدُ اشتياقِ نحو مصرَ وأهلها كما زاد مدُّ النِيلِ حتّى تفجّراً
أذاب النوى صبرى وأفنى مدايمى فقالوا سلاً عن حُبنا وتسراً
ولم يبقَ لى إلا تفكّرُ نيلها ولو شئتُ أن أبكى بكيتُ تفكّراً
وقولى أيضاً :

إن وجدى بمصرَ وجدٌ قديمٌ وحيدى كما تروى حيدى
لم يزلْ فى خيالى النِيلُ حتّى زاد عن فِكْرَتى ففاضتْ عيُونى
وقولى ، ناسجاً على منوال شعر الزّخشرى المشهور :

وقائلةٌ ماهذه الأبحرُ التى جرتْ من مآقيه ولم تكْ غائضةُ
فقالوا لها أنهارُ مصرَ التى ثوتْ بخاطرهِ أمتتْ من العينِ فائضةُ
ثم عن لى معنى آخر ، حال الكتابة ، وهو ^(١) :

(١) هكذا ورد ترتيب البيتين فى : ا ، ب ، ج . وهما فى م بتقديم الثانى وتأخير الأول .

لحديث نيلك مصر أضحي مُصغياً حتى يخوضوا في حديث غيره (١)
يا كوثراً إن سُدَّ عنه مَسْمَعِي تَلَقَّاهُ فيه قد جرى بخريره
فأجاب ، أبقاه الله :

أَتَنَنِي رُفْعَةً مِنْ ذِي وِلَاءٍ وَفِي فَشَقِّ امْرَأً دَنِفًا ضَعِيفًا (٢)
أَبَانَتْ مِنْهُ مَعْدِرَةٌ بِسُقْمٍ أَلَمْ بِهِ وَصَارَ لَهُ حَلِيفًا
وَشَاطَرَنِي السَّقَامَ وَلَمْ يَزَلْ بِي عَلَى طُولِ الْمَدَى بَرًّا رَهْوَفًا
وَذَاكَ أَبْرُءُ فِي سَنَنِ التَّصَافِي وَأَوْفَى مِنْ عِبَادَتِهِ أُلُوفًا (٣)
تَقِيهِ الشَّوْءَ نَفْسِي فَهُوَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يُكْسَى بِهِ الْفَضْلُ الشُّفُوفَا
شِهَابٌ ثَاقِبٌ مَحْتِ اللَّيَالِي بَطَلَعَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ الصُّرُوفَا
مولاي ، فكري الكليل (٤) عليل ، والاستقصاء في مجازة سيدي
ماله سبيل ، وسلامتكم غاية المستول (٥) ، والعذر عندكم (٦) إن شاء الله تعالى
مقبول ، والسلام .

وقال (٧) جواباً عن كتاب :

ورد الكتابُ مُبَشِّراً بِقُدُومِ مَنْ مَلَأَ النُّفُوسَ مَسَرَّةً بِقُدُومِهِ
فَطَرِبْتُ بِالْأَسْجَاعِ مِنْ مَنطُوقِهِ وَنَمِلْتُ بِالْجُرَيَالِ مِنْ مَقْهُومِهِ (٨)
وسجّدتُ شُكْرًا عِنْدَ مُورِدِهِ عَلَى إِسْعَادِ هَذَا الْعَبْدِ مِنَ مَخْذُومِهِ

(١) في ج : « أَمْسَى مُصْغِيًا » . (٢) في م : « أَتَنَنِي رُفْعَةً » .
(٣) في ج : « وَقَالَ أَبْرُءُ » وفي م ، ج : « فِي سَنَنِ التَّصَافِي » وفي م : « وَأَوْفَى مِنْ عِبَادَتِهِ » .
(٤) في أ ، ب ، ج : « الْعَلِيلُ » . (٥) في أ ، ب : « السُّوْلُ » .
(٦) في أ : « عِنْدَكُمْ » . (٧) من هنا إلى نهاية الترجمة ساقط من ب ، ج .
(٨) الجريال : الحمر . القاموس (ج ١) .

وقال أيضا :

قال لي الماذلون لِمَ مِلْتَ عَمَّنْ بِمُحْيَاهُ يُنْجِلُ الْأَقْمَارَا
قلتُ كانَ الفؤادُ عُشًّا له إذ كانَ فَرَحًا وحينَ رَيْشَ طَارَا
وقوله ، رباعية ^(١) :

يا جِبرْتنا في حَلَبَ الشَّهْبَاءِ من يومِ فِرَاقِكُمْ سُروري نَاءِ
قدْ مِتْ لُبْعِدِكِ غرامًا وأسى لَقَدْ غَلَطًا أَعْدْتُ في الأَحْيَاءِ ^(٢)



(١) إعلام النبلاء ٦/ ٢٧٩ .

(٢) في ١ : « قدمت بعدكم » . وفي إعلام النبلاء : « لكن غلطا أعد في الأحياء » .

الأمير أبو بكر الحَلَبِيّ *

المعروف بابن حلالا ^(١) .

أمير جيشه الهَمَم ، وبحر تغترف منه الدَّيَم ، تسكر من ألفاظه المَدَام ، فإذا ساقطَ الحديث سقط الدُّرُّ أسلمه النِّظام ، أو بدا ^(٢) روضُ أدبه قامت له الأغصان في الرِّياض على الأقدام .

رحيبُ ساحةِ الصِّدر ، وصليبُ قناةِ الصَّبر ، لم يعقد حَبْوَةَ رأيه إلا بيدِ الحَزَم ، ولم يحُلِّ الدهرُ ماعقده إلا براحَةِ العِزم ، فلا يأكل ^(٣) الطَّيْشُ حِلْمَه ، ولا تحُلُّ يدُ النِّوائبِ حَزْمَه .

أدبه أرقُّ من دمع السَّحاب ، وأصفى من ماء الحُسن في رياض الشَّباب ، إلا أنه اقتصر عليه ، وجعل جملةَ متاعه في يديه ، والأدب روضةٌ ذاتُ أفنان ، لا تزهر إلا إذا كانت ذاتُ أنواع وألوان ؛ فلذا قلَّ ماروئى شِعْرُه من ماء النِّضارة ، واكتسى غُصْنُ لفظه ورقَ الفُضارة ، ولم يحضرنِي منه الآن غيرُ قوله :

أيا بحرأ غدونا من نداهُ تقدُّمُ بعضِ أنعمه لديه
كذلك البحرُ ينشأُ منه غيثٌ وبعضُ سحابه يُهدى إليه

(*) لم يزد الغزى في ديوان الإسلام لوحة ٣٤ على أن قال : « ابن حلالا » ولم يترجه . وهو في خبايا الزوايا لوحة ٣١ ب .

(١) في : ب « جلال » وفي ج : « حلال » .

(٢) في ١ ، ب ، ج : « وبدأ » . (٣) في م : « يدخل » .

وهذا معنى مشهور ، في ^(١) معناه قول البدیع :

أَهْدَى لِمَجْلِسِكَ الشَّرِيفِ وَإِنَّمَا أَهْدَى لَهُ مَا حُزْتُ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَحْرِ يُمِطُّهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ مَنْ عَلَيْهِ لَأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ
وقد ضمَّنه بعضهم ، ونقله من الجِدَّة إلى الهزل ، فقال :

بِتَبَادُلَانِ فَيُنْصِفَانِ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا ارْتِيَابُ
فِيصِيبُ هَذَا مَاءٌ ذَا كَالْبَحْرِ يُمِطُّهُ السَّحَابُ
وقد حَضَرَنِي فِي مَعْنَاهُ ، مَا كَتَبْتُهُ مَعَ سَمَكٍ أَهْدَيْتُهُ :

أَهْدَيْتُ حَوْتًا نَحْوَ مَنْ فَاتَتْ عَرَائِمُهُ السَّمَاءُ
فَاقْبَلْ بِحَقِّكَ عُذْرَ مَنْ أَهْدَى إِلَى الْبَحْرِ السَّمَاءُ ^(٢)

ومن الفصول القصار : المَهْدَدُّ لِمَنْ فَوْقَهُ مُهْدَدُّ لِلْبَحْرِ بِالشَّرْقِ ، وَلِلْحَوْتِ بِالْفَرَقِ .



(١) في ب ، م : « وفى » .

(٢) في أ : « فاقبل بحق » . والسماك في هذا البيت : جمع السمك ، وفي البيت الأول : أحد السماكين وهما نجمان فيران ، أحدهما السماك الأعزل ، والآخر السماك الرامح . (س م ك) ١٠ / ٤٤٣ .

٨٠٧

إبراهيم ، ومحمد ابنا أحمد الحَلْبِيِّ ، المعروف بالثُمْلَا*
هما من دَوْحَةِ الكَمَالِ غُصْنَانِ ، بِلِ رَوْضَانِ أُنبَتَهُمَا مَرْجَانِ ، وَلَا أَقُولُ نَهْرَانِ
فَهُمَا بَحْرَانِ ، يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ، كُلُّ مِنْهُمَا جَوَادٌ يُفَرِّغُ الْخِزَانِ بِجُودِهِ ،

(*) في ب : « بالثُمْلَا » وإبراهيم هو :

إبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد الحَصَكْفِيِّ العباسي الشافعي ، المعروف بابن الملا .
ولد بحلب ، وحج بعد الألف ، ثم رجع إلى حلب ، واعتزل الناس ، ولزم المطالعة والكتابة وتلاوة
القرآن .

وكان صافي السيرة ، لا تمهد له زلة ، ونظم « الدرر والغرر » في فقه الحنفية ، من بحر الرجز ، وله
شعر قليل منقح .

والحَصَكْفِيُّ ، نسبة إلى حصن كيفا ، وهي من ديار بكر .
واشتهر بيته في حلب ببית الملا ؛ لأن جد والده كان يعرف بملاحجي ، وكان قاضي قضاة تبريز .
توفي بعد الثلاثين والألف بقليل .

إعلام النبلاء ٢١١/٦ ، تراجم الأعيان لوحة ١١٤٠ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٢ ب ، خلاصة الأثر ١١/١
ومحمد هو :

محمد بن أحمد بن علي بن أحمد ، شمس الدين الحَصَكْفِيُّ العباسي الشافعي ، المعروف بابن الملا .
ولد بحلب سنة سبع وستين وتسعمائة .
وكان كريم الخلق ، حسن العبادة ، حبيب إليه طلب العلم منذ الصغر ، فقرأ على والده وعلماء عصره .
وتصدر للتأليف فكتب « تاريخاً لحلب » ، وكتب « حصّة على صحيح مسلم » ، و « رسالة في
إسلام أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وكان صاحب شعر حسن .

توفي سنة عشر وألف .

إعلام النبلاء ١٧٠/٦ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٢ ب ، خلاصة الأثر ٣٤٨/٣ .

وأما والداهما ، فهو :

أحمد بن محمد بن علي الحَصَكْفِيُّ الشافعي ، المعروف بابن الملا .

ولد سنة سبع وثلاثين وتسعمائة .

كان واحداً الدهر في كل فن من فنون الأدب ، جمع بين لطف التحرير ، وعذوبة البيان .

فيملاً بالغَيْظِ قلبَ حَسُودِهِ ، طَوِيلَ البَاعِ ، عَذْبُ المَوَارِدِ ^(١) إِذَا ظَمِئَتْ الأَنْبَاعُ ،
مُرْهَفَ فِكْرِهِ صَقِيلُ الطَّيْعِ ، وَبَحْرُ كَرَمِهِ ^(٢) مَتَمَوِّجٌ يَهُوُّوبٌ ^(٣) نَسِيمُ ذَلِكَ الطَّيْعِ ،
رَقِيقُ حَوَاشِيِ الجَدِّ ، أَرْقٌ مِنْ عِبْرَاتِ أَسَالِهَا الْوَجْدُ ، وَضَّاحُ الْمُحْيَا تَحْمَرُّ خِجَلًا مِنْهُ
خُدُودُ الْحَمِيَّا .

صَنَّفَا ، وَأَلْفَا ، وَلَا حَا كَفُضْنِي بَانَةً قَدْ تَأَلَّفَا .

نَشَأَ فِي حِجْرِ الْفَضْلِ وَالْحَسْبِ ، وَبَسَقَا فِي رَوْضِ النَّجْدَةِ وَالْأَدَبِ ، فِي زَمَانٍ شَمِتٍ
فِيهِ الْجَهْلُ بِالْفَضْلِ ، وَرَقِيَ صَهْوَةٌ عِزُّهُ كُلُّ قَدَمٍ نَذَلُ ^(٤) .

نَجْمَانُ بَايَهُمَا اقْتَدَيْتَ فِي طُرُقِ الْمَعَانِي اقْتَدَيْتَ ، فَهُمَا فِي مَغْرَسِ الْكَرَمِ صِنُونُ ،
وَمُثْرَاتُهُمَا صِنُونُ وَغَيْرُ صِنُونُ ، وَرَوْضَا مُحَامِدَ ، يُسْقِيَانِ بِمَاءٍ وَاحِدِ .

وَوَالِدَاهُمَا أَلْفٌ ، وَأَفَادَ ، وَعَذَبَتْ مَوَارِدُ إِفَادَتِهِ لِلْوَرَادِ .

لَهُ تَأْلِيفٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا « شَرْحُ مَعْنَى اللَّيْلِبِ » طَرَّزَ بِتَحْرِيرِهِ حَوَاشِيَهُ ، وَدَخَلَ
جَبَّتَهُ مِنْ أَيْ بَابِ شَاءَ مِنْ أَبْوَابِهِ الثَّمَانِيَةِ .

فَمَا أَنْشَدَتْهُ لِمُحَمَّدِ ابْنِهِ ^(٥) :

فِي اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ حَرَرِي كَبْدِي مَقْتُولُ ضَنْئِي بِجَائِرٍ لَيْسَ يَدِي

تَرَشَّيْ عَيْنِي جَوَاهِرُ الدَّمْعِ عَلَى لُقْيَاهُ تَظُنُّ أَنَّهُ طَوْعُ يَدِي ^(٦)

== رَحَلَ مَعَ وَالِدِهِ إِلَى قَسْطَنْطِينِيَّةَ ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَتِسْعِمِائَةَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَلَبَ ، فَاشْتَغَلَ بِالتَّدْرِيسِ
وَالتَّأْلِيفِ ، وَاتَّعَاطَى صِنَاعَةَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ فَأَحْسَنَ فِيهِمَا إِلَى الْغَايَةِ .

قَتَلَ سَنَةَ ثَلَاثٍ بَعْدَ الْأَلْفِ ، قَتَلَهُ الْفَلَاحُونَ فِي قَرْيَةِ بَانَشَا ، مِنْ عَمَلِ مَعْرَةَ نَسْرِينَ ، ظُلُمًا وَعَدْوَانًا .

لِإِعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٣٨/٦ ، خَبَايَا الزَّوَايَا لَوْحَةُ ٣٢ ب ، خُلَاصَةُ الْأَثَرِ ٢٧٧/١ .

(١) فِي أ ، ب : « الْمَوْرِد » . (٢) فِي ب ، ج ، م : « كَرَم » .

(٣) فِي أ ، ب : « لَهْوُوب » . (٤) فِي ج : « عَزَل » .

(٥) فِي أ : « فَمَا أَنْشَدَتْهُ لَابْنِ مُحَمَّدٍ » ، وَفِي ج : « فَمَا أَنْشَدْنِيهِ لَابْنَةِ مُحَمَّدٍ » ، وَفِي هَامِشٍ بِ إِمَارَةٍ
إِلَى أَنَّ الْبَيْتَيْنِ مِنَ الدُّوْبِيَّتِ .

(٦) فِي ب ، ج : « تَظُنُّ أَنَّهَا » .

وهو معنى مُترجم من الفارسيّة ، ومثله قول صاحبنا محمد الفاسيّ^(١) :
 لُقْيَاكَ مَرُورُ قَلْبِي الْحَزُونِ والوحشةُ من هَوَاكَ لَا نَعْدُونِي
 يَا وَنِجَ عَيْوَنِي خَشِيتُ شَقْوَتَهَا مني فَأَنْتَ بِدَرُّهَا تَرْشِدُنِي
 وقريب منه قول ابن الرُّوميّ^(٢) :

وَهَبْتَ لِي عَيْنِي الْهُجُوعَا فَأَثَابَهَا مِنْهُ الدُّمُوعَا
 وأحسن منه قول الأَرَجَانِيّ^(٣) :

لَوْلَا طُرُوقُ خِيَالٍ مِنْكَ مُنْتَظَرٌ يُبْلِمُ بِي رَاقِدًا مَاسَاءَ سَهَرِي
 كَانَ جَفْنِي إِكْرَامًا لِزَائِرِهِ أَمْسَى عَلَى قَدَمَيْهِ نَاثِرَ الدَّرَرِ
 ولإبراهيم من قصيدة ، قرّظ بها شعرا ليوסף بن عمران^(٤) :

أَطْرُسُكَ هَذَا أَمْ لَجَيْنٌ مُذْهَبٌ ونظْمُكَ أَمْ خَمْرٌ لِهَمِّي مُذْهَبٌ
 وتلك سطورٌ أَمْ عُقُودُ جَوَاهِرٍ وزهرٌ سماءٍ أَمْ هُوَ الرُّوضُ مُخْصَبٌ
 وتلك معانٍ أَمْ غَوَانٍ تَرُوقُ لِلْأَمِيُونِ وبِاللَّحْنِ الْمَسَامِعَ تُطْرِبُ^(٥)
 فَيَا حَبْدًا هَذِي الْقَوَافِي الَّتِي بَيْنَ بِعَارِضِهَا ظَفَرُ الْمَنِيَّةِ يَنْشَبُ^(٦)
 لَقَدْ أَحْكَمْتُهَا فِكْرَةَ أَلْمَعِيَّةِ فَكِدْتُ لَهَا مِنْ رِقَّةِ النَّظْمِ أَشْرَبُ
 فَمِنْ غَزَلٍ قَدْ هَزَّ ذَا سَلُوقٍ إِلَى التَّامِ صَائِي فَأُضْحَى بِالْغَزَالِ يُشَبُّ^(٧)

(١) في هامش ب إشارة إلى أن البيتين من الدوبيت .

(٢) ديوانه ٤٣٢ .

(٣) ديوانه ١٦٢ ، والبيت الأول افتتاحية القصيدة ، وترتيب الثاني في القصيدة التاسع .

(٤) القصيدة في خلاصة الأثر ١/ ١١ ، ١٢ وإعلام النبلاء وقد سقط من ج : « قرّظ بها شعرا ليوסף بن عمران » .

(٥) في أ : « وتلك غوان » وفي ب : « أم معان » .

(٦) في أ ، ب ، ج : « التي لمن » .

(٧) في م : « فكلم غزل » وفي خلاصة الأثر : « قد هز ذا صوبة » ، وفي أ ، ب : « فأضحى بالغزال مشيب » .

فيابحر فضـل فائـض بلآلـي لها فـكـرك الـوقـاد ما زال يـثـقـب^(١)
ظننت بأني للخطاب مؤهل فأرسلته شعراً لنظمي يخطب^(٢)
فعدراً فإن الفكر مني مشتت وعقلي بأيدي حادث الدهر ينهب^(٣)

وكان العماد^(٤) يدينه وبين أحمد مودة صافية ، وفي بعض الأحيان تجرى بينهما
مداعبات وأحماض ، فكتب له مرة وقد رأى ميله لعمدري كان من جملة خدامه ،
يستفتيه في رأي أهل الموصل :

ما تقولون يا ذوى الأفضال وأولى العلم والحجى والكمال
في أناس يرون في حلب الشماء براء رأى الهوى وحب الجلال
قد تحيزت في هواهم زماناً فاكشفوا لى عن شهنش وسؤالى
أى ذنب للأمرد الناعم الخد الذى فاق ربة الخللخال
بحجياً مثل الغزالة حسناً وبطرف أزرى بلخط الغزال
وبمضقول وجنة قد تسامت بصفاء على بدع اللآلى
فلماذا تعوضوا عن هـواه بدقون كأنهن المخالى^(٥)
من نقيف محفف ذى اعتلال ناقص الحسن مصدر الأفعال
أفلا تنظرون مראה وجهه لاح بذراً مكتملاً بالدلال
دون ذى لجة كسته ظلاماً خارجاً عن مطالع الاعتدال
فاكشفوا شهنش فابة دايع لاتباع الهدى وترك الضلال

(١) فى م : « فائضا بلآلى » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى خلاصة الأثر : « ظننت بأنى للخطوب مؤهل » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « فى مشتت » . (٤) فى ب : « العمادى » .

(٥) فى م : « فلماذا أعرضهم . . . لدقون » .

لا بَرَحْتُمْ فِي نَعْمَةٍ وَسُرُورٍ نَاجِحِي الْقَصْدِ بِالْغِي الْأَمَالِ
فَأَجَابَهُ بِقَوْلِهِ :

يَا إِمَامًا حَوَى فَنُونََ الْمَعَالِي وَهُمَا مِمَّا سَمَا بُرُوجَ السَّكَالِ (١)
وَأَدِيبًا أَتَى بِكُلِّ بَدِيعٍ مِنْ نِظَامٍ أَزْرَى بِعَقْدِ اللَّائِلِ
وَعَلَى أَصْلِهِ الْمَكَارِمُ جَادَتْ بِنَفْثَاءٍ يَفُوقُ رِيحَ الْغَوَالِي (٢)
وَلَعَمْرِي إِنْ الْعِمَادَ إِمَامٌ يَالَهُ فَاضِلًا وَأَحْسَنَ مَوَلَى
هَذَبْتَهُ أَيْدِي اللَّيَالِي إِلَى أَنْ قَدْ أَتَى مِنْهُ لِي لَطِيفُ سُؤَالِ
تَمَقَّتُهُ أَيْدِي الْقَرِيبَةِ حَتَّى جَاءَ فِي طَيْبِهِ بِنَشْرِ ذِكْرِي
سَائِلًا عَنْ مَعَاشِرٍ مِنْ بَنِي الْحُبِّ حَازَ لُطْفًا قَدْ تَمَّ بِالْإِعْتِدَالِ (٣)
عَدَلُوا عَنْ هَوَى صَقِيلِ الْحَيَا دَقَّ عَنْ ذَوْقِهِ فُهُومُ الرَّجَالِ (٤)
وَلَهُ بَهْجَةُ بُورِذِي خَدَرٍ مِ بَشَهْبَانِنَا رَضُوا بِالْمُحَالِ (٥)
نَاعِمُ الْوَجْنَتَيْنِ مَعْسُولُ ثَغَرٍ مَنْ بِحَدِّهِ جَالٌ مَاءِ الْجَمَالِ
وَلَحَاطِيزُ تُرَوَّى عَنِ الْغَزَالِ (٦) وَيُنَجِّ قَلْبِي مِنْ قَدِّهِ الْعَسَالِ

(١) ورد البيت في م هكذا :

يَا هُمَامًا سَمَا بُرُوجَ السَّكَالِ وَإِمَامًا حَوَى فَنُونََ الْمَعَالِي

(٢) في أ ، ب : « وَعَلَى آله » .

(٣) اضطرت القافية إلى ترك النصب .

(٤) في أ : « جَاءَ فِي نَشْرِهِ بِطَيِّ » .

(٥) في ج ، م : « مِنْ مَعَاشِرِ » .

(٦) في ب : « يَبُورِدَةُ خَدَرٍ » وفي ب ، م : « عَنِ الْغَزَالِ » .

فَلَمَّا ذَا نَعَوْضُوا عَنْ هَـ هَوَاهُ بِذُقُونِ كَأَنَّهُنَّ الْمَخَالِي (١)
تَارَةً تَنْتَحُونَ حُبَّ نَفِيفٍ نَاقِصِ أَجُوفِ الْحَشَا ذِي اعْتِلَالٍ
وَإِذَا الْأَمْرُدُ الْجَمِيلُ الْمَقْدَى لَاحَ لَمْ تَقْصِدُوا هَوَاهُ بِحَالٍ (٢)
وطلبتُمُ مَنَى الْجَوَابِ وَإِنِّي الْآنَ وَالْعَهْدَ لَيْسَ لِي مِنْ تَحَالٍ
كَيْفَ وَالْفَكْرُ فِي خَوْلٍ وَهَمٍّ وَالْحَشَا فِي تَحَرُّقٍ وَاشْتِعَالٍ (٣)
غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ قَوْلًا وَجِيزًا وَعَلَى اللَّهِ فِي الْقَبُولِ اتِّكَالِي
لَأَنِّي مُغْرَمٌ بِكُلِّ جَمِيلٍ حَسَنِ الْوَصْفِ وَالثَّنَا وَالْفِعَالِ
أَمْرَدًا كَانَ أَوْ فَتًى ذَا عِذَارٍ فَاقِ فِي الْحُسْنِ رَبَّةَ الْخَلْخَالِ
سَيِّجِ الْمِسْكَ وَرَدُّ خَدِيدِهِ لَمَّا خَافَ أَنَّا نُصِيبُهُ بِالْقُبَالِ (٤)
وَتَجَلَّى مِنْ هَالَةٍ فِي عِذَارٍ وَجْهَهُ الْبَدْرُ ذُو الْبَهَا وَالْجَمَالِ
ذَا غَرَامِي وَمَذْهَبِي وَاعْتِقَادِي أَنَّهُ مَذْهَبٌ مِنَ الْقَدَحِ خَالٍ
إِذْ رَأَيْنَا مَن تَقْدَمَ قَوْمًا قَدْ رَقَوْا فِي الْعُلَا ذُرَى الْأَمَالِ
سَلَسَكُوا فِي هَوَى الْفَرِيقَيْنِ سِلْمًا وَأَتَوْا بِالْبَدِيعِ مِنْ كُلِّ قَالٍ
وَطِبَاعُ الْوَرَى تَخَالَفُ فَالْنَا زَلُّ فِيهِمْ وَفِيهِمْ كُلُّ عَالٍ (٥)

(١) في أ : « تعوضوا بسواه » وفي ب : « تعرضوا لسواه » وفي م : « أعرضتم لسواه » وفي أ ،

ب : « في ذقون » والثلث من ج .

(٢) في أ ، ج : « فإذا الأمرد » .

(٣) في ب : « في خول وذل » وفي ج : « في خول وكذ » .

(٤) في أ ، ب ، ج : « سَيِّجِ الْمِسْكَ وَرَدَّ خَدِيدِهِ » .

(٥) في أ : « تخالفت » وفي ب : « فالنازل منهم » .

هَاجَوَابِي وَلَسْتُ أَزْعَمُ أَنِّي ذُو صَوَابٍ فَارَقْتُ نَهْجَ الضَّلَالِ
 فَعَلَى الْفَاضِلِ الْأَدِيبِ مَلِيكَِ الْإِ فَضْلٍ مَن جَاءَنَا بِهَذَا السُّؤَالِ
 الْعَمَادِ الْإِمَامِ نَشْرُ اعْتِذَارِي وَقَبُولُ يُقَادُ مِنْ غَيْرِ قَالَ ^(١)
 دَامَ فِي رِفْعَةٍ وَأَرْغَدَ عَيْشِي وَنَعِيمٍ وَبَهْجَةٍ وَاقْتِبَالِ ^(٢)
 مَا انْتَحَى الْمُرْدَ وَالْمُعَذَّرَ صَبَّ عَادِمُ الصَّبْرِ وَاجِدُ الْبَلْبَالِ ^(٣)



(١) في م : « الإمام العماد » وفي أ ، م : « وقبول يقاد » .
 (٢) في م : « دام في نعمة . . . وبهجة واعتدال » .
 (٣) البلبال : البرحاء في الصدر . القاموس : (ب ل ل) .

يوسف بن عمران الحلبي *

أديبٌ نظمَ ونَثَرَ ، فأصبحَ ذكرُهُ جمالَ السُّكُتِ والسَّيَرِ ، أكثرَ من الرِّحْلَةِ والنَّقْلَةِ ، على تَيْقُظٍ لا تَطْمَعُ ^(١) فيه الغَفْلَةُ ، ففاضتْ عليه سحائبُ من النَّفَاءِ سَكُوبُ ، مُزْجِيها رِياحُ الشُّكْرِ مما يَسْحَبُهُ الصَّبَا والجُنُوبُ ، إلا أنه في أواخره داسَتْ ساحتَهُ النَّوْبُ ، فأحاط به الفقرُ لما أدركته حُرْفَةُ الأدبِ ، فأصبحَ بعد النِّعَمِ المقيمُ بؤسُهُ أبا العَجَبِ .

لو كان يذري المرء أن ابنه يُحْرَمَ بالآدابِ ما أدبَه
وقد صحبني فرايته بشمره مُعْجَبًا طَرُوبُ ، إذا سَنَحَ له معنَى فسكَّنه ^(٢) قَيْصُ
يوسفَ في أجفان يعقوب ، فدَحَنِي بعدة قصائد ، وأهدى إلى منها ما هو على آدابه
شاهد ، وطلب مني يوما تَقْرِيطَ شِعْرِهِ ، فقلتُ بديهةً :

لَشِمْرُ ذَا الْحَبْرِ بِحَرٍّ فِي تَمْوِجِهِ يُهْدِي لِأَسْمَاعِنَا رَوْحًا وَرِيحًا ^(٣)
ذُو مَنْطِقٍ سَاحِرٍ مُطَرِّ فَيَا عَجَبًا لِلسَّحْرِ يُنْشِئُهُ وَهُوَ ابْنُ عِمْرَانَ ^(٤)

(*) يوسف بن عمران الحلبي .

كان يعمل أول أمره بالتجارة ، وكان صاحب مال ، وقد خالط الأدباء ، ونسج على منوالهم . طاف بلاد الشام ، والقاهرة ، وعاصمة الخلافة ، وامتدح أكابر علمائها ورؤسائها . وكان مغرمًا بابتكار المعاني ، ذا شعر جيد ، وقد جمع منه « ديوانا » . توفي سنة أربع وسعين وألف .

لإعلام النبلاء ٣٣٨/٦ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٤ ب ، خلاصة الأثر ٥٠٦/٤ .

(١) في ١ : « تطمع » . (٢) في ١ ، ب ، ج : « كانه » .

(٣) في م : « ييجري في تموجه » وفي خلاصة الأثر : « لشعر يوسف بحر . . . يهدي لأفهامنا » .

(٤) في م : « فوا بمجبا » وفي خلاصة الأثر : « وذا عجب » .

وكان من خزائن الآداب^(١) نَهَابًا وَهَابًا يُطْرَبُ بِأَلْحَانِهِ ، وَإِنْ رَجَحَ عَلَى مَنْ سِوَاهِ
بِأَوْزَانِهِ^(٢) .

فَمِنْ عَذْبِ خِطَابِهِ ، وَقِلَائِدِهِ الْمُنْتَظِمَةِ فِي جَيِّدِ آدَابِهِ ، مَا أَنْشَدَ نَبِيهِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ^(٣) :

أَثَارَ بِأَخْشَانِي الْبَنَانُ الْطَّرْفُ رَسِيسَ هَوَى يَقْوَى إِذَا الصَّبْرُ يَضْعَفُ
وَأَرْقَى مِنْ حَيِّ سَلَمَى حَامٍ غَدَتْ فَوْقَ أَغْصَانِ الْمَعَاظِ تَهْتِفُ
وَتَفْرُ إِذَا مَا افْتَرَّ يُبْدِي ابْتِسَامَهُ بَرُوقًا بِهَا أَنْبَارُنَا تُتَخَطَّفُ
وَحَدَّ سَقَى مَاءِ الشَّبَابِ رِيَاضَهُ بِالْحَاطِنَا مِنْهُ جَنَى الْوَرْدِ يَقُطَفُ
وَدِينَارُ خَدِّ كَامِلِ الْوِزْنِ حُسْنُهُ عَلَى حُبِّهِ رُوحِي النَّفِيسَةُ تُصْرَفُ
وَجِسْمُ صَفَا حُسْنًا يَكَادُ أَدِيمُهُ أَلْ مُنْعَمٌ مِنْ قَرَطِ الطَّرَاوَةِ يُرْشَفُ
وَقَوْلُهُ مِنْ أُخْرَى^(٤) :

حَذَارِ تَرُومِ الْوَضَلِ مِنْ سَاحِرِ الْجَفْنِ فَكَمْ مَشْرِفٍ دُونَهُ سُلٍّ مِنْ جِفْنِ
وَإِيَّاكَ مِنْ خَطِيئٍ عَامِلٍ قَدَّهِ فَكَمْ أُنْحَنَ الْأَخْشَاءُ طَعْنًا عَلَى طَعْنِ
أَلَا أَيُّهَا الرِّيمُ الَّذِي بَاتَ يَرْتَعِي حُشَّاشَةَ نَفْسِ الصَّبِّ لَارُوضَةَ الْحَزْنِ
بِحَدِّكَ مَا فِي مُهْجَتِي مِنْ لَظَاهِمَا بِجَسَمِي الْمَعْنَى مَا بِخَضْرِكَ مِنْ وَهْنِ
وَمِنْهَا :

لَتَمَّتْ لَهُ جَيِّدًا طَلَا الظَّبِّي دُونَهُ وَتَفَرَّ لِمَاءُ الْعَذْبِ أَخْلَى مِنَ الْمَنِّ^(٥)
وَالصَّفْقَةُ بِالصَّادِرِ عِنْدَ عِاقِهِ كَمَا ضَمَّتِ الْأَحْلَامُ جَفْنًا إِلَى جَفْنِ

(٢) في ١ : « أَوْزَانِهِ » .

(١) في م : « الآداب » .

(٣) لإعلام النبلاء ٣٤١/٦ .

(٤) لإعلام النبلاء ٣٤١/٦ .

(٥) الطلا : ولد الطي ساعة يولد . والمن : كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ، ويعلم وينعقد

عسلا ، ويحيف جفاف الصمغ . الفاموس (ط ل و ، م ن ن) .

وهذا كقول القاضي الفاضل :

فيا جَفَنِي فَأَعْتَقَا انْطِبَاقًا وبأَنُومِي قَدِمْتَ عَلَى السَّلَامَةِ
وله من أخرى ^(١) :

كَانَ زَهْوَرَ الرُّوضِ حِينَ تَسَاقَطَتْ لَتَقْيِيلِ أَقْدَامِ الْأَحِبَّةِ أَفْوَاهُ
وله من أخرى ^(٢) :

رَبِيعُ عَدَلٍ بِهِ أَيَّامُهُ اعْتَدَلَتْ فَالْشَّاءُ وَالذُّبُّ فِي أَيَّامِهِ انْتَفَقَا
لَا تَخْذَشِي الطَّيْرُ مِنْ مُلْقَى الشُّبَّاكِ لَهَا وَلَوْ إِلَيْهَا بِالْفَى مُقْلَةٌ رَمَقَا
وفي معناه قولي ^(٣) ، من قصيدة :

فَدَيْتُكَ يَا مَنْ بِالشَّجَاعَةِ يَرْتَدِي وَلَيْسَ لَغَيْرِ السُّمْرِ فِي الْحَرْبِ يَغْرُسُ
فَإِنْ عَشِقَ النَّاسُ الْمَهَا وَعُيُونَهَا مِنْ الدَّلِّ فِي رَوْضِ الْحَاسَنِ تَنْعَسُ
فَدِرْعُكَ قَدْ ضَمَّتْكَ ضَمَّةَ عَاشِقٍ وَصَارَتْ جَمِيعًا أَعْيُنًا لَكَ تَحْرُسُ
ومما أَشَدَّنِيهِ أَيضًا قَوْلُهُ ^(٤) :

مَا إِنْ عَصَبْتُ الْعَيْنَ بَعْدَهُمْ سُدَى إِلَّا لِأَمْرِ طَالٍ مِنْهُ مُهَادِي
لَمَّا قَضَى نَوْمِي بِأَجْفَانِي أُمِّي لَبِستُ عَلَيْهِ الْعَيْنُ ثَوْبَ حِدَادٍ
وَقَدْ كُنْتُ لَمَّا ذَكَرْتُ لِي هَذَا ذَكَرْتُ لَهُ نَقْفًا فِي مَعْنَاهُ ، فَأَعْجَبْتَهُ ، فَهِيَ ^(٥) :

لَا تُنْكِرُوا رَمْدِي وَقَدْ أَنْصَرْتُ مَنْ أَهْوَى وَمَنْ هُوَ شَمْسُ حُسْنٍ بَاهِرٍ
فَالشَّمْسُ مَهْمَا إِنْ أَطْلَتْ لِنَحْوِهَا نَظْرًا تَوَثَّرُ ضَمْفَ طَرْفِ النَّاطِرِ
وَلَقَدْ أَطْلَتْ إِلَى أَحْمَارِ خُدُودِهِ نَظْرِي فَمَكْسُ خِيَالِهَا فِي نَاطِرِي

(١) لإعلام النبلاء ٣٤١/٦ .

(٢) في ١ : « وفي هذا المعنى قول » وفي ب ، ج : « وفي معنى هذا قول » .

(٣) خلاصة الأثر ٥٠٧/٤ .

ومنها^(١) :

رَمَدْتُ جُفُونِي عِنْدَمَا فَارَقْتُ مَنْ قَدْ كَانَ كُحْلًا فِي نَوَاطِرِ عَيْنِهِ^(٢)
وَسَرَقْتُ حُمْرَةَ نَاطِرِي وَسَقَامِهِ عِنْدَ النَّوَى مِنْ مُقْلَتِيهِ وَخَدِّهِ
ومنها^(٣) :

حِينَ خَبَّرْتُ أَنْ فِي الطَّرَفِ مِنْهُ رَمْدًا زَادَ فِي ذُبُولِ الْحَاجِرِ
جِئْتُ كَيْمَا أَزُورَ مِنْ وَجْهِهِ بِذَرِي كَعْبَةِ الْحُسْنِ تَحْتَ سُودِ السَّائِرِ^(٤)
ومنها^(٥) :

مَا أَحْمَرَّ طَرَفُ الْعَيْنِ ضَعْفًا وَلَا نَرَجِسُهُ بِدَلٍّ مِنْهُ الشَّقِيقُ
لَكِنَّهُ مِنْ حُمْرَةِ الْخَدِّ قَدْ أَصْبَحَ سَكْرَانًا فَلَا يَسْتَفِيقُ
ومنها^(٦) :

أَنْظُرْ إِلَى أَجْفَانِهِ الرَّثْمُذِ تُبَدِّلُ التَّرْجِسَ بِالْوَرْدِ
تَحْمُرُهُ لَا مِنْ عِلَّةٍ إِنَّمَا تَأَثَّرَتْ مِنْ حُمْرَةِ الْخَدِّ
وَلَا بِنِ الْمَعْتَرِ :

قَالُوا اشْتَكَيْتَ نَرَجِسَتَا طَرَفَيْهِ قُلْتُ عَدَاؤُ السُّقْمِ مَا كَانَ^(٥)
حُمْرَةُ وَرْدٍ الْخَدَّ أَغْدَتْهُمَا وَالصَّبْغُ قَدْ يَنْفُضُ أَحْيَانًا^(٦)

(٢) في أ : « عند ما فارقتني » .

(١) إعلاء النبلاء ٦/٣٤١ .

(٣) في أ : « من وجهه . . . تحت سواد » .

(٤) خلاصة الأثر ٤/٥٠٧ .

(٥) في أ : « نرجسا » وفي ج : « برجسة » وفي م : « نرجستا » والثبت من : ب .

(٦) ففض الصبغ : ذهب بعض لونه .

وكتب ابن الخيمي^(١) إلى اليعموري^(٢) ، وهما أرمذان ، قوله :
أُبْتُكَ يا خَلِيلِي أَنْ عَيْنِي غَدَتْ رَمْدًا تَجْرِي مِثْلَ عَيْنِ
حَدِيثًا أَنْتَ تَعْرِفُهُ يَقِينًا لَأَنَّكَ قَدْ رَمِدْتَ وَأَنْتَ عَيْنِي
فأجابه :

كفك الله ما تشكو وحيًا محاسن مَقَاتِيكَ بِكُلِّ زَيْنٍ
وإلني من شِفَائِي فِي يَقِينٍ لَأَنَّكَ قَدْ شَفِيتَ وَأَنْتَ عَيْنِي
ومما قلته أيضا :

أَسْكُو إِلَيْكَ جُفُونًا قَدْ رَمِدْنَ وَقَدْ فَارَقْنَ مَرَّآكَ يَا مَنْ فَقَدَهُ حَيْنِي
وَالْقَلْبُ مُنْقَلِبٌ عَنْ رَاحَةٍ وَهَذَا وَالْعَيْنُ مِثْلُ اسْمِهَا مُعْتَلَّةُ الْعَيْنِ
وَلِنَقْصِرِ عِزَّانِ الْاِخْتِيَارِ ، فَقَدْ طَالَ ، وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ .
ومما أنشده لي أيضا قوله في بخيل^(٣) :

بَخِيلٌ لَوْ بَثُومٍ مِنْهُ جَادَتْ أَنْامُلُهُ لَغَالَتَهُ النَّدَامَةُ^(٤)
وَلَوْ فِي الْفَارِ أُلْقِيَ أَلْفَ عَامٍ لَمَا عُرِفَتْ لَهُ يَوْمًا سَلَامَةٌ^(٥)
وَلَوْ صَارَتْ بِسَفَرَتِهِ رَغِيْفًا ذُكَاءٌ لَمَا بَدَتْ حَتَّى الْفِيَامَةُ^(٦)
وقوله :

أَفْدَى حَبِيبًا تَفُوقُ الْبَدْرَ طَلْعَتُهُ لِأَنَّهَا لِغَرِيبِ الْحُسْنِ قَدْ جَمَعَتْ
حَاكُ الْجَمَالِ عِذَارًا فَوْقَ وَجْنَتِهِ غَزَالَةُ الصُّبْحِ فِي أَشْرَاكِهِ وَقَعَتْ

(١) في ب ، ج : « وكتب الخيمي » . (٢) في ا ، ب : « اليعموري » .

(٣) إعلام النبلاء ٦/٣٤٢ .

(٤) في ا ، ب ، ج : « لو بثوم » والثبت من : م ، وإعلام النبلاء .

(٥) في ج : « لما دقت له يوما » .

(٦) في ج : « ذكاء ما بدت » . وذكاء : هي الشمس .

وَأَنشَدْتُهُ لِنَفْسِي ^(١) فِي مَعْنَاهُ :

ظَنَنْتُ الصَّبَا لَمَّا عَلَى النَهْرِ قَدْ جَرَتْ وَعَكْسُ ذُكَاةٍ لَاحَ فِيهَا لِمُرْتَقِبٍ
شِبَاكَأَ بِهَا صَادَ النَّسِيمُ غَزَالَةً أَلَسْتَ تَرَاهَا دَائِمًا فِيهِ تَضْطَرِبُ
وَمَا يَعْجِبُنِي هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ :

عَدَوْتُ مُفَكَّرًا فِي أَمْرِ أَفْقٍ أَرَانَا الْعِلْمَ مِنْ بَعْدِ الْجَهَالَةِ ^(٢)
فَمَا طُوِيَتْ لَهُ شُبُكُ الدَّرَارِي إِلَى أَنْ أَظْفَرْتَنَا بِالْغَزَالَةِ
وَقَوْلِ الشَّهَابِ مَحْمُودٍ فِي عُقَابٍ ^(٣) :

تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ فِي كَفِّهَا وَمِنْقَارِهَا ذَا عِظَامٍ مُزَالَةٍ
فَلَوْ أَمَكْنَ الشَّمْسُ مِنْ خَوْفِهَا إِذَا طَلَعَتْ مَا تَسَمَّتْ غَزَالَةٍ
وَالْمَحَارِ ^(٤) :

أَنْظُرْ إِلَى النَهْرِ فِي تَطَرُّدِهِ وَصَفْوِهِ قَدْ وَثَى عَلَى السَّمَكَ
تَوَهَّمِ الرِّيحُ صَفْوَهُ فَعَدَا يَنْسِجُ فَوْقَ الْغَدِيرِ كَالشَّبَكِ
وَأَحْسَنَ مِنْهُ قَوْلِي :

مَا الْفَصْنُ مَالٌ عَلَى الْأَنْهَارِ جَمَدَهَا مَرُّ النَّسِيمِ وَالْقَى فَوْقَهَا حُبُكَأَ ^(٥)
بَلْ مَدَّ مِنْهُ يَدًا لَمَّا رَأَى سَمَكًا مِنْ صَفْوِهِ طَرَحُوا مِنْ فَوْقِهِ شَبَكًا ^(٦)

(١) في أ : « وَأَنشَدْتُ لِنَفْسِي » وهو خطأ . وفي م : « وَأَنشَدْتُ لِنَفْسِهِ » والتصويب من : ب ، ج .

(٢) في أ : « أَوَانَ الْعِلْمَ » وفي ج : « أَرَانِي الْعِلْمَ » .

(٣) هذان البيتان مؤخران في ب عن التالين لهما ، وفي ج نسبتهما للحجار ، ونسبة التالين للشهاب محمود .

(٤) هكذا في أ ، م ، وفي ب : « وَقَوْلِ الْمَحَارِ » وقد تقدم أن البيتين السابقين منسوبان للحجار في ج ، ولم أهتم إلى الصواب في اسم هذا الشاعر .

(٥) في م : « مَرُّ النَّسِيمِ فَأَلْقَى » . (٦) في م : « مِنْ صَفْوِهِ طَرَحُوا » .

١٠

سُرُور بن سَنِين الحَلَبِيّ *

شاعرٌ سَمَّحُ السَّجِيَّةِ ، له أنفاسٌ نَدِيَّةٌ نَدِيَّةٌ ، كانت نَسَمَاتِ المَسَامِرَةِ تَهْبُ بِنَفْحَاتِهِ
وأَفْوَاهُ الأَسْمَاعِ تَحْتَسِي فِي نَادَى الأَدَبِ سُلَاقَةَ أَيْبَاتِهِ ، وَنَوْرُ رَوْضِهِ يَتَبَسَّمُ فِي الأَكْثَامِ ،
فَتَرَى مِنْهُ مَا هُوَ أَلَذُّ مِنْ نَظَرِ المَعشُوقِ ^(١) فِي وَجْهِ عَاشِقٍ بَابِتِيسَامٍ ، فَتُسْتَعَذَّبُ ^(٢) فِي
مَذَاقِ الأَدَبِ ، وَتَتَلَقَّى بِضَائِعُهَا مِنَ الرُّكْبَانِ القَادِمَةِ مِنْ حَلَبٍ .

ثُمَّ رَأَيْتُهُ أَمَّا وَرَدَ الرُّومَ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُطِلْ مُسَكَّنَةً بِهَا لَفَقْدَ مَا يُرُومُ .

* وَآفَةُ التَّبَرِّ ضَعْفٌ مُنْتَقِدِهِ *

فَرَجَمَ قَائِلًا لِكُلِّ يَوْمٍ غَدًا ، وَلِكُلِّ سَبْتٍ أَحَدًا ، فَلَمْ تَرَ عَيْنُ أُمِّهِ سُرُورًا ،
وَلَمْ يُذَقْ كَأْسًا كَانَ مَزَاجُهَا كَافُورًا ، وَلَمْ يَلْبِسْ بُرْدَ العُمَرِ قَشِيبًا ، حَتَّى احْتَضَرَ
غُصْنًا رَطِييَا ^(٣) .

(*) فِي ب : « سَيْنِ الحَلِيمِي » وَفِي هَامِشِ م : « فِي نَسْخَةِ : سَيْنِينَ » .

وَهُوَ سُرُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ سَنِينِ الْحَلَبِيِّ .

شَاعِرٌ بَدِيعُ الصَّنْعَةِ ، مَلِيحُ الْأَسْلُوبِ .

فَارَقَ وَطَنَهُ حَلَبَ ، وَسَارَعَ إِلَى طَرَابِلُسَ الشَّامِ ، لِيَدِخَ أُمْرَاءَ هَا بَنِي سَيْفَا ، وَارْتَفَعَتْ مَنَزَلَتُهُ عِنْدَ
الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ ، فَبَغِضَهُ شَعْرَاءُ الْأَمِيرِ ، وَرَكِبُوا كُلَّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ فِي سَبْهِهِ .

تَوَقَّى بِطَرَابِلُسَ ، فِي حُدُودِ الْعِشْرِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ .

لِإِعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٩٠/٦ ، خَبَايَا الزَّوَايَا ٣٧ ، خِلَاصَةُ الْأَثَرِ ٢٠٤/٢ .

(١) فِي م : « مَعشُوقٌ » . (٢) فِي أ : « فَتَعَذَّبُ » .

(٣) ثَقَلُ مُحَمَّدٍ رَاغِبُ الطَّبَاخِ فِي إِعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٩٤/٦ مَا مِنْ قَوْلِ الْخَفَاجِيِّ ، ثُمَّ عَقِبَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ :
« أَقُولُ : كَانَتْ وَفَاةُ الشَّهَابِ أَحْمَدَ الْخَفَاجِيِّ سَنَةَ ١٠٦٩ ، وَكَانَ رَحِلَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ مَرَّتَيْنِ ، وَيَغْلِبُ
عَلَى الظَّنِّ أَنَّ رَحِلَتَهُ الْأُولَى كَانَتْ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ ، فَإِنَّ كَانَتْ رُؤْبَتُهُ لِلْمَرْجَمِ فِي الرَّحْلَةِ الْأُولَى ،
فَتَكُونُ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ » .

فما أنشدني ^(١) من شعره ، قوله من قصيدة :

وليلٍ هَدَنَّا فِيهِ غُرَّ الْفَرَاقِدِ لِحَاجَاتِ نَفْسٍ هُنَّ أَسْنَى الْمَقَاصِدِ
وَقَدْ صُرِفَتْ زُهْرُ الدَّرَارِي دَرَاهِمًا تَمُدُّ الثُّرَيَّا نَحْوَهَا كَفًّا نَاقِدِ ^(٢)
وَبَاتَتْ تَنَاجِيَنِي ضَمَائِرُ خَاطِرِي تَقْرُبُ نَيْلَ الْمَطْلَبِ الْمُتَبَاعِدِ
لَحَى اللَّهُ طَرَفِي مَالَهُ الدَّهْرَ سَاهِرًا لَمْ كُنْتُ حِلَّ الْأَجْفَانِ بِالنَّوْمِ رَاقِدِ
حَبِيبٌ كَانَ الْبُعْدَ يَهْوَى وَصَالَهُ مَعِيَ فَهُوَ لَا يَنْفَكُ فِيهِ مُعَانِدِي
أَخَذْتُ الْهَوَى مِنْ لَحْظِهِ وَابْتَسَامِهِ بِمَا قَالَه الضَّحَّاكُ لِي عَنْ مُجَاهِدِ

وقوله « حبيب » إلخ ، كقول أبي الطَّيِّب ^(٣) :

كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْفُوفٌ بِقَلْبِي فَسَاعَةً هَجَرَهَا بِحْدِ الْوَصَالِ ^(٤)

وقول المَعَرِّي ^(٥) :

إِنِّي عَشَقْتُ صَوَارِمُهُ الْهُوَادِي فَلَا تَعْدُمُ بِمَا تَهْوَى أَنْصَالًا ^(٦)

وفي معناه ما قلته :

لَكَ اللَّهُ مِنْ دَمْعٍ كَشْمَلٍ مُبَدِّدٍ وَطَرَفٍ يَنْعَسَانِ الْجَفُونِ مُسَهِّدٍ
لَئِنْ عَشَقَ التَّسْهِيدُ أَجْفَانَ مُقْلَتِي لِهَجْرِكَ فَلَيْمَنْعَمْ بَوْصِلَ مَخْلَدٍ

ومن تقرِّبِظْ له على شعر ابنِ عَمْرَانَ :

حَمَلَتْ إِلَيْنَا يَا ابْنَ عَمْرَانَ رَوْضَةً مِنَ النَّظْمِ يَسْقِيهَا الْحِجَى صَوْبَ وَكَفِهِ

(١) في ١ : « أنشدني » ، وفي ب ، ج : « أنشدنا » .

(٢) في ١ ، ب ، ج : « زهر الدياجي » . (٣) ديوانه ١٢٩ .

(٤) في الديوان « مشعوف بقلي » . (٥) شرح التنوير على سقط الزند ٣٥/١ .

(٦) ورد البيت في التنوير هكذا :

فإن عَشَقْتُ صَوَارِمُكَ الْهُوَادِي فَلَا عَدِمْتُ بَمَنْ تَهْوَى أَنْصَالًا

وفي شروح سقط الزند ٩٥/١ : « فاعدمت » . والهوادي : الأعناق .

خَيْلَةَ شَعْرِ بَزْدَرِي الْبَدْرَ نَوْرُهَا وَيُنْأَى عَنِ الشَّعْرَى الْعَبُورِ بِعَطْفِهِ
 كَانَ غُصُونًا أُوْدِعَتْ فِي سَطُورِهَا لَهَا ثَمَرٌ يَلْتَقِذُ سَمْعِي بِعَطْفِهِ
 إِذَا مَامَشَى لَيْلُ الْمِدَادِ بِطَرَسِهَا نَهَارًا زَهَتْ فِيهِ كَوَاكِبُ وَصَفِهِ ^(١)
 فَكَانَتْ كَمَا زَارَتْ مُعْطَرَةَ اللَّيِّ مُبَرَّدَةً مِنْ حَرِّ قَلْبِي وَلَهْفِهِ
 وَوَأَقَى إِلَى الصَّبِّ الْكَثِيبِ شُوَيْدِنُ لَوْ جَرَّةَ أَحْوَى فَاحِمُ الشَّعْرِ وَخَفِهِ ^(٢)
 فَأَحْبَبَ بِهِ عَيْلَ الرِّوَادِفِ خَصْرُهُ يَجُوعُ إِذَا غَصَّ الْإِزَارُ بِرِدْفِهِ ^(٣)



(١) في ب، ج : « إِذَا مَا غَدَى » وفي ا، ب، ج : « اللَّيْلِ الْمِدَادِ بِطَرَسِهَا » وفي ا، ب :
 « نَهَارًا زَهَتْ » .
 (٢) في ا، ب : « وَجْهِ » والوَحْ : الشعر الكثير الأسود . القاموس (و ح ف) .
 (٣) في ا، ج : « إِذَا غَصَّ الْإِزَارُ بِرِدْفِهِ » .

حُسَيْن بن أحمد الْجَزَرِيّ الْحَلَبِيّ *

أَدِيبٌ لَهُ أَوْصَافٌ حُسْنَى ، وَمَنَاقِبُ هُنَّ الْوَشْيُ بِهِجَةً وَحُسْنًا ، إِذَا أَصَغَتْ لَهُ أُذُنُ
أَدِيبٍ ، حَلَّتْ مِنْهُ بَوَادٍ خَصِيبٌ ^(١) :

سِحْرٌ مِنَ اللَّفْظِ لَوْ دَارَتْ سُلَافَتُهُ عَلَى الزَّمَانِ تَمْشِي مِشْيَةَ النَّيْلِ
رَأَيْتُهُ بِالرُّومِ ، وَهُوَ شَابٌ يَجْرُ رِدَائِي شَبَابٍ وَأَدَابٍ ، وَهَلَالُهُ مُشْرِقٌ فِي أَفُقِ
تَمَانِهِ ^(٢) ، وَغُرَّةٌ صَبَحَهِ تَوْذِينَ بَوَجْهِ ذُكَاةٍ ذَكَائِهِ ، وَقَدْ سَلَكَ إِلَى الْمَجْدِ طَرِيقًا ^(٣) غَيْرَ
مَطْرُوقَةٍ ، بِهَمَّةٍ غَيْرِ هَمَّةٍ ^(٤) ، وَخَلِيقَةٍ غَيْرِ خَلِيقَةٍ ، وَلِلدَّهْرِ فِيهِ عِدَاتٌ يُرْجَى لِمُنْجَازِهَا ،
وَحُلَلٌ مَنْشُورَةٌ سَيَلُوحُ طِرَازُهَا ، فَلَمْ يَنْبَسِطْ بُرْدُهَا حَتَّى انْطَوَى ، وَلَمْ يُورِقْ قَضِيْبُهُ
الرَّطِيبُ حَتَّى ذَوَى ^(٥) ، وَالِدَّهْرِ يَقُولُ ، وَالنَّجْمُ فِي مَطْلَعِ الْعُمَرِ هَوَى ^(٦) :
أَبْسِكِي إِنْ أَاءَ شَيْبَبَةٌ فِي وَقْتِهَا مَتَلَأَ انْكَفَا ^(٧)

(*) حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن الحلبي ، المعروف بابن الجزري .

نشأ بحلب ، ورحل إلى الشام والعراق ، ودخل الروم .

وله مدائح في بني سيف ، أمراء طرابلس .

وقد جمع من شعره « ديوانا » .

واختلف في وفاته ؛ فذكر البديعي أنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وألف ، وعلى نسخة من ديوانه
رآها المحي أنه توفي سنة أربع وثلاثين ، وناقض أبو الوفاء العرشي ، فذكر أن وفاته كانت سنة
اثنين وثلاثين .

لإعلام النبلاء ٢١٤/٦ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٧ ب ، خلاصة الأنز ٨١/٢ ، سلافة العصر ٣٩٣ .

(١) في ١ : « بوادي خصيب » .

(٢) في ٣ : « م » : « وقد سلك للمجد طريقه » .

(٣) في ١ : « سمائه » .

(٤) الهم والهمة (بالكسر) : الشيخ الفاني ، والمعنى : بهمة غير ضعيفة .

(٥) مكان هذا في ١ ، ب ، ج : « ونجته في مطلع عمره خوى » .

(٦) في ١ : « حتى إذا امتلأ انكفي » .

فما أنشدني في صديقه سرور ، السابق ذكره ^(١) :

وحقك ما تركتك عن ملالٍ وبُغضٍ أيها المولى الأسيرُ
ولكنْ مُذْ ألفتُ الحزنَ قديمًا أنفتُ مواضعًا فيها سرورُ ^(٢)
وهذا من قول المتنبي ^(٣) :

خُلقتُ ألوفاً لو يُساوِدُنِي الصِّبا لفارقتُ شَيْبِي مُوجِعَ القلبِ باكِياً ^(٤)
ومنه أخذ البهاء زهير قوله ^(٥) :

وألوفاً فلو أفارقُ بُؤسِي لتوالَتْ لفقْدِها حَسراتِي ^(٦)
وقد أجاد القائل في متابعتِهِ :

ألفتُ الضنى من بعدكم فلو أَنَّهُ يزولُ إذا عُدْتُمْ حَنَنْتُ إليه
وصار البُكا لى عادةً فلو أَنَّهُ تغيبَ عن عيني بَكيتُ عليه
ومما قلتُ في المعنى :

مُذْ هَجَرْتُمْ هَجَرَ الطَّيْفِ وَلِي ناظِرٌ لم يَدْرِ ما طَعَمُ الوَسَنِ
فى هِواكُمُ ألفتُ الحزنَ فلو لم يَجِدْهُ مات من فَرَطِ الحزنِ
وله « ديوان » بليغ ، طالعتُهُ فاخترتُ منه قوله ، من قصيدة ^(٧) :

أعطى سرائركَ التحولُ اللوماً والحبُّ ليس بممكنٍ أن يُكَمِّأَ

(١) فى ١ : « فما أنشدني معرضاً بذكر سرور السابق ذكره » وفى ب ، ج : « فما أنشدني » .

(٢) فى ١ : « مُذْ ألفتُ الحزنَ طبعاً ... منازلها فيها سرور » .

(٣) ديوانه ٤٤٠ .

(٤) فى ١ ، ب ، ج : « لو رجعت إلى الصبا » وفى الديوان : « لو رحت إلى الصبا » .

(٥) ديوانه ٣٠ .

(٦) فى ١ ، ب : « لتولت لفقده » والبيت فى الديوان هكذا :

وألوف فلو أفارقُ بُؤساً لتوالَتْ لفقْدِهِ حَسراتِي

(٧) الأبيات كلها ساقطة من : ب ، ج .

وَوَشَى وَتَمَّ عَلَيْكَ دَمْعُكَ عِنْدَمَا
أَفْرُمْتَ تُبْهِمَ وَاضِحًا مِنْ سِرِّهِ
أَمْ خِلْتَ أَنَّ أَسَاكَ تَمْحُوهُ الْأَسَى
إِنَّ الْحَبَّةَ مَحْنَةٌ لَا مَنَحَةَ
وَشَكَايَتِي شَاكِ السَّلَاحِ جُفُونُهُ
ظَلَمْتُ ظَلَمًا لِحَظَاتِهِ بِمَضَائِمِهَا
أَخْشَى الْمَلَكَ تَوَهُمَا مِنْ بَأْسِهِ
وَأَظَلُّ صَادِي الْقَلْبِ خَيْفَةَ صَدِّهِ
وَإِذَا مُنِعْتَ الْمَاءَ أَوَّلَ مَرَّةٍ
بَابِي وَإِنْ كَانَ الْأَيْ وَبِي رَشَا
كَالضَّبْحِ فَرِقًا وَالْفَزَالَةِ طَلْعَةً
يَزْدَادُ وَرَدُّ خُدُودِهِ وَجَوَانِحِي
صَافِي الْأَدِيمِ تَرَى تَرَافَةَ جِسْمِهِ
صَنَمٌ لِبَسْتُ الْغَيِّ فِيهِ غَلَاثِلًا
كَيْفَ الْهِدَايَةِ لِي وَفَاحِمُ فَرْعِهِ
كَالْأَفْعُوَانِ عَلَى قَضِيبِ كَثِيبَةٍ
أَنَا مَنْ أَبَاحَ يَدَ الْغَرَامِ زِمَامَهُ
فَعَسَى الْحَبَائِبُ أَنْ تُخَفِّفَ عُتْبَهَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ رَوْعَةً أَوْ لَوْعَةً

وَوَشَى بِعَنْدَمِهِ الْخُدُودَ وَتَمَنَّمَ
وَالدَّمْعُ مُتَضِحٌ بِهِ مَا أَنَّهُمَا
كَلَّا وَرُبَّ جِرَاحَةٍ لَنْ تُحْسَمَا
وَمِنْ الْغَرَامِ بَرَى الْمُحِبُّ الْمَفْرَمَا
مُرُّ الْعَذَابِ لِشَقْوَتِي عَذْبُ اللَّحْمَى
أَنَا مُوقِنٌ لَا شَكَّ تُرْدِي الضَّيْفَمَا
وَلَرُبَّمَا هَلَكَ الْمُحِبُّ تَوَهُمَا
وَلَوْ أَنَّه بَنَعِيمٍ وَصَلِ أَنْعَمَا
وَوَرَدَتْهُ أُخْرَى تَذَكَّرْتَ الظَّلَمَا
قَدْ الْفُصُونُ رَشَاقَةً وَتَقَدَّمَا
وَالْبَدْرُ وَجَهَا وَالثَّرِيَّا مَبْسَمَا
مِنْ نَارِهِمْ تَضَرُّجًا وَتَضَرُّمًا
مَاءٌ وَيَأْتِي الْمَاءُ أَنْ يَتَجَسَّمَا
وَالْمَرْءُ يَسْلُبُ رُشْدَهُ حُبُّ الدُّمَى (١)
قَدْ ظَلَّ يَجْتَهِدُ أَنْ يَضِلَّ وَيَفْجُمَا
لَا يُرْتَجَى لِسَلِيمِهِ أَنْ يَسْلَمَا
فَمَشَى بِهِ أُنَى يَشَاءُ وَيَمَّا
فَلَقَدْ حَمَلْتُ مِنَ النَّوَائِبِ أَعْظَمَا (٢)
وَالْفَدُّ تَقْعِدُهُ الْحَوَادِثُ تَوَامَا (٣)

(١) هذا البيت زيادة من : ١ . (٢) في م : « أن تخفف عبثها » .

(٣) في م : « والفد تقعده الحوادث » وفي أ : « تقعده الحوادث نوما » .

شَيَانٍ لستَ بِأَمْنٍ عَقْبَاهُمَا أَن تَضْحَبَ الدُّنْيَا وتُدْنِي الأَرْقَمَا
فَلَا بُلُغْنَ نِهَآيَةً فِي قَدَحِهَا إِنْ لَمْ تُبَلِّغْنِي الأَبْرَ الأَكْرَمَا
ومنها :

وَلَوْ أَنَّ إِذْرَاكَ الْمَنَى بَيَدِ الشُّمَى وَطِئْتَ نَعَامَةً أَخْصَى الأَنْجُمَا
وَمَتَى يَصِحُّ سَقِيمُ جَدِّ أَخِي الْحِجَى يَوْمًا إِذَا كَانَ الزَّمَانُ الْمُسْقِمَا
فَالْحَمَقُ الْيَقُ وَالْخِدَاعُ مُوَافِقُ وَالْمَكْرُ أَرْفَقُ مَا تُرَافِقُ مِنْهُمَا
أَبْنَاءَ دَهْرِكَ بِالْفَقِّاقِ نَفَاقُهُمْ أَفَيْرُ نَضْوَانِكَ بِالْهَدَى مُتَكَلِّمًا
مَا لَمْ تُنَافِقْ فَاتَّخِذْ نَفَقًا بِهِ تَرْجُو السَّلَامَةَ مِنْهُمْ أَوْ سَلَمًا
لَا يَفْقَهُونَ وَشَرُّ مَنْ صَاحِبَتَهُ أَنْ تَضْحَبَ الأَعْمَى الأَصَمَّ الأَبْكَمَا
وَلَقَدْ مُلِئْتُ تَحَارِبًا وَتَحَارِبًا لَمْ تَلْقَنِ إِلَّا إِنَاءً مُفْعَمًا
ومن قصيدة (١) :

لَا تَلْحَنُ الأَقْدَارُ فِي إِغْرَابِهَا قَدْ تَرَفَعَ الأَسْمَاءُ بِالتَّقْدِيرِ
مَكْسُورَةٌ قَدْ حَاوَلْتُ إِكْسِيرَهَا مِنْ جَابِرٍ وَالْجَبْرِ لِلْمَكْسُورِ
وله من أخرى (٢) :

وَلَيْلٍ كَأَنَّ الصَّبْحَ فِيهِ مَارِبٌ نُؤْمَلُ أَنْ تُقْصَى وَخِلٌ نُصَادِقُهُ
وله من أخرى (٣) :

وَلَمْ أُنْسَ لَيْلًا مَا تَبَلَّجَ صُبْحُهُ وَلَا لَاحَ فِي بَافُوحِهِ وَخَطُّ شَائِبِ
عَدِمْتُ ابْتِسَامَ الْفَجْرِ فِيهِ كَأَنَّهُ سُلُوٌّ فَوَادِي أَوْ وَفَاءُ حَبَائِبِي

(١) في ١ : « وقوله » .

(٢) خلاصة الأثر ٨٣/٢ .

(٣) سقط هذان البيتان من : ج، وسقط بعدهما الثلاثة الأبيات التالية .

وله من أخرى :

فاسلمْ بدهرٍ عُصِمْتَ مِنْهُ بِهِ وَعِشْ بَعْلِيَّكَ عُمْرَ أَغْصُمِهِ (١)
تأسو برؤياك من إساءته لا يُصْلِحُ الْقَرْحَ غَيْرُ مَرَّهِهِ (٢)
فإنَّ هذا الزمانَ مُحْسِنُهُ كفارةٌ من ذُنُوبِ مُجْرِمِهِ (٣)

وله من أخرى :

وبى مَضاضَةُ عَيْشٍ مَسْنَى لَغَبٍ مِنْهَا وَسَاوَرَنِي فِي كَرِّهَا سَقَبٌ (٤)
حتى تصوّر لى منها على ظمأٍ أن المنيّة في نَفْرِ الْمُنَى شَذَبُ

ومن أخرى :

بنا أظلمتْ أَيْامُنَا وَتَظَلَّمَتْ بَنُونَا وَأَهْلُونَا مَعَ الطَّالِعِ النَّحْسِ (٥)
عسى شمسُ هذا الدهرِ تَأْتِي بَوَاقٍ مَا نُرْجَى وَشَمْسُ الْوَفْقِ فِي شَرْفِ الشَّمْسِ (٦)
وله يطلب فرساً :

أُبْثِّكُ أَنْ لَا طِرْفَ لِي أَقْتَضِي بِهِ دُبُونِي وَأَعْيَانِي الْغَرِيمُ بِمَطْلِهِ (٧)
فَجِدْ لِي بِمَا أَرْجُوهُ إِنْ شِئْتَ مُلْجَمًا وَإِنْ رُمْتَ تَعْجِيلَ الْعَطَا فَبِجَلِّهِ (٨)

(١) سقط هذا البيت من : ب ، ومن خلاصة الأثر ٨٣/٢ .

(٢) في : « تأسو برؤياك ما أساء بنا » . وفي خلاصة الأثر : « تأسو برؤياك ما أساء بنا *

لا يصلح الجرح . . . »

(٣) في ا ، ب : « كفارة عن » .

(٤) في ا : « في سورها سغب » وفي ب : « منها أساوره في صورة سغب » وفي ج :

« في سورة سغب » .

(٥) هذا البيت زيادة من ا .

(٦) جاء هذا البيت في ا هكذا :

عسى شمسُ دينِ الله يسعدنا فقد كتبنا بهذا الوفق في شَرْفِ الشَّمْسِ

وفى ب : « نرجى وسعد الوفق » وفي ج : « يرجى وسعد الوفق » . وقد وافق خلاصة

الأثر ما في : ب .

(٧) سقط هذا البيت من : ج .

(٨) الجبل : ما تلبسه الدابة ، لتصان به . القاموس (ج ل ل) .

وله من أخرى :

وَرُبَّ عَجَبٍ كُنْتُ أَحْسِنُ وَدَّهٗ وَتَقَبُّحٌ لِي أَقْوَالُهُ وَالْفَعَائِلُ^(١)
تَغَافَلْتُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْهُ وَرُبَّمَا يَسْرُكُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ التَّغَافُلُ^(٢)
وهذا كقول بعض الحكماء : الكرمُ مِكْيَالُ ثَلَاثَةِ التَّغَابِي .
ولأبي فراس^(٣) :

ليس الكريمُ بَسِيْدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنْ سَيِّدٌ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي
ومما قلته أنا في نحوه :

كَمْ قَدْ سَعَيْتُ لِلْعَالِي جَاهِداً فزاد في سَفْيِي إِلَيْهَا لَغْيِي
ولستُ فِي فَهْمِي غَبِيًّا أَبداً وَإِنِّي إِنْ عَنَّ سُوءٌ لَغْيِي
وله من أخرى :

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ صِلَاتِهِمْ تَغَرَّقُ آمَالَ الْعُقَاةِ بِجُورِهَا
وَأَنْ سَيْوْفَ الْهِنْدِ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ بِأَيْمَانِهِمْ حَاضَتْ دِمَاءُ ذُكُورِهَا
وله من أخرى :

يُبَلِّغُكَ مِنْ قَبْلِ السُّؤَالِ نَوَالَهُ وَيَأْتِيكَ دُونَ الْإِنْتِظَارِ نَضَارُهُ
وله من أخرى^(٤) :

وَقَبْلَكَ صَاحِبَتُ الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ فَمَا شَاقَنِي خِلٌّ وَلَا رَاقَ مَوْضِعُ
يُقَدِّمُنِي عَزْمِي وَحِطِّي مُؤَخَّرِي وَيُوصِلُنِي حَزْمِي وَدَهْرِي يُقَطِّعُ

(١) سقط هذا البيت من : ج ، ومن خلاصة الأثر ٨٣/٢ .

(٢) في م : « عن أشياء منها . . . يسرك عن » والمثبت من : ا ، ب ج ، خلاصة الأثر .

(٣) هكذا في الأصول ، وهو خطأ ، فالبيت لأبي تمام في ديوانه (بشرح التبريزي) ٨٧/١ ، وفيه : « ليس الغي » .

(٤) سقطت هذه الأبيات كلها من : ب ، ج ، ما عدا البيت الأخير .

ولا ذَنْبٌ لِي إِلَّا الْفُضَيْلَةَ إِنَّمَا
وَهَمِّي مِنَ الدُّنْيَا الْمَعَالِي وَنَيْلُهَا
وَلَا نَسْمَةَ سَحَرِيَّةٍ شَحَرِيَّةٍ
وَلَا عَذْبُ مَاءٍ لِلْعَذِيبِ عَلَى ظَمًا
وَلَا رَشَاءٌ أَحْوَى وَلَا صَوْتُ قَيْنَةٍ
وَلَكِنَّهُ لَذَنُّ وَأَجْرَدُ سَابِغٍ
وَأَتْلَافُ مَا أَحْوَى عَلَى طَلَبِ الْعَلَا
وَأِنِّي مِنْ خِثْلِي بِأَيْسَرِ وَدَّهِ
قَلِيلُ مَوَدَّاتِ الرِّجَالِ كَثِيرَةٌ
أَبْرَكَ مَنْ يَلْقَاكَ بِالْبِشْرِ وَجْهُهُ
وَلَكِنِّي لَمْ أَلْفِ غَيْرَكَ وَافِيًا
فَخَاوَلْتُ أَنْ أَلْقَى لِلنَّسَايَا أَوَّلَ الْمَنَى
تَمَلَّكَتْ مِنِّي جَانِبًا لَا أَضِيعُهُ
لِسَانًا طَرِيبًا بِالْمَدِيحِ وَأَتَمَلَّأُ
وَقَلْبًا عَلَى حِفْظِ الْمُوَدَّةِ عَامِرًا

من الجملِ في الأيامِ أَشْنَى وَأَشْنَعُ
وَمَا هُمْ قَلْبِي الرِّقْمَتَانِ وَلَمْلَعُ (١)
وَلَا بَارِقٌ مِنْ بَارِقٍ وَهُوَ يَلْمَعُ (٢)
يُمِضُ بِجَرَءِ الْحَمَى يَتَجَرَّعُ (٣)
وَلَا قَدَحٌ فِيهِ الرَّحِيقُ الْمُسْفَعُ (٤)
وَمَسْرُودَةٌ زَغَفَا وَأَيُّضُ يَسْطَعُ (٥)
وَهَذَا طَرِيقُ الْمَكَارِمِ مَهْيَعُ (٦)
أَمَرْتُ وَأَمْرِي مَادَعَانِي وَأَسْرِعُ (٧)
وَأَيْسَرُهَا عِنْدَ النَّوَابِثِ تُقْنِعُ
وَوَاسَاكَ فِي الضَّرَاءِ مَنْ يَتَوَجَّعُ
وَأَكْثَرُ مَنْ تَلَقَّى يَخُونُ وَيَخْدَعُ
لَدَيْكَ وَعِرْنَيْنُ الْعِدَى بِكَ أَجْدَعُ
لَغَيْرِكَ فِي الدُّنْيَا وَغَيْرِي الْمُضِيعُ
سَحَابُهَا مِنْ نَفْسِهَا لَا تَقْشَعُ
وَلَكِنَّهُ إِنْ مُنِمَّتْهُ الضَّمِيمُ بَلَقَعُ

- (١) الرقمتان : تثنية الرقة ، وهو مجتمع الماء في الوادي ، وقيل : قريتان بين البصرة والنجف ، وهما على شفير الوادي ، وقيل : روضتان بناحية الصمان ، والرقتان : نهيان من أنهاء الحرة ، قرب المدينة . وللملح : جبل ، وقيل : منزل بين البصرة والكوفة . مراد الاطلاع ٦٢٥ ، ١٢٥٥ .
- (٢) في م : « سحرية شجرية » وشجرية : نسبة إلى الشجر ، وهو ساحل البحر بين عمان وعدن .
- (٣) في أ : « بالعذيب . . . أتجرع » .
- (٤) شمشع الشراب : مزجه . القاموس (شع ش ع) .
- (٥) الزغفة : الدرع اللينة الواسعة المحيكة ، أو الرقيقة الحسنة السلاسل . القاموس (زغ ف) .
- (٦) في م : « المكارم منبع » وطريق مهيع (كقعد) : بين . القاموس (هي ع) .
- (٧) في أ : « بأيسر وده » .

وصـيـرتني عبداً لأمرِك طامعاً
ولي رتبة فوق الثريا محلها
وسـلـسـال لفظي سائغ الورد عذبه
وما قصدت إلاك قبل قصائدي
متممة زهو على زهر الربى
لو اعتبر الرأي موافق لفظها
وغيري طفيلي القوافي وأشعب الـ
وله من أخرى :

إن خصني بالبؤس دهرى دائماً
هذي عقاير المطارة كلها
وله من أخرى (٥) :

أرى اليأس عزاً والرجا ذلة الفتى
فلا تضجرن من حالة مستحيلة
وإن الفتى كالغصن مادام نابتاً
وله من أخرى (٥) :

إذا ما كنت مصطبهاً جميلاً
ولا تُسكركم به إلا كريماً
ولم أر نعمة تُسدَى فتزري
فحاول من يروقك بالصنيع
رماء الدهر عن تجدي رفيع
بمُسديها سوى رفع الوضع (٦)

(١) في ١ : « سائغ الورد » .

(٢) في م : « كالزهر السوادي » .

(٤) المندل : العود .

(٦) في ١ : « فتزري بمسديها » .

(٣) في ج : « في كل ما عز » .

(٥) سقط البيتان الأولان من : ب ، ج .

وقوله ^(١) :

عَيْرٌ بِذِيْعٍ إِذَا ظَلَمْتَ بِهِرٍ رُزِقَ الْغَمْرُ فِيهِ حَظًّا عَظِيمًا
فَالْهُوَ الصَّحِيحُ يُدْعَى عَلِيلًا وَاللَّدْبِغُ الْمَصَابُ يُدْعَى سَلِيمًا ^(٢)

وقوله ^(١) :

مَا سَمِئْتُ الزَّمانَ إِلَّا لِحِرْمَا نِ كَرِيمٍ فِيهِ وَحَظٌّ لَثِيمٍ
وَتَرَاهُ اللَّثِيمَ أَقْبَحُ فِي الْعِيَا فَبَيْنَ مَرَأَى مِنْ افْتِقَارِ الْكَرِيمِ ^(٣)

وله ^(٤) :

وَمُسْتَخْبِرٌ عَنِّي بِغَيْرِ جَهَالَةٍ بَرَانِي فِي عَيْنَيْهِ عَنْ حَالَتِي عَمَى
تَفَكَّرَ مُرْتَابًا وَلَمْ يَذَرِ أَنَّنِي شَهِدْتُ مَذَاقَ الْعَيْشِ شُهِدًا وَعَلَقَمًا
إِذَا مَا اسْتَرَدَّ الدَّهْرُ مِنِّي هِبَاتِهِ فَسَيَّانَ أَنْ أُعْطِيَ كَثِيرًا وَآخِرَمًا

وله ^(٥) :

لَا يَضُرُّ الْكَرِيمَ قِلَّةُ مَالٍ لَا وَلَا بِاللَّثِيمِ يُجْدِي الثَّرَاءُ
فَشَبًّا مُرْهَفٍ الْجَبَانَ كَلِيلٌ وَبَصْنَدِيدِهَا تَقْدُّ الْعَصَا

وله :

لَا تَحْسَبِ الْأَرْزَاقَ تُقَسِّمُ بَاطِلًا كَلَّا لَقَدْ سَاوَى الْمُتَّهِمِينَ بَيْنَهَا
فَإِذَا رُزِقْتَ الْجَهْلَ أَذْرَكَ لِمَنِي وَإِذَا حُرِمْتَ الْجَدَّ أُعْطِيتَ النُّهَى

(١) سقط البيت الأول من : ب ، ج .

(٢) في ب : « الهواة الصحيح » وفي ج : « القوى الصحيح » .

(٣) في ا : « فتر اللثيم » وفي م : « وتراى اللثيم » والبيت مضطرب في ب ، ورد هكذا :

« وتراى اللثيم (... بياض) من افتقار الكريم إلى اللثيم » .

(٤) سقط البيتان الأولان من : ب ، ج .

(٥) يبدأ من هنا سقط في : ب ، ج ، ينتهي عند قوله : « أراك ولكن لا سبيل إلى اللقاء » الآتي .

وله :

حَاذِرْ عِدَاكَ الْأَقْرَبِينَ مِنَ الْوَرَى
فَأَضْرُهَا الْقُرْبَاءَ وَالْقُرْنَاهُ
وَتَوَقَّ مِنْ كَيْدِ الْخُودِ وَلَيْنَ مَا
يُبْدِي فَقَدْ يُصْدِي الْحُسَامُ الْمَاءُ

وله :

أَبْعَدُ مَا يَطْلُبُ إِدْرَاكَهُ
تَنِيلُ الْمَنَى بِالْفَضْلِ إِنْسَانُ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ غَايَةٌ
وَعَايَةُ الْعِرْفَانِ حِرْمَانُ

وله :

رُؤْيُكَ إِنْ بَعْدَ الضِّيقِ تَخْرُجُ
وَصَبْرُكَ عِنْدَهُ أَبْهَى وَأَنْهَجُ
وَكَمْ مِنْ كَرْبَةٍ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ
وَعِنْدَ حُلُولِهَا الرَّحْمَنُ فَرَجُ

وله :

كَفَى حَزَنًا أَنِّي أَرَاكَ قَرِيبَةً
وَيُقْصِيكَ عَنِّي يَا بُشَيْنُ أُمُورُ
أَرَاكَ وَلَسْكَنَ لَا سَبِيلَ إِلَى اللَّقَا
وَكُلُّ يَسِيرٍ لَا يُفَالُ عَسِيرُ^(١)

وقوله :

اسْتَقْنِي قَهْمَ قَهْمِ قَهْمِ قَهْمِ
وَأَمْرُجِ الْقَهْمَ قَهْمَ قَهْمِ قَهْمِ
فَهِيَ لِلصَّفِّ رَاءَ وَالْبَدَا
فَهِيَ تَحْمُوهُ وَهِيَ سَوْدَا

وقوله :

وَأَغْيِدَ أَوْرَثَنِي بُمُدِّهِ
ثَوْبَ الضَّمَا فِيهِ وَفَرَطَ السَّقَامِ^(٢)
رَنَى لِيَ الْعَاذِلُ فِي حَبِّهِ
حَتَّى إِذَا خَطَّ عِذَارِيَةَ لَامِ^(٣)

(١) في أ، ب : « إلى لقي » .

(٢) في ب : « ألبسني صده » وفي ج : « أورثني صده » وفي ب : « ثوب ضني ويحلو السقام » .

وفي ج : « ثوب الضنا وحلي السقام » .

(٣) في م : « خط عذاره لام » .

وله (١) :

مُذْ خَطَّ آيَاتِ عِذَارٍ لَهُ نَقَطَهَا مِنْ مِسْكِ شَامَاتِهِ
وَلَا حَ فِي أَصْدَاغِهِ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ بِهَالَاتِهِ
وَأَرْسَلَ اللَّحْظَ نَذِيرًا وَقَدْ كَلَّمَ قَلْبِي بِمُفَاجَاتِهِ
وَلَمْ أَسْتَطِعْ كُفْرَانَهَا إِنَّنِّي آمَنْتُ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
وله في الصَّيْفِ :

قَدْ هَجَمَ الصَّيْفُ وَوَلَّى الشَّتَا مُنْهَزِمًا تَابِعَ آثَارِهِ (٢)
مُبْتَدِعًا يَسْلُبُ أَثْوَابَنَا وَيُخْرِجُ الْمَالِكَ مِنْ دَارِهِ (٣)
وله :

أَرَاكَ بِسِرٍّ مُسْتَوْعِيكَ مِرًّا مَخَافَةَ أَنْ تُسِرَّ إِلَى مُرِيبٍ (٤)
أَتَمَّ مِنَ السُّؤَالِ عَلَى عَدِيمٍ وَمَنْ دَرَنَ السَّفَارِ عَلَى غَرِيبٍ (٥)
وله (٦) :

لَا أَشْتَكِي الْحَبَّ تُصْمِيْنِي مَصَائِبُهُ وَلِي عَنْ اللَّوْمِ فِيهِ أُذُنُ أَطْرُوشٍ (٧)
فَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَلْفَاهُ نَازِرُهُ فِي صَبُوحٍ شَوْشَتُهُ أَيْ تَشْوِيشِ
كَالْتَسْرِ أَرْزَاهُ سَهْمٌ فَاسْتَعَدَّ لَهُ عُدْرًا وَقَالَ رَمَى قَلْبِي بِهِ رِيْشِي
وله أيضًا :

بِرُوحِي مَنِ ابْصَرْتُ صَفْحَةَ خَدِّهِ وَأَبْصَرْتُ وَجْهَ الشَّمْسِ اغْبَرَ أَسْوَدًا

-
- (١) من هنا سقط في ب ، ج حتى قوله : « مبتدعا يسلب أثوابنا » الآتي .
(٢) في أ : « يتبع آثاره » .
(٣) في ب ، ج : « مبتدع » وفي ج : « يسلب أقواتنا » .
(٤) سقط هذا البيت من : ج . (٥) في ب : « أتم على السؤال » .
(٦) سقط البيتان الأولان من : ب ، ج . (٧) الأطروش : الأعمى .
(٨) من هنا سقط في ب ، ج ينتهي بقوله : « وإن صح منه الطرف غير عليل » الآتي .

كأني أراها دونه مثلما يرى
وله من أخرى :

مُنِيرُ الْحَيَا كُلَّمَا شِمْتَ وَجْهَهُ
كَذَا الشَّمْسُ مِنْهَا شَامَهَا الْمَرْءُ لَمْ يَعُدْ
أعاد إليك الطرفَ جدَّ كليلِ
وإن صحَّ منه الطرفُ غيرَ عليلِ
وله من قصيدة :

قد كان ليلٌ ذوائي لي شافياً
وأملتقي بيض الصِّفاحِ أحبُّ لهُ
واليومَ صُبحُ الشَّيْبِ مِنْ رُقْبَائِي
بَيْضَاءُ مِنْ ذِي لَمَّةٍ بَيْضَاءُ (١)
ومنها :

ولئن خَبَرْتَ بَنِي الزَّمَانِ وَخِصَّةُ الـ
إِيَّاكَ تَرَكْنُ مِنْهُمْ لِمَا ذُقِ
وَتَجَنَّبَنَ مِنْ لَيْنِ مَلَسِ عِطْفِهِ
ولطالما أَضْفَيْتُ قَبْلَكَ خُلَّتِي
وبلوتُ مِنْهُ وَدَّهَ فَرَأَيْتُهُ
فَعَدَوْتُ أَحْتَرِزُ الْأَنَامَ وَغَدَرَهُمْ
وَقَطَعْتُ بِالْيَأْسِ الرِّجَاءَ لَدِيهِمْ
آباءُ تُنْتِجُ خِصَّةَ الْأَبْنَاءِ
يُبْدِي الْوَفَاءَ وَلَاتَ حِينَ وِفَاءِ
فَالْعَضْبُ يَصْدَأُ مَتْنُهُ بِالْمَاءِ (٢)
مَنْ لَا أَرَاهُ مُوَافِقًا لِإِخَائِي (٣)
مُتَلَوَّنًا كَتَلَوْنَ الْحِرْبَاءِ
إِنْ الطَّيِّبَ يَخَافُ مَسَّ الدَّاءِ
وَالْيَأْسَ يُجَدِّعُ أَنْفَ كُلِّ رَجَاءِ (٤)
وله من أخرى :

أَوَاهُ كَمْ لَوْعَةٍ بِقَلْبِي تَعْدُو وَكَمْ رَوْعَةٍ تَرُوحُ (٥)

(١) في المطبوعة : « في الملتقى » والثابت من : ا ، ومن هذا البيت يبدأ سقط في ب ، ج ينتهي بقوله :
« يبدى الوفاء ولات حين وفاء » .

(٢) في ج : « وتجنبي من لين ملس عطفه » .

(٣) سقط هذا البيت والبيتان التاليان له من : ب ، ج .

(٤) في ج : « وقطعت عن يأس الرجاء » . (٥) سقط هذا البيت من : ب ، ج .

إِنِّ الهَوَى دَاءُهُ عَيَاءٌ يَعِجْزُ عَنْ بُرْثِهِ الْمَسِيحُ

وله من أخرى ، يصف قصيدته ^(١) :

وَكَأَنَّهَا فِي كُلِّ بَيْتٍ شِمَّتَهُ مِنْهَا نَضُمُّ مِنَ الْقَرِيبِضِ مُهَنْدِسًا
وَالشُّعْرُ مَا شَاقَّتَكَ مِنْهُ حِكْمَةٌ لَا مَا يُشَوِّقُكَ الْكَيْتِيبَ الْأَوْعَسَا ^(٢)



(١) سقط البيتان ومقدمتهما من : ب ، ج .

(٢) المكان الأوعس : هو ما تنكب عن الغلظ، والأرض لم توطأ ، والرمل اللين . القاموس (وعس) .

١٢

أبو بكر تقي الدين التاجر ، المعروف بابن الجوهري*

مَنْ زَهَتْ زَهْرَةُ حَيَاتِهِ بِالشَّامِ ، فَنَظَرَ مِنْ مَطَالِعِ آفَاقِهَا بِوَارِقِ الْفَصَاحَةِ وَشَامِ ،
وَأَسْعَدَتْهُ الْجُدُودُ ، فَبَدَتْ عِرَائِسُ أَفْكَارِهِ مَقُورِدَةُ الْخُدُودِ ، وَدَارَتْ مِنْ شِمَائِلِهِ
الشَّمُولُ ، فَسُرَّتْ بِهَا قُلُوبُ الْقَبُولِ ، وَعَيُونَ الْعُقُولِ ، كَمَا ارْفَضَ عِرْقُ الطَّلِّ الْهَتَّانِ ،
عَلَى رُءُوسِ الْقُضْبِ وَطُرَّرَ^(١) الرِّيْحَانُ .

وله في الأدب والشعر تجارة لن تبور ، إلا أن طبعه كأم الصقر مقلات نزور .
فمن عقوده وجواهر نقوده قوله :

هَذِي الْمَنَازِلُ قَبْلَنَا كَمَا ذَاتَ دَاوُلَهَا أَنَايِسُ^(٢)
كَمْ صَدَعَتْ مَلَكًا وَكَمْ مِنْ مُدْعٍ وَضَعَ الْأَسَاسِ
غَرَسُوا وَغَيْرَهُمْ اجْتَنَى مِنْ بَعْدِهِمْ ثَمَرَ الْفِرَاسِ
دَوْلٌ تَمَرُّ كَأَنَّهَا أَضْفَاتُ حُلْمٍ فِي نُعَاسِ

(*) أبو بكر تقي الدين بن أحمد بن علاء الدين بن محمد الجوهري البهram آبادي .
ولد سنة ثمان وستين وستمائة .

ونشأ في وصاية عمه الشيخ محمد الجوهري ، وطلب العلم في بداية أمره ، وتردد إلى مصر كثيراً ،
وقرأ على علمائها ، ثم تعاطى التجارة يرسلها إلى أخيه الشيخ حسن بمصر .
وله نظم كثير ، وإنشاء ما له نظير .

كان حياً في أيام البوريني صاحب « تراجم الأعيان » .
تراجم الأعيان ٢٣٨/١ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٦ ب ، خلاصة الأثر ٦٨/١ ، وانظر سلافة العصر

٣٩٥ .

(١) في ١ : « وطرز » وفي ج : « وطرار » .

(٢) في ج ، م : « أناس » .

وهو من قول أبي تمام^(١) :

أعوامَ وَضَلَّ كَادُ يَنْسِي طَيْبَهَا ذِكْرُ النَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ^(٢)
 ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرٍ أَعْقَبَتْ نَحْوِي أَمْسِي فَكَأَنَّهَا أَغْوَامٌ^(٣)
 ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونُ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ
 وكانت نزلت بي شدة ، ليس لها غيرُ لطفِ اللهِ عُدَّة ، فكان في كل يومٍ يُسَلِّني
 الأحيابُ بِذِكْرِ مُبَشِّرَاتٍ بِمَحْصُولِ الْفَرَجِ ، فقلت ، وقد كثر ذلك :

وَيَلَاهُ مِنْ زَمَنِ كَانَ نَهَارُهُ نَفَضَتْ دُجَاهُهُ عَنْهُ صَبِيغُ ظَلَامٍ
 مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ لِيَالَيْنَا لَهَا نُورٌ يُرِينَا صَفْوَةَ الْأَيَّامِ^(٤)
 زَمَنٌ كَأَحْلَامٍ تَقْضَى بَعْدَهُ زَمَنٌ نَعْلَلُ فِيهِ بِالْأَحْلَامِ



(١) ديوانه (بشرح التبريزي) ١٥٢، ١٥١/٣ .

(٢) في الديوان : « كان ينسى طوبها » (٣) في الديوان :

ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرٍ أَرْدَفَتْ يَحْوِي أَمْسِي فَكَأَنَّهَا أَغْوَامُ

(٤) عجز البيت مضطرب في النسخ المخطوطة ، فهو في أ : « يودن مناصفوه الأيام » وفي ب : « تودتن مناصفوة الأيام » وفي ج : « نوارن منها صفوة الأيام » .

١٣

شمس الدين محمد، المعروف بابن المنقار *

جواد في حلبة المسكرم^(١) سابق ، مُخَلِّطُ مُزِيل^(٢) ، فَاتِقُ رَاتِقٍ ، وقد كانت تتجاذبُ الأخبارُ شمائلَ فضائله ، وتهتزُّ الأغصانُ إذا هبَّتْ نسائمُ شمائله ، ومن طاب عِرْقُه^(٣) طاب من عِرْفِه الشَّميم ، ومن كان غُصْنًا في رياض المعالي هزَّه مرورُ النَّسيم .

إلا أن شِعْرَه شعرُ العلماء ، وأدبه أدبُ الفقهاء ، وما كل قصرٍ خورنقٍ وسدير ، وما كل وادٍ فيه روضةٌ وغدير .

على أنه كانت تنبيه به على سائر البقاع بقاعُ الشَّام ، ويفتخرُ به عصرُه على جميع^(٤) الليالي والأيام ، فلا تزال تصدحُ وُرقُ الفصاحة في ناديمها ، وتسير الرُّكبانُ بما فيه من المحاسن رائحًا وغاديا ، وأقلامُ الفتوى مُثيرةٌ من شمس إفادةٍ له ارتفعت ،

(*) في ب : « ابن المنقار » وهو :

محمد بن القاسم ، الملقب شمس الدين ابن المنقار الحلبي الدمشقي الحنفي .

ولد سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة .

وكان من أعيان العلماء ، منظرًا ، قوى الساعد في العلوم ، ولكنه كان ضيق الخلق .

توفي سنة خمس بعد الألف .

لإعلام النبلاء ١٥٢/٦ ، خبايا الزوايا لوحة ١٤٠ ، خلاصة الأثر ١١٥/٤ .

(١) في م : « الأدب » . والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) في م : « هزل » والتصويب من : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وقد شرح المحي قوله « مخلط مزيل » فقال : « قوله : مخلط مزيل . يضرب للذي يخالط الأمور ويخالطها ثقة بعلمه واهتمامه إليها » .

(٣) في ج : « عرفه » .

(٤) في م : « سائر » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

فيا لها من قُضْبٍ اُثْمَرَتْ بعد ما قُطِعَتْ ، ونُورُ فضلِهِ بَادِي ، وموائِدُهُ ممدودةٌ لكل حاضرٍ وبادِي .

كالشَّمْسِ في كبدِ السماءِ ونورُها يَفْشَى البلادَ مشارقًا ومغاربًا ^(١)
ولم يَبْرَحْ ^(٢) ثَاوِيًا في فَلَاكِ السَّعَادَةِ ، حتى كَسِفَتْ شَمْسُ حَيَاتِهِ ، فابَسَ الدُّجَى عليه حَدَادَهُ .

فمن نَفَحَاتِ أسرارِهِ ، وَلَمَعَاتِ أنوارِهِ قَوْلُهُ للقاضي مُحَبِّ الدين ، وهو بمصر :
مِنْ يَوْمِ بَيْنِكَ كُلِّ طَرْفٍ دَامِي لَمْ تَكُنْ تَحِلُّ أَجْفَانُهُ بِمَنَامِ ^(٣)
لَمَّا رَحَلْتَ مُتَمَعًا بِسَلَامَةٍ وَمَصَاحِبًا لِلسَّعْدِ وَالْإِكْرَامِ
خَلَفْتَ بَعْدَكَ كُلَّ خَلٍّ هَائِمًا يُجْرِي الدُّمُوعَ حَلِيفَ قَرْطِ غَرَامِ ^(٤)
سَكْرَانٍ مِنْ كَأْسِ الْفِرَاقِ مُعَذَّبًا يَا صَاحِبَ الْهَجْرَانِ وَالْآلَامِ
يَشْدُو بِذِكْرِكَ مِنْ نَوَاكٍ إِذَا رَأَى الْـ مَشَاقَّ فِي رَكْبٍ لِكُلِّ مَقَامِ
مَوْلَايَ بِمَدِّكَ قَدْ تَفَرَّقَ شَمْلُنَا وَضِيَاءُ نَادَيْنَا انْمَحَى بِظِلَامِ ^(٥)
قَدْ كَفَتْ وَاسِطَةً لِعَقْدِ نِظَامِنَا حَتَّى انْفَرَدْتُ فَحُلَّ عِقْدُ نِظَامِي
وَضِيَاءُ وَجْهِكَ فِي النِّهَارِ إِذَا بَدَا فَالشَّمْسُ تَسْتُرُ وَجْهَهَا بِغَمَامِ
هَذَا وَعَبْدُكَ ضَاعَ بَعْدَكَ صَبْرُهُ فَاسْلَمْ وَدُمُ فِي السَّعْدِ وَالْإِنْمَامِ

(١) في خلاصة الأثر : « وضوءها يَفْشَى البلاد » .

(٢) في م : « ولم يزل » .

(٣) في أ : « كل طرفي » .

(٤) في ج : « حليف فرط سقام » .

(٥) في أ : « وضياء وادينا » .

وعلى حاك من الحبّ تحيةٌ لا تنتهى عليك ألف سلامٍ
وسقى الإله ديارَ مِصرَ وأهلها أنواء سُحِبِ من يدِكَ عِظامِ
لما حَلَّتْ بها تضحكُ نورُها فرحاً وبُدِّلَ نَقْصُها بتمامِ
لا زِلْتَ تَرَفُلُ في ثيابِ سيادةٍ وتجرُّ ذيلَ العِزِّ فوقَ الهامِ^(١)
مانقُ المُشْتاقِ طِرسَ رسالةٍ بحديثِ أشواقٍ وبَثِّ غرامِ



ابنه عبد اللطيف*

ولما ارتحلتُ عن مصر ، فارقتُ أترابي ولِداتي ، ومَن بها من ذخائر آمالي
وكنز حياتي .

وَظَنُّرُ بِلَادٍ أَرْضَعْتَنِي بِمَائِهَا وَأَنْفَاسُ نَمَاتِي وَمَهْدُ دِيَارِي^(١)
مَرَرْتُ عَلَى دِمَشْقِ^(٢) الشَّامِ ، فَرَأَيْتُ مَنْ بَهَا مِنَ الْكِرَامِ ، كَانَ مِمَّنْ نِعِمْتُ بِبُقْيَاهِ ،
وَوَقَفْتُ عَلَى هَضْبَاتِ عَلَاهِ ، هَذَا الْأَدِيبُ الْحَسِيبُ ، وَالرَّوْضُ الْأَرِيضُ ، وَالْمَرْبَعُ^(٣)
الْخَصِيبُ ، فَحَيَّانِي بِأَنْفَاسٍ مِنْ أَنْفَاسِ الْخَزَامَى أَنْدَى ، وَهَبَّتْ مِنْهُ نَفَحَاتُ أَنْسٍ كَنَفْحَةِ
رَوْضٍ مِنْ قُبَيْلِ الصَّبْحِ بَلَّغَهَا الْأَنْدَا ، فَعَطَّرَ بِفَضَائِلِهِ الْجَامِعَ ، وَفَسَّكَ بِشَمَرَاتِ آدَابِهِ
الْمَسَامِيعَ ، وَأَهْدَى إِلَى^١ فِي مَشْرِفَةِ قَصِيدَةٍ ، حَيَّانِي بِهَا ، وَهِيَ :

بَأُفَقِ دِمَشْقَ قَدْ طَلَعَ الشُّهَابُ أَضَاءَتْ مِنْهُ هَاتِيكَ الرَّحَابُ
هُمَامٌ جَدَّ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي فَأَحْرَزَ شَأُوهَا مِنْهُ الطُّلَابُ

(*) عبد اللطيف بن يحيى بن محمد بن القاسم ، المعروف بلطفي ، ابن المنقار الدمشقي الحنفي .
هكذا أورد الحمفي نسبه ، وعلى هذا فهو حفيد شمس الدين ، لا ولده .
أما ابن معصوم فقد أورد نسبه هكذا : عبد اللطيف بن شمس الدين محمد المنقاري . وعلى هذا فهو ابنه ،
كما ذكر الحمفاجي .

وقد سافر عبد اللطيف إلى حلب وديار بكر ، وولى تدريس الماردانية .
وكان فاضلا نبیلا ، كما كان أديبا حسن البديهة والشعر ، إلى جانب تمكنه من الفقه .
توفي سنة سبع وخمسين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٢٠ ، سلافة العصر ٣٩٤ .

(١) في ب : « وطيب بلاد » وفي ج : « وخير بلاد » وفي م : « وطير بلاد » والمثبت من : ا .
وفي ا ، ب ، ج : « وأنفاس نيمات ومهد ديار » .
(٢) في م : « مررت بدمشق » .
(٣) في ب ، ج : « الربيع » .

وَمَوْلَى شَأْنُهُ تَحْرِيرُ عِلْمٍ
حَوَاشِيهِ مُنْقَحَةٌ الْمَعْنَى
فَبَدْرُ عَلَاهُ مُكْتَمِلٌ مُنِيرٌ
فَفِي التَّفْسِيرِ مَجْتَهِدٌ وَفِيهَا
فَلَا يُلْقَى لَهُ فِيهِ نَظِيرٌ
أَنَّى مِنْ مِصْرَ مَجْتَازًا فُطَابِتُ
وَعَادَ إِلَى دِمَشْقٍ وَهُوَ ثَانٍ
فَقَلَّدَ جِيدَهَا بِمُقَوِّدِ فَضْلٍ
وَجَادَ رَبِّي دِمَشْقَ وَسَاكِنِيهَا
فَقَرَّتْ أَعْيُنًا وَسَمَتْ مَقَامًا
وَغَنَّتْ لِي قِيَانُ الطَّيْرِ بِشِرَاءٍ
وَمَاسَتْ غَادَةُ الرَّوَضَاتِ زَهْوًا
وَقَدْ بَسَمَتْ تَفُورُ النُّورِ فِيهَا
وَكَأْسُ الْوَرْدِ فِي رَاحِ الرَّوَابِي
فَنِعْمَ الْوَقْتُ وَقْتُ جَاءَ فِيهِ
فَدَامَ مُتَمَتِّعًا فِي ظِلِّ عَيْشٍ
وَعُمُرُ بَنِيهِ فِي الدُّنْيَا طَوِيلٌ
لَهُ مَنَى ثَنَاءٌ كُلُّ وَقْتٍ

وَتَقْرِيرُ الْمُبَاحِثِ وَالْخِطَابُ
وَمِنْ فَنِّ الْبَيَانِ بِهَا اللَّبَابُ
يَفِيضُ بِدُرِّهَا مِنْهُ الْعُبابُ
نَحَاهُ رَأْيُهُ أَبَدًا صَوَابُ
وَلَيْسَ لَهُ سِوَى الذَّخِيرِ دَابُ
بِمَقْدَمِهِ مَعَالِمُهَا الرَّحَابُ
عِنَانَ الْعِزِّمِ وَاقْتَبَلَ الْإِيَابُ
وَوَشَّى رَوْضَهَا ذَاكَ الْجَنَابُ
بَصِيبِ سَيِّبِهِ الْهَامِي سَحَابُ
وَقَدْ رَاقَتْ مَشَارِبُهَا الْعِذَابُ^(١)
فَكَانَ مِنَ الْقَبُولِ لَهَا جَوَابُ
فَأُلْقِيَ عَنْ مُحْيَاهَا النَّقَابُ
وَأَسْكُرَ مِنْ ثَنَائِيهَا الرُّضَابُ
طَفَأَ فِيهِ مِنَ الْأَنْدَا حَبَابُ
وَخَيْرُ الدَّهْرِ وَقْتُ مُسْتَطَابُ^(٢)
لَطِيفٍ لَا يُكَدِّرُهُ الذَّهَابُ
يَتَنَبَّهُ بَعْدَهُ فِيهِ الْحَسَابُ
جَزِيلٌ أَوْ دَعَاءٌ مُسْتَجَابُ



(١) في ١، ب « مشارعها العذاب » .

(٢) في م : « عيش مستطاب » ، والثبت من : ١ ، ب ، ج .

شيخ الإسلام عماد الدين الحنفي الشامي*

ماجد طويل النِّجاد ، له بيت كريم رفيعُ العماد ، من غير قدَح فيه وارى الزُّناد ،
من رُفِع فوقَ هامة ^(١) السَّمَاكِ مِهَادُهُ ، إذا شُيِّدَ بيتُ الشُّعرِ وعُمِّرَ رَنْعُ الأدبِ فهو
عمادُهُ ، وإذا بدَى ربيعُ طَبْعِهِ نَشَرَ على البَقاعِ وشَائِعِ ^(٢) ، يُحْيِي دَارِسَ الْفَضْلِ
فَيُصْبِحُ وهو مشهورٌ بها وشَائِعِ ، وجوادٌ قَرِيحُهُ مَلَّانَ الْعِنانِ ، سَبَّاقٌ إِلَى مَغَارِسِ
قُصْبِ الرَّهَّانِ ، بَعْدَ مَشْرَبِ كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ ممزوجاً بماءِ الْوَاقِعِ ، فَمَارِيحُ الشَّمالِ
وما الرِّاحُ السَّمُولُ ، وما وَجَنَاتُ الْوَرْدِ خَمَشَتُهَا راحةُ الْقَبُولِ .

له لُطْفٌ خُلِقَ يَسْعَى الْلُطْفُ لِيُنْظَرَ إِلَيْهِ ، ورقيقٌ محاسنٍ يَقِفُ الْكَمَالُ مُتَحَيِّراً
لَدَيْهِ ، أَلَذُّ مِنْ إِنْغَاءَةِ الصَّبَاحِ ، وأَخْلَى مِنْ مَذَاقِ الظَّفَرِ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّجَاحِ .
وأنا وإن لم تَقَعْ لِي عَلَيْهِ عَيْنٌ ، فسماعُ الْأَخْبَارِ إِحْدَى الرُّؤْيَيْنِ ، على أَنِّي إِن
لَمْ أَرَ الْأَسَدَ فَقَدْ رَأَيْتُ شِبْلَهُ ، وسيأتِي ما بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ الْحُبَّةِ وَالْخُلَّةِ ، لَمَّا قِلْتُ بِظِلِّ
الشَّامِ ، في رَوْضَةِ أَطْلَتَ ^(٣) على نَهَرٍ تَفَتَّرَ مَبَاهِمُ النُّورِ فِيهَا عَنْ لَأَلِ الْمَطَرِ .

(*) عماد الدين بن عبد الرحمن بن محمد العماد الحنفي الشامي .

ولد سنة أربع بعد الألف .

وكان فاضلاً وقوراً متواضعاً ، صادق الود ، وثيق العهد ، طاهر الفم والذيل .

وهو مفتي الحنفية بالشام ، وابن مفتيها .

توفي سنة ثمان وستين وألف .

خبایا الزوايا لوحة ٤٠ ب ، خلاصة الأثر ٢٠٣/٣ ، ديوان الإسلام لوحة ٦٠ ب .

(١) في م : « هام » .

(٢) الوشائع : جمع الوشيعة ، وهي كل لفيفة ، والطريقة في البرد ، وكأنها أراد بها جمع الوشم ، وهو
زهر البقول وشجر البان ، أو جمع الوشوع ، وهو ما يتفرق في الجبل من النبات .

(٣) في م : « أطلت » .

وكان صَدْرًا لِكُلِّ نَادٍ ، حتى قَرَضَ الدهرُ منه رَفِيعَ الْعِمَادِ :
 وَزَهْرَةُ الدُّنْيَا وَإِنْ أَيْنَعَتْ فَإِنَّهَا تُسْقَى بِمَاءِ الزَّوَالِ (١)
 وَلِلطَّالُوتِ فِيهِ مَدَامُحٌ وَبَيْنَهُمَا مَحَاوِرَاتٌ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

عَهْدَ السَّرُورِ وَرَبْعَانَ الْهَوَى النَّضِيرِ	سَقَاكَ عَهْدُ الْحَيَا رَقْرَاقَ مُنْجَدِيرِ
وَجَادَ رَبَّكَ وَسَمِيَّ تَكْرَّرُهُ	رِيحُ الصَّبَا بَيْنَ مُنْهَلٍ وَمُنْهَمِرِ (٢)
وَعَرَّدَتْ بِرُبَاكَ الْوُزُقُ وَابْتَسَكَّرَتْ	بَلَحْنُ مَعْبِدٍ تَقْلُو طَيِّبَ الْخَبَرِ (٣)
وَلَا بَرَحَتْ مَفَانٌ لِلْحِسَانِ وَلَا	رَمَتْكَ أَيْدِي النَّوَى بِالْحَادِثِ الْعَدْرِ (٤)
وَلَا أَغْبَتَكَ أَرْوَاحُ النَّسِيمِ وَلَا	عَدَتْ مَفَانِيكَ أَخْلَافٌ مِنَ الْمَطَرِ (٥)
كَمْ لِي بِهَا وَشَبَابِي الْغَضُّ مُقْتَبِلٌ	مِنْ مَنْزِلِ أَهْلِ الشَّوْقِ وَالذِّكْرِ
كَمْ اجْتَلَيْتُ بِدَوْرًا مِنْ مَطَالِعِهَا	قَدْ لَحْنٌ تَحْتَ سَنَاءٍ مِنْ سَنَاءِ قَمَرِ
مِنْ كُلِّ رُعْبُوبَةٍ تَهْفُو بِمُضْطَبَّرِي	قَدْ زَانَهَا الْحَسَنُ بَيْنَ الدَّلِّ وَالْخَفَرِ (٦)
رُودٌ كَسَمَهَا يَدُ الْأَيَّامِ ثَوْبَ صَبَا	وَصَيَّرَتْهَا اللَّيَالِي فِتْنَةً الْبَشَرِ
هَيْفَاءُ صَبَّ الصَّبَا مَاءَ الشَّبَابِ عَلَى	أَعْطَافِهَا وَكَسَاهَا حُلَّةَ الْخَفَرِ (٧)
قَامَتْ تُعَانِقُنِي عِنْدَ الْوِدَاعِ وَقَدْ	قَلَّدَتْهَا مِنْ دُمُوعِي رَائِقَ الدَّرَرِ

(١) في ١ : « فيالها تسقى » وفي هامش ب : صوابه :

* لَا بُدَّ أَنْ تُسْقَى بِمَاءِ الزَّوَالِ *

(٢) الوسمي : مطر الربيع الأول .

(٣) معبد بن وهب المدني ، مولد بنى مخزوم ، بدأ حياته برعى الغنم في المدينة لمواليه ، ثم ظهر نبوغه في الغناء ، فأقبل عليه الناس ، ورحل إلى الشام فارتفع شأنه ، واتصل بالأمرء والكبراء . توفي سنة ست وعشرين ومائة . الأغاني ١/٣٦ .

(٤) كذا في كل الأصول : « ولا برحت مفان » .

(٥) أغبته : جاءته يوما وتركته يوما ، وفي ج : « عن المطر » .

(٦) جارية رعبوبة : شطبة تارة ، أو بضاء حسنة رطبة حلوة ، أو ناعمة . القاموس (ر ع ب) ، وفي ١ ، م : « بين الدل والحضر » وفي ج : « بين الدل والخور » . وفي ب : « من كل محبوبة » .

(٧) في م : « حلة الحضر » والمثبت من : ١ ، ب ، ج .

تقول والبن تفساها ركائبه
لا تعيب الدهر إن حالت خلائقه
وإن ترُم تنقي من صرفه نوباً
مولى غدا ربه أمن المروع كذا
لا زال يسمو إلى العلواء مرتقياً
حتى امتطى صهوات المجد سامية
بهمة تجتلي كاليث ذا أثر
مافاضل قط جاره إلى أميد
أفلامه الشمر في بيض الطروس إذا
له سجايا كزهر الروض غب ندى
يلقاك طلق المحيا وهو مبتم
ماالروض جادت له الأنواء بالبكر
جاد الغمام له سحاً بوابه
تخال زهر الأقاحي في خمائله
يشدو الحمام على أغصانه سحراً
يافاضلاً قد جلت أبقار فكرته
يا ابن الكرام ومن شادوا بعزمهم

بمدمع فوق روض الخلد منجدر^(١)
فصفو رونقه لم يخل من كدر
فالجأ ظل ماوى الخائف الحذر^(٢)
بسودد مجده عال على الزهر
يختال في حلل الأوضاح والغرر^(٣)
وعزمة كمضاء الصارم الذكر^(٤)
في البحث إلا انثنى بالعى والحصر^(٥)
سمت أرتك فعال البيض والشمر
وقد توشح بالأنهار والغدر
بمنطق وزده أجلي من الصدر
فكللت دوحه المفضل بالزهر
وقد كسته الصبا من رقة السحر^(٦)
زهر المجرة صينت عن يد الغير
فيبعث الشوق في أحشاء مستعير
غر المعاني بها في أحسن الصور
ركن العلا سامياً في سالف العصر

(١) في م : « منهزم » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) في م : « مولى غدا الأمن منه المروع كذا » .

(٣) سقط هذا البيت من : ا .

(٤) في ب : « في البحث لا ينثنى » وفي ج . « في العى » .

(٥) في ا : « وقد كسته الصبا مزقة السحر » .

ويا عماداً لبيت الفضل يرفعه
إلى ذراك انتمت فاقبل على دخل
لا زلت في نعمة تسمو بسؤددها
مانح بالأيك قمرى وماسجعت
فأجاب رحمه الله وأجاد بقوله :

أحلى حوراء أم عقد من الدرر
أم الحبيب أب على رايح مروة
أم نظم در زهت آيات منطق
يانافث السحر من فيه بمعجزة
ويامدبراً سلاقاً من بلاغته
ويابن طالو وإن طال الزمان فما
أخذت فص المعاني من معادنه
وحزت جمع المزاي وانفردت بها
وجئت من كل معنى رائق حسن
كأنه ضرب قد شبّه شنب
وقد شهدنا بما أوتيت معجزة
أهديت لي غادة جلت محاسنها
رعبوبة من بنات البدو مذخرت
حيث فأخيت بالفاظ منمقة

أم زاهر الزهر أم زاه من الزهر
أم نفثة السحر ذى أم نسمة السحر
فأعجرت كل ذى نظم ومُنثر
عقدت السن أهل البدو والحضر
هلاً ترفقت بالالباب والفكر
لنا بلوغ إلى علياك فاقصير
وغصت في أنجر الآداب للدرر
ولم تدغ للسوى شيئاً ولم تذر^(٢)
بكل ماقد حلاً في الذوق والنظر
أو عاتق عاتق من ريح العطر
جمع الفضائل في فرد من البشر
وقد تجلّت لنا في أحسن الصور
قلبي بها صار من وجدى على خطر^(٣)
وغازلتنا بلطف الدل والخفر^(٤)

(١) في ا، ج : « يلقى على خطر » .

(٢) في ا : « سأوا ولم تذر » .

(٣) في ا، ج : « صار من وجد » .

(٤) في ج : « لحيت جاءت بالفاظ منمقة » .

وَأُسْفَرْتُ عَنْ سَنَا بَرَقٍ وَعَنْ شَفَقٍ
 زَارَتْ عَلَى حِينِ إِشْرَاقٍ لِبَهَجَتِهَا
 وَضَاعَ عَرْفُ شَذَاها عِنْدَمَا بَرَزَتْ
 سَأَلْتُهَا قُبْلَةَ أَطْفِي بِهَا حُرْقًا
 فَأَوْمَأَتْ لِشَيْتِ زَانِهِ شَنْبُ
 وَنَادَمْتَنِي بَلِيلٍ قَدْ سُرِرْتُ بِهِ
 وَبَتْ أَنْشِدَ مَذْحًا فِي مُحَاسِنِهَا
 يَأْنِزُهُ النَّفْسِ يَأْمَنُ زَانَ مَنْطِقِهَا
 خُذْهَا إِلَيْكَ وَإِنْ كَانَتْ مُقْصِرَةً
 وَإِنْ تَسْكُنُ أَوْ جَزَتْ فِي الْمَدْحِ وَاخْتَصَرَتْ
 وَإِنْ تَسْكُنُ مِنْ بَدِيعِ الْقَوْلِ عَاطِلَةً
 فَاغْذُرْ فَإِنِّي تَرَكْتُ الشَّعْرَ مِنْ زَمَنِ
 لَا زِلْتَ تَسْمُو عَلَى الْأَقْرَانِ مُرْتَدِيًا
 مَا طَرَزَ الطَّرْسَ تَنْمِيقُ الْبِرَاعِ بِمَا
 أَوْ شَبَّ الْمَادِحُ الْمَطْرِي بِمَذْحِكَ فِي

(١) عَنْ ضِيَاءٍ وَعَنْ شَمْسٍ وَعَنْ قَمَرٍ
 وَمُتَمَتِّنَا بِذَلِكَ الْمَنْظَرِ النَّصِيرِ
 مِسْكًا وَعَطَّرْتَ الْآفَاقَ بِالْقَطْرِ
 شَبَّتْ بِقَلْبٍ شَدِيدِ الْوَجْدِ مُسْتَعِيرِ
 وَأَنْعَمْتَ بِلَذِيذِ الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ
 لَكِنَّهُ سَاءَنِي وَاللَّهُ بِالْقَصْرِ
 مَا قَالَهُ شَاعِرٌ فِي سَالِفِ الْعُصْرِ
 قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ الْمَشْهُورُ فِي السَّيْرِ
 فَشَأْنُ مِثْلِكَ سَتَرُ الْعَيْبِ بِالشُّرِّ
 فَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ
 فَقَدْ تَحَلَّتْ بِعَقْدٍ مِنْ مَدِيحٍ سَرِي
 لَشَاغِلٍ عَنْهُ غَشَى مُقْلَةً الْفِكْرِ
 ثَوْبَ الْبَلَاغَةِ فِي أَمْنٍ مِنَ الْخَصْرِ
 يَزْهُو عَلَى الرُّوضِ أَوْ يَعْلُو عَلَى الزَّهْرِ
 بَيْنَ مِنَ الشَّعْرِ فِي رَوْضٍ عَلَى نَهْرِ



- (١) في م : « وعن شفق » .
 (٢) في م : « زارت على حين أشواق » .
 (٣) في م : « وضاع نشر شذاها وعطرت الأفطار » وفي ب : « والفطر » والفطر :
 العود الذي يتبخر به .
 (٤) في م : « فأومأت بشيت » وفي ا ، ب ، ج : « وأنعمت بنعيم الورد والصدر » .
 (٥) في ا ، ب : « مذ زمن » .

١٦

بدر الدين بن رضى الدين الغزى ، العامرى ، الشامى *

فريد الدهر وأوانه ، وابن عباس في زمانه ^(١) ، وسلمان آل بيته ، وحسان قصيدته وبيته ، صاحب الفنون ، وغيث الإفادة الهتون ، جمال الكتب والسير ، سيد أهل الحديث وعين ذوى الأثر ^(٢) ، ممن حازت به أقطار غزاة ، شرفاً باذخاً وعزّة .

وابنه شبل ^(٣) الأسد ، ذو الرأي الصائب الأسد ، وفريد نضله المصقول الحدّ ، وهما كركبتي البعير في كل معنى صارم ^(٤) ، أو كالخلفة المفرغة أو كغيرارى ^(٥) صارم ^(٦) ، وبدر طلع من أفق كال والده مُبْتَدِراً ، وكرع من بحر فضله البرّ ماء الحياة قبل أن يبدؤ نبات عارضه خضراً ، وتحيط بمشرق ^(٧) أنواره ، في إبان طلوعه هالة

(*) في ١ ، ب : « بدر الدين بن رضى الدين الغزى » فقط . وهو : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ، أبو الركات ، بدر الدين بن القاضي رضى الدين الغزى العامرى القرشى . الفقيه ، المفسر ، المحدث ، النحوى ، المقرئ ، الأصولى ، المناظر ، القانع ، الخاشع ، الأواه . ولد سنة أربع وتسعمائة . وأخذ على مشايخ عصره ، ثم رحل مع والده إلى القاهرة ، ثم عاد فتصدر للتدريس والإفادة . واشتغل بالتصنيف والعبادة .

وشعره حسن قوى ، أكثره في الفوائد العلمية . توفي سنة أربع وثمانين وتسعمائة . تراجم الأعيان لوحة ١٧٢ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٢ ب ، ديوان الإسلام لوحة ٦٣ ب ، سلافة العصر ٣٨٨ ، شذرات الذهب ٤٠٣/٨ ، الكواكب السائرة ٣/٣ .

(١) في ب ، ج : « فريد الدهر ابن عباس زمانه » .
(٢) في ١ ، ب ، ج : « وعين الأثر » .
(٣) هو نجم الدين ، أبو المسكارم ، وأبو السعود ، محمد بن محمد . وفاه حقه الحجبى في خلاصة الأثر ١٨٩/٤ - ٢٠٠ .

(٤) في ١ ، م : « كمدارى » وهو خطأ صوابه من : ب ، ج ، و غرار السيف والرمح والسهم : حده . انظر اللسان (غ ر ر) ١٦/٥ .

(٥) ساقط من : ب .
(٦) في م : « بمشارك » .

عِذارِهِ ، حتى أمدَّ شمسَ الفضلِ بما يُجَيِّ النفوسَ ، فهل سمعتَ ببذرٍ تستمِدُّ من أنواره
الشموسَ ، فتكلَّفَ البدرُ إذ حَكَاهُ ، وضاهى سَناءَهُ وسَناهُ ^(١) .

* ولا يَجِبُ للبدرِ أن يتكلَّفا ^(٢) *

وله من شعر العلماء ما صدحت من أقصافِ سُطورِهِ الحائِمِ ، وتحملتُ الصَّبَا نَشْرَهُ
فتلقَّته الزُّهورُ بشغْرِ بِاسِمِ .

ولم يزلْ مُشْرِقًا في منازلِهِ البَدْرِيةِ ، حتى أَلَمَ بِسَناءِ عُمَرِهِ سِرارِ المَنِيَّةِ ، لازالْ ثاويًا
في قصورِ الجنانِ ، وضَرِيحُهُ مطافَ وفودِ الرَّحمةِ والفُقرانِ .

فمما لَمَعَ من نورِ كِمالِهِ ، وسطَعَ من نجومِ أقوالِهِ ، قوله :

إذا كانَ حَمْدُ العَبْدِ مَولاهُ إِيَّامًا يكونُ بِإِلَهِامٍ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ
وذلكَ مما يُوجبُ الحَمْدَ دَائمًا فلا حَمْدَ حَقًّا مِنْ سِوَى مُلْهِمِ الحَمْدِ

وقوله :

لنا أَمِيرٌ فَرِيدٌ في خِلائِقِهِ كمِ مِنْ كِرامٍ أُمُوالٍ لَدَيْهِ حَوَى
لَهُ التَّفَاتُ لِرِزْقِ النَّاسِ مُعْتَذِيًا يرى الفَقِيرَ لَدَيْهِ وَالغَنِيَّ سَوَا

وقوله ^(٣) :

مَنْ رامَ أنْ يبلُغَ أَفْصى المَنَى في الحُشْرِ مع تَقْصِيرِهِ في القُرْبِ
فليُخْلِصِ الحَبَّ لِمولى الوَرَى والمُصْطَفَى فالْمَرَّةَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ^(٤)

وقوله :

بالْحِظِّ والجَلامِ لا بفضْلِ في عَصْرِنا المَالُ يُسْتَفادُ

(١) في ١ : « وضاهى سَناءَهُ وسَناءَهُ » وفي ج : « وضاء سَناءُهُ له ثناء » .

(٢) في م : « ولا عَجبا » .

(٣) البيتان في الكواكب السائرة ٧/٣ .

(٤) في م : « لخير الورى المصطفى والمرء » والمثبت من : ١ ، ب ، ج ، والكواكب السائرة .
وفي ب : « والمصطفى المختار مع من أحب » .

فكم جـــــوادٍ بلا حمارٍ وكم حمارٍ له جـــــوادٌ
وقوله :

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ حِمَاهَا الَّذِي أَلْتَمَهَا أَفْوَاهُ أَهْلِ الْعِلْمِ (١)
عَبْدٌ إِذَا كَاتَبَتْهُ ثَانِيًا يَزْدَادُ رِقًّا لَكُمْ أَوْ وَلَا (٢)
وكتب (٣) إليه الفاضل النحرير عبد الرحيم العباسي مُلَغِرًا ، بقوله :
يَا إِمَامًا لَهُ الْفَضَائِلُ تُعْزَى وَهُمَا مَا أَضْحَى لِرَاجِيهِ كُنْزًا
مَا بَسِيطٌ حُرُوفُهُ لَيْسَ تُحْصَى وَهُوَ حَرْفَانِ لَا سِوَى إِنْ تَجَزَّأَ
كُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ اسْتَوَى الْقَلْبُ فِيهِ جَاءَ مَعْنَى أَوْ جَاءَ لِلْفِظِ يُعْزَى (٤)
نِصْفُهُ رُبْعُهُ وَلَا رُبْعَ فِيهِ وَسِوَى الْخُمْسِ مِنْهُ مَا تَمَّ أَجْزَا
وَإِذَا مَا تَصَحَّفَ الْبَدَنُ مِنْهُ فَهُوَ وَصَفٌ لِكَامِلٍ نَالِ عِزًّا
أَضْمَرَ الْقَلْبُ غَادَةً إِنْ تَصَحَّفَ آخِرًا فَهُوَ قَوْلُهَا حِينَ تَهْزَأُ
وَعَلَى حَمْلِ صَخْرَةٍ ذُو اقْتِدَارٍ ثُمَّ عَنْ حَمْلِ لِمَبْرَةٍ نَالِ مَجْزَا
هَا كُهُ وَاضِحًا بَدُونِ خَفَاءَ لُغْزُهُ ظَاهِرٌ وَإِنْ كَانَ رَمَزَا (٥)
دُمْتُ فِي رِفْعَةٍ وَحِفْظٍ إِلَهِي لَكَ دَوْمًا حِصْنًا حَصِينًا وَحِرْزًا
فأجابه البدر :

زَادَكَ اللَّهُ بِالْذِّرَايَةِ عِزًّا فَلَقَدْ قُمْتَ لِلْهِدَايَةِ كُنْزَا
بَابِدِيعِ الْأَفَافِ عَذَبَ الْمَعَانِي صَارَ مِنْكَ الْبَيَانُ لِلدَّهْرِ طَرْزَا
مَنْ يُجَارِيكَ فِي الْعُلُومِ يُجَارِي أَلِيمَ وَالْجِدُّ مِنْ تَجَرُّبِهِ يَهْزَا (٦)

(١) في ١ : « حماه الذي يلثمها » .
(٢) سقط كل ما كتبه إليه عبد الرحيم العباسي ، وما أجاب به من : ب ، ج .
(٣) في ١ : « استوى القلب لما » .
(٤) في ١ : « بغير خفاء » .
(٥) في ١ : « من يجاريك في علوم » .
(٦) في ١ : « يزدد رقا لكم أو ولا » .

إِنَّ لُغْزًا أَرْسَلْتَهُ فَأَقَ بَدْرَ اللَّـمِّ م م حَسَنًا وَأَوْرَثَ الْفِكْرَ عَجْزًا
 مَن يُفْتَشُّ فَلَيْسَ يُبْلَى لَهُ ثُمَّ نَظِيرًا فَقَدْ تَفَرَّدَ رَمَزًا ^(١)
 ثُمَّ مَن يَبْتَغِي مُضَاهَاتِهِ لَا تَسْمَعُ الْأَذْنَ مِنْهُ فِي ذَاكَ رَكْزًا ^(٢)
 وَتَرَامُ وَقَدْ تَحْمِيْرُ مِمَّا نَابَهُ لِلْفِرَارِ يَجْمِزُ جَمْزًا ^(٣)
 مَن يُطِقُ يَلْمَسُ السَّمَاءَ وَيَأْنِي بِالذَّرَارِي حَتَّى يُجَاكِهَ لُغْزًا
 قَلْتُ لَمَّا أَجَبْتُ عَنْهُ إِذَا مَا إِبِلٌ لَمْ تَكُنْ لَدَى فَمِعْزَى ^(٤)
 غَيْرَ أُنَى بِالسَّتْرِ مِنْهُ وَثِيقٌ فَالِيهِ كُلُّ الْفَضَائِلِ تُعْزَى
 دَامَ فِي نِعْمَةٍ وَظِلٍّ سَعُودٍ مَا أَمَالَ النَّسِيمُ غُصْنًا وَهَزَا

وقوله :

إِنَّ الْطَّافَ إِلَهِي لِي قَالَتْ خَلَّ عَنْكَ
 لَا تُدَبِّرْ لَكَ أَمْرًا أَنَا أَوْلَى بِكَ مِنْكَ

وقوله :

مَنْ أَطْلَعَ الْأَحْقَ فَوْقَ الشَّهَاءِ يُنْزِلُهُ لِلْمَنْزِلِ السَّافِلِ
 وَغَيْرُ بَذِيعِ فَعْلُهُ حَيْمًا يُقَابِلُ الْبَاطِلِ الْبَاطِلِ
 وَأَنْشُدْ لَهُ بَعْضَهُمْ :

مَافِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ لَوْ قَدْ تَأَمَّلْتَ الشَّوَاهِدَ

- (١) في ١ : « فليس يلقى » .
 (٢) الركز : الصوت الحنفى ، وفي ١ : « ثم من يبغي . . . في ذاك لإلا ركزا » وهو خطأ .
 (٣) الجز : يدو دون الحضر وفوق العنق . القاموس (ج م ز) .
 (٤) أخذ هذا من قول امرئ القيس ، ديوانه ١٣٦ :

أَلَا إِلَّا تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا الْعِصَى

وذكر المرزبانى فى الموشج ٢٧ رواية أخرى للبيت تتفق مع ما ورد هنا ، وهى .
 إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا الْعِصَى

فأشهد بصِدْقِ مقالتي أَوْ لَا فَكَذَّبْنِي بِوَاحِدٍ
قلتُ : ليس له ، وهو من ^(١) شعر أبي عامر الجَرْجَانِيّ ، أحد شعراء « اليقيمة » ^(٢)
وفي معناه قول ابن حيّوس ^(٣) :

قدمات في دَهْرنا الكرامُ وَمَنْ يَعْرِفُ قَدَرَ الثَّنَاءِ والمَذْحِ
فإن شَكَّكُمْ فيما أقول لكم فكذَّبوني بِوَاحِدٍ تَمَحَّجِ
وما أنشدَه الخُوَارِزْمِيُّ ^(٤) مما يُشبه هذا ، وإن لم يكن من جميع الوجوه :
أَمْسَى بِلا عِظَمٍ لَدَيْهِ تَعَاظَمَ فَكَأَنَّهُ أَيْرُ الحِمَارِ القَائِمُ ^(٥)
ويقولُ إن الناسَ كُلَّهُمُ أَنَا والناسُ كُلُّهُمْ لَدَيْهِ بهائمُ ^(٦)
ولابن تَمِيمٍ ^(٧) :

أَيَا مَعْشَرَ الْأَصْحَابِ مَالِي أَرَأَيْكُمْ
لئن كان ذمُّ الناسِ أَضْحَى شِعَارَكُمْ
وَذَمُّ جَمِيعِ الناسِ جُلُّ مُفَاكُمُ
فما الناسُ إِلَّا أَنْتُمْ لَا سِوَاكُمْ
ومما قلتهُ في معناه :

تَفَرَّدَتْ في ذَا العَصْرِ بِالْفَضْلِ والنُّهَى
فَأَبْقَى لَنَا في الدَّهْرِ غَيْرُكَ عَالِمًا
بِرَّعِيكَ يَا مَنْ زَادَهُ عِلْمُهُ جَهْلًا
يُصَدِّقُ ذِي الدَّعْوَى وَيَعْرِفُ ذَا الْفَضْلَا
ومن شعر والده :

إِنَّ خِلًا مَلَّ مِنَّا خَلْفًا بِاللَّهِ مِنْهُ

- (١) في ب ، ج : « وليس من شعره ، بل من شعر ... » .
(٢) هو من شعراء دمية القصر ، وليس من شعراء اليقيمة ، وهو أبو عامر الفضل بن إسماعيل التميمي
انظر الدمية (الطباخ) ١٠٩ ، والبيتان السابقان فيها ١١١ وفيها : « ما زمانك ماجد » .
(٣) ليس في ديوان ابن حيّوس ، وفي ب : « ابن خول » وفي ج : « ابن حسول » ، ولم أجد هذا
الشعر أيضاً لابن حسول ، محمد بن علي ، في دمية القصر ، وفي فوات الوفيات ٢ / ٤٧٤ .
(٤) في ب : « وما أنشدوه للخوارزمي » .
(٥) في ج : « أير بلا عظم » .
(٦) في أ : « ويقول كل الناس لمنهم أنا » .
(٧) في ب : « ولأبي تميم » .

هو لا يسأل عَنَّا مَالَنَا نَسْأَلُ عَنْهُ

وَلِلَّتَقَى السُّبُكِيِّ رِبَاعِيَّةٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَهِيَ :

يَا قَلْبُ مِنَ الْغَرَامِ قَدْ زِدْتَ وَلَهُ مَنْ خَانَكَ خُفْنُهُ أَوْ تَعَوَّضْ بِدَلَالِهِ
فَالنَّفْسُ عَزِيزَةٌ عَلَى مَنْ هِيَ لَهُ لَا يَصْلُحُ لِي مَنْ كَفْتُ لَا أَصْلَحُ لَهُ

وَلَا بِنِ الْوَرْدِيِّ :

إِذَا كَرِهْتَ مَنْزِلًا فَدُونَكَ التَّحَوُّلًا
وَإِنْ جَفَاكَ صَاحِبٌ فَكُنْ بِهِ مُسْتَبَدِّلًا
لَا تَحْمِلَنَّ إِهَانَةً مِنْ صَاحِبٍ وَإِنْ عَلَا
فَمَنْ أَتَى فَمَرْحَبًا وَمَنْ تَوَلَّى فَبَالَى

وَمَا أَنْشَدْتُهُ لَهُ :

إِنْ تَسَلَّ عَنْ حَالِ الَّذِينَ اجْتَبَاهُمْ رَبُّهُمْ عَاجِزًا وَتَطْلُبُ قُرْبًا
أَحْبَبَ إِلَهُهُ وَالَّذِينَ اضْطَفَاهُمْ تَبَقَّ مِنْهُمْ فَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ

وَلِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ فِي مَعْنَاهُ :

وَقَائِلٍ هَلْ عَمَلٌ صَالِحٌ أَعَدَّ لَهُ يَنْفَعُ عِنْدَ الْكَرْبِ
فَقُلْتُ حَسْبِيَ خِدْمَةُ الْمُصْطَفَى وَحُبُّهُ فَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ

وَكُنْتُ قُلْتُ قَبْلُ أَنْ أَسْمَعَ هَذَا :

وَحَقُّ الْمُصْطَفَى لِي فِيهِ حُبٌّ إِذَا مَرَضَ الرَّجَاءُ يَكُونُ طِبًّا
وَلَا أَرْضَى سِوَى الْفِرْدَوْسِ مَأْوَى إِذَا كَانَ الْفَتَى مَعَ مَنْ أَحَبَّ

وَاعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ،

وإني إذا ذهبتُ لِداري لَا تطيبُ نفسي حتى آتيتُكَ وأراك ، فإذا مِتَّ أنتَ كنتَ في أعلى مقامٍ ، فأخشى ألا أراك .

فلم يُحبِّه الرسولُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فنزل عليه جبريلُ عليه السلام ، بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ^(١) ﴾ الآية . فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « المرءُ مع مَنْ أَحَبَّ ^(٢) » .
وقلتُ في معناه رباعية :

حُبِّي لمحمدٍ حبيبِ الباري في طينةٍ خلقتي وروحي سارٍ
والمرءُ ومَنْ أَحَبَّ في الخلدِ معاً طوبى لي إن غدوتُ عبدَ الدارِ



(١) سورة النساء ٦٩ ، وفي الأصول : « ورسوله » وهو خطأ . وتام الآية : ﴿ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (باب علامة حب الله عز وجل ، من كتاب الأدب) ٤٩/٨ ، ٤٩ .
وأخرجه مسلم في صحيحه (باب المرء من أحب ، من كتاب البر والصلة والآداب) ٢٠٣٤/٤ .

١٧

أبو الصفاء مصطفى بن العجمي الحلبي *

روضٌ وريقٌ أغصان المروّة ، ريانٌ من ماء المسكارم والفتوة ، فارسُ الشهباء
نُبلاً وأدباً ، طبعه أخو ابنة العنب صفاء وطرباً ، أردانُ شبابه بالألفِ مذهبته ،
وكنوسُ آدابه المجلوة للقلوب محببة ، إذا ابتسمت عُقودُ ألفاظه كسدَ نظيمُ الجواهر ،
وخُيِّلَ أنها لِرِقَّتِها من حدود الفيد تُعَصِّر ، أقبَلَتْ على شعره الفصاحةُ بوجهٍ جميل ،
وقصّر عن إذراكِ لطفه النَّسيمُ وهو عليل ، مع صباحةٍ حُيِّياً يَهْزَأُ بالروضِ الوسيم ،
إذا عطرَتْ مجاميرُ نفحاته أذيالَ النَّسيم ، نفحتْ في بُرودِ الزَّهرِ ^(١) نَشْراً ، وعَبَّتْ بمباييمِ
النَّورِ الضَّاحِكَةِ بشراً .

نَمِلُ من سُلَاقَةِ الطَّلِّ في الزَّهرِ رِ وناهِيكَ طَيبُها مِن كاسِ
ولم تزلْ كنوسُ أدبه على الدَّامِى مَجْلُوة ؛ حتى وَرَدَ مواردِ الموتِ فَبَدَّلَتْ
بِالكَدْرِ صُفُوهُ .

* وأى صَفَاء لا يُكَدِّرُهُ الدَّهْرُ *

فقطقتُ زهرةَ شبابه ، وقد سَقَتْها دموعُ أحبابه .
فمن شعره ، ما أنشدني له الطَّالُوِيّ ، من قصيدةٍ اخترتُ منها قوله :

(*) في ب : « أبو الصفاء ابن العجمي الحلبي » وهو :

مصطفى بن محمد العجمي ، ثم الدمشقي الشافعي .

كانت له معرفة بالفرائض والحساب ، ومشاركة في عدة فنون ، وله شعر لطيف .

توفي في حدود سنة خمس وتسعين وتسعمائة .

خبايا الزوايا لوحة ٤٣ ب ، السكواكب السائرة ٢٠٧/٣ .

(١) في أ ، ج : « الدهر » .

ما اجتازَ بارقُ ذاكَ الثَّغرِ مُبَسِّمًا ولا النَّسيمُ بأخبصارِ الحِمَى نَسَمًا
إلا وعَاودَه من وَجْدِه طَرَبٌ حتى كَأَنَّ به ما يُشْبِهُه اللَّمَمَا
مُتِمِّمٌ لعبتْ أَيْدِي الفَرَامِ به ففَادَرَتْه كَأَنفَاسِ الصَّبَا سَقَمَا
تَبَيَّتْ مِنْهُ عَلَى الْأَحْشَاءِ كَفُّ شَجٍ نَضَمُ صَدْرًا خَفَقَ الْقَلْبُ مُضْطَرِمَا
أَيَا خَلِيلِي لَا زَالَتْ مُجَلَّلَةٌ من الْبَوَارِقِ تَهْمِي فِي عِرَاصِكُمَا
حتى نَظَلَ لَهَا الْأَرْجَاءُ بِاسِمَةٍ تَبْتُ مِنْ مِرَّهَا مَا كَانَ مُكْتَمَا
أَمَّا وَمُبَسِّمِ الزَّاهِي بِمُنْتَسِقٍ يُزْرِي مُفْلَجُهُ بِالْذُرِّ مُنْتَظِمَا
وَلَفْتَةٍ تَذَرُ الْأَلْبَابَ شَارِدَةً أَيْدِي سَبَا وَتَرُدُّ الْفَكْرَ مُنْقَسِمَا ^(١)
لَا حُلَّتْ عَنْ حُبِّ الْأَشْهَى إِلَى كَبْدِي من الزَّلَالِ وَقَدَاذَتْ تَذُوبُ ظَلَمَا ^(٢)
وَلَا تَبَدَّلْتُ إِنْسَانًا سِوَاهُ وَلَوْ أَضْحَى وَجُودِي كَصَبْرِي فِي الْمَوَى عَدَمَا
ومنها :

لِلَّهِ مَا أَنْتَ فِي الْآفَاقِ تَنْثُرُهُ وَهِيَ اللَّالِيَةُ ظَنَنْهَا الْوَرَى كَلِمَا
ومنها :

مِنْ كُلِّ زَاهِيَةِ الْأَلْفَاظِ زَاهِرَةٌ لَا تَرْتَضِي الشَّعْرَانِ يُعْزَى لَهَا شَمَمَا
وله من قصيدة رثى بها العِمَادَ :
عَظِيمُ مُصَابٍ مُقْعِدٌ وَمُقِيمٌ لَهُ كَمَدٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ مُقِيمٌ
وَفَادِحُ خُطْبٍ حَارَبَ الصَّبْرَ وَالْكَرَى فَأَصْبَحَ كُلُّهُ وَهُوَ عَنْهُ هَزِيمٌ ^(٣)

(١) في م : « نذر الآرام » والثبت من : ا ، ب ، ج .
(٢) في م : « من الزلال وكادت أن تذوب ظما » والثبت من : ا ، ب ، ج .
(٣) في ب ، ج : « وفادح خطب » وفي م : « وفادح خطب » .

وَحُكْمٌ أَذَلَّ الْفَضْلَ عِنْدَ اعْتِزَالِهِ وَأَوْهَى عِمَادَ الدِّينِ وَهُوَ قَوْمٌ
أَلَا إِنَّمَا عَيْنُ الْمَعَالِي غَضِيضَةٌ وَإِنْ فَوَادَ الْمَكْرُمَاتِ كَلِيمٌ
ومنها:

أَقَامَتْ عَلَى قَبْرِ لَهُ عَاطِرِ النَّرَى سَحَابٌ رِضْوَانٍ فَلَيْسَ تَرِيمٌ
إِلَى أَنْ يَعُودَ الْقَبْرُ أَنْضَرَ رَوْضَةٍ بِهَا النَّبْتُ شَقَى يَانِعٌ وَهَشِيمٌ^(١)
وَكَانَ لَهُ يَجِلُّ أَصْدِقَاءُ تَسْكُرُ بِشَمُولِ شَمَائِلِهِمُ الرِّيحُ ، وَتَهْتَزُّ طَرَبًا لَذَكْرِهِمْ
مَعَاطِفُ الْأَرِيحِيَّةِ وَالسَّمَاحِ ، فَتَخْفُقُ عَلَى هَامَاتِ مَجْدِهِمُ الْوَيْةُ الْحَمْدُ ، وَتُضِيءُ فِي سَمَاءِ
مَعَالِيهِمْ كَوَاكِبُ الْمَجْدِ^(٢) ، مِنْ كُلِّ مُصْطَبِحٍ بِكَاسَاتِ الْمَسْرَّةِ مُفْتَبِحٍ ، وَلَوْلَا نَدَاهُ
كَادَ مِنْ نَارِ الذَّكَاءِ يَخْتَرِقُ .

فَلَمَّا ارْتَحَلَ إِلَى الشَّهَاءِ غَلَبَهُ الشَّجَنُ^(٣) ، وَنَافَسَتْهُ الشُّجُونُ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
الْمُتَنَافِسُونَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ :

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ صَبًّا مُغْرَمٌ عُلْقًا بِكُمْ وَذَلِكَ مِنْ تَكْوِينِهِ عُلْقًا
حِلْفُ الصَّبَابَةِ أَمَّا قَلْبُهُ فَشَجَّ مِنْ الْفِرَاقِ وَأَمَّا جِسْمُهُ فَلَقَا^(٤)
بِشْتَاقِكُمْ كُلَّمَا هَبَّتْ يَمَانِيَةٌ وَلَا مَحَالَةَ أَنْ يَشْتَاقَ مَنْ عَشِقًا
بِهِ مِنْ الْبَيْنِ مَا لَوْ حُلَّ أَيْسَرُهُ يَوْمًا بِأَرْكَانِ رَضْوَى هُدًى أَوْ طَفِقًا
يَاهِلُ تَعُودُ أَوْيَقَاتٌ بِكُمْ لَفَتَى دُمُوعُهُ خَدَدَتِ فِي خَدِّهِ طَرْقًا^(٥)
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا إِنْ عَنْ ذِكْرِكُمْ إِلَّا تَفَانَرُ دُرِّ الدَّمْعِ وَاسْتَبْقَا^(٦)

(١) فِي م : « بِهَا الرُّوضُ شَقَى » وَالنَّبْتُ مِنْ : أ ، ب ، ج .

(٢) فِي ب ، ج : « السَّعْد » .

(٣) فِي أ ، ج : « غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّجَنُ » .

(٤) فِي م : « وَأَمَّا جِسْمُهُ فَلَقَا » . وَالْقَى (كَفَى) : مَا طَرَحَ .

(٥) فِي م : « فَهَلْ تَعُودُ » .

(٦) فِي أ : « إِلَّا تَفَانَرُ دَمْعُ الْعَيْنِ وَاسْتَبْقَا » .

ولا تَفَنَّتْ عَلَى غُصْنٍ مُطَوَّقَةٍ
بَالِيَتَ شِعْرِي وَالْأَيْامُ مُطْمِعَةٌ
هَلْ لِي إِلَى عَوْدِ أَوَاقٍ بِكُمْ سَلَفَتْ
لِلَّهِ أَيَّامُنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
وَإِذْ بِكُمْ كَانَ عَيْشِي أَخْضَرًا نَضِرًا
يَا صَاحِبِي فَلَا رُوءًمَا بِنَوَى
إِنْ جِئْنَا الْجَامِعَ الزَّاهِي بَرُونَه
مُيَمِّمِينَ لَهُ عُوجًا كَذَا كَرَمًا
فَبَلَّغْنَا لِي سَلَامًا مِّنْ مَّحَبَّتِهِ
وَحَبْرَاهُ بِمَا أَلْفَى بِعَيْشِكَا
إِنِّي إِلَى ذَلِكَ الْمُنَى الْمَشُوقُ كَا
لَا سِيَّما الْأُرُوعَ الْحَمُودَ سَيِّدَنَا
طَوْرًا تَرَاهُ بِكَاسِ الْحَمْدِ مُضْطَبِحًا
يَا غَائِبِينَ فَا وَدَّى بِمَنْتَقِضِ
تَحْدُوهُ رِيحُ الصَّبَا وَهَنَا لِأَرْضِكُمْ

إِلَّا أَهَاجَتُ لِي الْأَشْجَانِ وَالْأَرْقَا
وَالدَّهْرُ فِي عَكْسِ مَا يَهْوَى الْفَتَى خُلِقَا
رَجَا فَأَظْفَرُ أَحْيَانًا بِمَا افْتَرَقَا^(١)
أَيَّامَ لَا فُرْقَةً أَخْشَى وَلَا فَرَقَا
وَأَسْوَدُ اللَّيْلِ مِنْكُمْ أَبْيَضًا يَقَقَا^(٢)
وَعَنْكُمَا ظِلٌّ جَفَنُ الدَّهْرِ مُنْطَبِحًا
سَقَاهُ مِنْ غَادِيَاتِ الشُّجْبِ مَا غَدَقَا
لَنَحْوِ قُبَّتِهِ السَّمَاءُ وَانْطَلَقَا
لَمْ تَبْقِ لِي مِنْذُ حَلَّتْ مُهَجَّتِي رَمَقَا
مِنْ فَرْطٍ لَا عَجَّ أَشْوَاقٍ أَتَتْ نَسَقَا
أَشْتَاقُ صَحْبِي إِخْوَانَ الصِّفَا خُلِقَا
الْمُسْكِتَ اللَّسْنَ الْمُطْرَى إِذَا نَطَقَا
وَتَارَةً مِنْ سُلَافِ الْجَدِّ مُنْقَبِحًا
مِنْكُمْ وَلَا حَبْلُ عَهْدِي وَاهِنًا خُلِقَا
يُزْرِي شَذَاهَا بَرِيًّا مِنْكِ عَبَقَا

فأجابه أبو المعالي الطالوي بقصيدة، أنشدنيها، وهي :

وَأَفْتٍ فَأَرْجَتِ الْأَرْجَاءُ وَالْأَفْقَا
رَاحٌ كَأَنَّ الصَّبَا بَاتَتْ نُعْلَاهَا
أَمْ نَفْحَةٌ مِنْ رَبِّي دَارِينَ عَاطِرَةٌ
أُمْنِيَّةٌ مِنْ شَذَاهَا قُطْرُنَا عَبَقَا
بِالسَّحْرِ بَيْنَ رِيَاضٍ طَلَعُهَا بَسَقَا
أَهْدَتْ لَنَا أَرْجًا جُنْحَ الدُّجَى عَبَقَا

(١) في م : « هل لي إلى عود أيام » . (٢) أبيض يقق : شديد البياض .

هَيْفَاءُ تَزْهُو بِقَدَرِ زَانِهِ هَيْفَ
تَرْنُو إِلَىٰ بَطْرِفِ كُلُّهُ حَوَرٌ
لو شاهد ابنُ عُنَيْنٍ حُسْنَ طَلْعِهَا
أو انبَرَتْ لَحْيِيْبٍ وَهُوَ ذُو لَسَنِ
يَا حُسْنَهَا حِينَ زَارْتُنَا مُحَبَّرَةً
أَهْدَتْ نَحِيَّةً وَدِدٍ مِنْ أَخِي نَفَقَةٍ
لَا غَرُو أَنِّي مَشُوقٌ فِي الْأَنَامِ لَهُ
أَشْتَاقُ رُؤْيَا نَهَ الْغُرَاءِ مَا طَلَعْتُ
وَكَلَّمَا سَحَرًا هَبَّتْ شَامِيَةً
أَحْبَابَنَا وَالَّذِي أَرْجُوهُ مُبْتَهَلًا
مَا إِنْ تَذَكَّرْتُ مَعْنَى رَاقٍ لِي بِكُمُ
وَلَا شَدْتُ بِغِيَاضِ الْغَوِطَتَيْنِ ضَحَى
إِلَّا وَغَاضَ اضْطِبَارِي أَوْ وَهَى جَلْدِي
إِذَا جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَّقَ رَاقٍ بِهِجْجٍ
تَلْهُو بِكُلِّ كَجِيلِ الطَّرْفِ سَاوِيهِ

كخُوطِ بَانَ غَضِيضٍ مُثْمِرٍ بِنَقَا^(١)
مَهْمَا انْبَرَتْ بِقَوَادِ هَامَ أَوْ عَشِقَا
لَاذْ كَرْتَهُ زَمَانًا يَبْعَثُ الْحَرْقَا
أُزْرَتْ بِهِ وَكَذَا سَحْبَانُ إِنْ نَطَقَا^(٢)
قَدْ نَظَّمُ الدَّرُّ فِي لَبَّاتِهِمْ نَسَقَا
يُزْرِي شَذَاهَا بَرِيًّا الْمِسْكَ إِنْ عَبَقَا
فَالْحَرْ يُشْتَاقُ إِخْوَانِ الصَّفَا خُلُقَا
شَمْسُ النَّهَارِ وَأَبْدَى صُبْحُهُ شَفَقَا
بَسْفَحَ جِلْقٍ أَوْ يَرِقُ الْحِمَى بَرَقَا
بَانَ يُمِنُّ عَلَى مُضْنَاكُمُ بَلَقَا
إِلَّا وَرُحْتُ بِدَمْعِي جَارِعًا شَرِقَا^(٣)
وَرَقَاءُ تَنْدُبُ إِلْعَا نَازِحًا شَفَقَا^(٤)
فَقَاضَ مِنْ مُقَلَّتِي الدَّمْعُ وَانْطَلَقَا^(٥)
وَالدَّهْرُ قَدْ غَضَّ عَنَا الْجَفْنُ فَاَنْطَبَقَا^(٦)
يُزْرِي بِغَزْلَانِ عُسْفَانٍ إِذَا رَمَقَا^(٧)

(١) في أ : « مَثْمِرٍ بِنَقَا » وفي ج : « مَثْمِرٍ بِنَقَا » .

(٢) في م : « أَوْ انْبَرَتْ لِلْبِيدِ » ويعني بحبيب أبا تمام .

(٣) في أ ، ج ، م : « جَارِعًا شَرِقَا » .

(٤) في أ : « وَلَإِنْ شَدْتُ » وفي ب : « وَلَا سَرَتْ بِغِيَاضِ الْغَوِطَتَيْنِ » والغوطة : هي السكورة التي منها دمشق ، وتعتد فيها أنهار تسقى بساتينها ، وتصب فضلاتها في بحيرة هناك ، وهي من أنزه بلاد الدنيا ، وأحسنها منظرا ، مراصد الاطلاع ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ .

(٥) في ج : « لِذَوْهِ جَلْدِي » . (٦) في م : « إِذَا جَانِبُ الْعَيْشِ غَضَ رَاقٍ » .

(٧) عسفان : قيل : منهل من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . وقيل : عسفان بين المسجدين ، وهي من مكة على مرحلتين ، وقيل : هي قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وهي حد تهامة ، وبين عسفان إلى ملل موضع يقال له الساحل . المراصد ٩٤٠ .

لَاسِيًّا إِنَّا غَدَا بِالْكَاسِ مُصْطَبِحًا أَوْرَاحَ مِنْ وَلَهٍ بِالْعَاسِ مُغْتَبِقًا
 لَيْتَ الزَّمَانَ الَّذِي فِيْنَا الْغَدَاةَ قَضَى بَشَتْ مَلُومِنَا وَالْدَهْرَ مَا خُلِقَا
 يَا هَلْ أَوْيَقَاتُنَا اللَّاتِي بِكُمْ سَلَفَتْ تَعُودُ يَوْمًا فَأَحْظَى مِنْكُمْ بِلِقَا (١)
 عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ صَبَابَةٌ تَبْعَتْ الْأَشْجَانَ وَالْأَرْقَا (٢)
 تَهْدِيهِ رِيحُ النَّعَامَى نَحْوَ أَرْضِكُمْ كَيْسِكَ دَارِينَ يَزْكُو كُلُّمَا تُشَقَا (٣)



(١) في م : « فهل أويقاتنا » .

(٢) في م : « تبعت الأشجان والحرقة » .

(٣) في ب ، م : « ربح التصاني » والنعامى : ربح الجنوب ، أو بينه وبين الصبا . القاموس (نعم) .

تقي الدين بن معروف *

سماء فضل بإطلاع نجوم الكمال معروف، ^(١) وشموسُ معارفه لا يفتريها كسوف ^(٢) ،
ورياضُ علمه أنيقة ، ودوحة مجده وريقة الظل ^(٣) وريقة .

إذا مس الأفلام سجدت في محاريب الطروس شكراً ، ومادت من مدام
مداده هائمة سُكراً ، فكم للئيل حبره المسكى الأنفاس يد بيض الله بها
نحيماً القرطاس .

* تحبّر أن المانوية تكذب *

^(٤) وله في علم الفلك أنظار تنم بأسرار كواكبه ^(٥) ، وإن كتم قلبه على لسان أسرار
صاحبه ، بَوَّاهُ اللهُ منه مكاناً عليّاً ، فتلا من رآمه سواه : ﴿ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ
كُنْتَ تَقِيّاً ^(٦) ﴾ فكم صعد له بخطوات فكره وسما ، واتخذ خطوط جدّاه للعروج
إليه سلماً ، فكلما طارت حمامُ النجوم من بروج أقطارها ، جعلها بطاقة تطير في الآفاق
لتبليغ ^(٧) أخبارها ، فلو كان لعطارد الخيار كان بدنانير الدراري له مُشْتَرَى ، ولو أراد
مدحه أطراه بقول ابن الرومي غير مُفْتَرَى :

(*) ذكره الخفاجي في خبايا الزوايا لوحة ١٤٥ . وفي الأعلام للزركلي ٣٢٦/٧ : « محمد بن
معروف الأسدي الرصاد (أو الراصد) تقي الدين : فلكي ، ولي القضاء بنابلس ، وتوفى باستامبول
سنة ٩٩٣ هـ » ثم ذكر عدداً من كتبه في الحساب والفلك والتقويم .

(١) ساقط من : ب . (٢) في ١ ، ج : « وريقة وريقة » .

(٣) ساقط من : ج . (٤) سورة مريم ١٨ .

(٥) في ١ : « التبليغ » .

أَعْلَاكُمْ فِي السَّمَاءِ مَجْدُكُمْ فَلَسْتُمْ تَجْهَلُونَ مَا جَهَلَا
 شَافَهُمُ الْبَدْرَ بِالسُّؤَالِ عَنْ الْآمْرِ إِلَى أَنْ بَلَغْتُمْ زُحَلَا
 لَمْ تُذَرِكُوا قَطُّ بِالْحِسَابِ بَلْ الْإِحْسَابِ عِلْمًا لَكُمْ وَلَا عَمَلًا
 وَلَمْ يَزَلْ مُتَعَلِّدًا بِصَارِمِ الْقَضَا ، قَانِعًا مِنْ مَعْشُوقَتِهِ الدُّنْيَا بِجَالَتِي الصَّدِّ وَالرِّضَا ، حَتَّى
 أَرَادَ أَنْ يَجِدَّ لِأَسْتَاذِنَا ^(١) رَصَدًا : ﴿ وَإِنَّا لَا نَذَرِي أَشْرًا أَرِيدَ بَيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ
 بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ^(٢) ﴾ غَافِلًا عَنْ حَرَكَاتِ الْفَلَكَ ، حَتَّى قَالَ ^(٣) لَهُ : نَبِّهَكَ اللَّهُ
 مَا أَغْفَلَكَ ، فَدَارَتْ دَوَائِرُهُ عَلَى مَدَارِهَا ، وَصَارَتْ زَاوِيَةُ قَبْرِهِ حَادَّةً بَعْدَ مَا كَانَتْ
 مُنْفَرَجَةً فِي أَقْطَارِهَا ، وَشَكَلَ الْعُرُوسُ مِنْ زُخْرُفِ الْحَيَاةِ لَهُ أَطْمَاعٌ ، وَهُوَ لَمْ تَأْمَلْهُ
 شَكْلَ قِطَاعٍ .

* وَالْمَوْتُ لِلْإِنْسَانِ بِالْمِرْصَادِ *

وَقَدْ طَالَعْتُ لَهُ رِسَالَتَ فَلَكَيَّةٍ ، وَبَعْضَ تَحْرِيرَاتِ هِنْدَسِيَّةٍ ؛ تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ كَعْبِيَّةٍ
 فِيهَا ، وَرُقِيَّةٍ مِنْ حَضِيضِ الْخَمُولِ إِلَى سَمَاءِ مَعَالِيهَا .

وَلَهُ شِعْرٌ وَسَطٌ ، وَنَثْرٌ غَرِيبٌ النَّمِطُ ، كَقَوْلِهِ فِي مَدْحِ الْعَلَّامَةِ أَبِي الْفَتْحِ الْمَالِكِيِّ :

يَا كَعْبِيَّةَ يَوْمُهَا أُولُو النُّهَى	وَسِدْرَةُ الْفَضْلِ إِلَيْهَا الْمُنْتَهَى
لَأَنْتَ فِي الْعَالَمِ فَرْدٌ عِلْمٌ	بَلْ أَنْتَ كُلُّ الْخَلْقِ عِلْمًا وَهُدًى
وَالْفَضْلُ لَمَّا قَالَ إِنْ مَا لِي كِي	بِالشَّامِ كُلُّ قَدْ أَقَرَّ بِالْوَلَا
رَفَعْتَ قَدْرًا وَعَسَلَوْتَ رُنْبَةً	وَفُزْتَ بِالتَّقْدِيمِ حَالَ الْإِبْتِدَا
وَقُفْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ بِالْعِلْمِ الَّذِي	أَوْتِيَتْهُ مَوْلَايَ مِنْ رَبِّ السَّمَآ
يَصْرِفُ لُبَّ الْمَرْءِ نَحْوَ لَفْظِهِ	إِذَا يُعْرِبُ الْفَضْلُ عَلَى هَذَا الْبِنَا

(١) فِي ١ : « لِأَسْتَارِنَا » .

(٢) سُورَةُ الْجِنِّ ١٠ .

(٣) فِي ج : « قِيلَ لَهَا » وَفِي م : « قِيلَ لَهُ » .

وقوله من قصيدة في مدح أستاذي سعد الدين الشاعر^(١) :

صَبَّاحُ الْأَمَانِي فِي صَبَّاحِ مَكَارِمِ تَجَلَّتْ عَلَى عَرْشِ الْجَلَالَةِ وَالْحَمْدِ
مَطَالَعُ مَا زَالَتْ طَوَالِيعُ بِالسَّنَا نَعَمُ آفَاقَ الْمَكَارِمِ بِالسَّعْدِ

﴿ فائدة مهمة ﴾

سُئِلَتْ عنها في حال تحريري هذه « الريحانة » ، وهي أنه منَعَ بعضُ علماء^(٢) الممالِكِيَّة من الألقاب المضافة للدين ، كسعد الدين ، وعز الدين .

فقلتُ : قال العارفُ بالله ابن الحاج في كتابه المسمى بـ « المدخل »^(٣) الذي استقصى فيه أنواع البدع ، ما نصُّه : فصلٌ ، من ارتكب بدعةً ينبغي له إخفاؤها ؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ ابْتَدَعَ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَادُورَاتِ فَلَيْسَتْ بِهِ »^(٤) والعالم يجب عليه التَّسَتُّرُ أكثر من غيره ؛ لأنه ربما يُقال : عنده عِلْمٌ^(٥) يجوز ما ارتكبه ، فيقتدى به غيره ، كما قال أبو منصور الدِّمِياطِيُّ ، في قصيدة له^(٦) :

أَيُّهَا الْعَالِمُ إِيَّاكَ الزَّلَلُ وَاحْذَرِ الْهَفْوَةَ فَالْخَطْبُ جَلَلُ
هَفْوَةُ الْعَالِمِ مُسْتَغْطَمَةٌ إِنْ هَفَا أَصْبَحَ فِي الْخَلْقِ مَثَلُ

(١) ا ، ب ، ج : « سعد الدين » فقط . (٢) زيادة من : ا ، ب ، ج .
(٣) المدخل ١ / ١١١ - ١١٣ ، ١٢٢ - ١٣٠ . وقد ذكر المؤلف أنه نقل نص كلام ابن الحاج ، وبالرجوع إلى المدخل وجدت أنه اختار من كلامه ، ولخصه ، وتصرف فيه .

(٤) أورد ابن الحاج الحديث في المدخل ١ / ١١١ هكذا : « مَنْ بَدَأَ مِنْكُمْ مِنْ هَذِهِ الْقَادُورَاتِ شَيْئًا فَلَيْسَتْ بِهِ بِسِتْرٍ لِلَّهِ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْدَى لَنَا صَفْحَةً وَجْهِهِ أَقْمَنَّا عَلَيْهِ الْخَدَّ » .

(٥) في م : « ربما يقال : إن عنده علما » .

(٦) أبيات أبي المنصور فتح بن علي الدمياطي في المدخل ١ / ١١٢ ، ١١٣ ، في أبيات آخر .

وعلى هَفْوَتِهِ عُمِدَتُهُمْ^(١) وبه يَحْتَجُّ من أخطأ وزَلَّ^(٢)
فهو مِلْحُ الأرضِ ما يُصْلِحُهُ إن بدا فيه فسادٌ أو خَلَلٌ^(٣)
فمِمَّا يَنْبَغِي التَّحْفِظُ عنه من البدع الأعلامُ المخالفة للشرع ، المضافة للدين ؛
لما فيها من تزكية النفس ، المنهي عنها ، كما صرَّح به القرطبي في « شرح
الأسماء الحسنى »^(٤) .

وللفضل بن سهل قصيدة في ذمِّها ، فمنها قوله فيمن لُقِّبَ بعز الدين ونفخ الدين :
أرى الدين يَسْتَحْيِي من الله أن يرى وهذا له فَخْرٌ وذاك نَصِيرُ
فقد كَثُرَتْ في الدين ألقابُ عُصبةٍ هُمُ في مَرَايِ الْمُنْكَرَاتِ حَمِيرُ
ومآئِ أَجَلُ الدين عن عِزِّهِمْ وأعلمُ أن الذَّنْبَ فيه كَبِيرُ
فمن نادى بهذا الاسم ، أو أجاب به ، فقد ارتكب ما لا ينبغي ؛ لأنه كَذَبٌ ؛
وفي الحديث : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ،
وَالْكَذِبُ فُجُورٌ وَالْفُجُورُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ » الحديث^(٥) .

(١) ورد البيت في المدخل هكذا :

وعلى زَلَّتِهِ عُمِدَتُهُمْ فبها يَحْتَجُّ مَنْ أخطأ وزَلَّ

(٢) في م : « شرح أسماء الله الحسنى » .

(٣) سقط هذا البيت من : ١ .

(٤) روى ابن الحاج هذا الحديث في المدخل ١ / ١٢٤ هكذا : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ
الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى
الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي
إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى
الْكَذِبَ ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا » .

فإذا قال أحدٌ « مُحْيِي الدِّينِ » يُقالُ لهذا^(١) الذي أُخِيَّ الدِّينَ ؟ فإذا أخذَ صِحيفته وجدها مَشْحُونَةً بالكُذِبِ .

ولما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أمِّ المؤمنين زينب ، قال لها : « مَا أَسْمُكَ ؟ » قالت : بَرَّة . فكَرِهَ صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقال : « لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ »^(٢) وَسَمَّاها زَيْنَب .

ولا يُقال : إنها خَرَجَتْ عن أَصْلِهَا بالنَّقْلِ لِلْعَلَمِيَّةِ^(٣) ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ مَا كَرِهُوا تَزَكُّيَها مَعَ مَا فِيهَا مِنَ التَّشْبِهِ بِالْعَجَمِ الْمَنْهِي عَنْهُ .

وهذه التَّسْمِيَةُ أَوَّلَ مَا ظَهَرَ مِنْ مُتَغَلِّبَةِ^(٤) التُّرْكِ مِضافَةً لِلدَّوْلَةِ ، وَكَانُوا لَا يَلْقَبُونَ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ السُّلْطَانِ ، وَكَانُوا يَبْذُلُونَ عَلَيْهِ الْمَالَ ، ثُمَّ عَدَلُوا عَنْهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الدِّينِ .

ونقل عن النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ مِنْ يُلقَبُهُ بِمُحْيِي الدِّينِ ، ويقول : « لَا أَجْعَلُ مَنْ دَعَانِي بِهِ فِي حِلٍّ »^(٥) .

ولذا تَحَاشَى عَنْهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ ، وَهَذِهِ نَزْعَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ ، وَلَمَّا كَانَ فِي أَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنَ التَّوَّاضُعِ كَانُوا يَغْيِرُونَ الْأَسْمَاءَ ، لَمَّا هُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ أَيْضًا ، فَيَقُولُ^(٦) لِحَمْدٍ : « حَمُو »^(٧) ، وَلِأَحْمَدَ « حَمْدُوس » ، وَلِيُوسُفَ « يَسُو »^(٨) وَلِعَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١) في ١ : « هذا » ، وفي المدخل ١/١٢٤ : « يُقالُ له هذا » .

(٢) نص الآية ٣٢ من سورة النجم : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ .

(٣) في م : « بالنقل إلى العلمية » . (٤) في ١ : « تغلب الترك » .

(٥) في م : « لَا جَعَلَ اللهُ مَنْ دَعَانِي بِهِ فِي حِلٍّ » . وفي المدخل ١/١٢٥ : « لِمَنِ لَا أَجْعَلُ أَحَدًا

فِي حِلٍّ مِمَّنْ يُسَمِّي بِمُحْيِي الدِّينِ » .

(٦) في المدخل ١/١٢٩ : « فَقَالُوا » .

(٧) في ١ : « حَمْد » ، وفي ج ، م : « حَمْدُوس » ، وَالتَّثْبِيتُ فِي ب ، وَالمدخل ١/١٢٩

(٨) في ١ ، ب ، م : « يوسو » ، وَالتَّثْبِيتُ فِي ج ، وَالمدخل ١/١٢٩ .

«رحو»^(١) ونحوه . انتهى .

أقول : أما كون هذه بدعة حدثت بعد العصر الأول فلا شبهة فيه .
وأما كونها ممنوعة شرعاً ، أو مكروهة فلا وجه له ، وما تشبّت به أوهى من
يبت العنكبوت ، ومانقه عن النووى وغيره من السلف لا أصل له ، وكذا ما نقل
عن شيخ والدى ناصر الدين اللقائى ، أنه كان يكتب فى الفتاوى « ناصر » لهذا .
وقد غرّنى ذلك مُدَّةً ، ثم رجعت عنه ؛ لعدم ثبوته .

وكونه كذباً يكتب فى صحفه مجازفة لا ينبغى أن يُقال مثله بالرأى ، وهذا
لم يضعه الإنسان لنفسه ، وإنما سَمَّاه به أبواه^(٢) فى صِغَره ، وعدم تكليفه .
وكونه تزكيةً لنفسه أيضاً غير صحيح ؛ لأن الإضافة تكون لأذى مُلابسةً ،
فهو مُضاف للسبب تفاؤلاً ، فعزُّ الدين بمعنى يُعزُّه الله بالدين^(٣) ، وكذا يُحيى الدين ،
بمعنى يُحيى نفسه بالدين ، فقياسه على « بَرَّة » قياسٌ فاسد ، مع الفارق ، ولو صح هذا
مُنِع أحمد ، ومحمد ، وحسن ، وهو محمود .

وقد قال المُحدِّثون : إذا اشتهر اللقب جاز ، وإن كان ذمّاً ، كأعرج ، وأعمش ،
فما ذكر تضيق وحرّج فى الدين .

وفى هذا الكتاب كثيرٌ من هذا النمط ، فإياك والاعتذار به^(٤) .
والأعلام إنما تدلُّ وضعاً على الذات ، والتفاؤل بالأُمور المُستَحسنة مُستحب ؛
لقوله فى الحديث : كان يُحبُّ الفأل ، ويكره الطَّيرة . ويحمد^(٥) قائله لا يعتقد ثبوت
ما يقال به ، وإنما سَمَّى به ، فلا كذب .

(١) فى ١ ، ب « رحو » . (٢) فى ١ : « أبوه » .

(٣) ١ : « فى الدين » .

(٤) فى ١ : « إياك من الاعتذار به » وفى ب : « إياك من الاعتذار به » .

(٥) العبارة مضطربة فى الأصول ، فى ١ : « ونحمد قائله » وفى ب : « والحمد قائله » وفى ج :
« والحمد قائله » .

والأعلام لا حَجَرُ فيها ، والتَّشْبُه بالعجم فيما لا يُزاحم الشرع غيرُ منهيٍّ عنه ،
إلا للعَصَبِيَّة المذمومة ، بدليل حديث الخندق ^(١) .

ويدل على ما ذكرناه حديثُ تسمية ^(٢) النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم بمحمد .
وأما حديث « بَرَّة » إن صحَّ ، فإنما فعله صَلَّى اللهُ عليه وسلم لكونه من أعلام
الجاهليَّة ، أو لمعنى آخر ، بدليل أنها كانت بَرَّةً في نفسها . اهـ



(١) حيث أرشد سلمان الصحابة إلى حفر الخندق كما يفعل الفرس .

(٢) في ١ ، ب : « اسمية » .

محمد بن الرومي، المعروف بمأماي ابن أخت الخيالي،

نزيل دِمَشْق الشام *

شاعر توقّدتْ جَمراتُ أفكاره ، وتورّدتْ في رياض الشام وَجَناتُ أزهاره ،
وابتسمتْ في ناديه نُغُورُ أنواره ، لكنها خُدودٌ لم يترقّق عليها دَمْعُ القِطار ^(١) ،
ومباييم ^(٢) لم ترشّفِ الشمسُ منها ريقَ الأمطار ، فَللهِ دَرّه من فصيحٍ لم يُعلّل
بمياه ^(٣) عُروقِ القَيْصُوم والشيح ، ولم يُغذّ بلبانِ العريّة ، ولم يتفكّه بثمار العلوم
الجنيّة ؛ لأنه من بني الأصفر ، وممن قاسى الفقرَ الأسود وهو الموتُ الأحر ، إلا أن
للبقاع تأثيراً في الطّباع ، فلما تغدّى طفلُ جبِلَتِه ماء الشام ونسيمه ، وبرغ هلاله فيه
بعد ما أميطتْ عنه هالة التّميمة ، انصقل طَبْعُه المُرّهف ، فانبهرتْ شمائله أرقّ من
الشّمال ^(٤) وألطف ، لاسيّما وأبو الفتح ماشطة عرائسِ فكره ، ومُلمّ شعثٍ لَمّةٍ

(*) محمد بن أحمد بن عبد الله ، المعروف بمأمية (ماماي) الشاعر المشهور .
أصله من الروم ، وقدم إلى دمشق في حال صغره ، وكان في أول أمره ينكر جيا ، ثم عزل ، واهتم
بالأدب وقول الشعر .

ثم تولى الترجمة بحكمة الصالحية ، ثم بالكبرى وعزل منها ، ثم تولى القسمة فأثرى .
كان إليه المنتهى في الزجل والموال والموشحات .

توفي سنة سبع وثمانين وتسعمائة .
خبيا الزوايا لوحة ٤٦ ب ، ديوان الإسلام لوحة ١٧٥ ، شذرات الذهب ٨/٤١٣ ، السكواك
السائرة ٣ / ٥٠ .

(١) القطار : جمع ، الواحدة منه قطرة . (٢) في ج : « ومراشف » .
(٣) في ج : « لم يملك حباة » ولعلها : « لم يملك حبات » وفي أ : « لم يعلل بمناه » .
(٤) في ب : « فانبهرت شمائله من رق أرق من الشمال » .

نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ ، إِذَا آتَسَ طَبْعُهُ لَحْنَةً ، أَوْ طَرَقَ طَرَفٌ ^(١) ذِهْنِهِ طَيْفٌ هُجْنَةً .
وَقَدْ طَالَمْتُ دِيْوَانَهُ ، فَرَأَيْتُهُ يَمْتَرِيهِ عِلَلٌ وَفُتُورٌ ، وَيَدْخُلُ فِي مَعَانِي ^(٢) مَعَانِيهِ
وَبُيُوتِهِ الْقُصُورَ .

فمن شعره الذى اخترته قوله :

سَمِعْتُ لِسَانَ الْحَالِ مِنْ قَهْوَةِ الطَّلَا يَقُولُ هَامُوا وَاسْمَعُوا نَصًّا أَخْبَارِي
فَبِاسْمِي تَسَمَّتْ قَهْوَةُ الْبُنِّ فِي الْمَلَا وَلَسَكُنَّهَا لَمْ تَحْكُ أَصْدَاغَ خَمَارِي ^(٣)
فَمِنْ كَذِبِهَا قَدْ سَوَّدَ اللَّهُ وَجْهَهَا وَعَذَّبَهَا بَعْدَ الْإِهَانَةِ بِالنَّارِ
ومنه قوله مُضْمِنًا :

قَدْ قَالَتْ الْقَهْوَةُ الْحُمْرَاءُ وَافْتَخَرَتْ كَمْ قَدْ مَلَكَتْ مُلُوكَ الْأَغْصُرِ الْأَوَّلِ
وَقَهْوَةُ الْقَدْرِ إِنْ قَدَرًا عَلَى عَلَتْ لِي أُسْوَةٌ بِأَمْحَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ
ومنه قوله :

جُلَيْتْ عَرُوسًا فِي عُقُودِ حُبَابِهَا وَفَدَيْتُ ظَنَبِيًّا بِالشَّرُورِ حَبَابِهَا ^(٤)
طَلَعَتْ عَرُوسًا تَنْجَلِي فِي كَأْسِهَا وَكَسَا كُفُوفَ الْغَيْدِ نَقْشُ خِضَابِهَا ^(٥)
بِكُرٍّ إِذَا بَاكَرَتْهَا لَكَ وَلَدَتْ سِرَّ الشَّرُورِ لَدَى حُضُورِ جَنَابِهَا ^(٦)
أَخَذَتْ مِنَ الْعَقْلِ النَّفِيسِ جَوَاهِرًا مَهْرًا لَهَا وَالنَّفْسُ مِنْ خُطَابِهَا
رَاحَ حَلَالِي شُرْبُهَا فِي جَنَّةٍ وَالنَّصُّ فِي الْجَنَّاتِ حِلٌّ شَرَابِهَا

(١) في م : « طرق » . (٢) في ا ، ب : « معاني » .

(٣) في ا : « لطف خماری » وفي ب : « صنع خماری » وكلاهما يفسد الوزن .

(٤) في ب ، ج : « وقد بت ظلياً » وفي ا : « حبابها » . وحبا حبواً : دنا .

(٥) في ج : « وكذا كفوف الغيد » وفي م : « وكفى كفوف الغيد » .

(٦) في م : « بشر السرور » .

وهو مأخوذ من قول الأَرَجَانِي^(١) :

كأْسٌ مِنَ السَّحَرِ الحَلَا لِي بِشُرْبِهَا لِلْقَوْمِ سُكْرٌ^(٢)
فِي مَجْلِسٍ هُوَ جَنَّةٌ وَلِذَلِكَ فِيهِ تَحَلُّ خَمْرٌ

وقوله :

يقول حبيبي مَا لَطَرَفِكَ أَحْمَرًا كَأَنَّكَ يَاحْيَرَانُ فِي نَشْوَةِ التَّيْمِ^(٣)
فَقُلْتُ لَهُ إِشْرَاقُ خَدِّكَ قَدْ بَدَأَ وَقَابَلَهُ طَرْفِي فُخَيْلَةً فِيهِ^(٤)

وأحسنُ منه قول الأمير مُجِير الدِّينِ بن تَمِيم^(٥) :

أَقُولُ لِلصَّخْبِ لَمَّا أَنْكَرُوا أَثْرًا مِنْ أَحْمَرٍ بَدَأَ فِي بَاطِنِ الْمُقَلِّ
عَاتَبْتُ الحَاظَّ عَيْنِي عِنْدَ مَا نَظَرْتُ إِلَى سِوَى الْحَبِّ فَانْحَرَّتْ مِنَ الحَجَلِ

وقوله :

وَلَمَّا انْقَضَى شَهْرُ الصَّيَامِ بِفَضْلِهِ تَجَلَّى هَلَالُ الْعِيدِ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ
كَحَاجِبِ شَيْخٍ شَابَ مِنْ طُولِ عُمرِهِ يُشِيرُ لَنَا بِالرَّمْزِ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ

وهو^(٦) مأخوذ من قول العَقِيلِي^(٧) :

قُمْ هَاتِيهَا وَرَدِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ تَبْدُو فَتَحَسَّبَهَا عَقِيقًا ذَابًا

(١) ديوانه ٢٠٢ .

(٢) في الديوان : « لشربها بالقوم سكر » . وقد سقط هذا البيت والذي يليه من : ج .

(٣) في الأميرية من م : « في نشوة الزيه » وهو يوافق ما في : ب ، إلا أن كلمة « الزيه » في ب غير

منقوطة ، وفي هامش م : « في نسخة نشأة بدل نشوة » .

(٤) في أ : « لإشراق وجهك » وفي أ ، ج : « فخيّل فيه » .

(٥) سقط البيتان ومقدمتهما من : ب ، ج .

(٦) ساقط من : ج .

(٧) فوات الوفيات ٤٨/٢ .

أَوْ مَا تَرَى حُسْنَ الْهَلَالِ كَأَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى حَاجِبٌ قَدْ شَابَاً^(١)
إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ « مِنْ طَوْلِ عَمْرِهِ » تَكْمِيلُ حَسَنِ .

وَعَمَّا قُلْتُهُ فِي بَعْضِ الرِّسَائِلِ : شَابَ حَاجِبُ الْهَلَالِ وَمَا دَانَاهُ كَالَأَنَّ ، وَاشْتَعَلَ رَأْسُ
الشَّمْسِ شَيْبًا وَلَمْ تَرَ لَهُ مِثَالًا .

وَعَمَّا يُضَاهِي هَذَا مَا قُلْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُ قَوْلَ الثَّعَالِبِيِّ ، فِي مَدْحِ قَصْرِ بِنَاءِ الصَّاحِبِ
ابْنِ عَبَّادٍ^(٢) :

لِلَّهِ قَصْرٌ تَرَى كُلَّ الْجَمَالِ بِهِ وَأَسْعَدُ الدَّهْرِ تَبْدُو مِنْ جَوَانِبِهِ
كَأَنَّما جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ قَدْ نَزَلَتْ إِلَى خَوَارِزْمَ تَعْجِيلًا لِصَاحِبِهِ
وَرَأَيْتُ^(٣) مَا فِيهِ مِنَ الْغَفْلَةِ ؛ فَإِنْ تَعْجِيلُهُ^(٤) بِالْدُخُولِ لَهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْمَوْتِ^(٥) ،
فَفِيهِ إِيْهَامٌ لَا يَلِيقُ بِمِثْلِهِ ، فَقُلْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَأَتَيْتُ فِيهِ بِنُوعٍ مِنَ الْإِحْتِرَاسِ ،
مُحْمِيَّتُهُ النَّهْذِيبُ :

بَنَى دَارًا يَحَارُ الْوَصْفُ فِيهَا وَتَهَوَّاهَا الْحَاسِنُ وَالْمَسْرَّةُ
كَأَنَّ الْجَنَّةَ اشْتَاقَتْهُ حَتَّى لَهُ نَزَلَتْ أَطَالَ اللَّهُ عُمرَهُ

(١) فِي فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ :

أَوْ مَا تَرَى حَسْنَ الْأَلَدِ كَأَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى حَاجِبًا قَدْ شَابَاً

(٢) ذَكَرَ الثَّعَالِبِيُّ لِنَفْسِهِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ ٢٠٨ عَلَى هَذَا النُّحْوِ :

يَا دَارَ مَلِكٍ نَرَى كُلَّ الْجَمَالِ بِهَا وَأَسْعَدُ الدَّهْرِ تَبْدُو مِنْ جَوَانِبِهَا

كَأَنَّما جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ إِذَا نَزَلَتْ بِأَرْضِ غَزَنَةَ تَعْجِيلًا لِصَاحِبِهَا

وَقَدْ قَلَقْنَاهَا النَّوِيرِيُّ عَنْهُ فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ ١ / ٣٦٥ بِاخْتِلَافِ يَسِيرٍ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي ، حَيْثُ قَالَ :
« قَدْ نَزَلَتْ » .

(٣) فِي ج : « وَقَدْ رَأَيْتُ » .

(٤) فِي ب : « وَرَأَيْتُ مَا فِيهِ حَالُ تَعْجِيلِهِ مِنَ الْغَفْلَةِ بِالْدُخُولِ » .

(٥) فِي أ : « يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ » .

وقد يقال : في قوله « نزلت » احتراساً ما ، لكنه خفي ، والمقام يابأه .

ومن ديوانه قوله أيضاً :

كيف السبيلُ إلى كتمِ الغرامِ إذا كاتبُكم وأردتُ السرَّ بينكمِ
وقد غدا الطُّرسُ بالوجهينِ مُشتمراً وباللسانينِ أُنسى يُعرفُ القلمُ

وقوله (١) :

لقد مرضَ الجَهْلُ له فعُدنا ونحنُ إذا أناسٌ راجحوناً (٢)
فظنَّ بأنَّنا عُدناه خوفاً فإن عُدنا فإننا ظالموناً

وقوله أيضاً :

إذا دُفِنَ الإنسانُ في الرَّمْسِ بُرْهَةً وعادته تلقاهُ بادِ ثياباً (٣)
وما ذاك إلا أَنَّهُ مُتَبَسِّمٌ على كلِّ مغرورٍ بأحوالِ دُنياهُ
ومما يُضاهي هذا ، أن المولود يولد باكياً ، مقبوض الكفِّ ، فإذا مات فتَحها ،
فقال الحكماء : إنه إشارة لحرصه حياً ، وأنه خرج منها بغير شيء ، كما قيل :

وفي قبضِ كفِّ الطفلِ عندَ ولادِهِ دليلٌ على الحرصِ المُرْكَبِ في الحَيِّ
وفي بَسَطِها عندَ المَمَاتِ إشارةٌ ألا فانظروني قد خرَجْتُ بلا شيءٍ
وكم في الكونِ من إشارات ، فهو جميعه ناطقٌ بالعِظَات ، ولكن مَنْ (٤)

يسمع ويبصر !

(١) سقط البيتان من : ب ، ج ، وهما في الكواكب السائرة ٥١/٣ .

(٢) في م : « وقد مرض » والمثبت من : ا ، والكواكب السائرة . وفيها : « لقد مرض الظلوم . . . فنحن إذا . . . » .

(٣) حق « باد » النصب ، ولكن الشاعر أوردتها على هذه الصورة للضرورة .

(٤) في م : « لمن » والمثبت من : ا ، ب ، ج . وفي ب : « من جمع وبصر » .

وأنشدني له بعض أدباء^(١) الشام :

رَأَيْتُ الْكَائِنَاتِ خَيَالَ ظِلِّ مُحَرِّكُهَا هُوَ الرَّبُّ الْغَفُورُ
فَصُنْدُوقُ الْيَمِينِ بَطُونُ حَوَا وَصُنْدُوقُ الشَّامِ هُوَ الْقُبُورُ

وليس له ، فإن رأيتُه منسوباً للشيخ ابن عَرَبِيّ ، وهو معنَى مشهور ،^(٢) ولكنّه تصرف فيه فاستعار عباءةً ، وردّ دِيبَاجَةً^(٣) .

وأصله من قول الآخر :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَكْبَرَ عِزِّهِ لِمَنْ هُوَ فِي عِلْمِ الْحَقِيقَةِ رَاقٍ
شُخْصٌ وَأَشْكَالٌ تَمُرُّ وَتَنْقُضِي وَتَفْنِي سَرِيعاً وَالْمُحَرِّكُ بَاقٍ

ومنه وَلَدَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ فِي الْحَمَامِ قَوْلَهُ^(٤) :

وَمَا أَشْبَهَ الْحَمَامَ بِالْمَوْتِ لَأَمْرِي تَبَصَّرَ لَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَتَبَصَّرُ^(٥)
يُجَرِّدُ مِنْ أَمْوَالِهِ وَلِبَاسِهِ وَيَبْقَى لَهُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ مِئْزَرُ^(٥)

(١) في م : « شعراء » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) في م : « لكنه تصرف فيه عباءة ، ورده ديباجة » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٣) ديوانه ٢٧٠ . وفي ج : « ومثله لابن المقرئ قوله في الحمام » وهو خطأ .

(٤) ورد عجز البيت في الديوان هكذا :

* تَذَكَّرَ لَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَتَذَكَّرُ *

(٥) ورد البيت في الديوان هكذا :

تَجَرَّدَ مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَلْبَسٍ وَبَصَحْبُهُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ مِئْزَرُ

ومما قلته فيه :

إِنْ يَكُنْ يَحْكِي خَيَالَ الظِّلِّ فِي فَعَلِهِ دَهْرٌ لَنَا يُبْدِي الْعِبرَ
فَعَسَاهُ عَنْ قَرِيبٍ مُظْهِراً صُوراً أَحْسَنَ مِنْ هَذِي الصُّورِ

وقلت أيضاً :

هِيَ الدُّنْيَا خَيَالَ الظِّلِّ تَحْكِي يُحَرِّكُهَا الْقَضَاءُ كَمَا يَقْدِرُ
وَلَوْلَا السِّتْرُ مَمْدُودٌ عَلَيْهِ مِنَ الْغَفَلَاتِ مَا أَلْهَى وَمَا سَرَّ



٢٠

زَيْنُ الدِّينِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ*

فاضل لَيْنِ العود ماجِدِ الأعرَاقِ ، حُلُو الشَّمائلِ عَذْبُ الأخلاقِ ، له آثارٌ على
أُكُفِّ القبولِ مرفوعة ، وكلماتٌ كشمراتِ الجِنانِ غير^(١) مقطوعة ولا ممنوعة .

صحبَنِي وهو يقطف نورَ التَّحصيلِ ، وللفضلِ إلى معاليهِ انتظار وتأميل ،
فتجاذبنا أهدابُ المذاكرة ، وجرَرنا ذُيولَ المناشدة والحوارة .

فما أنشدنيهِ من شعرهِ قوله^(٢) :

كُتِبْتُ وَأفكارِي وَحَقِّكَ مُزَّتْ كما قد بدتْ في الحُبِّ كُلِّ مُمَزَّتِ
ولو حُمِّ لي التَّوْفِيقُ كُنْتُ تَرَكْتُهُ ولكنِّي أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُوَفَّقِ
إذا قيلَ أَشَقَى النَّاسِ مَنْ باتَ ذاهوً فلا تُنْكِرَنَّ هَذَا المَقالَ وَصَدَّقِ

(*) زين الدين بن أحمد بن علي بن الحسين الشافعي الحلبي ، المعروف بالإسماعيلي .

ولد بحلب ، ونشأ بها ، وأخذ عن جماعة من العلماء .

كان بارعا في المحاضرة ، رقيق الطبع ، له شعر نضير .

وقد برع في عدة علوم ، وألف وصنف .

توفي في حدود سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين بعد الألف .

إعلام النبلاء ٦ / ٢٣٧ ، خبايا الزوايا لوحة ١٤٨ ، خلاصة الأثر ٢ / ١٨٩ ، ديوان الإسلام

لوحة ٩ ب .

وهو في نسخ الريحانة : « الإسماعيلي » والتصويب من المصادر السابقة ، إلا أنه في إعلام النبلاء :

« الأشماعي » .

(١) في م : « لا » والثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) خلاصة الأثر ٢ / ١٨٩ .

وهذا كقول الآخر :

سألُها عن فؤادِي أينَ مَسْكَنُهُ فَإِنَّهُ ضَلَّ عَنِّي عِنْدَ مَسْرَاهَا
قالتُ لَدَى قلوبِ جَمَّةٍ جُمِعَتْ فَأَيُّهَا أَنْتَ تَعْنِي قَلْتُ أَشْقَاهَا (١)



(١) ذكر المحي في خلاصة الأثر بعد هذا :

« وكتب لبعض أصحابه يعزيه عن نعل له ضاعت :

تَعَزَّ أَخِي إِنْ كُنْتَ تَمَنَّيْ لَهُ عَقْلُ وَلَا تُبَدِّ أَحْزَانًا إِذَا ذَهَبَتْ نَعْلُ
وَلَا تَعْتَبِ الدَّهْرَ اتَّخُذْ قَدَّابَهُ لَعَقْدِ اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ دُونَ الْوَرَى حَلُ
لَحَى اللَّهِ دَهْرًا لَا يَزَالُ مَوْلَا بِتَكْدِيرِ صَفْوِ الْعَيْشِ تَمَنَّيْ لَهُ فَضْلُ
يَفْرُقُ حَتَّى شَمْلَ رِجْلٍ وَنَعْلِهَا أَشَدَّ فِرَاقٍ لَا يُرَى بَعْدَهُ شَمْلُ
فَمَا شَتَّ فَاصْنَعْ مَا اللَّيْبُ بِجَارِعِ وَلَا تَارِكِ صَفْوًا وَلَوْ زَلَّتِ النُّعْلُ
بِحَقِّكَ قُمْ نَسْعَى إِلَى الرَّاحِ سُحْرَةَ نَجِدْ أَفْرَاحًا لِكُلِّ صَدَأٍ تَجْلُو
إِلَى دَارِ لَذَاتِ وَرُوضِ مَسَرَّةٍ لِرَحْبِ فَنَاهَا مِنْ غَضُونِ الْمَنَى ظَلُ

وقد أورد له هذه الأبيات الخفاجي في ترجمته ، وذكر معارضات وقعت لها في هذا الخصوص ، وقد ترجمه الشهاب ترجمة لطيفة .

هكذا قال المحي دون أن يعين الريحانة مكانا لهذا النص ، ولكن الطباخ في إعلام النبلاء ٢٣٨/٦ ينقل هذا النص عن الريحانة ، ولم أجده فيما بين يدي من نسخ الريحانة .

٢١

أبو بكر الجوهري الشامي*

شاعر عذبُ الكلمات ، حسن الذات والسمات ، عرائسُ أفكاره صباح ،
وجوهري^(١) نفثاته صباح .

ورد إلى مصر مُرتدياً حُلَّ الشَّباب ،^(٢) مُطرزةً بطراز أخلاقه العذاب ، مُتعاطياً
للتجارة ، صارفاً لها نقد عُمره^(٣) .

إذا كان رأسُ المالِ عُمرَكَ فاحترِسْ عليه من الإنفاقِ في غيرِ واجب^(٤)
فمن جواهر^(٥) كلماته الصَّحاح ، التي هي أرقُّ من نفس الصِّبا في الصِّباح ، قوله^(٦)
في مليم^(٧) اسمه داود ، ورقيب اسمه عمرو :

أفدَى غزلاً له خالٌّ بوجته مع عارضٍ شبهِ واوِ المطفِ ممدود
كأئما الخالُّ فوق الخلدِ يحرسُه حِذارَ سِرقةِ عمرو واوِ داود

(*) أبو بكر أحمد بن علاء الدين محمد بن عمر البهرامبدي الدمشقي ، المعروف بابن الجوهري .

ولد سنة ثمان وستين وتسعمائة ، ونشأ بدمشق ، وتردد إلى مصر كثيراً للتجارة .

وكان شاعراً مطبوعاً ، جمع من شعره « ديوانا » .

توفي بعد الثلاثين وألف بقليل .

خبايا الزوايا لوحة ٤٨ ، خلاصة الأثر ٦٨/١ .

(١) في ب ، م : « وجواهر » والتبث من ا ، ج ، وخلاصة الأثر ٦٩/١ .

(٢) في خلاصة الأثر ٦٩/١ : « المطرزة بطراز المحاسن والآداب ، وقد سلم لدمره في التجارة
نقد عمره » .

(٣) في ج : « عليه من التضيق في غير واجب » وقد ورد هذا البيت في ب بعد قوله : « أرق من
نفس الصبا في الصباح » الآتي ؛ على أن هذا البيت من شعر الجوهري ، وهو بالترتيب الذي أُتيته في
ج ، م ، وخلاصة الأثر ٦٩/١ .

(٤) في ا : « فن كلماته » وفي ج : « فن جوهري كلماته » .

(٥) في ب : « وقوله » .

(٦) في ا ، ب : « في رقيب اسمه عمرو ، ومليم اسمه داود » .

ولابن لؤلؤ فيمن اسمه داود :
 قد كنت جلدًا في الخطوب إذا عرت
 وعهدت قلبي من حديد في الحشا
 وللملك الناصر في داود^(١) :
 لا تزدِهيني الغانيات الغيدُ
 فألانه بحفونه داودُ
 عن ناظرَيَّ البعد والتشهد^(٢)
 لي والحديد ألانه داودُ
 ومما قلته فيما قاله^(٣) :

وحاسد برسيم في صُحفه
 فاسمي لديه وأو عمرو لدا
 وأصله قول أبي نواس^(٥) :

أيهما المدعى سُلَيْمًا سِفَاهَا
 إنما أنت من سُلَيْمٍ كَوَاوِ
 لست منها ولا قَلَامَةٌ ظُفُرٍ^(٦)
 ألحقت في الهجاء ظلمًا بعمرو

(١) البيتان في فوات الوفيات ١٥٧/١ ، وهما لداود بن عيسى الملك الناصر صلاح الدين أبي الفاخر .
 وفي ١ : « وللملك الناصر داود » وفي ج : « وللملك الناصر فيما قاله داود » .
 (٢) في م : « الدمع والتشهد » وللتب من : ا ، ب ، ج ، فوات الوفيات . وفيها :
 « من لي بطيفك » .

(٣) خلاصة الأثر ٦٩/١ .
 (٤) في م : « في صحيفة » والتصويب من : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) ديوانه ١٧٩ . في هجاء أشجع السلمي .
 (٦) في الديوان : « قل لمن يدعى سليمي سِفَاهَا » ، وفي أصول الرميحة : « سليمي » بالقصر في
 البيتين ، وقد علق الشيخ نصر على هامش خلاصة الأثر ٧٠/١ عند نقل المحي يتي أبي نواس بقوله :
 « سليم ، كزبير : أبو قبيلة من قيس عيلان ، والنسبة إليها سلمي ، انتسب فيها أشجع السلمي ، الشاعر
 المشهور ؛ ليدخل في افتخارهم بقوله عليه الصلاة والسلام : « أَنَا ابْنُ الْعَوَانِكِ مِنْ سُلَيْمٍ » .
 فهجاء أبو نواس بقوله :

* قل لمن يدعى سليمًا سِفَاهَا *

البيتين .
 فالألف في « سليمًا » للتثنية ، ومن كتبها « سليمي » بالياء في البيت الأول والثاني فقد وهم ، وأوهم
 أنها امرأة ؛ كما وقع في طبع موقد الأذهان ، وغيره « قاله نصر » .

شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي ، المعروف بابن الحنبلي *

والسماء والطَّارِق ، وما أدراك ما الطَّارِق ، هو في ميدان الفضلِ وحَلْبَةِ الشَّهْبَاءِ
سابق ، وأىُّ سابق ، وعصرُه كان مِسْكَ خَتَامِهَا ، وسَحَرَ لِيَالِهَا وَأَصِيلَ أَيَّامِهَا ،
نُورَتْ حَدَائِقُهَا بِغَوَادِي شِمَائِلِهَا ، وَتَحَلَّى مِعْصَمُ مَجْدِهَا بِسِوَارِ فِضَائِلِهَا .

حَيْثُ التَّقَى نَفْسُ الْأَقَاحِي وَالصَّبَا وَتَرْتُمُ الْحَسَنَاءُ وَالْوَرَقَاءُ
وَجَرَى النَّسِيمُ يَجْرُ فُضْلَ رَدَائِهِ مُتَبَخَّرًا يَجْلِي مِنَ الْخِيَلَاءِ
نَشْوَانَ يَعْتُرُ بِالْفُصُونِ لَطَافَةً مِنْهُ فَيَسْقُطُ فِي غَدِيرِ الْمَاءِ (١)

(*) محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن أبو عبد الله ، المعروف بابن الحنبلي الحنفي .
دخل دمشق ، وانفتح به جماعة من الأفاضل .

وله مؤلفات في عدة فنون .

يقول نجم الدين الغزي : « ... ونظم الشعر ؛ إلا أن شعره ليس بجيد ، لا يخفى ما فيه من التكلف
على من له أدنى ذوق » .

توفي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة .

لإعلام النبلاء ٥٩/٦ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٨ ب ، وهو فيه : « المعروف بالحنبلي » ، ديوان
الإسلام لوحة ٦٦ ب ، شذرات الذهب ٣٦٥/٨ ، الكواكب السائرة ٤٢/٣ ، وهو فيه :
« أبو عبد الله رضي الدين » .

(١) وردت هذه الأبيات في م هكذا :

حَيْثُ التَّقَى نَفْسُ الْأَقَاحِي وَالصَّبَا وَتَرْتُمُ الْحَسَنَاءُ وَالْوَرَقَاءُ

وَجَرَى النَّسِيمُ يَجْرُ فُضْلَ رَدَائِهِ نَشْوَانَ يَعْتُرُ فِي غَدِيرِ الْمَاءِ

وقد أثبت رواية : ب ، وجاءت الرواية في أ ، ج مثل م ، ولكن باضطراب شديد في البيت
الثاني ، ففي أ : « فضل ردائه من الخيلاء نشوان ... يعثر بالفصون » وفي أ ، ج : « فيقع في
غدير الماء » .

دَرَسَ فِيهَا^(١) ، وَأَفْتَى ، وَطَمَى بِحُرِّ فُضَائِلِهِ فَتَرَكَ الْحَسَادَ يَضْرِبُونَ^(٢) حَتَّى .

وَلَهُ نَظْمٌ كَمَا انْتَضَمَتْ دَرَارِيُّ الزُّهُرِ ، وَنَثَرَ كَمَا نَثَرَتْ الشَّمَالُ عَلَى وَجَنَاتِ الرِّيَاضِ
لَا إِلَى الْفَطْرِ .

وَلَهُ تَصَانِيفٌ جَمَّةٌ تَزِينَتْ بِهَا الْبِلَادُ ، وَأَمَسَتْ تَمَامُهَا مَفْوُطَةً بِأَجْيَادِ الْأَجْوَادِ^(٣) ،
فَهُوَ نَسِيجٌ وَخِدِهِ ، آثَارُهُ فِي حُلِّ الْفَضْلِ طِرَازٌ مُذْهَبٌ ، وَأَسَدٌ فِي مَجَادِلَةِ الْعُلَمَاءِ
لَا يُذْكَرُ عَنْدهُ تَعَلُّبٌ .

وَلَهُ مُحَاضَرَاتٌ لَوْ ذُكِرَتْ لِلرَّاعِبِ لَسَعَى لَهَا رَاغِبًا ، أَوْ لَسَحَبَانٌ ظَلَّ لِذَيْلِ الْخَيْلَةِ^(٤)
عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ سَاحِبًا .

فَمَا هَبَّتْ بِهِ صَبَا الْأَسْحَارِ^(٥) ، وَغَرَّدَتْ بِهِ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّىِّ حَمَامٌ
الْأَخْبَارِ^(٦) ، قَوْلُهُ :

يَلُومُونَنِي فِي تَرْكِ صَمِّ قَوَائِمِهِ وَلَا إِذْنَ لِلنُّسَاكِ فِي الضَّمِّ وَاللَّثَمِ
نَعَمْ يَدِينُنَا جِنْسِيَّةُ الْوُدِّ وَالصَّفَا وَلَكِنِّي لَمْ أَلْفِهَا عِلَّةَ الضَّمِّ^(٧)

وقوله :

يَقُولُونَ لِي وَالشَّيْبُ عَآثٌ بِلَحِيَّتِي عِنَاقُكَ عَذْرَاءُ الْحِمَى غَيْرُ جَائِزٍ^(٨)

(١) في ب ، ج : « بها » .

(٢) في م : « يضرِبون الماءَ حتى » والمثبت من ا ، ب ، ج .

(٣) في ا ، ب : « الجياد » وفي ج : « الأجياد » .

(٤) في م : « النجل » والمثبت من ا ، ب ، ج .

(٥) في م : « أسحاره » والمثبت من ا ، ب ، ج .

(٦) في م : « أخباره » والمثبت من ا ، ب . وفي ج : « الأزهار » .

(٧) سقط هذا البيت من : ج .

(٨) في م : « والشيبُ لاحٌ بيمرُق » والمثبت من ا ، ب ، ج .

أَعَن نَارِ خَدَيْهَا الَّتِي هِيَ مُنَيَّتِي أَمِيلُ وَاسْتَفْنِي بِرَدِّ الْعَجَائِزِ^(١)
وله :

قَوَامُكَ يَا بَدَرَ النُّجَعَاءِ كَأَنَّهُ قَنَّا أَوْ قَوَامُ السَّرْوِ أَوْ أَلْفُ الْوَصْلِ^(٢)
وَعَيْنُكَ فَاقَتْ كُلَّ عَيْنٍ بِكُحْلِهَا فَأَنْتَ لَا زَيْدُ مَسْأَلَةِ الْكُحْلِ^(٣)

وقوله :

لَكُمْ هِمٌّ نَلْتَمُ بِرَمَى شِبَاكِهَا مَرَامَكُمْ لَمَّا قَطَعْتُمْ بِهَا الْبَيْدَا
وَعُدْتُمْ إِلَى الْمَغْنَى بِمَا نَلْتَمُ وَقَدْ تَوَلَّيْتُمْ صَيْدًا فَكَانَ لَكُمْ صَيْدًا^(٤)

وقوله :

كُنَّا سَمِعْنَا بِأَوْصَافٍ كُمَلْتَ بِهَا فَسَرَّنا مَا سَمِعْنَاهُ وَأَحْيَانَا^(٥)
مِنْ قَبْلِ رُؤْيَيْكُمْ نَلْنَا مُحَبَّةَكُمْ وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
وهو لبشار ، وأوله^(٦) :

* يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ * ... إلخ .

(١) في ا ، ب ، ج : « أَعَن نَارِ خَدَيْهَا الَّتِي هِيَ مُنَيَّتِي » .

(٢) في ا : « قَنَّا أَوْ قَوَامُ الْبَانِ » .

(٣) ذكر النجاعة مسألة الكحل في رفع أفعال التفضيل للاسم الظاهر ، لذا عاقب (أى أفعال التفضيل)
فعلًا ؛ وذلك إذا سبقه نفي ، وكان مرفوعه أجنديا مفضلا على نفسه باعتبارين نحو : ما رأيت رجلا
أحسن في عينه الكحل كحسنه في عين زيد .

يقول الصبان في حاشيته على شرح الأشموني ٣/٥٣ : « فعنى المثال أن الكحل باعتبار كونه في عين
زيد أحسن من نفسه باعتبار كونه في عين غيره من الرجال » .

(٤) في م : « وعُدتم إلى المغنى . . . توليتم صدا » والمثبت من : ا ، ب ، ج . وفي ج :
« فكانت لكم صيدا » .

(٥) في م : « بأوصاف لكم كملت » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٦) ديوانه ٢٢٣ ، وزهر الآداب ١٥٢ ، وعجز البيت :

* وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا *

وفي معناه قولُ الحَلِيِّ :

وهو يَتَكُمُّ قَبْلَ اللَّقَاءِ كما تَهْوَى الْجِفَانُ بِطَيْبِ الْأَخْبَارِ ^(١)
ولصاحب الترجمة أيضا رباعية ، وهي :

طَرَفَاكَ كِلَاهُمَا ضَعِيفٌ وَعَلِيلٌ مِثْلِي وَأَنَا الْعَلِيلُ مِنْ أَجْلِ عَلِيلٍ

مِنْ ضَعْفِي قَدْ صَرَفْتُ مَيْلِي لَهَا وَالْجِنْسُ إِلَى الْجِنْسِ كَمَا قِيلَ يَمِيلُ

قوله : « والجنس » ^(٢) ملح ، من أمثالِ مُوَلَّدَى الْعَجَم ، ومثله قولهم : الْجَنَسِيَّةُ
عِلَّةُ الضَّمِّ ، وهو كما ^(٣) قيل :

* إِنَّ الطُّيُورَ عَلَى أَجْنَائِهَا تَقَعُ ^(٤) *

* وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ ^(٥) *

وله من أبياتِ المعاني ، في مליحٍ من بني تميم :

وَمُهَفِّفِ الْأَعْطَافِ قُلْتُ لَهُ انْتَسِبْ فَأَجَابَ مَا قَتَلُ الْحَبَّ حَرَامٌ
وله مُضْمَنًا :

حَتَّى تَغْرَهُ الضَّحَّاكَ صَمَّصَامَ جَفْنِهِ كَمَا صِينَ بِالْمَعْذِرِ خَدُّ مَوْرَدُ
أَخَذَ حَبِيبِي لَا تَزِدْ زُرْدِيَّةَ فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ ^(٦)

(١) في م : « لطيب الأخبار » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) في ب : « والجنس إلى الجنس » . (٣) في ا ، ب : « وهذا » .

(٤) في ا ، ب : « على أشباهها تقع » وانظر التمثيل والمحاضرة ٣٦٣ ، ونصف البيت
ساقط من : ج .

(٥) في ج : « شبيه الشيء » .

(٦) في ج : « لا تزد زردية » والمثبت من سائر الأصول ، ووردت « زردية » هكذا في كل
الأصول ، ولعل المعنى من الزرد وهو تداخل حلق الدرع بعضها في بعض ، أو من زرده : أخذ عنقه
وخنقه ؛ لاحتقان الوجه حينئذ . وفي ب : « فحسبك والضحاك » ، والمثبت من : ا ، ج ، م . وقد
أخذه من قول القائل :

إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَاءُ وَانْشَقَّتِ الْعَصَا فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ

انظر نظام الغريب للربيعي ١٠٦ .

والضَّحَّاك اسم مَلِك العرب ^(١) ، لكنه وافقَ صيغةَ المبالغة من الضَّحْك .
ومثله من نواذر العربية .

ومن فصوله القصار :

إنما تُتَلَقَى الخَاصِر إلى كريم العناصر ^(٢) :

لا تجعل الدنيا للآخرة ضربة ، ومن ينسكح أمة على حرة .

ما أخسَّ السَّكَبَ العَوَا ، وإن صمد إلى السَّماك والعَوَا ^(٣) .

الصَّحَّة رأسُ المال ، وربُّها حَسَنُ ^(٤) الأعمال .

تذكُّرُ المواعظ صابون ، لمن هُمَّ عن دَنَسِ الأخلاق صابُون ^(٥) .

إذا كان النَّدَى مات ، فالسُّؤال ^(٦) أعظمُ الفدَّامات .



(١) في م : « معرب » ولعل الخفاجي ذهب مع صاحب القاموس (ض ح ك) في قوله :
« وكشفاد . . . ورجل ملك الأرض وكانت أمه جنية ، فلحق بالجن » . وسماه ابن منظور :
« الضحَّاك بن عدنان » ونقل قول الأزهري : « وهذا كله باطل ، لا يؤمن بمثله إلا أحمق لا عقل له »
اللسان (ض ح ك) ٤٦١/١٠ .

(٢) وردت هذه الجملة باضطراب في : ا ، ب ، ج . فهي في ا ، ب : « إن تلق العناصر إلى كريم
العناصر » وفي ج : « إن تلق إلى العناصر كريم العناصر » .

(٣) العَوَا : يعد ويقصر . والعوا الأول : صفة للكلب ، والثاني : منزل للقمر ، خسة كواكب أو
أربعة ، كأنها كتابة ألف . القاموس (ع و ي) .

(٤) في ا ، ب ، ج : « أحسن » . (٥) صبا عن الشيء : مال .

(٦) في م : « فالسؤال من أعظم » .

٢٣

أبو الفتح بن عبد السلام المالكي المغربي ، نزيل الشام *

نادرة الفلك ، وهدية الزمان ، ونكتة عطار المدونة في صُحف الإمكان ،
ويُرْهان مَنْ قال من الحكماء بتعدد نوع الإنسان .

وليس الغريب مَنْ تفاءت داره ، بل مَنْ فُقد من الكرام نظراؤه وأنصاره ، وهو
غريب في فضله ومجده ، وإن ملك من الأدب مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده .

ولما أشرقت بالمغرب شمسُ عليه وآدابه ، وزها نورها إذ جرى في عوده ماء
شبابه ، أسفر وجهه صباحه ، وجلا له الظفر غرة نجاحه ^(١) ، فحلَّ عقد عزيمة بالشام ،
كما حلَّ الربيع نقابة عن منظر بسام :

والريح تجذب أطراف الفصول كما أفضى الشقيق إلى تنبيه وسمان
فألقي بها عصا تسياره ، ونفض عن بُرد همته غبار أسفاره ، وبني أمره على
الشكون وماضي حاله على الفتح ، وقد شدت وُرق فصاحته بها بأطرب ترثم

(*) محمد بن محمد بن عبد السلام ، أبو الفتح الربيعي التونسي الخروبي ؛ لإقامته بإقليم

الخروب بدمشق ، المالكي ، نزيل دمشق .

ولد سنة إحدى وتسعمائة ، ودخل دمشق وهو شاب .

كان فقيها أصوليا ، علامة في علوم العربية وأكثر العلوم العقلية والنقلية ، وله الباع الطويل
في الأدب ونقد الشعر ، وشعره في غاية الحسن ، إلا أنه كان متكيفا يأكل البرش والأفيون كثيرا ،
لا يكاد يصحو منه .

ولي نيابة القضاء بالحكمة الكبرى زمانا طويلا مع الوظائف الدينية .

توفي سنة خمس وسبعين وتسعمائة .

ترجم الأعيان ٢٤٩/١ ، وهو فيه كما في الريحانة : « أبو الفتح بن عبد السلام » ، خبايا الزوايا
لوحه ٤٩ ب ، وفيه : « محمد بن عبد السلام » ، سلافة العصر ٣٩٧ ، الكواكب السائرة ٢١/٣ .
(١) في ب : « وجلا له الظفر عن غرة نجاحه » ، وفي ج : « وجلا له الظفر عن نجاحه » .

وصدح ، فضى زمنٌ ونورُ الأدب لا يُجتنى إلا من رياض كلامه ، وسورة الفتح
بمحاربيها لا تُنتلى بغير السنة أفلامه ، وإثمد مراودها كحلُ البصائر ، وتُحف آثاره
يتلقى رُكبانها كل بادٍ وحاضر ، حتى فى نادى القضاء تربّع واحتبى ، وأصبح طرازُ
مذهب مالكٍ به مُذهباً .

وصار فيهم غريبَ الفضلِ مُفرداً كبيتِ حسانٍ فى ديوانِ سَحْنُون^(١)
فأنار ليله الخالك ، وتصرف فيه تصرف مالك ، بأخلاقٍ تُعصر منها شمول
الشّائل ، وفضائلِ جمةٍ المآثرِ سَحْبَانٍ عندها باقل .

إلا أنه مع تملكِ جواهرِ العلوم ، وتقلدِ جيدِ كماله بَعْقودِ المنثور والمنظوم ، عاداه
دهره ، وصافاه فقره ، فظل يمتري صُبابة عيشٍ لو أنها نوّمَ ماشعرت بها الأحداق ،
ويتحمّل من أثقالها ما يؤهِن ويوهى القوى والأعناق .

ولم يزل كذلك حتى غارَ ما به حياته ، وانفلق على الفتح بابُ قبره عند مماته ،
فانفتحت له أبوابُ الجنان ، فسقاهُ الله رَحيقَ غفرانه بين رَوْحٍ ورِيحانٍ ، ونزّه عيونَ
رجائه ، وأملّه فى رياضِ الجنان ، بين الحورِ الحسان .

فمن نظمه الذى حشأ الأسماع سِحْراً ، وملاً أفواهَ الرّواة دُرّاً ، قوله :

بأبي ألعسَ المراسِفِ ألعى مائسَ القدِّ ناعِسَ الأَجْفانِ
سرقَ الجيدَ واللّحاظَ مِنَ الظَّامِ جِى وَلَيْنَ الْقَوَامِ مِنْ غُصْنِ بَانَ
عظمتُهُ الصَّبَا إلى ومالى بالصَّبَا بعدَ ما تراهُ يَدَانِ^(٢)
فتحاشيتُ لثمةَ خَيْفَةِ الْإِثْمِ وَأَطْلَقْتُ مُقْلَتِي وَلِسَانِي
أَوْ لَوْلَا التَّقَى وَمُعْتَرَكُ الشَّامِ يَبِ لَطَاوَعْتُ فِي الْهُوَى شَيْطَانِي

(١) أنظر الهامش السادس فى صفحة ٨ .

(٢) فى ج : « بالصفا بعد ما تراه » .

وله من قصيدة (١) :

حازَ الجمالَ بأُسْرِهِ فَمُحِبُّهُ فِي أُسْرِهِ لَمْ يَرْضَ حَلَّ وَثاقِهِ
قَسَمًا بِصُبحِ جَبِينِهِ لو زارني جُنَحَ الدَّجَى وَسعى إلى مُشْتاقِهِ (٢)
لَفَرَشْتُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ مُقْبِلًا بِقَمِ الْجَفُونِ مَوَاطِيءَ اسْتِطْرَاقِهِ (٣)
وَصَفَحْتُ عَنْ زَلَّاتِ دَهْرِي كُلِّهَا وَعِنادِهِ فِيمَا مَضَى وَشِيقاقِهِ (٤)

وقوله « بقم الجفون » إلخ، كقوله أيضا في أرجوزته المشهورة :

تَكَادُ مِنْ عُدُوبَةِ الْأَلْفَاظِ تَشْرِيبُهَا مَسَامِعُ الْخَفَاطِ

وهذا نوع من البديع غريب، يندأ في « حديقة السحر » .

وله نظائر كثيرة، وهو على نهج قوله تعالى : ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ ﴾ (٥) كما أشار إليه في « الكشاف » .

وقد أوضحه الغزى بقوله في بعض قصائده :

إِنْ لَمْ أَمُتْ بِالسَّيْفِ قَالَ الْعُدْلُ مَا قِيَمَةُ السَّيْفِ الَّذِي لَا يَقْتُلُ
وَتُغَيِّرُ الْمُعْتَادَ يَحْسُنُ بَعْضُهُ لِلْوَرْدِ خَدٌّ بِالْأَنُوفِ يُقْبَلُ

ومنه ما أنشده لنا صديقنا الطالوي لنفسه :

أُرُودُ بِلَحْظِي وَرَدَّ خَدَّيْهِ وَالَّذِي جَنَى لِحْظُهُ وَرَدَّ الْخُدُودَ فَا أخطأ

(١) الأبيات في الكواكب السائرة ٢٣/٣ ماعدا البيت الأول .

(٢) في الكواكب السائرة : « لو زار في جنح الدجى » .

(٣) في الكواكب السائرة : « مواطن استطراقه » .

(٤) مكان هذا البيت في الكواكب السائرة :

ووهبتُ ماملكتُ يَدِي لِمُبَشَّرِي بِلِقَاءِ حَضْرَةِ مُنْعِمٍ بِوفاهِ

(٥) سورة النحل ٦٢ .

وَأَرْشِفُ بِالْأَلْحَاطِ خَمْرَةَ رِيْقِهِ لِأَنِّي أَمَرُؤُا آلَيْتُ لِأَذَقْتُ إِسْفَنْطًا^(١)
وهذه الخمرة لا يليق بها غير نَقْلِ الْبُحْتَرِيِّ فِي قَوْلِهِ^(٢) :

تَفَّاحُ خَذَى إِذَا أَحْمَرَّتْ مُحَاسِنُهُ مُقْبِلُ بِحَقِّي الْأَحْظِ مَعْضُوضُ

وقوله « معضوض » بدل من قوله « مقبل » ، وهو غيره وليس بدل غلط .
وانظره ؛ فإنه من سحر البلاغة .

ومما نحن فيه قول ابن الرُّومِيّ :

بَدَرٌ كَأَنَّ الْبَدَرَ مَعَهُ رَوْنٌ عَلَيْهِ كَوَكَبُ
عَذُبْتُ خَلَاتِقَهُ فَكَأَنَّ مِنْ الْعُدُوبَةِ يُشْرَبُ

ولابن هِنْدٍ فِي عُودِ الْبَخُورِ :

رَأَيْتُ الْعُودَ مُشْتَقًّا مِنْ الْعُودِ بِإِيقَانِ
فَهَذَا طِيبُ آتَافٍ وَهَذَا طِيبُ آذَانِ

ولابن الْمُعْتَزِ فِي فَرَسٍ :

يَسْكَادُ لَوْلَا اسْمُ الْإِلَهِ بِصَحْبِهِ تَأْكُلُهُ عَوْنُنَا وَتَشْرَبُهُ^(٣)
وَلِلشَّرِيفِ الرِّضِيِّ^(٤) :

فَاتَنِي أَنْ أَرَى الدِّيَارَ بِطَرَفِي فَلَعَلِّي أَرَى الدِّيَارَ بِسَمْعِي
وَمَنْهُ أَخَذَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ قُوَاهُ^(٥) :

مَثَلَتْهُ الذِّكْرَى لِسَمْعِي كَأَنِّي أَمَشْتُ هُنَاكَ بِالْأَحْدَاقِ

(١) الإسفنت ، بكسر الفاء وفتحها : المطيب من عصير العنب ، أو ضرب من الأنثربة ، أو أعلى الخمر ؛ سميت بذلك لأن الدنان تسفطها ، أي تشربت أكثرها . القاموس (س ف ط) ، وانظر حلبة الكميث ٧ (٢) ديوانه (الصريق) ١٢١٧/٢ .

(٣) في ١ ، ج : « تأكله عيونه وتشربه » وفي ب : « تأكله أعيننا وتشربه » .

(٤) ديوانه ٥٠٠/١ .

(٥) ليس في ديوانه وهو مع بيت الشريف الرضي ومسألة عليهما في طبقات الشافعية السكري ٢٠٦/٦ .

وأجاد أيضا ، حيث قال :

الجودُ أمدَحُ ممن قام يمدحُه فالناسُ ما نطقُوا إلَّا مِن النظرِ
وقول ابن خفاجة المغربي الأندلسي ، وهو من رماه الحدق ^(١) :

وأهْيَفِ قام يسقى والشُّكرُ يعطفُ قدَّه ^(٢)
وقد ترنَّح غصنا وانحمرتِ الكاسُ وزدَّه
والهَبَ الشُّكرُ خدَّا أوزى به الوجدُ زنده
فكاد يشربُ نفسِي وكدتُ أشربُ خدَّه

ولنأصح الدين الأرجاني :

ورشفنا مُدامَ نظمٍ ونثرٍ مِن كئوسٍ تذاقُ بالآذانِ ^(٣)
وقلتُ أنا :

نرجسُ الروض قد زها لعيونٍ لا أرى المشى فيه للطَّرَاقِ ^(٤)
قلتُ لما أتيتُه خليلى امشِ يا صاحِ فيه بالأحداقِ
والشيء بالشيء يذكر ، هذا فى معنى قولى قديماً مضمناً :

يا صاح إن وافيت روضة نرجسٍ إياك فيها المشى فهو مُحَرَّمُ
حاكت عيونَ مُعذِّبٍ بذبواها ولأجل عينِ ألفِ عينٍ تُكْرَمُ
ولصاحب الترجمة من قصيدة ، مدح بها العلامة علياً الحنفياً ، وعاتبه على قطع
مرتب له :

إن قطعَ السيّدُ عن عبده ما كان قد رتب من رفده

(١) ديوانه ٣٥٤ . وفى ب ، م : « وهو من رماة » وفى أ : « الحداق » .

(٢) فى الديوان : « قام يسقى » .

(٣) فى أ ، ج : « من كؤوس تشرب » وفى ب : « تشربن » .

(٤) فى أ : « قد زها كميون » .

فالعبدُ لم يَقْطَعْ دُعَاءَ له رتبه كالأجزاء من وزده
ولا ثناء حسناً نشره كالمسك والعنبر في نده
أو كرياضٍ راضها وأبل فابتسم اليانع من وزده
وانتظمت من نشر أزهارها جواهر الأنداء في عقده
وهو غنى عن ثناء امرئ ظل كليل الذهن من فقده
إذ مهد الحق له رتبة عظيمة مذ كان في مهده
ونال ما شاء من الجدلا بسعى إنسانٍ ولا كده
فهو عليّ لا بمدح الوري له ولكن بسناً سعده
وإنما أوجب مدحي له تتابع التعماء من عنده
وما حباه الحق سبحانه من العلا الزائد عن حده
والعلم والتحقيق والفهم وفيق والتدقيق من قصده
والشكر للمنع فرض به يأمن ذو الإيمان من طرده
وفيه لا شك مزيد لمن لازمه والكل من عنده
هذا وإن العبدَ ينبغي الرضا في قربه الأقرب أو بُعده
وماله في غييره رغبة والعبدُ محمولٌ على قصده (١)
وليس ذا حزنٍ لما فات من دنياه مذ سبق إلى رشدِه (٢)
سيان فقرٌ وغنى عنده لما هو المعهود من زهده
وما تصدى لصدى آله قبيحة تفضي إلى صده (٣)
سوى لزوم البيت مستوحشاً من الوري حتى ذوى ودّه

(١) في م : « والعبد مجبول » .

(٢) في أ : « قد سبق » وفي م : « قد سبق » والمثبت من : ب ، ج .

(٣) في ج : « لصدى حالة » وهو مثبت بهامش م على أنه في نسخة .

مُشْتَفِلًا بِالْعِلْمِ مُسْتَفْرِقًا أَوْقَاتَهُ فِيهِ وَفِي سَرَدِهِ
 قَدْ لَزِمَ الْعُزْلَةَ لَكِنَهُ لَصَحْبِهِ بَاقٍ عَلَى عَهْدِهِ
 أَقْسَمَ لَا يَبْرَحُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى بُوَارَى فِي ثَرَى لَحْدِهِ
 إِنْ مَاتَ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ دِرْهَمًا يَحُوزُهُ الْوَارِثُ مِنْ بَعْدِهِ
 وَلَا أَثَنًا لَا وَلَا مَلَبَسًا يَصْلَحُ لِلْبَيْعِ سِوَى بُرْدِهِ
 وَفَرَوَةٍ جَزَاءٍ مِنْ عِنَقِهَا أَضْلَاعُهُ تَرَعْدُ مِنْ بَرْدِهِ
 وَطِيلَسَانٍ خَلَقَ دَمْعُهُ مِنْ عِنَقِهِ يَجْرِي عَلَى خَدِّهِ (١)
 وَلَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ شَيْئًا إِذَا فَارَقَهُ يَأْسَى عَلَى فَقْدِهِ (٢)
 غَيْرَ بَقَايَا كُتُبٍ رَثَّةٍ أَكْثَرُهَا قَدْ مَاتَ فِي جِلْدِهِ
 يُبَاعُ فِي تَجْهِيزِهِ بَعْضُهَا وَالبعضُ وَقَفٌ لَاعِلٍ وَلَدِهِ
 هَذَا الْعَمْرَى عَرَضُ حَالِي عَلَى مَنْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى خَمْدِهِ
 لَا بَرَحَتْ أَعْتَابُهُ قَبْلَةً يَوْمُهَا الْعَافُونَ مِنْ وَفْدِهِ
 مَا هَطَلَتْ أُنْمَلَةٌ بِالْنَدَى مِنْ رَاحَةٍ كَالْبَحْرِ فِي مَدِّهِ (٣)

﴿ تَكْمِلَةٌ ﴾

فِي قَوْلِهِ « مُسْتَفْرِقًا » إلخ فَوَائِدُ :

مِنْهَا : أَنَّ الْإِسْتِفْرَاقَ أَصْلٌ مَعْنَاهُ طَلَبُ الْفَرْقِ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ النَّاسُ فِي اخْتِذِ الشَّيْءِ وَتَحْصِيلِهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَامَّةِ « اسْتَفْرِقْ فِي الضَّحْكَ » إِذَا أَطَالَهُ ، وَهُوَ غَلَطٌ ، وَصَوَابُهُ

(١) فِي ب ، ج : « مِنْ عِنَقِهِ يَجْرِي » .

(٢) فِي أ : « هَذَا وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا » وَفِي ب : « وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ شَيْئًا » .

(٣) فِي م : « مَا هَطَلَتْ أُنْمَلَةٌ » وَالنَّبْتُ مِنْ : أ ، ب ، ج .

في الضحك^(١) « استغرب » ، لا « اغترب » أيضا كقول البُحْثَرِيِّ^(٢) :

وضحكَنَ فَاغْتَرَبَ الْأَفَاحِي مِنْ نَدَى غَضٍّ وَسَلْسَالِ الرُّضَابِ بَرُودِ^(٣)

قال الِأَمْدِيُّ في كتاب « الموازنة » قوله : « اغترب^(٤) » يريد الضحك ،

والمستعمل « استغرب » في الضحك ، إذا اشتدَّ فيه ، و « أغرب » أيضا^(٥) أخذاً^(٦)

من غروب الأسنان ، وهي أطرافها ، وغرب^(٧) كلُّ شيء : حدُّه ، إذ للمعنى امتلاءً ضحكاً . انتهى

والسرد أصله نسج الدرع ، وتنابع الكلام وتعداد الأشياء ، والعامية استعمالته لتنابع أعاس الجالس ، وليس بعربية ، وهو الذي^(٨) أراد هنا ، وهو كقوله :

لداودَ مِنْ بَرَشٍ كساه سَفَاهَةً مُطَرَّزَةً مِنْ صُفْرَةِ الْوَجْهِ وَالْخَدِّ^(٩)

وما زال دِرْعَ السَّكِينِ لِلصَّحْبِ نَاسِجًا وَلَوْ نَاعِسًا أَمْسَى يُقَدِّرُ فِي السَّرْدِ

وقوله : « مات في جلده » استعمال معروف عامي ، وجه استعماله ركيك ،

(١) في ب : « في الضحك إذا » . (٢) ديوانه (الصيرفي) ٦٩٨/٢ .

(٣) في الديوان : « فاعترف الأفاحي » وفي هامشه إشارة إلى رواية الِأَمْدِيِّ . ورواية الموازنة ١١٤/٢ : « من ند غض » .

(٤) في الأصول : « اغترب » والتصويب من الموازنة .

(٥) إلى هنا نقل الحفاجي نفس نص الِأَمْدِيِّ ، ثم تصرف في عبارته ، فقد قال الِأَمْدِيُّ بعد أسطر : « وأظن المستغرب في الضحك إنما أخذ من غروب الأسنان إذا بدت كلها في الضحك ، وهي أطرافها ، وغرب كل شيء : حدّه .

أو أن يكون استغرب في الضحك أي امتلاءً ضحكاً » .

(٦) في أ ، ب ، ج : « أخذ » .

(٧) في أ ، ب ، ج : « وغروب » والتصويب من : م ، والموازنة .

(٨) في هامش م : « قوله : وهو الذي أراده هنا . إلخ . كذا في النسخ ، والمناسب أن يقول : وهو الذي أريد في قوله » .

(٩) البرش : مادة صبغية تأتي من الهند وتستخدم كعطرو وكعلاج للذين أصيبوا بالبج ، انظر DOZY 1 : 71

والبليغ قولُ العرب للمفلوج: « سُجِنَ فِي جِلْدِهِ » ، وحسن هذا وصفُ الكتابِ به ، كما قال ابنُ نُباتَةَ المِصْرِيُّ^(١) :

للهِ مجموعٌ له رَوْنَقٌ كَرَوْنَقِ الحَبَّاتِ فِي عِقْدِهَا^(٢)
كلُّ تصانيفِ الورى عندهُ تَمُوتُ لِلخَجَلَةِ فِي جِلْدِهَا^(٣)
عوداً على بدء .
ومن شعره أيضاً^(٤) :

مرحباً بِالْحَمَامِ سَاعَةً يَطْرَا وَلَوْ ابْتَزَّ مَنِّي الْعُمَرُ شِطْرَا^(٥)
حَبْذا الإِرْتِحَالُ عَنْ دَارِ سُوءٍ نَحْنُ فِيهَا فِي قَبْضَةِ الْأَسْرِ أَسْرَى^(٦)
وَإِذَا مَا ارْتَحَلْتُ يَا صَاحِبِ عَنْهَا لَأَسْقَى اللَّهَ بِمَدَى الْأَرْضِ قَطْرَا^(٧)
وهذا كقول الأمير أبي فراس الحَمْدَانِي ، من قصيدة له^(٨) :

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شَيْمَتِكَ الصَّبْرِ أَمَا لِلْهَوَى سَهْوٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ^(٩)

(١) ديوانه ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) في الديوان :

(٣) في الديوان : « لله تصنيف » .

كادت تصانيفُ الورى عندهُ تَمُوتُ لِلْهَيْبَةِ فِي جِلْدِهَا

(٤) تراجم الأعيان ٢٥٢/١ ، والكواكب السائرة ٢٦/٣ .

(٥) في تراجم الأعيان : « حبذا بالحمَام » . وفي الكواكب السائرة : « ولو ابتز من مدى العمر » .

(٦) في تراجم الأعيان ، والكواكب السائرة : « من دار سوء » وفي الكواكب : « في قبضة

القر أسرى » .

(٧) بعد هذا البيت في : ب ، وبخط مغاير :

ومن شعره قوله :

أَنَا أَمْرُوؤُا إِنْ نَبَتَ بِي أَرْضُ أَنْدَلَسٍ جِئْتُ الْعِرَاقَ فَقَامَتْ لِي عَلَى قَدَمٍ
وَشَاتِمٍ نَالَ مِنْ عِرْضِي فَقُلْتُ لَهُ إِلَيْكَ عَنِّي فَلَيْسَ الشَّتْمُ مِنْ شَيْعِي
أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَلَوْ أَنِّي عَرَضْتُ لَهُ سَقِيئُهُ نُحْمَةُ الْأَفْعَى مِنَ السَّكِيمِ

(٩) سقط هذا البيت من : ج .

(٨) ديوان أبي فراس ١٥٧ .

«الشاهد منها^(١) :

تُعَلِّني بِالْوَعْدِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ إِذَا مِتُّ عَطَشَانَا فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ^(٢)
ونحوه قولي في مطلع قصيدة :

إِنْ لَمْ تُبَرِّدْ لِي الصَّبَا غُلَّهُ فَلَا شَفَى اللَّهُ لَهَا عَالَهُ^(٣)

وله أيضا :

وَيُمْكِنُ وَصْلُ الْحَبْلِ مِنْ بَعْدِ قَطْعِهِ وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ أَثَرُ الرَّبْطِ
وأحسن منه قولي في بعض الرسائل : « أَنْتَ وَإِنْ وَصَلْتَ بَعْدَ الْقَطْعِ حَبْلَ الْمَوَدَّةِ ،
فَقِيَا بَقِيَّ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ فِي الْقَلْبِ عُقْدَةٌ » .
وقلتُ من قصيدة :

يَا وَاصِلِينَ حَبَالًا كَانَتْ تَشَدُّ الْمَوَدَّةُ
لَا تَقْطَعُوهَا بَبُعْدٍ قَدْ غَيَّرَ النَّأْيُ عَهْدَهُ
فَإِنْ تَقُولُوا وَصَلْنَا مِنْ بَعْدِ ذَا الْقَطْعِ شَدَّةُ
يَبْقَى وَحَقِّكَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ الْقَطْعِ عُقْدَةٌ

وهذه الاستعارة معروفة قديما ، وفي حديث العقبة أن الأنصار قالوا : « إِنْ يَبْنِنَا
وَبَيْنَ الْقَوْمِ حَبَالًا ، أَتُرَاهُمْ قَاطِعِيهَا » وقد حَقَّقَهُ فِي « الرُّوضِ الْأَنْفِ »^(٤) .
وكتب للقاضي معروف ، وقد أهدى له حُلَّةً :

(١) زيادة من : ب .

(٢) في م : « تُعَلِّني » والتصويب من : ا ، ب ، ج ، والديوان . وفي الديوان : « مَعَلِّني
بالوصل . . . إِذَا مِتُّ ظَمَأْنَا » :

(٣) في ب : « فَلَا شَفَى اللَّهُ لَهَا غُلَّهُ » وفي هامشها : « أَوْ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ فِيهَا » .

(٤) الرُّوضِ الْأَنْفِ ١/٢٧٥ ، وفي نص ابن هشام على هامشه : « إِنْ بَيْنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حَبَالًا ، وَلَمَّا
قَاطَعُوهَا » وهو من قول أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ . ويعني بالرجال : اليهود .

مخدومنا قاضي قضاة مدينتي صَفَدٍ أَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّفْصِيلِ
 العالمُ الحَبِيرُ الَّذِي مَعْرُوفُهُ تَزْرِي زِيَادَتُهُ بِيَحْرَ النَّيْلِ
 أَهْدَى لِنَحْوِي مِنْ تَحِيْطِ ثِيَابِهِ جُمْلًا فَأَغْنَانِي عَنِ التَّفْصِيلِ
 والتَّفْصِيلِ فِي لِسَانِ^(١) العَامَةِ بِمَعْنَى قَطْعِ الثِّيَابِ الْجَدِيدَةِ ، ففِيهِ تَوْرِيَّةٌ ، كَقَوْلِ
 ابْنِ نُبَاتَةَ الْمِصْرِيِّ^(٢) :

كَمْ جُمْلَةٍ وَصَلَتْ لِي مِنْ نَدَاكَ وَكَمْ تَفْصِيلَةٍ أَلْبَسْتَنِي أَجْمَلَ الْخُلَلِ^(٣)
 حَتَّى لَقَدْ غَدَتِ الْمُدَاخُ حَائِرَةً بَيْنَ التَّفَاصِيلِ مِنْ نُعْمَاكَ وَالْجُمَلِ^(٤)
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

قَدْ نَكَّسَ الرَّأْسَ أَهْلُ الْكَيْمِيَا خَجَلًا وَقَطَّرُوا أَذْمَعًا مِنْ بَعْدِ مَا سَهَرُوا
 إِنِّ طَالَعُوا كُتُبًا لِلدَّرْسِ بَيْنَهُمْ صَارُوا مَلُوكًا هُمْ إِنْ جَرَّبُوا افْتَقَرُوا^(٥)
 تَعَلَّقُوا بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِنْ طَمَعٍ وَكَمْ فَتَى مِنْهُمْ قَدْ غَرَّهَ الْقَمَرُ
 وَقَوْلُهُ فِي أَحَدَبَ : « كَانَ^(٦) أَنْزَجَةُ الظُّرْفَاءُ ، وَكَرَّةَ اللَّهْوِ بِمَيْدَانِ الدُّمَاءِ الْأَطْفَاءِ »
 وَكَانَ أَبُو الْفَتْحِ يَكْرَهُهُ ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِقَوْلِ الْبَاخَرَزِيِّ^(٧) :

وَصَانِعِ الدَّهْرِ فَكَمْ دَوْلَةٍ صَاغَتْ مِنَ السَّلَاحَةِ أَنْزُجَةً
 فَقَالَ فِيهِ :

إِذَا غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَ امْرِئٍ فَلَا غُفْرَتَ زَلَّةُ الْأَحْدَبِ

(١) فِي م : « بِلِسَان » وَالثَّبْتُ مِنْ : أ ، ب ، ج .

(٢) دِيَوَانُهُ ٤١٧ .

(٣) فِي ب ، ج : « وَكَمْ أَلْبَسْتَ تَفْصِيلَهُ أَجْمَلَ الْخُلَلِ » .

(٤) فِي الدِّيَوَانِ : « حَتَّى لَقَدْ غَدَتِ الْأَمْدَاخُ جَائِرَةً » .

(٥) فِي م : « أَضْحَوْا مَلُوكًا وَلَئِنْ هُمْ جَرَّبُوا افْتَقَرُوا » . وَالثَّبْتُ مِنْ : أ ، ب ، ج .

(٦) فِي م : « كَأَنَّهُ » ، وَالثَّبْتُ مِنْ : أ ، ب ، ج .

(٧) الْمُلْتَقَطُ مِنْ دِيَوَانِ الْبَاخَرَزِيِّ ٤٩ .

شديد النكايه مع ضعفه قياساً على إبره العُرب
ومن ظُرفاء^(١) الحُدبان القاضى^(٢) الفاضل ، وفيه يقول الفائل :

لله بَلِّ لِلْحُسْنِ أَتْرُجَةٌ تَذَكَّرُ النَّاسَ بِمَهْدِ النِّعَمِ
كأنها قد جَمَعَتْ نَفْسَهَا مِنْ هَيْبَةِ الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ

وعلى نمطه ، وإن لم يكن من بابهِ قولُ ابنِ جَلَنِك^(٣) لما امتدح^(٤) القاضى الزَّمَلَكَانِيَّ^(٥) :
فأجازه بِخُبَيْرٍ^(٦) ، فكتب على حائطِ بُسْتَانِهِ :

لله بُسْتَانٌ حَلَانَا دَوْحَهُ فِي رَوْضَةٍ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا^(٧)
والبانُ تحسبه سَفَانِيرًا رَأَتْ قَاضِيَ الْقَضَاؤِ فَنَفَسَتْ أَذْنَابَهَا

وهذا نمط عجيب ، وقد بلغنا أن بدر الدين بن مالك صنف « كراسة » في لطائف
هذه المقطوعة ، ووُجوه بلاغتها^(٨) ، ولم أرها ، وهو جدير بذلك .

ووجهُ حُسْنِهَا أنه قصد به تشبيه زهر البان ، وأدمج فيه هَجْوُ القاضى ؛ لأن
السفانير إنما تنفث أذنانها إذا فرغت من الكلاب ، فكأنه قال : إنها ظننته كلباً ،
ونحوه ما مرَّ في القاضى الفاضل ، والإيماءُ لحدبته .

(١) في ب : « ظرف » .

(٢) في ب : « للقاضى » .

(٣) في فوات الوفيات ١ / ٢٣ ترجمته وهو فيه « أبو جَلَنِك الشاعر أحمد » والقصة كلها في
فوات الوفيات .

(٤) سقط من . ج ، وهو في فوات الوفيات : « شمس الدين ابن خلكان » .

(٥) في ب : « بخير » والتصويب من سائر النسخ والفوات ، وفيه : « فوقم له برطلين
خبزا كل يوم » .

(٦) ورد بحز هذا البيت في فوات الوفيات هكذا :

* وَالْوُرُقُ قَدْ صَاحَتْ عَلَيْهِ لِمَاهَا *

(٧) هذا الخبر في فوات الوفيات ١ / ٣٣ .

وهذا النوع يُشبه المدح بما يُشبه الذم ، وعكسه ، ففي صريحه تشبيه لطيف ، كفى به عن هَجْوٍ قبيحٍ ، وليست بلاغته من جعل التشبيه كنايةً عن معنى آخر ؛ فإنه صريح ، كما حققه السيّد في فن البيان ، بل لأمر قصدها ، وليس هذا محل تفصيلها ، فإن أردتها فانظر كتابنا « حديقة السحر » .

وله أيضا يُذكَرُ مَنْ وَعَدَهُ بِتَأْسُومَةٍ ، وهى نعل معروف كالمَدَّاس :
 رَبِّ تَأْسُومَةٍ بِهَا قَدْ وَعَدْنَا فَإِذَا قَرَّبُهَا مِنَ النَّجْمِ أَبْعَدُ^(١)
 رَبِّ يَسَّرَ حَصُولَهَا الْحَبِّ عَالَهُ لِلْكَامِلِ يَرْقَى وَيُبْعَدُ
 عملاً فى الورى بقول حكيم ضَعَّ مَكَانَ السَّعِيدِ رِجْلَكَ تَسْعَدُ
 وهذا مثل مشهور ، بمعنى قول على رضي الله تعالى عنه : « صَاحِبُ مَنْ أَقْبَلَ جَدُّهُ تَسْعَدُ » .

وقد قلتُ فى مثالِ نَعْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 لِمِثَالِ النَّعْلِ الشَّرِيفِ لَطَهُ شَرَفٌ قَدْرُهُ مِنَ النَّجْمِ أَبْعَدُ
 وسَمِعْنَا الْأَمْثَالَ قَالَتْ قَدِيمًا ضَعَّ مَكَانَ السَّعِيدِ رِجْلَكَ تَسْعَدُ
 وسعيدٌ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ عَلَيْهِ قَدَمَرَّغَ الْوَجْهَ وَاتَّخَذَ^(٢)
 وما أحق هذا أن يُنشد له قولُ أبى العتاهية^(٣) :

نَعْلٌ بَعَثَتْ بِهَا لَتَلْبَسَهَا قَدَمٌ بِهَا تَسْعَى إِلَى الْمَجْدِ
 لو كان يصلح أن أشرَّكها خَدَى جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدَى

(١) سقط هذا البيت من : ج .

(٢) فى ١ : « وعليه قد » وفى ب : « وعليه من » .

(٣) ديوانه ٣٥٧ .

ولابن هانئ الأندلسي في قَبْقَاب وهو نعل يُصنَع من الخشب ، وهو مُخَدَّث بعد العصر الأول ، ولفظه مَوْلَدٌ أيضا ، لم يُسَمَّع من العرب كما قاله ^(١) الأزهري ^(٢) :

كُنْتُ غُصْنًا بَيْنَ الرِّيَاضِ رَطِيبًا مَائِسَ الْعِطْفِ مِنْ غِنَاءِ الْحَمَامِ
صِرْتُ أَحْكِي عِدَاكَ فِي الذَّلِّ إِذْ صِرْتُ بَرَغْمِي أَدَّاسُ بِالْأَقْدَامِ ^(٣)
وله يذكر معاهدَ نِيَطَتْ بها تَمَائِمُهُ ، وَغَرَّدَتْ عَلَى أَغْصَانِ شَبَابِهِ حَمَائِمُهُ ، يَنْدُبُ
إِخْوَانَهُ ، وَيَنْعَى أَوْطَارَهُ وَأَوْطَانَهُ :

سَلُّوا الْبَارِقَ النَّجْدِيَّ عَنْ سَحْبِ أَجْفَانِي وَعَمَّا بَقَايَ مِنْ لَوَاعِجِ نِيرَانِي ^(٤)
وَلَا تَسْأَلُوا غَيْرَ الصَّبَا عَنْ صَبَابِي وَشِدَّةِ أَشْوَاقِي إِلَيْكُمْ وَأَشْجَانِي ^(٥)
فَمَا لِي سِوَاهَا مِنْ رَسُولٍ إِلَيْكُمْ سَرِيعِ السَّرَى فِي سَيْرِهِ لَيْسَ بِالْوَانِي
فِيَا طَالَ بِالْأَسْحَارِ مَا قَدْ تَكَلَّفْتُ بِانْعَاشِ مَحْزُونٍ وَإِيقَاطِ وَشْفَانِي
وَتَنْفِيسِ كَرْبٍ عَنْ كَثِيبٍ مُتَبِمٍّ يَحْنُ إِلَى أَهْلِ وَبِصْبُو لِأَوْطَانِ ^(٦)
فَاللَّهِ مَا أَزْكَى شَذَا نَسْمَةِ الصَّبَا صَبَاحًا إِذَا مَرَّتْ عَلَى الرَّنْدِ وَالْبَاكِ
فَكَمْ نَحْوَكُمْ حَمَلْتُهَا مِنْ رَسَالَةٍ مُدَوَّنَةٍ فِي شَرْحِ حَالِي وَوِجْدَانِي
وَنَاشَدْتُهَا بِاللَّهِ إِلَّا تَفَضَّلَتْ لِقَبْلِغِ أَحِبَّابِي السَّلَامَ وَجِيرَانِي
وَقَدْ نَحَا نَحْوُ قَوْلِ ابْنِ مَلِيكَ الْحَمَوِيِّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ^(٧) :

سَلُّوا فَاتَرَ الْأَجْفَانِ عَنْ كَبْدِي الْحَرَّى وَعَنْ دُرِّ أَجْفَانِي سَلُّوا الْعَقْدَ وَالْفَخْرَا
مَلِيحٌ إِذَا مَا رُمْتُ عَنْهُ تَصَبُّرًا يَقُولُ الْهُوَى لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ^(٨)



(١) في ب : « قال » .

(٢) في أ ، ب : « الزاهري » وفي ج : « الزاهدي » . وانظر اللسان (ق ب ب) ١ / ٦٦٠ .

(٣) في م : « صرت مهانا أداس » . والمثبت من : أ ، ب ، ج . والبيتان مما ليس في ديوانه .

(٤) في ج : « لواعج أشجاني » وفي م : « أشجان » .

(٥) في أ : « عن صباية » . (٦) سقط من : أ .

(٧) ديوانه ٦٧ ، ٦٨ . (٨) في الديوان : « حبيب إذا ما رمت .. » .

وهذا الشاعر ، وإن لم يكن من أهل العصر ، فإنه
قريب العهد ، فينبغي ذكره هنا ، فنقول : هو :

٢٤

علاء الدين بن مَلِيك الحَمَوِيَّ*

هذا شاعر حمّاة ، ومن كَلَّا سَرَحَ الأدب بها وحمّاه .

رآه أبو الفتح المالِكي^(١) ، وقد رَفَى شَرَفَ عِلْمِهِ وَسَمًا ، وهو بحانوتٍ له يبيعُ
الأقسما ، وأقلامه قُضِبَ على جَدَاوِلِ الطُّرُوسِ مِيَالَةً ، أُسْبِلَ على وَجْهِ دَوَّجِهَا الزَّاهِي
ظِلَالَهُ ، بل لواء على مَلِكِ السَّكَّامِ ، أو عُمُودٌ نُصِبَ عليه من السَّحَرِ خِيَامٌ ، وهو يَخْلِبُ
الْأَسْمَاعَ بِسِحْرِهِ ، وَيُرِيْقُ حُلُومَانِهِ عَلَى صِنَاعَةِ شَعْرِهِ .

ثم رَفَعَتَهُ حِرْفَةُ الأدب عن حَضِيضِ دُكَّانِهِ ، إلى أن صار ملك الأدب بديوانِهِ ،
فنادى لسانُ قَرِيْبِهِ النِّظَامِ : ^(٢) « ما هذا مَلِيك بل مَلَكٌ كَرِيمٌ » .

(*) على بن محمد بن علي بن عبد الله ، الشيخ الفاضل الشاعر ، علاء الدين بن ملك الحموي ثم الدمشقي
الفقاعي الحنفي .

ولد بحمّة سنة أربعين وثمانمائة ، ودرس الأدب والنحو والعروض ، ثم قدم دمشق فتسبب ببيع الفقاع ،
وهو شراب يتخذ من الشعير ، ثم تركه واشتغل بالعلم والأدب ، وبرع في الشعر ، وجمع لنفسه ديوانا
سماه « النفحات الأدبية من الرياض الحموية » .

توفي سنة سبع عشرة وتسعمائة .

خبيا الزوايا لوحه ٥٣ ب ، وهو فيه « علا يدين » ، ديوان الإسلام لوحه ١٨١ ،
السكواكب السائرة ١ / ٢٦١ .

(١) هل يتفق هذا مع ما ورد في ترجمة أبي الفتح المالِكي ؟ انظر صفحة ١٧٤

(٢) في م : « ما هذا ملك إن هذا إلاملك كريم » .

وقد وقفتُ على « ديوانه » فجنّيتُ من ثمراتِ حُسْنِهِ وإِحْسَانِهِ ، قوله
من قصيدة له ^(١) :

ذِكْرُ الْغَضَا فَحَنَنْتُ عَلَيْهِ أَضْلَعِي وَبَكَى الْعَقِيقُ فَسَاقَطَتْهُ أَدْمَعِي
لِلَّهِ دَرْ دُمُوعٍ عَيْنِي إِنْهَا وَقَعَتْ مِنَ الْأَجْفَانِ أَحْسَنَ مَوْقِعِ
مَنْ لِي بَقَايَ يَوْمَ كَاطِمَةِ وَدَعَتْهُمْ لَوْ خَلَقُوا قَلْبِي مَعِي
رَحَلُوا فَكَانَ الْقَلْبُ أَوَّلَ رَاحِلِ وَالصَّبْرُ آخِرَ ظَاعِنٍ وَمُودَعِ
وقوله من أخرى ^(٢) :

طِرَازُ ذَاكَ الْعِذَارِ مِنْ رَقْمَةٍ وَدُرُّ دَمْعِي بِفَيْهِ مِنْ نَظْمَةٍ
وَخَالُهُ فَوْقَ كَنْزِ مَبْسَمَةٍ بِالْمِسْكِ قَفْلًا عَلَيْهِ مِنْ خَتْمَةٍ ^(٣)
مَنْ لِي بِهِ ظَالَمُ الْجَفُونِ سَطَا ظُلْمًا عَلَى صَبَةٍ وَمَا رَحْمَةٍ ^(٤)
وقوله من أخرى ^(٥) :

يَا بَرِيقًا بِالْحَمَى قَدْ لَمَعَا حَتَّى عَنَى الْبَانَ وَالْأَثْلَ مَعَا
فَبِذَاكَ الْحَيَّ لِي غُصْنُ نَقَا طَائِرُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَقَعَا
يَالَهُ مِنْ غُصْنِ بَانَ يَانِعِ صَادِحُ الْحَلِيِّ عَلَيْهِ سَجَعَا
وقوله من أخرى ^(٦) :

أَحْيَا الرَّبِيعُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَمَاتِهَا وَحَلَا بِسَكْبِ الْقَطْرِ عُودُ نَبَاتِهَا

(١) في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . ديوانه (النفحات الأدبية من الرياض المحوية) ٩ .

(٢) ديوانه : ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) في ١ : « وخال » ، والمثبت في سائر الأصول ، والديوان .

(٤) في م : « ساحر الجفون » والمثبت في : ١ ، ب ، ج . والديوان .

(٥) يمدح بها قاضي القضاة ابن فرفور ، ديوانه ٤٠ .

(٦) يمدح بها ابن فرفور أيضا ، ديوانه ٥١ .

والزهرُ قد ألقى الدَّشَارَ كَأَسَا أدَّتْ كَسَنُوزُ الْأَرْضِ بَعْضَ زَكَاتِهَا
وحكَّتْ جَدَاوِلُهَا خَلَاخِيلاً أضْحَى خَرِيرُ الْمَاءِ مِنْ رَنَاتِهَا^(١)
وقوله من أخرى^(٢) :

سُقِيَا لَأَرْضٍ بَعْدَ كَوْنِ مَائِهَا مَا اشْتَقَّ قَلْبِي لِلْمَوَارِدِ مَنَهَلًا^(٣)
لَوْلَا بَقَايَاُ وَحَقَّكَ فِي فِي مَا قَلْتُ شِعْرَافِي الْمَسَامِيعِ قَدْ حَلَا^(٤)
^(٥) وهذا من قول بلديبه^(٦) ابن حبيجة من قصيدة :

وَلَوْلَا بَقَايَا طُعْمِهِمْ فِي مَذَاقِي لَمَا ظَهَرَتْ هَذِي الْخِلَاوَةُ فِي شِعْرِي^(٧)
وَمِنْ نَتَفَ لَهُ^(٨) :

مَدَحْتُكُمْ طُعْمًا فِيمَا أُوْمِّلُهُ فَلَمْ أَنْلَ غَيْرَ حَمْلِ الْإِثْمِ وَالنَّصَبِ^(٩)
إِنْ لَمْ تَكُنْ صِلَةً مِنْكُمْ لِذِي أَدَبٍ فَأَجْرَةُ الْخَطِّ أَوْ كِفَارَةُ الْكَذِبِ^(١٠)
وقوله أيضا^(١١) :

لَا تَعْجَبُوا مِنْ صَدِيقٍ كُنْتُ أَمْدَحُهُ وَقَدْ هَجَّأَنِي وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ عَجَبٍ
بَلْ أَعْجَبُوا مِنْ ذَاكَ فِيهِ كَيْفَ دَرَى أَنِّي كَذَبْتُ فُجَازَانِي عَلَى الْكَذِبِ
وقوله أيضا^(١٢) :

-
- (١) في ج : « وحكي جداولها » والبيت ساقط من : ١ ، والمثبت في سائر الأصول ، والديوان .
(٢) ضمن قصيدة يمدح بها قاضي القضاة جلال الدين ابن النصر ، بحجة ، ديوانه ١١٨ .
(٣) في الديوان : « كلا ولا من بعد كوثر مائها * ما اشتاق ... » .
(٤) في الديوان : « ما قلت شعرا بعدها وترسلا » .
(٥) ساقط من : ب ، ج ، وفي ١ : « ولولا بقايا طعمه » .
(٦) زيادة من : ١ .
(٧) ديوانه ١٣٠ ، والكشكول ١/١٣٥ .
(٨) في الكشكول : « فلم أنل غير حظ الإثم والنصب » .
(٩) في الديوان : « لاذ لم تكن ... » .
(١٠) لم أجده البيتين في ديوانه المطبوع .
(١١) ليس في ديوانه أيضا .

يَكَادُ لِرِقَّةٍ أُعْطَاهِ من اللَّيْلِ يُقَدِّ لَوْلَا الْكَفَلُ
فَإِنْ قِيلَ بَدْرُ قُفْلٍ عَبْدُهُ وَإِنْ قِيلَ شَمْسُ الضُّحَى قُلْ أَجَلُ

ونحوه قول ابن حجر :

حَبِيبِي لَا تَحْتَفِلْ بِالْعَذْلِ وَصِلْ مُغْرَمًا لِلضَّنَا قَدْ وَصَلَ
وَحَقَّقْ إِنْ الْعَذُولَ الْأَقْلَ وَأَنْتَ الْحَيَاةُ وَأَنْتَ الْأَجَلُ

ومن قصيدة له ^(١) :

وَفَوْقَ ظُهُورِ الْخَيْلِ مَاتُوا فَأَصْبَحُوا وَفِي كُلِّ سَرَجٍ فَوْقَهَا لَهُمْ قَبْرُ
وَقَدْ تَوَارَدَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ^(٢) مَعَ ابْنِ حِجَّةٍ ، فِي قَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ ، وَكَفَتْ لِمَا
طَالَعْتُ فِي ^(٣) « دِيْوَانِهِ » لَمْ أَرَ لَهُ مَعْنَى ابْتِكَارِهِ ^(٤) غَيْرَهُ ، وَهُوَ :

مَاتُوا عَلَى تِلْكَ السُّرُوجِ مَخَافَةً فَكَأَنَّ هَاتِيكَ السُّرُوجَ مَقَابِرُ
وَهُوَ تَشْبِيهِهُ لَطِيفٌ ؛ لِأَنَّ هَيْئَةَ دَفَنِي السَّرَجِ ، كَهَيْئَةِ حَانَبِي الْغَبْرِ الْمَصْنُوعِ مِنْ
الْحِجَارَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ .

وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ ابْنُ نُبَاتَةَ ، فِي مَرثِيَّةٍ لَهُ ^(٥) :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ بَعْدَ رَاحِلٍ إِذَا مَا انْقَضَى عَصْرٌ مَضَى بَعْدَهُ عَصْرٌ ^(٦)
تَبَدَّلَتْ لَدَى الْبَيْدَا مَطَايَا قُبُورِهِمْ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْعَقْلِ أَنَّهُمْ سَفَرُ
نَحْنُ رَأَيْتُهُ فِي أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، لَكِنْ ^(٧) هَذَّبَهُ ، فَإِنْ أَبَا نُوَّاسَ قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ ،
الَّتِي أَوْلَاهَا ^(٨) :

(١) ليس في ديوانه أيضا .

(٢) زيادة من : ا ، ب ، ج .

(٣) ديوانه ٢٣٣ .

(٤) في الديوان : « لَأَنَّهُ رَاحِلٌ . . . بَدَا بَعْدَهُ عَصْرٌ » .

(٥) في م : « لَكِنَّهُ » وَالمُثَبِّتُ فِي : ا ، ب ، ج .

(٦) ديوانه ٩٨ .

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورٌ وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرٌ
ومنها (١) :

إِلَيْكَ أَنْتَ بِالْقَوْمِ هُوجٌ كَأَمَّا جَمَاجِمُهَا تَحْتَ الرَّحَالِ قُبُورٌ (٢)
قال الصُّولِيُّ : أَيْ إِبِلٌ كَانَ بِهَا هُوجًا لِنَشَاطِ فِي سَيْرِهَا ، وَهَذَا التَّشْبِيهِ بِالْقَبْرِ حَسَنٌ ،
لَكِنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْوَلِيدِ :

كَأَنَّ هَامَاتِهَا قَبْرٌ عَلَى شَرَفٍ يَمُدُّ لِلسَّيْرِ أَوْصَالًا وَأَصْلَابًا (٣)
انتهى .

وَهَا هُنَا أَمْرٌ نَفِيسٌ ، يَنْبَغِي الْإِصْغَاءُ (٤) لَهُ ، لِأَنَّ الْجَمَاجِمَ الرُّؤْسَ ، وَلَوْ شَبَّهَ أَسْنِمَتَهَا
أَوِ الرَّحَالَ (٥) الَّتِي عَلَيْهَا بِالْقُبُورِ ، لَكَانَ (٦) مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا . فَاسْتَحْسَنَ
الصُّولِيُّ لَيْسَ بِحَسَنٍ ، وَكَأَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ إِذْ كَانُوا رَأَوْهُ تَذَبَّهَوا لِهَذَا ، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ
بِالسَّلَفِ ، وَإِلَّا فَلَمَقَالَ مَجَالَ .

فَإِذَا فَطِنْتَ لِمَا قُلْنَا ، وَفَهِمْتَ عَلِمْتَ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لَا يَصِلُ فِي الْحُسْنِ إِلَى دَرَجَةٍ مِنْ
دَرَجَاتِ قَوْلِي ، مِنْ قَصِيدَةٍ لِي :

إِذَا جِئْتُ دَارًا قَبْلَ لُقْيَايَ أَهْلِيهَا أَلَا قِي قُبُورًا لِلْكَرَامِ أُولَى الْجِدِ
عَلَيْهَا لَقَدْ حَطُّوا رِحَالًا بِمَنْزِلِ وَكَمْ هُودَجٍ مِنْ بَيْنِهَا مُرْتَحِي الشَّدِّ
لَيَنْتَظِرُوا مَنْ خَلَّفُوهُ بِدُورِهِمْ لِيَلْحَقَهُمْ قَبْلَ الْقِيَامِ بِلا جَهْدِ
يَقُولُونَ جِدُّوا فِي الرَّحِيلِ فَإِنْ مَنْ تَبَقَّى أَنَاسٌ أَرْضِعُوا اللَّؤْمَ فِي الْمَهْدِ

(١) ديوانه ١٠٠

(٢) في ١ ، ب ، ج : « تحت الرجال » . والمثبت في : م ، والديوان .

(٣) في ١ ، ب : « كَانْ هَامَاتِهَا » وفي ج : « كَانْ هَامَاتِهَا » .

(٤) في ١ ، ج : « إِلَيْهِ » .

(٥) في ١ : « والرجال » وفي ب : « أو الرجال » .

(٦) في ١ ، ج : « كَانْ » .

وقونى : « قبل لقيائى » إلخ ، إشارة إلى أن قبور كل بلدة خارجها ، فكل قادم
لا بد أن يلاحظها أولاً

وإلى هذا المعنى أشار القاضى الفاضل فى قوله :

الْمَدْنُ إِن رَجَعَ الْمَسَا فِرْأَوْ إِذَا خَرَجَ الْمُسَافِرُ^(١)
مَا اسْتَقْبَلَتْهُ وَوَدَّعَتْهُ^(٢) بِغَيْرِ هَاتِيكَ الْمَقَابِرِ



(١) فى ب : « مدن إذا رجع » وفى ج : « المدن إن خرج » وفى ا ، ج : « وإذا
خرج المسافر » .

(٢) فى ا : « غير هاتيك المقابر » .

القاضي محب الدين بن تقي الدين الحموي *

نزِيلُ الشَّامِ ، وَشَامَةٌ مَنْ بَهَا مِنَ الْوُجُوهِ وَالْأَعْلَامِ ، ذُو كَالٍ وَأَدَبٍ ، وَبَجْدٍ تَنَاوَلَهُ
عَنْ كَتَبٍ ، فَكَانَ غُرَّةً مَنْ نَظَمَ وَنَثَرَ ، وَكَتَبَ وَشَعَرَ ، إِذَا حَلَّ بِنَادٍ تَهَلَّلَ صَدْرُهُ
وَانْشَرَحَ ، وَتَزَيَّنَتْ بِدُرَرٍ كَلَامَتِهِ عُقُودُ الْمَلَحِ ، وَتَرَنَّمَتْ أَطْيَارُهَا ، وَتَفَتَّحَتْ بِنَسِيمِ
خُلُقِهِ أَنْوَارُهَا ، بِمُحَاوَرَاتٍ لَهُ تَحْمَرُّ خُدُودُ الْكَاسَاتِ مِنْهَا خَجَلًا ، وَتَفْتَحُ أَزْهَارُ
الْخَائِلِ لَهَا آذَانًا وَمُقَلًّا .

إِلَّا أَنَّهُ وَاقٍ رِيَاضَهَا عَشِيَّةً ، خَيَّتَهُ مِنْ أَنْفَاسِهَا بِالْطَفِ تَحِيَّةً ، لِحَمْدِهَا وَشُكْرِ ،
بِمَاطَارٍ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَالْبَصَرِ .
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ فِي الشَّامِ :

أَتَيْنَا فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِمْ عَشِيَّةً	فَعَنَى لَنَا فِيهَا الْحَمَامُ وَحَيَّانَا
وَأَبْدَى لَنَا نَفَرُ الْأَفَاحِي تَبَسُّمًا	وَأَحْسَنَ مَلَقَانَا وَاکْرَمَ مَثْوَانَا
وَمَا هِيَ إِلَّا جَنَّةٌ قَدْ تَزَخَّرَتْ	أَلَمْ تَرَ فِيهَا الْعَيْنَ حُورًا وَوُلْدَانَا
وَمِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَجْرِي وَكُلُّهَا	عَمِيونُ إِلَى الرِّوَضَاتِ تُرْسِلُ غُذْرَانَا

(*) محمد بن أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن ، الملقب بحب الدين بن تقي الدين ، أبو الفضل العلواني
الدمشقي الحنفي . جد أبي الهيثم .

ولد سنة تسع وأربعين وأسمائة .

تنقل بين دمشق ، وحلب ، وحسن ، ومصر ، والروم .

وولى القضاء في مدن كثيرة ، واشتغل بالتأليف والفتوى .

توفي سنة ست عشرة بعد الألف .

خبيا الزوايا لوحة ١٥٥ ، خلاصة الأنثر ٣/٣٢٢ .

ومن فصلٍ له :

« يَقْبَلُ الْأَرْضَ بَعْدَ دُعَاءِ تَرْصَعٍ فِي تَيْجَانِ الْإِجَابَةِ دُرُّهُ ، وَتَضَرُّعِ تَقِفٍ فِي دِيْوَانِ الْإِخْلَاصِ فَقَرُّهُ ^(١) » .

ومما وقفتُ عليه من آثارِهِ « شرح شواهد التفسير » وهو كتاب حسن ، لكنه لم يُشَبِّعْ فِيهِ السَّكَّالَمُ .



(١) في أ ، ب ، ج : « مقَرُّهُ » .

٢٦

شهاب الدين الكنعاني الشامي*

شاعرٌ عَصْرِيّ ، لم أَقِفْ له إلا على ما أنشدَه شيخُنَا العِنَايَانِي ، من قوله :
يَحْسَبُ كُلُّ النَّاسِ أَمْثَالَهُ مَنْ بَاتَ فِي مَهْدٍ نَعِيمٍ وَطَى
أَمَا تَرَى الشَّعْبَانَ يَاسِيْدِي يَفُتُّ لِلْجَيْعِ — إِنْ فِتْنًا بَطَى
وهذا مثلٌ عامِّي ، من أمثال العوام ، تَضْرِبُهُ الْمُتَرْفَةُ ^(١) الذي ^(٢) لا يَعْرِفُ
حال ^(٣) مَنْ كَانَ فِي بُؤْسٍ وَشِدَّةٍ ، فَيَظُنُّهُ مِثْلَهُ .
وافظ « الجيعان » أنكره أهل اللغة وقالوا : المسموع فيه جائع وجوعان ؛ لكن
الأمثال لا تُغَيَّرُ .



(*) ذكره الخفاجي في : خبايا الزوايا لوحة ه ه ب ، وفي النسخة ب : « الكنعاني » .
(١) في أ ، ب ، ج : « المعرفة » والمنرفة : المستريح المنعم .
(٢) في م : « لا يدري بحال » والمثبت من : أ ، ب ، ج .

٢٧

معروف الشامي *

هو ممن اُتسم بالأدب في الحديث والقديم ، وسرى ذكره كما سرى من ^(١) الرياض
النسيم ، فسَمَت ^(٢) مقاصده ، وعذبت مصادره وموارد ، فليس للربيع نصارة تلك
النسيم ، ولا للغيث شيم ذلك الكرم ، فروضة مأثره يانة الزهر ، ونسخة محاسنه
مخلدة في صحائف الدهر .

لازال جدته روضة من رياض الجنان ، ومنزلاً تحل فيه قوافل الغفران ،
مابكى المطر لفراق الغمام ، فضحك النور على بركاته في الأكرام .
فما أنشدت له قوله :

يا مفرداً أضحت ظواهر شأنه	ما فوقها في الحسن غير المخبر
يا سالباً قلبي الشجي وما اشتكى	منه الجفاء إلى السميع المبصر
مئى إليك مع النسيم تحية	فتقت نوافجها بمسك أذفر ^(٣)
من منطق يزهو بحسن براعة	تزري حلاوته بطعم السكر
فكأنها وكأنه وكأنها	من جواهر في جواهر في جواهر
يبدى التداخل في الجواهر عنوة	لبصيرة المقدم لا المتحير
فكأنما قرطاسها أسرارنا	والبين بينهما سواد الأسطر

(*) ذكره الحفاجي في : خبايا الزوايا لوحة ه ه ب .

(١) في م : « في » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) في ا ، ب : « فتقت » ، وفي ج : « فتقت » .

(٣) مسك أذفر : جيد إلى الغاية .

أَرْجُو عَلَى قُرْبِ اللَّزَارِ يُقَرَّبُ الْ
فِي ذَلِكَ الشَّرَفِ الْمُعْلَى الْمُفْهِمِ طَرَبُ الشُّوقِ وَجَنَّةُ الْمُتَذَكَّرِ

﴿ وَنَقِلْ لِي عَنْهُ فَصْلٌ فِي كَحَّالٍ ، صَوْرَتُهُ ﴾

فلان انتهى إلى ^(١) فوق ما يُضْرَبُ به المثل ، إن قيل يَسْرِقُ الكُحْلَ من العَيْنِ ، فهذا يسْرِقُ العَيْنَ من الكُحْلِ ، فقد ^(٢) أودَعَ كُحْلَهُ حُزْنَ يعقوب ، فمن كُحْلٍ منه ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ ، وَجَعَدَ مُعْجَزَةَ القَمِيصِ اليُوسُفِي ، فَلَوَمَرُّوا به على ناظِرٍ تَقَرَّحَ ^(٣) جَفَنَاهُ ، وهو من الذين إِذَا رَفَعُوا أُمْيَالَهُمْ ^(٤) فَإِنَّمَا هِيَ ^(٥) لَعَيْنُ الشَّمْسِ ، وَلَشَّمْسُ الْعَيْنِ مِرْوَلَةٌ ، وَإِذَا أُولَاجَ أَحَدُهُمِ الْمِيلَ فِي الْمَكْحَلَةِ ، فهو أُولَى بِالرَّجْمِ مِمَّنْ أُولَاجَ الْمِيلَ فِي الْمَكْحَلَةِ ^(٥) . انتهى .

^(٦) وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ .

ومن هذا ^(٧) قولُ مِهْيَارَ ، فِي طَبِيبِ كَحَّالٍ ^(٨) :

أَفَنِي وَأَعْنَى ذَا الطَّبِيبِ بِطَبِّهِ وَبِكُحْلِهِ الْأَحْيَاءِ وَالْبُصْرَاءِ
فَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ مِنْ عُيَانِهِ أُمًّا عَلَى أُمَوَاتِهِ قُرَاءِ
ومنه أَخَذَ الزَّغَارِيُّ قَوْلَهُ :

أَعْنَى الْوَرَى بِكِحَالِهِ وَالْمَوْتُ مِنْ وَصْفَاتِهِ ^(٩)

(١) ساقط من أ ، ج .

(٢) في أ ، ب : « قد » .

(٣) في أ ، ب : « انقرح » وفي ج : « انقرح » .

(٤) ساقط من أ ، ج . (٥) في أ : « المحلّة » .

(٦) في ب : « وما أظن أن هذا إلا من » .

(٧) في م : « ومنه » . (٨) ليس في ديوان مهيّار المطبوع .

(٩) في م : « بكحله » والنصوب من : أ ، ب ، ج .

فكثير من عُمَيَانِهِ يقرأ على أمواتِهِ

وإنما خَصَّوا العُمَيَانَ بالقراءة ؛ لأنهم معروفون بكثرة الحفظ ، وقد قيل : إنه ما أخذ
الله من عبده حاسةً إلا نقل قوتها لغيرها .
ولابن عُنَيْنٍ (١) :

لو أن طَلَّابَ المطالبِ عندهم عِلْمٌ بأنك للعُيُونِ تُغَوِّرُ (٢)
لَأَتَوْا إِلَيْكَ بِكُلِّ مَا أَمْلَقَهُ مِنْهُمْ وكان لك الجزاء الأوفرُ
ودَعَوْكَ بالصَّبَاغِ لَمَّا أن رأوا بَفَشَى العُيُونِ لَدَيْكَ مَا أَصْفَرُ (٣)
وَبَكَّفَكَ المِيلُ الذي يَحْكِي عَصَا مُوسَى فـكَمَ عَيْنٍ به تَتَفَجَّرُ (٤)
ولحمد بن الأكفاني (٥) :

ولقد عَجِبْتُ لِمَنْ أتَى بالكِيميَا في كُحْلِهِ إذ جاء بالشَّعَاءِ
يُلبَقِي على العينِ الدُّحَاَسَ يُحْيِيهَا في لَمَحَةٍ كالْفِضَّةِ البَيضاءِ
وأحسن منه قولي :

كُحْلُ كَحَّالِنَا غَدَا إكْسِيرَا مِنْهُ قد عِلَّمَ الْوَرَى الكِيميَاءُ
فَحَدِيدُ الأبصارِ يُلبَقِي عليه عاد في الحَالِ فِضَّةٌ بَيضاءِ



(١) ديوانه ٢٤٠ ، وقد سقطت الأبيات ونسبتها إلى ابن عنين من : ب ، ج .

(٢) في الديوان : « للعُيُونِ تَعَوِّرُ » ، وما في الرِيحانة يوافق نسخة الظاهرية .

(٣) في الديوان : « يَفْشَى العُيُونِ » ، وما في الرِيحانة يوافق نسخة الظاهرية .

(٤) في الديوان : « وَكَمْ » ، وما في الرِيحانة يوافق نسخة الظاهرية .

(٥) في ب : « الأكفاني » ، وهو خطأ . وهو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري
ابن الأكفاني ، طبيب باحث حكيم . توفي سنة ٧٤٩ . البدر الطالع ٧٩ / ٢ ، الدرر
الكامنة ٢٧٩ / ٣ .

٢٨

نجم الدين بن معروف *

أديب إذا نظم حرك الهوى ، وقال الشعر : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ^(١) ، فقد سلك سبيل الرغائب ، واهتدى بأعلام المناقب ، فهو نجم بزغ من سماء الكرم ، وشمس اهتدت بأنواره سرة الأمم .
تقلد سيف الإمارة ، فلاح عليه من السعادة كل أمانة ، فله نجمه الثاقب
برفعته لدري ^(٢) الكواكب .

فن أنواره الساطعة من مشرق فيه ، ما كتبه للقاضي أبي الفتح يستدعيه :
يا أيها المولى الذى فتحت له فيضاً خزائن كل علم مغلق
ووفود أرباب الفنون تعبدوا بولاه إذ هو رب فضل مطلق
وإذا أنام الفاضلون بحمالة من فضيلهم لافهم في فياني ^(٣)
العبد يرغب أن تشرف بيته ليصير أفضل بقعة في جاني ^(٤)
لازلت يازين الوجود ممتعاً بعوارف منها المعارف تستقي ^(٥)
فأجابه :

ياماجداً نحـ _____ والعالم يسبق ومهذباً حاز الكمال بجلي

(*) ذكره الخفاجي في : خبايا الزوايا لوحة ٥٦ ب .

(١) سورة النجم ١ ، ٢ .

(٢) في ١ : « لدري » ، وفي ب : « لدرارى » ، وفي ج : « لدرك » .

(٣) سقط عجز هذا البيت من : ب .

(٤) في ج : « العبد يرغب » ، وفي م « ليصير أشرف » والمثبت من : ا ، ب ، ج . وفي ج :

« أفضل مقعد » .

(٥) في ا ، ب : « يا عين الوجود » .

لَبَّيْكَ مِنْ مَوْلَى بِفَضْلٍ دَاعِيَا لِمُحِبِّهِ بِلْ عِبْدِهِ الْمُتَمَلِّقِ^(١)
 وَاقَتْ بَدَائِعُ نَظْمِهِ تَحِيكِي عُقُوقَ دَ الدَّرِّ فِي سِلَاكِ الْبَيَانِ الْمُونِقِ
 تَدْعُو لِحَضْرَتِهِ الْبَدِيعُ صِفَاتُهَا بِبِلَاغَةٍ فَاقَتْ بِأَفْصَحِ مَنْطِقِي
 سَعِيًّا عَلَى الْأَخْدَاقِ نَحْوَ كَمَالِهِ وَجَاهِهِ الْمُتَوَقِّدِ الْمُتَالِقِ^(٢)
 نَحْوَ الْفَضَائِلِ وَالْفَوَاضِلِ وَالثَّنَا نَحْوَ الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى الْمُتَدَقِّقِ^(٣)
 لَا زِلْتَ تَحْرُوسُ الْجَنَابَ مُتَمَعًّا بَاقِيَّاتِكَ الْفَضْلَاءِ دُونَ تَفَرُّقِي
 مَالَا حَ تَجْمُ فِي الدُّجْنَةِ نَاقِبٌ أَوْفَاحَتِ الرُّوضَاتِ الْمُسْتَنْشِقِ^(٤)



(١) في م : « تفضل داعيا » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
 (٢) في ا : « المتوقد المتألق » . (٣) في ا ، ب : « والفواضل والسنا » .
 (٤) في ا ، ب ، ج : « أوفاح في الروضات » .

٢٩

محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق *

شاعر رأيتُه ، وله شعر لم يُثابر على تهذيبه ، فهو وساوس لفكرة تهذيب به .
وقد أنشد قصيدة سماها لامية الروم ، منها :

حتى مَ أنظِمُ من دَمْعِي ومن غَزَلِي أدِلَّةً وحبيبُ القلبِ مُعْتَزِلِي
يرى خُلُودِي في نارِ الصُّدُودِ فَمَلَّ فسَقْتُ حينَ جَعَلْتُ العِشْقَ من عَمَلِي^(١)



(*) ذكره الخفاجي في : خبايا الزوايا لوحة ١٥٧ ، وهو فيها : « محمد بن الحكيم الحلبي ، المعروف بابن المشنوقه » . وفي ب : « محمد بن محمد بن الحكيم » .
(١) في ج : « جعلت الفسق » ، وفي ا : « من قبلي » .

٣٠

فَتَحَ اللَّهُ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْبَيْلُونِيُّ الْحَلَبِيَّ *

أديب فاضل ، له طُرْفٌ ومُلَحٌ وشِعْرٌ ، سَمَحَ طَبْعُهُ مَدَّهُ بِمَا سَنَحَ ، وله مَجْلِسٌ من
مَجَالِسِ الْقَصَاصِ وَالنَّصَاحِ ، ينادِي به كلُّ طَالِبٍ حَيٍّ على الْفَلَاحِ .
رَأَيْتُهُ وَقَدْ قَدِمَ الرُّومَ بِصَحْبَةِ الْوَزِيرِ نَصُوحَ ، وَشَمْسُ فَضْلِهِ مِنْ أَفُقٍ مُعَالِيهِ تُلُوحُ ،
فَانْقَطَعَ عَنِ الْإِخْتِلَاطِ ، وَرَبَّمَا حَرَكَ الشُّكُونِ رَدِيءَ الْأَخْلَاطِ .
وله شِعْرٌ وشُعُورٌ ، هَا مِنْ خَيْرِ الْأُمُورِ ، كَقَوْلِهِ ^(١) :

يَقُولُونَ نَافِقٌ أَوْ فَوَافِقٌ مُرَافِقًا عَلَى مِثْلِ ذَا فِي الْعَصْرِ كُلِّ لَقَدْ دَرَجَ ^(٢)
فَقُلْتُ وَأَمْرٌ ثَالِثٌ وَهُوَ قَوْلُ أَوْ فَفَارِقٌ وَهَذَا الْأَمْرُ أَسْلَمُ لِلْحَرَجِ ^(٣)

(*) في ج : « فتح الله بن محمد » ، وهو :

فتح الله بن محمود بن محمد الحلبي العمري الأنصاري ، المعروف بالبيلوني ، الشافعي .
ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

وسافر عن حلب إلى الروم ، صحبة الأمير نصوح ، ورحل إلى بلاد كثيرة منها : مكة والمدينة ،
والقدس ، ودمشق ، وطرابلس ، وبلاد الروم .
وتولى إفتاء الشافعية بالقدس .

له تآليف فائقة تدل على تفننه وعلو منزلته .

والبيلوني ، بفتح الباء الموحدة ثم مثناة تحتية ولام وووا ونون .

توفي سنة اثنتين وأربعين وألف ، بحلب .

لإعلام النبلاء ٢٣٩/٦ ، تراجم الأعيان لوحة ٣٠٣ ب ، خبايا الزوايا لوحة ١٥٧ ، خلاصة الأثر
٢٥٤/٣ ، ديوان الإسلام لوحة ٣٦ ب ، وذكر الغزى أنه توفي سنة ١٠٥٢ ، سلافة العصر ٣٩٨ .

(١) ذكر المحبي في خلاصة الأثر ٢٥٦/٣ البيتين ، وقال : وينسبان لفتح الله بن النحاس ، والصواب
أنهما لفتح الله هذا .

وتقل الطباخ هذا القول عن المحبي في إعلام النبلاء ٢٤٣/٦ ، ولم يعزه إليه .

(٢) في خلاصة الأثر : « يقولون وافي أو فنافق » .

(٣) في خلاصة الأثر : « أدفع للحرج » .

وقوله في بعض منازل الحج ، المسمى بأكرهه ، ويقال لها أكرى بالقصر أيضا :
تَعَفَّفْتُ عَنْ زَادِ الرَّفِيقِ وَمَانِهِ وَمِزْتُ لَيْتَ اللَّهِ أَهْدَى لَهُ شُكْرَهُ
وَوَفَّرْتُ مَا عِنْدِي احْتِرَازاً وَإِنِّى لَصَوْنِي مَاءَ الْوَجْهِ لَمْ أَرِ مَا أَكْرَهُ
ومن أمثاله المرسلة (١) .

* رَبِّ دَاءٍ أَضْرُّ مِنْهُ الدَّوَاءُ (٢) *

ومنه :

إِذَا ابْتُلِيتَ بِسُلْطَانٍ يَرَى حَسَنًا عِبَادَةَ الْعِجْلِ قَدَّمَ نَحْوَهُ الْعَلْفَا
وقوله :

أَنْتَ كَالْمُنْخُلِ الَّذِى صَارَ يُبْلِقِ الصَّ فَوَ النَّاسِ مُنْسِكًا لِلنَّخَالَةِ
وهذا (٣) مما وقع معناه في بعض الكتب الإلهية ، كما نقله الإمام الرازى .
وقد كنت قلت فيه :

الدَّهْرُ كَالْعِرْبَالِ فِي خَفْضٍ وَرَفْعٍ لَا حَالَةَ (٤)
إِنْ حَطَّ لُبٌّ لُبَابِهِ رَفَعَ الْحُنَالَةَ وَالنَّخَالَةَ
وَالْبَيْلُونِى ، لقب جدِّ له ، وهو نسبة للبيّون ، وهو طين أصفر ، تسميه أهل مِصْرَ
طَفْلًا (٥) . انتهى .



(١) في ١ : « السائرة » والمثبت من سائر النسخ ، وسلافة العصر .

(٢) هذا عجز بيت ، وأورده له ابن معصوم في السلافة ضمن بيتين ، هما :

مَنْ يَحَاوِلْ لِمَنْ أَسَاءَ جَزَاءَ فَهُوَ فِيهِ وَمَنْ أَسَاءَ سِوَاهُ
خَيْرٌ مَا اسْتَعْمَلَ اللَّيْبُ احْتِمَالُ رَبِّ دَاءٍ أَضْرُّ مِنْهُ الدَّوَاءُ

ثم قال : « المصراع الأخير من هذين البيتين أورده صاحب « الريحانة » قائلا : لأنه من أمثاله المرسلة .
ولم يذكر ما قبله ، فذكرناه ؛ لئلا يتوهم أنه مصراع قد (كذا) وهو خطأ في الطباعة ، أظنه : « قديم »
(٣) من هنا إلى نهاية قول الرازى سقط من : ج . ومن هنا إلى نهاية البيتين الآتين سقط من : ا .
(٤) في ج : « رفع وخفض » .

(٥) في م : « بالطفل » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، خبايا الزوايا ، وهو فيها مضبوط بفتح فسكون ،
وخلاصة الأثر ، وإعلام النبلاء ٦/٢٤٣ ، وسلافة العصر ٣٩٩ ، نقلا عن الريحانة ، وزاد صاحب إعلام النبلاء
في نقله عن الريحانة : « قال الخفاجى : وكلاهما لغة عامية ، لا أعرف أصلها » .

٣١

القاضي ظهير الدين الحلبي *

أديبٌ ورَّدهُ معِين ، وإثمد مداده مما تَكْتَحِلُ بِهِ ^(١) عُيُونُ اليَقِين .
صَحْبَتُهُ بِالرُّومِ ، فَكَانَ لِي مِنْهُ ظَهِيرٌ وَمُعِين ، فَاقْتَطَفَ سَمْعِي جَنَى أَزْهَارِهِ ، لَمَّا
جَلَّأَ عَلَى نَتَائِجِ أَفْكَارِهِ ، فَرَأَيْتُ كُبْرَاهَا وَصُغْرَاهَا فِي الْحَدِّ الْأَوْسَطِ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَنْ
رُتْبَةِ الْإِنْتَاكِ مُنْحَطٌ .
فَنَ غَضُّ ثَمَرَاتِهِ ، وَيَانِعُ زَهْرَاتِهِ ، قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةِ نَبَوِيَّةٍ ^(٢) :

نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَاجِرٍ وَنَوَاحِيهِ سَرَتْ فَأَزَالَتْ صَبْرَنَا عَنْ صِيَاصِيهِ ^(٣)
وَمِنْ بَارِقِ شَامٍ الْمَتِّيمُ بَارِقًا بَدَا فَتَدَاعَى شَوْقُهُ مِنْ أَقَاصِيهِ ^(٤)
وَمِنْ ذِكْرِ أَيَّامِ الْعُذْبِ تَكَدَّرَتْ مَشَارِبُ صَبٍّ ضَلَّ عَنْهُ مُنَاجِيهِ ^(٥)
إِذَا قَلَّ الْحُجَّاجُ زَادَ وَلُوعُهُ وَأَرْسَلَ دَمْعًا قَانِيًا مِنْ أَمَاقِيهِ ^(٦)
وَبِي مَنْ غَدَا يَخْتَالُ عُجْبًا بِقَدِّهِ وَطَلَعَهُ سَكْرَانٍ مِنْ خَمْرَةِ الْقِيهِ ^(٧)

(*) ظهير الدين الحلبي ، القاضي الأديب ، الشاعر الفائق .

كان قضيا من قضاة القضاة ، ببلاد أنطاولى ، وولى مناصب عديدة .

ذكر المحي أنه كان موجوداً فى سنة ثلاث عشرة بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ٥٧ ب ، خلاصة الأثر ٢/٢٦١ .

(١) فى م : « منه » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) نقل المحي فى خلاصة الأثر عن الخفاجى هذه القصيدة .

(٣) فى خلاصة الأثر : « من لعل ونواحيه » وفى ا ، ب : « من صياصيه » .

(٤) فى ا : « به فتداعى » وفى ب : « بدت فتداعى » .

(٥) فى خلاصة الأثر : « قل عنه مناجيه » .

(٦) فى خلاصة الأثر : « من مآقيه » .

(٧) فى خلاصة الأثر : « يخال فيها بعجبه » .

وَفِي الْقُرْبِ أَخْشَاهُ وَفِي الْبُعْدِ قَاتِلِي فَوَاحِرَبًا مِنْ بُعْدِهِ وَتَدَانِيهِ
يُفَوِّقُ مِنْ جَفْنَيْهِ لِلْقَلْبِ أَسْهَمًا بِأَوْهِنِهَا بِرَمِي الْكَمِيِّ فِيْضَمِيهِ^(١)
بَذَلْتُ لَهُ رُوحِي فَأَعْرَضَ مُعْجَبًا وَقَالَ أَمْلِكِي عَادَ مَلِكُكَ تَهْدِيهِ^(٢)
وَبالشَّعْبِ مِنْ وَادِي النَّقَا خَيْرُ جِيرَةٍ غَدَتُ بُغْيَتِي وَاللَّهِ مِنْ غَيْرِ تَمْوِيهِ^(٣)
إِذَا ذَكَّرُوا يَرْتَاحُ قَلْبِي كَأَمَّا أَنْتَ نَحْوَهُ تَنْقَادُ قَسْمًا أَمَانِيهِ^(٤)



(١) في خلاصة الأثر : « يفوق من جفنيه للحرب أسهما » .
(٢) في ج : « صار ملكك تهديه » وفي أ : « عاد ملكي تهديه » .
(٣) في أ : « من وادي القرى » .
(٤) في م : « سرًا أمانيه » والمثبت من : أ ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

٣٢

بهاء الدين [محمد] ^(١) بن الحسين العاملي الحارثي *

الشامي أصلاً ومختبداً ، الفارسي منشأً ومولداً .

فاضل لمعت من أفق الفضل بوارقه ، وسقاء من مورد النير عذبه ورائقه ،
لا يدرك بحر وصفه الإغراق ، ولا تلحقه حركات الأفكار ولو ^(٢) كان في مضمار الدهر
لها السباق .

زبن بمآثره العلوم النقيية والعقلية ، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية ، لاسيما
الرياضات ، فإنه راضها ، وغرس في حدائق ^(٣) الألباب رياضها .

وهو في ميدان الفصاحة فارس أي فارس ، وإن كان غصنه أبتنع وربا برَبوة فارس ،
فإن شجرته نبتت عروقها بنواحي الشام الزاهية المغارس ، والعرق نزاع وإن أثر الجوار
في الطباع .

(*) في ١ ، ب : « بهاء الدين بن حسين » ، وفي ج : « محمد بن حسين العاملي » وفي ب : « العاملي الفارسي ... »

وهو :

محمد بن حسين بن عبد الصمد ، الملقب بهاء الدين بن عز الدين الحارثي العاملي .

ولد ببعلبك ، سنة ثلاث وخسين وتسعمائة .

وانتقل به أبوه إلى بلاد العجم ، وتنقلت به الأسفار إلى أن وصل أصفهان ، وأقام بمصر مدة ، ثم انتقل
إلى القدس ، ثم نزل دمشق .

كان أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم ، والتضلع بدقائق الفنون .

طارت شهره مؤلفاته في الآفاق ، وله شعر جيد .

توفي بأصفهان سنة إحدى وثلاثين وألف .

خبيا الزويا لوحة ١٥٨ ، خلاصة الأثر ٤٤٠/٣ ، الذريعة ٢٩/٢ ، ٢٤٠/٦ ، روضات الجنات

٥٣٢ ، سلافة العصر ٢٨٩ ، نزهة الجليس ٢٤٩/١ .

(١) تـكـمـلة من : ج .

(٢) في م : « لو » .

(٣) في ١ : « رياض » .

ولما تدفَّقَ ما به كرمه خرج منها سائحاً ، بعد ما ألقى دَلَوَه في الدِّلاءِ مانحاً^(١) ، لا بساً
خَلَعَ الوَقارَ ، قاطِماً من رياض الكَوْنِ ثمرات الاعتبار ، خجَّاب البلاد ، وأتى إِرَمَ مصر
ذاتِ العماد ، فنَمَى متاعَ فضلٍ به اتَّجَرَ ، والمعالى في كَفَالاتِ السَّفر ، فاجتَنى نوراً
انفتحت^(٢) كِأَمَّه ، وسَرى سُرَى قلبُ الوجودِ كائمه .

وسرَّ دهرٌ هو صدرٌ له بعالمٍ ذى نَجْدَةٍ عامِلٍ^(٣)

وفي أثناء ذلك نَظَمَ عقودَ أشعارٍ حِقَاقُها العُقُولُ ، وجمع من أزوادِ فضله مجموعةً سماها
« الكَشْكُول » ، طالعُها فرأيتُ فيها ما تنشرح له الصُّدُور ، وتحلُّ عُقدَ الإشْكال
عن كلِّ مَصْدُور .

وكان رئيسَ العلماء عند عباس شاه ، سلطان العجم ، لا يَصْدُرُ إلا عن رأيه إذا عقدَ
الْوِيةَ الِهمَمَ ، إلا أنه لم يكن على مذهبه في زَنَدَقَتِهِ^(٤) وإِحْادِهِ ، لا نَتِشَارَ صِيتِهِ في سَدَادِ
دِينِهِ ورِشَادِهِ ، إلا أنه عَلَوَى بِلَا مَيْنَ ، وهو عند العقلاء أَهْوَنُ الشَّرَّينِ ، فإنه أظهرَ
غُلُوهَ في حُبِّ آلِ البَيْتِ ،^(٥) وجارَى في حَلْبَةِ الوِلاءِ الكُمَيْتِ^(٥) ، وأنشد لسانُ حالِهِ
لكلِّ حَيٍّ ومَيِّتٍ :

إن كان رَفَضاً حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلانِ أَنِّي رَافِضِي

وشِعْرُهُ باللسَّانَيْنِ مُهْذَبٌ مُحَرَّرٌ ، وبالفارسيَّةِ أَحْسَنُ وَأَكْثَرُ .

ولما سَاحَ في البُلْدانِ ، واجتمع بمن بها من الأعيان ، عاد بدُرُّ ذاتِهِ لِفَلَكَ أَقْطارِهِ ،
فعانق في أوطانِهِ عقائلَ أوطارِهِ .

(١) متج الماء : نزعهُ . وفي ا ، ب ، ج : « مانحاً » . والميج : أن تدخل البئر فتملأ الدلو
لقلة ماؤها .

(٢) في ا ، ب : « تفتحت » . (٣) في ا : « ذى نَجْدَةٍ عامِلِي » .

(٤) في ا : « وزندقته » .

(٥) في م : « وجارى حلبة ولاء الكميت » والجملة ساقطة من : ب ، ج ، والمثبت من : ا .

وهو الآن قرّة عين مجديها ، وغرّة جبين سعدِها ، تطوف بحرَيه وفودُ الأفاضل ،
وتتوجّه شطره وجوهُ الآمالِ من كلِّ فاضل ، بنعيمٍ مُقيمٍ^(١) تتحدّثُ عنه طُروس
الأسفار^(٢) ، وتسكتُ جِلِّ بِأَمْدِ مِدَادِهِ عُمون الطُروس والأسفار .

فن أنوارِ كلامِهِ ، التي أطلعتها غُصون أفلامِهِ ، قوله من قصيدة^(٣) :

يَاندِي بِمُهَجِّتِي أَفْدِيكَ	قُمْ وَهَاتِ الْكُتُوسَ مِنْ هَاتِيكَ
هَاتِيهَا هَاتِيهَا مُشْعَشَعَةً	أَفْسَدْتَ عَقْلَ ذِي التَّقَى النَّسِيكَ ^(٤)
نَحْمَرَةُ إِنْ ضَلَّتْ سَاحَتَهَا	فَسَنَا نُورِ كَأْسِهَا يَهْدِيكَ ^(٥)
يَا كَلِيمَ الْفُوَادِ دَاوِ بِهَا	قَلْبِكَ الْمُبْتَلَى لَكِنِ تَشْفِيكَ
هِيَ نَارُ الْكَلِيمِ فَاجْتَلِيهَا	وَاخْلَعْ الْفَعْلَ وَاتْرُكِ التَّشْكِيكَ
صَاحِ نَاهِيكَ بِالْأَدَامِ فَدُمُ	فِي اخْتِسَاهاً مَخَالِفًا نَاهِيكَ ^(٦)
عَمَرِكَ اللَّهُ قُلْ لَنَا كَرَمًا	يَا حَمَامَ الْأَرَاكِ مَا يُبْكِيكَ
أَتُرَى غَابَ عَنْكَ أَهْلُ مَنَى	بَعْدَ مَا قَدْ تَوَنُّوا نَادِيكَ ^(٧)
إِنْ لِي بَيْنَ رَبْعِهِمْ رَشَاءٌ	طَرَفُهُ إِنْ تَمَّتْ أَمْسَى يُحْيِيكَ ^(٨)
ذُو قَوَامٍ كَأَنَّهُ غُصْنٌ	مَاسَ لَمَّا بَدَأَ بِهِ التَّحْرِيكَ ^(٩)

(١) في ١ ، ب : « تحدث عنه الأسفار » وفي ج : « تتحدث عنه الأشعار » والمثبت في : م .
(٢) القصيدة في الكشكول ١٠٩/١ ، ١١٠ . وفي خلاصة الأثر ٤٤٩/٣ ، وذكر منها المحب
أحد عشر بيتاً فقط .

(٣) سقط هذا البيت من : ١ ، ب ، ج ، وهو في : م ، والكشكول .

(٤) في الكشكول : « قهوة إن ضلّت ... فسنا ضوء كأسها » .

(٥) سقط هذا البيت وأربعة بعده من : ب .

(٦) في الكشكول : « توطنوا واديك » .

(٧) ورد هذا البيت في : ١ ، هكذا :

لِي فِيهِمْ رَشَا لَهُ مَقْبَلُ فَغَنَّتْ كُلَّ عَابِدِ نَسِيكَ

(٨) « ذو قوام » : كذا على الاستثناف ، وفي الكشكول : « ذا قوام » .

استُ أنسامُ إذ أنى سَحَرًا وخذَهُ وخذَهُ بغيرِ شريكِ (١)
 طرقَ البابَ خائفاً وجِلا قلتُ مَنْ قال كلُّ ما يُرضيكِ (٢)
 قلتُ صرَّحْ فقال تجهلُ مَنْ سيفُ الحَاطِظِ تحكِّمُ فيكِ (٣)
 قتُ من فرَحَتي فتحتُ له واعتنقنا فقال لي يَهْنِيكِ (٤)
 بات يَسْقِي وَبِتُ أشربُها خَمْرَةً تتركُ المُقِلَّ مَلِيكِ (٥)
 ثم جاذبْتُه الرِّداءَ وقد خامرَ الخمرُ طرفه الفَتْيَكِ
 قال لي ما تُريدُ قلتُ له يامُنَى القلبِ قُبْلَةً من فيكِ (٦)
 قال خُذْها فَمَذُ ظَفِرتُ بها قلتُ زِدْني فقال لا وأَبِيكَ
 ثم وَسَّدَتْهُ اليمينَ إلى أن دنا الصُّبْحُ قال لي يَكْفِيكَ
 قلتُ مهلاً فقال قُمْ فَلَقَدْ فاحَ نَشْرُ الصَّبَا وصاحَ الدِّيكَ
 وله من أخرى ، مدح بها الأستاذ البَكْرِي ، وقد اجتمع به ، وهو (٧) مما يدلُّ
 على سلامة عقيدته ، قوله :

يامِصرُ سَقِيًّا لَكَ مِنْ جَنَّةٍ قَطُوفُها يانِعَةٌ دَانِيَةٍ
 ترابُها كالتَّبَرِ في لُطْفِهِ وماؤُها كالْفِضَّةِ الصَّافِيَةِ (٨)
 قد أَحْجَلَ المِسْكَ نَسِيمُها وزَهْرُها قد أَرَخَصَ الغَالِيَةِ

- (١) في م : « وحده زائرا بغير شريك » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول .
- (٢) في الكشكول : « كل من يرضيك » .
- (٣) سقط هذا البيت وثلاثة بعده من : ب .
- (٤) سقط هذا البيت من الكشكول . وفي ا : « واعتنقنا قال . . . » .
- (٥) في ا : « بات يسقي » وفي الكشكول : « قهوة تترك المقل مليك » .
- (٦) في ب : « في فيك » .
- (٧) في ب ، ج : « وهذا » .
- (٨) في م « ترابها التبر » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .

دَقِيقَةُ أَصْنَافُ أَوْصَافِهَا وَمَالَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِيَةٌ
 مُنْذُ انْخَسَتْ الرَّكْبُ فِي أَرْضِهَا أَنْسَيْتُ أَصْحَابِي وَأَحْبَابِيَّةَ
 فَيَا حَمَاهَا اللَّهُ مِنْ رَوْضَةٍ بِهِجَتُهَا كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ
 فِيهَا شَفَا الْقَلْبِ وَأَطْيَارُهَا بِنَفْعَةِ الْقَانُونِ كَالزَّارِيَةِ (١)
 وَمِنْهَا :

مَنْ شَاءَ أَنْ يَخْبِيَا سَعِيدًا بِهَا مُنْعَمًا فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ
 فَلْيَدْعِ الْعِلْمَ وَأَصْحَابَهُ وَلِيَجْعَلِ الْجَهْلَ لَهُ غَاشِيَةً
 وَالطَّبَّ وَالْمَنْطِقَ فِي جَانِبٍ وَالنَّحْوَ وَالتَّفْسِيرَ فِي زَاوِيَةٍ
 وَلِيَتْرُكِ الدَّرْسَ وَتَدْرِيسَهُ وَالْمُتَنَ وَالشَّرْحَ مَعَ الْحَاشِيَةِ
 إِلَى مَا يَافِرُ وَجَتَّى مَتَى تَشَقَّى بِأَيَّامِكَ أَيَّامِيَّةَ
 تُحَقِّقُ الْأَمَالَ مُسْتَعِظًا وَتُوقِعُ النِّقْصَ بِأَمَالِيَّةَ (٢)
 وَهَكَذَا تَفْعَلُ فِي كُلِّ ذِي فَضِيلَةٍ أَوْ هِمَّةٍ عَالِيَةٍ
 فَإِنْ تَسْكُنُ تَحْسَبُنِي مِنْهُمْ فَهِيَ لَعَمْرِي ظَنَّةٌ وَاهِيَّةَ (٣)
 دَعِ عَنْكَ تَعْذِيبِي وَإِلَّا فَاشْكُو لَكَ إِلَى ذِي الْحُضْرَةِ السَّامِيَّةَ (٤)
 وَلَهُ رِبَاعِيَّاتٌ لَطِيفَةٌ ، مِنْهَا (٥) :

أَغْتَضُّ بِرِيقَتِي كَحَسَنِ الْحَاسِي إِذَا ذُكِرَهُ وَهُوَ لَعْمُودِي نَامِي (٦)

(١) في م : « فيها شفاء القلب أطيارها » والمثبت من : ا ، ب ، ج . والزارية : من زرى عليه وأزرى : إذا عابه . وفي ا : « كالدارية » وفي ب ، ج : « كالزاوية » .
 (٢) في ا : « تحقق الآمال » . (٣) الظنة ، بالكسر : التهمة .
 (٤) في م : « الرتبة السامية » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .
 (٥) هذه الرباعية في خلاصة الأثر ٤٥٣/٣ .
 (٦) في النسخ اضطراب شديد في الشطرة الأولى ، في ا : « أغتض بريقتي كخفسي الحاسي » ، وفي ب : « أغتض لريقتي كحسي الحاسي » ، وفي ج : « أغتض بريقتي لحسي كاسي » .

إِنْ مِثُّ وَجَرَّةِ الْهَوَى فِي كَبْدِي فَالْوَيْلُ إِذَا لَسَا كِنِي الْأَرْمَاسِ
وله (١) :

كَمْ بَيْتٌ مِنَ الْمَسَا إِلَى الْإِشْرَاقِ مِنْ فُرْقَتِكُمْ وَمُطَرِّبِي أَشْوَاقِ (٢)
وَالْهَمُّ مُنَادِي وَنَقْدٌ لِي نَدَمِي وَالْدَمْعُ مُدَامَتِي وَجَفْنِي السَّاقِي
ومنها (٣) :

لَا تَبْكِ مُعَاشِرًا نَأَى أَوْ إِلْفًا الْقَوْمُ مَضَوْا وَنَحْنُ نَأَى خَلْفًا (٤)
بِالْهَمِّ — أَوْ تَعَاقَبِ نَدْبَعُهُمْ كَالْعُطْفِ بِهُمْ أَوْ كَالْعُطْفِ بِإِلْفًا
ومنها :

مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعَشْرَةٍ أُمْدَادِي فِي سِتِّ بَقَايَعٍ سَكَنُوا يَاحَادِي
فِي طَيِّبَةِ الْغُرَاءِ مَعَ سَامِرًا فِي طُوسَ وَكَرْبَلَا وَفِي بَغْدَادِ (٥)
ومنها (٦) :

لِلشَّوْقِ إِلَى طَيِّبَةِ جَفْنِي بَاكِ لَوْ صَارَ مُقَامِي فَلَاكَ الْأَفْلَاكِ
أَسْتَنْكِفُ إِنْ مَشَيْتُ فِي رَوْضَتِهَا فَالْمَشَى عَلَى أَجْنَحَةِ الْأَمْلاكِ (٧)
ومنها :

هَذَا النَّبَأُ الْعَظِيمُ مَا فِيهِ كَلَامٌ هَذَا لِمَلَائِكِ السَّمَوَاتِ إِمَامٌ (٨)
مَنْ يَمُّ بِابِهِ يَنْلُ مَطْلَبَهُ مَنْ طَافَ بِهِ فَهُوَ عَلَى النَّارِ حَرَامٌ

(١) من هنا إلى قوله : « قد مات بهاؤك من الشوق إليك » الآتي ساقط من : ب ، ج .

(٢) هذه الرباعية أيضا في خلاصة الأثر ٤٥٣/٣ .

(٣) وهذه الرباعية أيضا في الخلاصة ٤٥٣/٣ . (٤) في الخلاصة : « معاشرانا أو إلفا » على الجمع .

(٥) في ١ : « في طيبة والغرى » ، وله وجه ؛ فإن الغرى أحد الغرين ، وهما بناءان كالصومعتين كانا بظهر السكوفة ، قرب القبر الذي يقال له قبر علي رضي الله عنه . انظر مرصع الاطلاع ٩٩١ .

(٦) الرباعية في خلاصة الأثر ٤٥٤/٣ . (٧) في ١ : « في روضها » .

(٨) في ١ : « هذا البناء العظيم » .

ومنها :

هَذَا حَرَمٌ بِفَضْلِهِ الْعَقْلُ أَقَرَّ فِيهِ لِلْمَلَائِكِ السَّمَوَاتِ مَقَرَّ
كُلُّ مَنْهُمْ يَقُولُ يَا زَائِرُهُ أَبْشِرْ فَلَقَدْ نَجَّوْتَ مِنْ نَارِ سَقَرٍ
ومنها ^(١) :

يَارِجُ إِذَا أَتَيْتَ دَارَ الْأَحْبَابِ قَبَّلْ عَنِّي تَرَابَ تِلْكَ الْأَعْتَابِ
إِنْ هُمْ سَأَلُوا عَنِ الْبَهَاءِ فَقُلْ قَدْ ذَابَ مِنَ الشَّوْقِ إِلَيْكُمْ قَدْ ذَابَ
ومنها ^(٢) :

يَارِجُ أَقْصُ قِصَّةِ الشَّوْقِ إِلَيْكَ إِنْ جِئْتَ إِلَى طُوسٍ فَبِاللَّهِ عَلَيْنِكَ ^(٣)
قَبَّلْ عَنِّي ضَرْحَ مَوْلَايَ وَقُلْ قَدْ مَاتَ بِهَاؤُكَ مِنَ الشَّوْقِ إِلَيْكَ
ومنها ^(٤) :

أَهْوَى رَشَاءَ عَرْضِي لِلْبَلَوَى مَاعْنَهُ أَقْلَبِ الْمَعْنَى سَلَوَى
كَمْ جِئْتُ لِأَشْتَكِي فَمُذُنُ أَبْصَرَنِي مِنْ لَذَّةِ قُرْبِهِ نَسِيتُ الشَّكْوَى
ومثله قولي ^(٥) :

لَوْ تَسْمَعُ لَذَّةَ الْمَعْنَى الشَّكْوَى لَا مَنَّ بَذَا وَلَيْسَ عَفْوُ سَلَوَى ^(٦)
كُلُّ بَهْوَاهٍ مُبْتَلَى ذُو دَنْفٍ قَالُوا وَتَطْيِبُ إِذْ تَعُمُّ الْبَلَوَى ^(٧)

(١) الرباعية في خلاصة الأثر ٤٥٣/٣ .

(٢) في ١ ، وخلاصة الأثر : « عن البهائي فقل » .

(٣) في م : « إِنْ جِئْتَ إِلَى طُوسٍ فَبِاللَّهِ عَلَيْنِكَ » وفي ١ : « إِنْ جِئْتَ طُوسَ فَبِاللَّهِ عَلَيْنِكَ » ولهـ لـ ما أنبأته الصواب ، وبطوس قبر علي بن موسى الرضا .

(٤) في ب : « وقال مثله » . (٥) في ١ : « ونحوه قولي » .

(٦) في ب : « لو تسمع أن للمعنى » .

(٧) في ١ : « كل بهواه مبتلى » وفي م : « كل بهواه مبتل » .

ومنها :

يا غائبُ عن عيني لا عن بالي القُربُ إليك مُنمهي آمالي
أيامُ نواك لا تسَلْ كيف مضتْ واللهِ مضتْ بأسوأِ الأحوالِ ^(١)
وفي معناه وَوَزَنِهِ قول الأَرَجَانِي ^(٢) :

لا بأسَ وإن أذبتَ قلبي بهواك القلبُ ومَن سلبته القلبَ فذاك
وليتَ وقُلْتَ أنعمَ اللهُ مَساك مولاى وهل ينعمُ من ليس يراك



(١) في ١ : « تالله مضت » .

(٢) ليس في ديوانه .

٣٣

خَضِرُ الْمَوْصِلِيِّ *

كعبة فضلٍ مُرتفعة المقام ، تضمّنت ألسنةُ الرّواة التّزامَ مدحه فلله ذلك التّضمّن والالتزام .

رأيتُه في عُنُقوانِ العمر والدنيا كلَّها رياض ، والأيام كلَّها أعياد وأغراس ، والأوقات كلَّها سحر ، والأشهر كلَّها نيسان .

فلو بعثَ يوماً منه بالدَّهرِ كلَّه لفكرتُ دهرًا ثانيًا في ارتجاعه وهو حسنةٌ في صحائف الأيام واللّيلالي ، وروضةٌ تُنبت الشُّكرَ في رياض المعالي ، والعيشُ كلَّه نصير ، وقد قيل لكلِّ زمان خضير .

إذا ما ذكرنا جوده كان حاضرا نأى أودنى يستعَى على قدَم الخضير وأقام بمكة مع بني حسنٍ مُحضَّر الأكناف ، وصنّف باسم السيد حسن كتابه « شرح شواهد الكشاف » ، شرحا تشبّث بأهداه ^(١) السَّحر ، وناط به تميمَةً مُعلّقةً بجيد الدَّهر ، وقد ملكته وطالعه ، فرأيت فيه ^(٢) ما يدل على سعةِ اطلاعه ، وطول طَوّله وباعه .

(*) خضر بن عطاء الله الموصلي .

كان إماما في العربية ، واللغة ، ومعاني الأشعار .

هاجر إلى مكة ، وانضم إلى علماءها ، وألف كتاب « الإسماعيل بشرح أبيات القاضي والكشاف » .

وقد أجلاه الشريف السيد حسن بن أبي نعيم عن مكة ، بمكيدة من وزيره ابن عتيق ، فات قبل أن يصل إلى المدينة ، سنة سبع بعد الألف .

خبابا الزوايا لوحة ١٥٩ ، خلاصة الأنثر ١٣١/٢ ، سلافة العصر ٣٨٥ .

وخضر ، بفتح الحاء وكسر الضاد ، وبكسر الحاء وسكون الضاد .

(١) في م : « بأذنه » ، والثبت من : ا ، ب ، ج . (٢) في ا : « منه » .

وهو تلميذ والدي ، وكان يسلك معه طريق الأدب ، ويخشون بين يديه
على الرُّكْب .

وأنشدني له ^(١) قوله مُضْمَنًا :

تَبَدَّلَ عَنْ الْبَرَشِ الْمُبْدَلُ بِالطَّلَا فَمَا لِمِ أَهْلِ الْبَرَشِ غَيْرُ وَجَاهِلٍ ^(٢)
فَمَا الْبَرَشُ إِنْ فَتَشْتَ عَنْ كُنْهِهِ سِوَى دُوَيْهِيمَةٍ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
وللأشعث بن قيس ، مما أنشده في كتابه « سلافة الزرجون » :

نَدِيمِي لَا تَهْزَأْ بِمَشْمُولَةٍ فَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا بَهْجَةٌ وَشَمَائِلُ ^(٣)
وَرَأَيْتَ مِنْهَا رِقَّةً فِي قَوَائِمِهَا وَلاَحَتْ كَشْمَسٍ أَضْعَفَتْهَا الْأَصَانِلُ
فَلَا تَغْتَرِزْ مِنْهَا ————— بِلِينٍ فَإِنَّهَا دُوَيْهِيمَةٍ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
وهذا من قصيدة ليبيد ، التي أولها ^(٤) :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيمَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ ^(٥)
وقد ضمن زكي الدين بن قريع منها أيضا في قوله :

تَأْمَلْ صُحُفَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا مِنْ الْجَانِبِ السَّامِيِّ إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وَقَدْ خَطَّ فِيهَا إِنْ تَأْمَلْتَ خَطْمَهَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ
وفي معناه قول العلامة الشيوخ حسن البوري في :

وَرُقُ الرِّبَاضِ إِذَا نَظَرْتَ دِفَاتِرَ مَشْحُونَةٍ بِأَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ

(٢) في ب : « عن البرش المبذل » .

(١) زيادة من : أ .

(٣) في ج : « نديمي لاتفر » .

(٤) هي قصيدته في رثاء النعمان بن المنذر ، وقد جرى الخفاجي على ترتيب الخالدين وابن السيد .
ولإني ترتيب هذا البيت في القصيدة التاسع وما بعده العاشر . ديوان ليبيد ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٥) سقط هذا البيت من : أ ، ب ، ج .

وهو في ^(١) معنى شعر أبي نواس المشهور .

ومما مدحتُ به حضرة مولانا خضر المذكور ^(٢) :

وصباً من كُثُوسٍ ذِكْرِكَ سَكْرَى لَكَ حَمَلْتَهَا ثَنَاءً وَشُكْرًا ^(٣)
وَلَوْ جَدِي رَقَّتْ كَطْبَعِكَ لُطْفًا واستعارتُ من طيبِ ذِكْرِكَ نَشْرًا
مَعَكَ الْقَلْبُ حَيْثُمَا سِرْتَ بِسِرِّي فَاسْأَلْنِي عَنِّي فَذَلِكَ أَذْرَى ^(٤)
مِنْ أُولَى الْعَزَمِ لِي فَوَادٌ كَلِيمٌ فِي النَّوَى لَا يَزَالُ يَتَّبِعُ خِضْرًا ^(٥)



فصل

فيمين لقيته بالشام في رحلتى لمصر راجعاً من الروم

لَمَّا مُنِيتُ بِغُرْبَةٍ قَارِظِيَّةٍ ، ودعاني الشوقُ إلى العودِ إلى القاهرة المِعْزِيَّةِ ، وَعِنَانِ
مَطَايَا الْعَزَمِ بَيْنَ ثَنَانٍ وَحَادِي ، وطوارقِ الوسوسِ بَيْنَ رَائِحٍ وَغَادِي .
بَدَأَ لِي بِهَا وَجْهُ جَوْيِّ قَاطِبٍ ، وسامرتُ بِهَا لَيْلِي ^(٦) عُمَرَ الْكَوَاكِبِ ، يَتَعَثَّرُ
بِالْعَوَاءِ ^(٧) ، وَتَضَرَّبُهُ بَعْصًا ^(٨) الْجَوَازِ ، ونهارُ صَبَاهُ سَمُومٌ ، كَأَنَّهُ قَلْبُ صَبٍّ مَفْغُومٌ ،
أَوْ نَفْسُ فَقِيرٍ مَظْلُومٌ ، نَفَضَتْ بِهَا الْأَمَالَ بِسَاطِ الْقَرَارِ ، واسترجعتُ نَزَاعَهَا

(١) في أ ، م : « وفي معنى » وفي ب : « وهو معنى » ، والمثبت من : ج .

(٢) الأبيات في خلاصة الأثر ١٣١/٣ .

(٣) في أ : « ذكرى وسكرى » .

(٤) في م : « فاسأله فذاك عني أدرى » وفي أ ، ب ، ج : « فاسأله عني فذاك » والمثبت في خلاصة الأثر .

(٥) في م : « سقط هذا البيت من : أ . » (٦) في م : « ليلا » ، والمثبت من : أ ، ب ، ج .

(٧) في أ ، ب ، ج : « تعثر بالعواء » . والعواء : منزل للقمر ، خمسة كواكب أو أربعة ؛ كأنها

كتابة ألف .

(٨) في م : « بعصى » والمثبت من : أ ، ب ، ج .

الأمصار ^(١) ، إذ لم تجد حُرّاً ترّجّيه ^(٢) ، ولا أخاً وجد تطارحه هوّى نجدٍ وتجاربه ،
كأقلت :

يا ونيح مصرَ ترحلت سُكَّانُها وتعلّلت تلكَ المجالسُ والمدارسُ ^(٣)
ظفّعوا ومن بركايتها وجمالها كُنِستَ وهاتيكَ النخيلُ بها مكاينُ
فكان الكرامَ أوراقُ خريفٍ لوته ^(٤) الأعاصيرُ ، وبدده ^(٥) الشّقات ، ورُسومُها
خطَّ بها البلاءُ آياتِ الموارِثِ وصُحِفَ الفرائضُ فلا يُذكرُ فيها غيرُ الأمواتِ ، فإذا
رجع أو خرج منها المسافرُ ، ماودَّعه واستقبله غيرُ المقابرِ :

عليها لقد حطّوا رجالاً بمنزلٍ وكَمَ هودجٍ من بينها مُرتحلي الشّدِّ
وقد كنتُ أذابُ في التّرحالِ ، لأخطَّ بربعها المخضب ^(٦) رجالَ الآمالِ ، رجاء
لقاءِ أشياخي وأخداني ، ومغازلةٍ من بها من خردٍ أوانِسِ الأمانِ ، ممّن سافنته ^(٧)
بواديها ، وساجلتُه بدلاءَ للجُونِ في بواديها ، وقد تنزل من حصن طودها الأوابدِ ،
كما قال كُشاجِم في كتاب « المطارد » : إن الوحوشَ قد تليجُ ^(٨) العُمرانُ ، وتلجأُ
للآنسِ ، إذا كَلَبَ الشّتاءُ ، وعَبَسَ بالجدبِ وجهُ الزّمانِ ، فعدِمَتِ الأقوات ، وأخفى
الجَمَدُ والثلجُ الماءَ والنباتَ ، فشاب منه الوليدُ ، كما قال مُسليمُ بن الوليد ^(٩) :
فإن أغشَ قومًا بعمدٍم أو أزورم فكالوحشِ يُدْنِيهما من الآنسِ المَحَلِّ ^(١٠)

(١) في م : « للأمصار » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) في ا ، ب ، ج : « ترجيه » . (٣) في ا : « ياويل مصر » .

(٤) في ا ، ج : « لوته » ، وفي م : « لوته » .

(٥) في ا : « وبدده » ، وفي م : « وبدله » . (٦) في ا ، ب : « بربعها المخضب » .

(٧) سفنه يسفنه : قشره ، وسفنت الريح : هبت على وجه الأرض . وفي ا ، ج : « نافسته » وفي ب : « نافسته » .

(٨) في ا ، ب : « تأتى » وفي ج : « تلد » .

(٩) الأبيات في ذيل ديوانه بغير هذا الترتيب ، فالبيت الأول هو العاشر في القصيدة ، والبيتان الثاني والثالث هما الخامس والسادس فيها . ديوان صريع الغواني ٣٣٣ .

(١٠) في الديوان : « يستدنيه للقص المحل » وانظر حواشى الديوان في الأبيات الثلاثة .

يُذَكِّرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالتَّقَى وَقَوْلُ الْخَنَاءِ وَالْحِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ
فَالْعَاكَ فِي مَذْمُومِهِمْ مُتَنَزِّهًا وَالْعَاكَ فِي مَحْمُودِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ
فَعَادَ الرَّائِدَ خَائِبًا ، وَالْبَشِيرَ نَاعِيًا نَاعِيًا ، إِذْ بَدَتْ مُقْفِرَةُ الْأَرْجَاءِ ، ^(١) مُبَرِّقَةً
بِالْيَأْسِ وَجْهَ الرَّجَاءِ ^(٢) ، مِنْ دَارِ أَمْوَاتِهَا أَشْرَافَ ، وَأَحْيَاؤِهَا أَجْلَافَ ، بِهَا ضِعَافُ
عُقُولٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَفْقُوا وَصَنَّفُوا ، كَأَنَّهُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا
فَعُجْتُ زَائِرًا مُقَابِرَ أَطْلَالِهَا ، وَقَدْ خَيَّلَ لِي أَنَّهَا أَوَّلُ مَنْزِلِ سَفَرٍ بِسُورِجِهَا وَرَحَالِهَا ،
يَنْتَظِرُ بِهَا السَّابِقُونَ اللَّاحِقِينَ ، فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، فَرَدُّوا وَصَاحُوا
بِهَا وَآهَا ، وَأَنْشَدَنِي بِدِيَهَةِ صَدَاها :

يَا رَاكِبًا حُتَّ الْمَطِيِّ مَ لَأَرْضِ مِصْرَ تَنْتَحِيهَا
جَزُ بِالْقَرَاةِ وَاقْرَأْ مَنَى السَّلَامَ لِسَاكِنِيهَا
وَقِلِ السَّلَامَ عَلَى الْكَرَامِ الْأَكْرَمِينَ الْفَاضِلِينَ ^(٢)
لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ بِهَا إِلَّا جَهْلًا أَوْ سَفِيهَا
فَكَلَّمْنَا الدُّنْيَا الْبَخِيَّةَ لَمَّا بِالْعَطَاءِ لَمْ يُجْتَدِهَا
صَرَفَتْ دَنَائِيرَ الْبَهَا بِنُحَاسٍ نَحْسٍ مِنْ بَيْتِهَا
سَادَتْ بِهَا فِرْقُ الْعَبِيَّةِ دِرْ فَايُ حُرٍّ بَرْتَضِيهَا
فَلَذَا هَجَرَتْ مُقَامَهَا وَطَلَبْتُ أَرْضًا أَصْطَفِيهَا
فَإِذَا مَرَرْتَ فَلَا تَسَلْ عَمَّنْ نَأَى مِنْ قَاطِنِيهَا
وَقِفِ الْمَطِيَّ بِحِلْقِ الْكَرَامِ الْعُرَى فِيهَا
عُرِفَتْ بِعَرَفِ الْمَجْدِهَا تِيكَ الرُّبُوعُ إِسَاكِنِيهَا

(١) ساقط من : ب .

(٢) في ١ ، ب : « الْكَرَامِ الْفَاضِلِينَ بِهَا بَيْتِهَا » وفي ج : « الْأَكْرَمِينَ وَمَنْ يَلِيهَا » .

فرحلتُ إلى الوادِي المقدَّس طُوًى ، والعزمُ بأَيْدِي المطايا شَبْرٌ ^(١) شُقَّةَ البَيْنِ
وطُوًى ، حتى نزلتُ تُرْبَةً عُجِنَتْ بماءِ الوحى ، على رَغْمِ أَنْفِ النَّوَى ، ومسَّحتُ ^(٢)
بها المُحْيَا ، وحَيَّيتُ أَكْرَمَ نَحْيَا ، بين الصَّخْرَةِ والطُّورِ ، والبيتِ المُتَلألَى فيه
سَبَّحاتُ النُّورِ :

قَطَعْنَا في مَسَافَتِهِ عِقَابًا وما بعدَ العِقَابِ سِوَى النِّعَمِ ^(٣)
ولما رَأَيْتُهُ طَشَّتْ ذَهَبٍ مملوءاً بالعقارب ، غسَلْتُ يَدَ الأملِ فيه من الرِّغائبِ ،
وانْتَفَيْتُ لِلشَّامِ شَامَةً وَجْهَ البُلْدانِ ، وَجَنَّةِ اللَّهِ في أرضِهِ المحْفُوفَةِ بِالْحُورِ والوِلْدانِ ،
المُفْرُوشَةِ بِسُفُوفِ النَّبَاتِ والأشجارِ ، اللَّابِسَةِ حُلْمِ الرِّياضِ المُزَرَّرَةِ بالأَنْوارِ ، المُسَجَّفَةِ
بِزُرْقِ الأنهارِ ، فقالت لى : أهلاً وسهلاً ، ومدَّتْ كَرَمًا ونُزْلاً ، وتلقَّتْنِي بِصَدْرِ
رَحِيمٍ ، فَبِتُّ فيها بين تَكْرِيمٍ وترَحِيمٍ :

مِنَ فَوْقِ أَكْمامِ الرِّيا ضِىَ ونَحَتْ أَذْيالِ النَّسيمِ
ولَقِيتُ بها من فَضلائِهَا الأَعْيانِ ، وأَدْبائِهَا النِّقَيةِ الأَذْهانِ والأَرْدانِ ، كُلَّ كَرِيمٍ
تُحَسِّدُ عَلَيْهِ العِيونُ والآذانُ ، هُوَ لَعْنِ المَجدِ قُرَّةٌ ، وَلوْجِهِ المِسْكارُ غُرَّةٌ ، وَلقَلْبِ
الدَّهْرِ فَرَحَةٌ ومِسرَّةٌ .



فَكَانَ مِمَّنْ اجْتَلَاهُ نَاطِرِي ، وَعَكَّفَ عَلَيْهِ في حَرَمِ كَرَمِهِ خَاطِرِي :

(١) شَبْرٌ : قَدْرٌ . وَفِي ب : « سِتْرُ شَفَةِ » .

(٢) فِي ج : « وَمَسَّحَتْ » ، وَفِي أ : « سَبَّحَتْ فِيهَا الْحَيَا » .

(٣) الْعِقَابُ الْأَوَّلَى : جَمْعُ الْعَقْبَةِ ، بِالْتَحْرِيكِ ، وَهِيَ مَرْقَى صَعْبٌ مِنَ الْجِبَالِ .

٣٤

المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامي الحنفي*

وهو إذ ذاك مُفْتِيها ، وناشرُ لواءِ الإفاضة بناديها ، وُحْيِي من رسومِ المدارس كلِّ دَائِرِ بها ودارِس .

إن جادَ فِجْودُهُ تَمِيمةٌ للعدم ، أو وَعَدَ فَوْعُدُهُ لِلغِنَى سَلَمٌ ، مع صِدْقِ مقالٍ ، تُعَقَّدُ منه الأَقْوالُ بالأَفْعالِ .

إذا ذُكِرَ ما فيه منِ محاسِنِ الصِّفَاتِ ، سَجَدَتْ له الخفاصِرُ كأنه آياتُ سَجَدَاتٍ ، أو سُرِدَتْ نَعْوَتُهُ فَكُلُّ نَعْتٍ مَقْطُوعٍ ، وكلُّ وَصْفٍ تَابِعٌ له ، وهو مُتَّبِعٌ .

وقد مُتَّعَتْ منه بما هو أَلَدُّ من نَيْلِ الوَطَرِ ، وليس العَيانُ كَالخَبَرِ ، وَهَبَتْ على رِيحٍ^(١) إِقْبَالَه قَبُولَ وَجُوبٍ ، وأَطْرَبَتْني أنْفاسُهُ والكَرِيمُ طُروبٍ ، وصَرَفَ الزَّمانُ مَغْلولُ اليَدَيْنِ ، والزَّمانُ مُنْقَادٌ لْجَمْعِ الشَّمْلِ ، كأنه عليه دَيْنٌ ، فَقَلْنَا في ظِلِّهِ الظَّلِيلُ ،

(*) في ١ : « المولى عبد الرحمن العمادى الشامى الحنفى » .

وهو :

عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادى الحنفى الدمشقى

ولد سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، ونشأ بَيْتاً .

وقد أخذ عن مشايخ عصره ، وحج فأخذ عن علماء المدينة ، واجتهد حتى صار فى عصره ممن يباهى بالتردد إليه ، والاكتساب من معلوماته .

واشتغل بالإفتاء ، والتأليف ، والتدريس بمدارس الشام .

توفى سنة إحدى وخمسين وألف .

تراجم الأعيان لوحة ٢٧٦ ، ١ ، خبايا الزوايا لوحة ٦١ ب ، خلاصة الأثر ٣٨٠/٢ ، ديوان الإسلام

لوحة ٦٠ ب ، سلافة العصر ٣٧٢ .

(١) فى م : « من رباح » ، والثبت من : ١ ، ب ، ج .

ولم نَرَ فيه نَقصاً سوى أَنه قليل ، وناهيكَ بِطِيبِ عُنْصُرٍ لو رآه النَّظَّامُ أَثْبَتَ به الجَوْهَرُ
الْفَرْدَ ، مع لُطْفِ طَبْعِهِ هو شَقِيقُ الرُّوضِ الْمُنْجِلِ بِلُطْفِهِ خَدَّ الْوَرْدِ ، وَحُسْنِ تَقْرِيرِ
وَتَخْرِيرِ يَهْتَزُّ طَرَباً له كلُّ غصنٍ نَضِيرٍ .

وبالجملة فهو في كلِّ كمالٍ مُفَرَّدٌ ، مُسْتَعْنٍ عن التَّعْرِيفِ بِفَضْلِ له لَا يُحَدِّدُ ، فَإِنَّهُ
أَصِيلُ عَصْرِهِ ، وَعِمَادُ دَهْرِهِ ، كَأَنَّمَا عَنَاهُ مَنْ قَالَ :

أَرَأَيْتُمْ فِي النَّاسِ ذَاتَ لَطِيفٍ بِشَرَحِ الصَّدْرِ مِثْلَ ذَاتِ الْعِمَادِ
حَسْبُهَا مِنْ لَطَافَةٍ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ
وَقَدْ دَارَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَثُوسُ مَحَاوِرَاتٍ لَهَا تَغَرُّ الْحَبَابِ بِاسِمٍ ، تُنْظَمُ مِنْهَا فِي
جَيْدِ الْأَدَابِ عُقُودٌ لَهَا بَنَانُ الْبَيَانِ نَازِلٌ ، وَلَمَّا قَوَّضَتْ خِيَامُ الْقَامِ ، وَزُمَّتْ مَطَايَا
الْعَزَائِمِ ، كَتَبْتُ لَهُ مُودَعاً وَشَاكراً لَمَّا أَفَاضَهُ عَلَيَّ مِنْ سَوَابِغِ الْمَكَارِمِ قَوْلِي :

قَسَمًا بِلُطْفِ مَالِكٍ لِفُؤَادِي وَبَرَوْضِ أَنْسٍ مُثْمَرٍ لِدُودَادِي
وَبَطْلَمَةِ نَزَلَتْ لَدَى حَرَمِ الْعُلَا وَبِسُدَّةٍ هِيَ قِبْلَةُ الْقَصَادِ
أَيُّ ارْتَحَلْتُ وَذَكَرْتُكُمْ أَبَدًا عَلَى طُولِ الْمَدَى مَاءِ النِّمِيرِ وَزَادِي
يَا وَاحِدَ الدُّنْيَا وَبَيْتَ قَصِيدِهَا الزَّاهِي لَدَى الْإِنْشَاءِ وَالْإِنْشَادِ
يَا ابْنَ الْعِمَادِ لِأَنْتَ عُمْدَةُ سَادَةِ تُمْنَحُ فِي الْإِصْـدَارِ وَالْإِيرَادِ
إِزْمًا غَدَتِ أَرْضُ الشَّامِ لِأَنَّهَا ذَاتُ الْعِمَادِ بِكُمْ وَأَيَّ عِمَادِ (١)
بَلْ جَنَّةٌ فِيهَا الثَّنَاءُ مُخَلَّدٌ أَتَرَى لَهَا بَعْدَ الْبِعَادِ بَعَادِ (٢)
وَحَدِيثُ فَضْلِكُمْ الْمُعْتَمَنُ بِجَدِّهِ أَضْحَى بِأَصْلِكَ عَلَيَّ الْإِسْفَادِ
يُنَبِّئُنِي عَلَيْهِ رَائِحَةُ أَوْغَادِي أَبَدًا بِرَغْمِ عَشِيرَةِ أَوْغَادِ

(١) في أ ، ب : « لِمِ » وفي أ : « اغتدت » ، وفي أ ، ب : « فإنها ذات العِمَاد » . وفي ج :
« كأنها ذات العِمَاد » .

(٢) في ب : « أَيْدِي لَهَا » وفي ج : « أَيْرَى » ، وفي أ : « بعد البعاد معادى » .

وَأَسْلَمَ وَدَمَ فِي عِزَّةٍ أَبْيَامُهَا لِلِقَائِهِ لَيْسَتْ حُلَى الْأَعْيَادِ^(١)

وبعد هذا فصل :

مولاي ، هذه نَفْثَةُ مُصْدُورٍ ، وَغُلَّالَةُ صَادٍ لَوْلَاكَ لَمْ تُرَوْ^(٢) بِهَا الصُّدُورُ ، وَبَدِيهَةٌ غَرِيبٍ مِنْ^(٣) الْأَوْطَانِ وَالْأَحْيَةِ مَهْجُورٍ ، وَالطَّعْبُ^(٤) وَإِنْ كَانَ فِي حَلْبَتِهِ جَوَادٌ ، فَقَدْ يَكْتُبُ الْجَوَادُ ، وَقَدْ يَبْخُلُ الْجَوَادُ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ :

أَنَا لَوْلَاكَ مَا رَأَيْتَنِي الْقَوَائِي فِي وَهَادٍ مِنْ أَرْضِهَا وَنِجَادٍ
إِنْ خَيْرَ الْمُدَّاحِ مَنْ مَدَحَتْهُ شِعْرَاهُ الْبِلَادِ فِي كُلِّ نَادٍ

والسلام .

فَأَجَابَ :

هَذِي دَرَارٍ نُورُهَا لِي هَادِي
أَمْ رَوْضَةٌ بَسَمَتْ نَعُورُ زَهْوَرِهَا
أَمْ تِلْكَ أَيْيَاتُ أَيْيَاتِ الْبِنَا
بُنِيَتْ بِأَيْدِي فِكْرٍ قَسٍّ خَفَاجَةٍ
مولاي يَافِرْدَ الْوَجُودِ فَضَائِلًا
قَدْ كَفْتُ أَسْمَعُ عَنْ فَضَائِلِكَ الَّتِي
وَلَطَالَمَا قَدْ كَفْتُ أَرْجُو الْمُلتَقَى
وَشِبَاهُهَا رُجْمٌ عَلَى الْأَضْدَادِ^(٥)
أَمْ حُـلَّةٌ وَشَيْتٌ مِنَ الْأَبْرَادِ
رُفِعَتْ عَلَى عُودٍ رَفَعَنْ عِمَادِي
تَبَّتْ أَيْدِي فِكْرٍ قَسٍّ لِمَادِ
وَشِمَائِلًا يَا أَوْحَدَ الْآحَادِ^(٦)
شَفَّفَنِي مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادٍ^(٧)
وَتُبَعَّدَ الْأَمَالُ طَوْلَ بَعَادِي

(١) في ١ : « لِقَائِهِ لَيْسَتْ خِلَا الْأَعْيَادِ » . (٢) في ١ : « تَرَوِيهَا » .

(٣) في م : « عَنْ » وَالمُتَّبِعُ مِنْ : أ ، ب ، ج .

(٤) في ١ : « وَالطَّرْفُ » . (٥) في ب : « هَذِهِ النَّارُ » ، وَفِي هَامِشِهَا : صَوَابُهُ : « هَذِي لِنَارِ نُورِهَا لِي هَادِي » ، وَفِي ج :

« عَلَى أَضْدَادِي » .

(٦) في م : « وَفَوَاضِلًا يَا أَوْحَدَ الْآحَادِ » ، وَالمُتَّبِعُ مِنْ : أ ، ب ، ج .

(٧) في ج : « شَفَّفَنِي مِنْ حَاضِرٍ » .

حتى شهدتُ جمالكم فلمِجنتي جذبتُ محبتكم شِفافِ فؤادي (١)
ودنا الرّحيلُ مُخلِّفاً قلبي لكم وفقاً على الإنهزام والإنجاد
سِرٌّ بالهَمَّا أَمَّا خِيَالُ كَالِكُم فهو السِّمِيرُ المُنْجِي في النَّادَى
واسلمَ ولا تَدَسَّ العِمَادِي إنه لِيَعْمَلُ الأَحْشَا بِقُرْبِ بَعَادِ
وما أنشدني قوله (٢) :

سَاطِيسُ آثَاراً هَوَاىَ أَثَارَهَا وَأَنْفُسُ مِنْ ذَبِيلِ التَّصَابِي غُبَارَهَا (٣)
لقد آن صَحْوِي مِنْ سُلَافِ صَبَابَةٍ لَقَدْ طَالَ مَاخَافَتُ جَهْلًا خُفَارَهَا (٤)
هَجَرْتُ الهَوَى وَالزَّهْوَ حَتَّى اشْتِيَاقَهُ وَطِيبَ لِي إِلَى اللَّهِوِ حَتَّى ادَّكَارَهَا
وَعَفَيْتُ سُبُلَ الْهَزْلِ بِالْجِدِّ مُقْلِعًا وَعَفْتُ مَسَرَّاتِ جَنَنِتُ ثِمَارَهَا
أَثَامِ كَفَيْتُ الْيَوْمَ بِالْتِّزِكِ شَرَّهَا لَعَلِّي غَدًا فِي الْحَشْرِ أَكْفَى شَرَارَهَا
قَطَفْتُ أَزَاهِيرَ الصَّبَابَةِ فِي الصَّبَا وَقَدْ صَارَ عَارًا أَنْ أَشُمَّ عَرَارَهَا
فَلَوْ صَائِدَاتُ الْقَلْبِ أَقْبَلْنَ كَالْمَهَا وَقَبْلَانِ رَأَيْتُ مَا قَبِلْتُ مَزَارَهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَوْدَعْتُ الْحِجَا فَاسْتَرَدَّهِ إِلَى النَّفْسِ شَيْبُ قَدْ أَعَادَ وَقَارَهَا (٥)
وَكُنْ شَبَابِي شَبَّ نَارَ صَبَابِي فَمَذُ لَاحَ نُورُ الشَّيْبِ أَخَذَ نَارَهَا
تُرَى شَيْبَتِي مَا عَذَرُهَا لَشَبِيبَتِي وَقَدْ صَبَغْتُ قَبْلَ الْكَمَالِ عِذَارَهَا (٦)
تَبَسَّمَ تَغَرُّ الشَّعْرِ فِيهَا تَعْجَبًا لَهَا إِذْ رَأَى لَيْلَ السَّبَالِ نَهَارَهَا (٧)
فَا زَارَ وَكَرَّ الشَّعْرَ فِيهَا غُرَابُهُ وَلَا دَارَ حَتَّى اسْتَوْطَنَ الْبَازُ دَارَهَا

- (١) في ١ ، ب ، ج : « حتى شهدت كما لكم فلمجنتي » .
(٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/ ٣٨٧ ، ٣٨٨ . (٣) في خلاصة الأثر : « من ذيل الفؤاد » .
(٤) في خلاصة الأثر : « فقد طال » .
(٥) في ١ : « وقد كنت ودعت الحجا » ، وهي رواية حسنة .
(٦) في ١ ، ب ، و خلاصة الأثر : « وقد سبغت » ، وفي ج : « وقد صبغت » .
(٧) السبال : جمع السبلة ، محرّكة ، وهي ماعلى الشارب من الشعر ، أو طرفه ، أو مجتمع الشاربين ، أو ماعلى الذقن إلى طرف اللحية كلها ، أو مقدمها خاصة . القاموس (س ب ل) .

عسى الآن عما قد عثرتُ إجابةً
عسى رَحمةً أو نظرةً أو عنايةً
عسى نَفحةً من نُورِ نُورِ معارفٍ
ويشرحُ صدري نورُ علمٍ مُقدَّسٍ
وَأُمْنَحُ أَلطافاً من الانسِ أبتغى
وَتُكشَفُ عن عَيْنِ البَصيرةِ حُجُبُهَا
فَيَظْهَرُ لِي سِرُّ الحَقِيقَةِ مُشرِقاً
وَأُحْظَى بِمَجالِاتٍ من القُربِ أَكْثَسِي
وَلُطْفُ إلهي قُطْبُ دائِرَةِ المُنَى
وقال قُبيلَ موتهُ ، رحمه الله (٣) :

قد شابَ فَوَدِي حينَ شابَ فَوادِي
حُسْنَ الخِواطِمِ أرتجى من مُحسِنٍ
وِعِمادِي التَّوْحِيدُ فهوَ وَسيلَتِي
إِنْ قِيلَ أَيُّ سَفينَةٍ تَجْزِي بَلَا
قُلْ رَحمةُ الرَّحْمَنِ أَنَا عَبْدُهُ
وكتبَ إلى وهو مريض ، وقد سمعَ بَعُوْدِي لمصر ، ولم يلبثَ بَعْدَهُ إِلَّا
قليلاً ، ما صورتهُ :

أَسْعَدَ اللهُ تَعَالَى طَالِعَ مِصرَ وما حوَّلها من الأَمصارِ ، وَأَنْجَدَ هَذَا العَصْرَ وما يَلِيهِ

(١) في خلاصة الأثر : « في صعودي منارها » .

(٢) في خلاصة الأثر : « من القرب أبتغى » .

(٣) الأبيات في خلاصة الأثر ٣٨٨/٢ .

(٤) في ١ : « حين تاب فَوادِي » ، وفي خلاصة الأثر : « حين تاب » .

من الأعصار ، وأبد عِزَّة^(١) العلوم وأهلِها ، وأبد دولة الفضائل وطالبيها ، بدوام
سعادة أيام عَيْنِ أهلِ المعارفِ والمعالى ، ووَاسِطَةِ عِقدِمِ العالى ، ونادِرَةِ فَلَـكِهِمِ العالى ،
الذى هو صدرُ العلماءِ وبدْرُهُم ، ومَن يدور عليه أمرُهُم ، فكأنهم فَلَـكٌ هو قُطْبُهُ ،
أو جسد هو رُوحُهُ وقلْبُهُ ، علّامة العلوم والمعارف ، وروضة الأدب الوريقة
وظلُّها الوارف ، شمسُ عصرِهِ ، وعَزِيزُ مِصرِهِ ، جامع المزايا والمناقب ، شهابُ
الفضلِ الثاقب .

أهدى إلى حضرته العلية نَحْفَ التَّحِيَّةِ ، وطُرْفَ الأُدْعِيَةِ المَرْضِيَّةِ .

وأُهِىَ إليه شِكَايَةُ نِـكَايَةِ الشَّوْقِ ، واستِطَالَةُ سُلْطَانِهِ ، ومدَّةُ مُدَّةِ البَينِ
واستِطَالَةُ زَمَانِهِ .

وأُهْنِيَهُ بِرُتْبَةِ الرِّيَاسَةِ العِلْمِيَّةِ ، التى بعضُ صفاتها ولايةُ مصرِ الحميمة ، جُزْءُ
من آلائِها وآلاتِها ، حيث أتتْ تَسْعَى إليه ، ومدَّ بالأمرِ الشَّرِيفِ رُواقِها عليه ، على أن
المولى أنوّه قَدْرًا ، وأنبّه شأنًا وذكرًا ، من أن يُهَنِّى بولايةٍ ، وإن أمرَ أمرُها ، وعلا
بين أهلِ العُلا قدرُها .

ومنصِبُ مصرٍ وإن عَظُمَ موقعُهُ ، فالملولى بِحمدِ الله تعالى يرفعه والمنصِب لا يرفعه ،
وما شَرَفَهُ المؤنَّلُ المعلوم ، إلا بِفَنونِ الفضائلِ والعلوم .

وحين بلغنا وصولُهُ بالسَّلامَةِ بِتَيْسِيرِ المَيْسَرِ ، عجبنا كيف ركب البحرُ البحرَ ،
وسلك البرَّ البرَّ ، وقلنا عاد قُسٌّ إلى عُكَاظِهِ ، وعاد قَيْسٌ بِحِفَاظِهِ .

(١) زيادة من : ا ، ب ، ج .

ولقد أحسن مولانا السلطان ، إذ أنام الأنامَ في حِرْزِ العدل والأمان ، بنَصَبِ
فِيصَلِ حُكْمِهِ ، وَحُسَامِ قَضَائِهِ ؛ كَحَسْمِ مَادَّةِ الظلم وانتِضَائِهِ ، فَتَحَ بِذَلِكَ بَابَ دَوْلَةِ
العرب ، وَرَوَّاجِ^(١) بَضَاعَةِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالْأَدَبِ ، فَخَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَةَ سَعَادَتِهِ مَدَى اللَّيَالِي
وَالْأَيَّامِ ، وَنَظَّمَ أَعْوَامَ مُدَّةِ سُلْطَنَتِهِ فِي سِلَكَ التَّائِبِيدِ وَالِدَّوَامِ .
وَنَسْأَلُ اللَّهَ لِحُضْرَتِكُمْ طَوْلَ الْبَقَاءِ ، وَدَوَامَ الْعِزِّ وَالْإِرْتِقَاءِ .



(١) ق م : « وَرَوَّاج » ، وَالثَّبِتُ مِنْ : أ ، ب ، ج .

أحمد بن شاهين الشامي*

صديقنا الصادق الوداد ، الفاضل المستغرق بمحاسنه^(١) لمراتب^(٢) الأعداد ، قنّاص
سوانح الأفكار ، حائز قصب السبق في كل مضمار .

أديب حديثه الحسن كقطع الروض ، ولذّة النشوان ، يُخيل لسامعه أنه صبّ عليه
الجمان ، وجرى خلاله ماء البيان ، تتسابق ألفاظه ومعانيه إلى القلوب والآذان ، حتى
لا تدرى أيهما السابق في الولوج للسمع والجنان ، فكلم هبت شمائله ، فأضحت^(٣)
شماء فضائله ، فيا عجبا كيف همى منه الفدى ، وقد انقشع^(٤) به غمام الغنى عن مطالع
الهدى ، فهو نُكْتة عطارد ، الوارث من المجد كل طريف وتاليد ، حتى أدنى
جود^(٥) أياديه الحسان ، ولم يشق غباره سوابق الاستحسان .

وله نظم ونثر أرق من دمع الصب ، وأغذب من زلال الفطر غبّ الجذب :

(*) أحمد بن شاهين القبرسي ، دمشق .

أصله من جزيرة قبرس ، كتبها المحبي بالسين ، ونبه على غلط العامة فيها ، وانظر مرصدا الاطلاع ١٠٦٣ ،
ولد سنة خمس وتسعين وتسعمائة .

وكان مليح العبارة في الإنشاء ، جيد الفكرة ، حلو النصب ، لطيف الإشارة ، جوادا ممدحا ، حسن
التصرف في النظم والنثر .

اشتغل بالقضاء ، والتأليف ، والتدريس .

وتوفي سنة ثلاث وخمسين وألف .

تراجم الأعيان ١٣٩/١ ، خلاصة الأثر ٢١٠/١ ، سلافة العصر ٣٧٥ ، هدية العارفين ١٥٩/١ .

(١) في ب ، ج : « محاسنه » . (٢) في أ : « لرتب » .

(٣) في أ ، ج : « فأصبحت » . (٤) في أ : « تقشم » .

(٥) في أ : « حتى دان جواد أياديه » ، وفي ب : « داني جود أياديه » ، وفي ج : « حتى دامت أجواد » .

لو بَقِيَتْ سِلْكَاً عَلَى الدُّهُورِ لَمَطَّلَتْ قِلَانَدَ النُّجُورِ
وَأَخْجَلَتْ جَوَاهِرَ الْبُحُورِ وَتَمَيَّتْ ضَرَائِرُ النُّجُورِ
تَهْدِي إِلَى الْأَكْبَادِ وَالصُّدُورِ رَوْحاً يُحَاكِي نَفْثَةَ الْمَصْدُورِ

ولما وُفِّيتُ فِي رَحَلَتِي إِلَى الشَّامِ ، نَظَمَنِي وَإِيَّاهُ فِي عِقْدِ الصُّحْبَةِ سِلْكَُ الْأَيَّامِ ،
فِي أَوْيَاقَاتِ كُلِّهَا أَصِيلٌ وَسَحَرٌ ، وَلَا عَيْبَ فِيهَا سِوَى مَا بَهَا مِنْ قَصَرٍ .

* وَكَذَاكَ أَيَّامُ الشُّرُورِ قِصَارٌ ^(١) *

فَشَرَّفَنِي بِقَصِيدَةٍ أَتَحَفَّنِي بِهَا ، وَهِيَ قَوْلُهُ :

أَيُّ دَهْرٍ قَدْ جَادَ لِي بِابْتِهَاجٍ وَصَبَاحٍ قَدْ لَاحَ لِي بِانْبِلَاجٍ
وَزَمَانٍ قَدْ مَنَّ لِي بِنَعِيمٍ وَقِرَانٍ وَاقَى بِأَسْعَدِ تَاجٍ
وَأَزْدِيَارٍ مِنْ غَيْرِ وَعَدٍ حَبِيبٍ كَشْفَاءٍ مِنْ غَيْرِ سَبَقِ عِلَاجٍ
وَاجْتِمَاعٍ لَنَا بِغَيْرِ انْتِفَاقٍ كَفَيْتَنِي جِئَاءَ طَالِبًا ذَا اخْتِجَاجٍ
وَسَخَاءٍ مِنَ الزَّمَانِ بِأَهْنَأٍ نِعْمَةٍ قَدْ أَتَتْ لِأَخْوَجِ رَاجٍ
بِقُدُومِ الْمَوْلَى الْإِمَامِ الْمُغْدَى أَحْمَدَ السَّيِّدِ الشُّهَابِ الْخَفَاجِي ^(٢)
الشُّهَابُ الَّذِي أَضَاءَ فُضَاءَتُنِي شَامُئًا مِنْ سِرَاجِهِ الْوَهَّاجِ
زَارَنَا فِي دِمَشْقَ غَيْثٌ رَوِيٌّ غَيْثٌ عِلْمٍ مِنْ طَبْعِهِ الشَّجَّاجِ
حِينَ وَاقَى مِنْ مِضْرٍ وَالسَّعْدِ عَبْدٌ خَادِمٌ عَفْدُهُ بِغَيْرِ اخْتِلَاجِ
وَلَوْ أَنِّي وَفِّيتُ حَقَّ قُدُومِ سَادِ حَظِّي مِنْهُ وَزَادَ ابْتِهَاجِي ^(٣)

(١) فِي م : « وَكَذَاكَ » ، وَالتَّيْبَتُ مِنْ : أ ، ب ، ج .

(٢) فِي ج : « الْجَلِيلُ الْمُغْدَى » ، وَفِي ب ، ج : « أَحْمَدُ سَيِّدِي الْإِمَامِ الْخَفَاجِي » ، وَفِي أ : « أَحْمَدُ السَّيِّدِ الْإِمَامِ الْخَفَاجِي » .

(٣) فِي أ ، ب : « وَلَوْ أَنِّي وَفِّيتُ » .

كُنْتُ أَفْرِشْتُهُ جُنُونٌ عَيُونِي وَرَفَعْتُ الْفُبَارَ فَوْقَ الْحِجَابِ
 عَالِمٌ يُخْرِجُ الْخَفِيَّ الْمُعَمَّى مِنْ أَعْلَامِ الْأَلَى بِلاَ اسْتِخْرَاجِ
 عَنْدهُ كَالصَّبَاحِ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ مُذَلِّهِمْ كَاللَّيْلِ أَسْوَدَ دَاجِ
 سَيِّدِي سَيِّدِي تَحِيَّةَ دَاعٍ مُخْلِصٍ فِي الْوِدَادِ غَيْرِ مُدَاجِ
 أَشْتَكِي غُرْبَتِي إِلَيْكَ وَأَنْتِي بَيْنَ أَهْلِي فِي خِصَّةٍ وَإِنْ دِمَاجِ^(١)
 غَيْرَ أَنْيَّ شَرَوْيَ غَرِيبٍ لِفَقْدِي أَهْلَ وَدْدِي وَعِشْرَتِي وَامْتِزَاجِي^(٢)
 مِنْهُمْ مُعَذِّبِي الَّذِي كَانَ دَهْرًا مُفْتِيَّ الشَّامِ مُسْتَنْدِرَ السَّرَاجِ
 الْعِمَادِي ذَاكَ مَنْ قَدْ تَقَضَّى عَمْرُهُ فِي دُعَاكَ ضِمْنَ الدِّيَاجِي^(٣)
 كَانَ وَاللَّهِ عِطْرُنَا الْفَدَا لَمَّا نَلْتَقَى فِي ثَنَاكَ حِينَ التَّنَاجِي^(٤)
 كَانَ شَيْخِي وَكَانَ خَلِّي إِذَا مَا نَابَنِي حَادِثٌ وَطَبُّ مِرَاجِي^(٥)
 فَرَمْتَنِي فِيهِ الْيَالِي عِنَادًا وَالْيَالِي مَعْرُوفَةٌ بِاللَّجَاجِ
 فَتَخَلَّفْتُ فِي دِمَشْقَ وَحِيدًا فِي اغْتِمَالٍ وَهَمَّتِي فِي انْفِرَاجِ
 أَيُّهَا السَّيِّدُ الْجَلِيلُ الْمُفَدَّى عُجْ بِحَاجِي عَنْ سَبْرِ حَظِّي السَّاجِي
 فَابْنُ شَاهِينَ ذُو جَنَاحٍ مَهِيضٍ بَاءَ إِنْ لَمْ تَرُشْهُ كَالدَّرَاجِ^(٦)
 كُنْ لِرَاجٍ مِنْ فَضْلِ جَاهِلِكَ عَوْنًا حَيْثُ يَمْخِي بِمَا تَرَى مُحْتَاجِ^(٧)
 جَارَ دَهْرِي عَلَى فَاظْطُرْ لِأَمْرِي لَا تَكِلْنِي إِلَى اهْتِمَامِ احْتِجَاجِ^(٨)

- (١) في أ، ب : « في خلسة » وفي ج : « في جلسة » .
 (٢) شروى غريب : مثل غريب . (٣) في م : « عمره في دعاه » ، والمثبت من : أ ، ب ، ج .
 (٤) في أ ، ب ، ج : « عطرنا اللدن . . . من ثناك » .
 (٥) طب الرجل : سحر ، والمراد تغير مزاجه .
 (٦) في م : « ذو جناح مهيب » ، والمثبت من : أ ، ب ، ج . والدراج : طائر .
 (٧) الملقى : كمن لراج محتاج . وفي م : « بما ترى » وفي أ ، ب ، ج : « بما يرى » ولعل الصواب ما أثبتته .
 (٨) في أ ، ج : « حاف دهرى » ، وفي ب : « حاد دهرى » ، وفي أ : « إلى اهتمام احتجاج » ،
 وفي ب : « احتجاجي » ، والمثبت من : ج ، م .

رَقَّ حَالِي فَأَجْبُرْهُ قَبْلَ انْصِدَاعِ
كَسَدَتْ مُدَّةً بِضَاعَةٌ فَضْلِي
يَدْنِيَا حَقَّ نِسْبَةٍ لِكَرِيمِ
لَا بَنَ عَبْدٍ الْغَنَى ذَاكَ الْمُصَنِّ
فَمُحَالٌ فِي الْكَسْرِ جَبْرُ الزُّجَاجِ
وَبِمَوْلَايَ جَاءَ وَقْتُ الزَّوْجِ
ذِي بُكُورٍ لِلْمَجْدِ مَعَ إِذْلَاجِ
جَوْهَرًا عَالِيًا مَحَلَّ النَّجَاجِ^(١)
قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَحَيَاةُ
وَابَقَ وَاسْلَمَ فِي مَعَالِيكَ عَنْهُ
خَلَفَ لِلَّهِ نَفْسِي بِلا مِعْرَاجِ
سَافِرَ الْبِشْرِ وَافِرَ الْإِنْتِجَاجِ
كُلُّ وَجْهِ تَأْتِيهِ تَلْقَاهُ طَلْقًا

ومحمد بن عبد الغني المذكور كان قاضي العساكر بالريثوم ، وله « حواش على تفسير البيضاوي »^(٢) وسنذكره إن شاء الله تعالى ، آخر هذه « الرِّيحَانَةُ » .



(١) في م : « جوهرا غالبا على التاج » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) في ج : « تفسير القاضي » .

٣٦

الأمير منجك بن الأمير محمد بن منجك *

الجر كسي أضلا ومحمداً ، الشامى منشأ ومولدا .

أديب أريب ، ونجيب ابن نجيب .

أورق عوده بالشام وأثر ، فإذا عُدَّت السجايا عَرَضاً فسجاياه جَوهر .

نشأ بها والدهرُ أبيض أقر ، ونادم العيش والعيشُ أخضر .

وللبقاع تأثيرٌ في الطباع ، والعرق كما قيل لمفرسه نَزاج ، ومن كان جارَ

الرياض لبس طبعه بُردَ نسيمها الفصفاض^(١) ، كما لبس النهرُ الجاري ، دِرْعَ

النسيم الساري .

(*) في المطبوعة : « الأمير محمد بن منجك الجر كسي » ، وفي أ : « الأمير منجك بن الأمير محمد الجر كسي » ،

وفي ب ، ج : « الأمير منجك بن منجك الجر كسي » ، والمثبت في خبايا الزوايا . وهو :

الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفي الدمشقي .

نشأ في ظلال النعمة ، وشغف من حين نشأته بالطلب ، وصرف عمره في تحصيل الأدب .

قرأ على الشيخ عبد الرحمن العمادي ، وأخذ الحديث عن المشاب أحمد الوفاي ، وأبي العباس المقرئ ،

والأدب عن أحمد بن شاهين .

كان كريماً متلافاً ، أففق ما تركه له والده ، ثم انزوى عن الناس ، وهاجر إلى الروم ، ولكنه لم يدرك

بقيته من الهجرة فعاد ، ولم يخرج من عزلته إلا قبل موته بعام ، فخرج إلى قرنائه الذين ألفهم منذ الصبا .

جمع أشعاره فضل الله بن محب الله بن محمد الحجي ، والد صاحب خلاصة الأثر ، بأمر من شيخ الإسلام

عبد الرحمن بن حسام الدين ، المعروف بحسام زاده .

توفي سنة ثمانين وألف ، عن ثلاث وسبعين سنة .

خبايا الزوايا لوحة ١٦٥ ، خلاصة الأثر ٤/٤٠٩ ، ديوان الإسلام لوحة ١٧٤ ، نفحة الريحانة

لوحة ٢٠ ب .

(١) في الوهبة والعثمانية من ، م : « الفضاخ » ، والمثبت في الأميرية من م ، ومن : أ ، ب ، ج .

وقد نَسَجْتُ كَفَّ النَّسِيمِ مُفَاضَةً عَلَيْهِ وما غَيْرُ الْحُبَابِ لَهَا حَلَقٌ^(١)
 وقد صَحَّبَنِي بِجِلْقٍ ، وَنَسِيمُهُ سَجَسَجَ ، وَخُيُوطُ شَبِيبَتِهِ بِيَدِ السَّكْهُولَةِ لَمْ تُنْسَجَ ،
 وَلَا زَمَنِي إِذْ رَأَى انْعَاطَافِي عَلَيْهِ ، وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ .
 وَمَدَحَنِي بِمَدَائِحِ أَطَالِ فِيهَا وَأَطَابَ ، وَغَنِمَ الصُّحْبَةَ وَلَمْ يَرْضَ مِنْ
 الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ .

وَمَا كَتَبَهُ إِلَى مَنْ شِعْرُهُ ، وَقَدْ طَلَبْتُ مِنْهُ مَا أَوْدَعَهُ فِي^(٢) الرَّحْلَةِ .
 صُورَةٌ مَا مَدَحْتُ بِهِ مُطْلَعَ نَجُومِ الْمَعَالِي ، وَفَلَكَ شُمُوسُ الْمَوَالِي ، الْمَوْلَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ
 حِينَ^(٣) ، قُلْدَ صَارَمَ الْأَحْكَامِ بِدِمَشْقِ الشَّامِ ، صَيَّنَتْ عَنْ حَوَادِثِ الْأَيَّامِ^(٤) :
 آلَى الزَّمَانُ عَلَيْهِ أَنْ يُوَالِيكََا يَذْنِي عَلَيْكَ وَلَا يَأْتِي بِشَانِيكََا^(٥)
 إِذَا سَطَا فَبِأَحْكَامٍ تُنْفِذُهَا وَإِنْ سَخَا بِفَضْلٍ مِنْ مَسَاعِيكََا^(٦)
 لِيَهْنِ ذَا الْعِيدِ حَظٌّ مِنْكَ حِينَ غَدَتْ عَلَاهُ نَمَّ حُلَاهُ مِنْ أَيَادِيكََا
 هَلَالُهُ نَالَ فَوْقَ الْبَذْرِ مَنَزَلَةً مُقْبِلًا وَجْهَهُ أَعْتَابَ نَادِيكََا^(٧)
 مُجْمَلًا بِأَيَادٍ مِنْكَ فَاتِقَةً مُعْطَرًّا بِغَوَالٍ مِنْ غَوَالِيكََا

(١) فِي الْعُمَانِيَةِ مِنْ ، م : « لَهَا حَلَف » ، وَفِي ب : « لَهَا دَرَع » ، وَالْمُثَبِّتُ فِي سَائِرِ الْأَصُولِ .
 (٢) سَاقَطَ مِنْ : أ .

(٣) فِي الْعُمَانِيَةِ وَالْوَهْبِيَةِ مِنْ م : « حَسِين » ، وَهُوَ خَطَأٌ صَوَابُهُ فِي سَائِرِ الْأَصُولِ ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ حَسَامِ الدِّينِ ، الْمَعْرُوفُ بِحَسَامِ زَادَةِ الرَّومِيِّ ، مَفْتَى الدَّوْلَةِ الْعُمَانِيَةِ ، اشْتَغَلَ بِالتَّدْرِيسِ وَالْقَضَاءِ ، وَأَلْفَ
 لَهُ الْبَلَدِي « ذَكَرَنِي حَبِيب » ، وَ « الصَّبِيحُ لِلنَّبِيِّ عَنْ حَيْثِيَةِ الْمُنْتَبِي » ، وَكَانَ لِلْأَمِيرِ مَنْجُكْ خُصُوصِيَّةً بِهِ .
 تَوَفَّى بِمِصْرَ ، سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَأَلْفَ .

انْظُرْ خِلَاصَةَ الْأَثَرِ ٣٥١/٢ .

(٤) دِيَوَانُ مَنْجُكْ ١٧ ، خِلَاصَةُ الْأَثَرِ ٣٥٤/٢ ، ٣٥٥ .

(٥) فِي خِلَاصَةِ الْأَثَرِ : « وَلَا يَأْتِي بِشَانِيكََا » .

(٦) فِي خِلَاصَةِ الْأَثَرِ : « فَإِنْ سَطَا » .

(٧) فِي الدِّيَوَانِ : « مُسْتَقْبِلًا وَجْهَهُ » . وَالْبَيْتُ سَاقَطٌ مِنْ خِلَاصَةِ الْأَثَرِ .

وَإِنِّي يُهَيِّئُ بِكَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ بِهِ
مَنْ ذَا يُضَاهِيكَ فَمَا حُزْتُ مِنْ شَرَفٍ
فَالشَّمْسُ مِنْهَا تَرَقَّتْ فِيهِ قَاصِرَةٌ
وَالْبَدْرُ لَمَحَةٌ نُورٍ مِنْكَ نُبْصِرُهَا
وَكُلُّ طَوْدٍ تَسَامَى فَهُوَ مُحْتَقَرٌ
وَكُلُّ مُجْدٍ فَنَ عَلَيْهِ كَ مُكَتَسَبٌ
وَمَا حَكَى السَّلَفُ الْمَاضِي وَحَدَّثَنَا
تَعْنُو لِعِفَّتِكَ الزُّهَادُ مُذْعِنَةٌ
يَا ابْنَ الْحُسَامِ الَّذِي لِلدِّينِ نُصْرَتُهُ
أَعْيَادُنَا كُلُّهَا يَوْمَ نَرَاكَ بِهِ
وَمِمَّا مَدَحْتُ بِهِ أَيْضًا الْمَوْلَى الْمَذْكُورَ ، دَامَ فِي رَعْدِ (٧) عَيْشٍ وَسُرُورِ (٨) :
النَّاسُ كُلُّهُمْ شِرَاءُ عَطَائِهِ وَالْعِيدُ وَالنُّورُوزُ مِنْ آلَائِهِ (٩)
يَخْتَالُ ذَا بِالْحَلِيِّ مِنْ عُلْيَائِهِ شَرَفًا وَذَا بِالْوَشْيِ مِنْ نَعْمَائِهِ

(١) في الديوان ، وخلاصة الأثر : « في حكم ويحكىكا » .

(٢) خلط المحي بين هذا البيت وسابقه ، فرواهما على أنهما بيت واحد ، هكذا :

وَالْبَدْرُ طَوْدٌ تَسَامَى فَهُوَ مُحْتَقَرٌ إِذَا بَدَيْتَ وَهَذِي مِنْ دَرَارِيكََا

(٣) في الديوان ، وخلاصة : الأثر « نراه من حواشيكا » . (٤) في الديوان :

وَمَا حَكَى السَّلَفُ الْمَاضِي وَحَدَّثَنَا بِهِ مِنَ الْفَضْلِ بَعْضٌ مِنْ مَعَالِيكََا

(٥) في الديوان : « معانيكا » .

(٦) في الديوان ، وخلاصة الأثر : « فكل الناس تفديكا » .

(٧) في ١ ، ب ، ج : « رغيد » . (٨) ديوان منجك ١٦ ، خلاصة الأثر ٢ / ٣٥٥ .

(٩) في م : « النيروز » ، والمثبت في : ١ ، ب ، ج ، والديوان ، وخلاصة الأثر ، والنوروز ، والنيرور بفتح النون وسكون الياء في الثاني : أعظم أعياد الفرس وأجلها . انظر نهاية الأرب ١ / ١٨٥ .

قَرَّتْ به عَيْنُ الْغَزَالَةِ وَاعْتَدَتْ
مَا نَبَتْ الْأَذْوَاخَ بَعْدَ ذُبُولِهَا
سَلَسَلَهَا وَنَسِيْمُهَا مِنْ لُطْفِهِ
مَوْلَى أَقْلُ هِبَاتِهِ الدُّنْيَا فَقُلْ
عَدْلٌ لَهُ مَا زَالَ يُورِقُ عُودُهُ
غَيْثٌ أَغَاثَ بِهِ الْمُهِمِّينُ خَلْقَهُ
نَجَلُ الَّذِي الْإِفْضَالُ مِنَ الْقَابِ
السَّعْدُ مِنَ خُدَامِهِ وَالْعِزُّ مِنْ
تَسْعَى الْمَوَاسِمُ كُلُّهَا لِرِحَابِهِ
وَمَا مَدَحَتْ بِهِ إِمَامَ الْأُمَمَةِ ، مُوضِحَ الْمَشْكِلَاتِ الْمُدَلِّمَةِ ، يَوْسُفَ ابْنَ أَبِي الْفَتْحِ (١)
إِمَامَ حَضْرَةِ السَّلْطَانِ ، دَامَ مَنْصُوراً مُظَفَّرَاً فِي كُلِّ آتٍ وَمَكَانٍ (٢) :

قَرَّ إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ تَعَبًا
صَادَقَتْهُ فَتَنَّاوَلَتْ لِحَظَاتِهِ
مُتَوَرِّدَ الْوَجَنَاتِ خَشِيَّةَ نَازِلٍ
سَاوَمَتْهُ وَضَلًّا فَأَعْجَمَ لَفْظُهُ
أَنَا مِنْهُ رَاضٍ بِالصُّدُودِ لِأَنِّي
وَإِذَا رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ تَحْجِبًا
عَقَلِي وَأَعْرَضَ نَافِرًا مُتَحَجِّبًا
أَضْحَى بِرِيحَانِ الْعِذَارِ مُنْقَبًا
وَأُظْنُهُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ أَعْرَبًا
أَجِدُ الْهَوَانَ لَدَى الْهَوَى مُسْتَعْدَبًا

- (١) في الديوان : « فاغتدت مكحولة » .
(٢) في الديوان : « وفي الديوان : « لركابه » ، والمثبت في سائر الأصول ، وخلاصة الأثر .
(٣) في ١ : « كلها لرجائه » ، وفي الديوان : « لركابه » ، والمثبت في سائر الأصول ، وخلاصة الأثر .
(٤) يوسف بن أبي الفتح بن منصور السقيني الدمشقي الحنفي ، ولد بدمشق ، ونشأ بها ، وأخذ عن علماء عصره كالحسن البوري ، وكان ذكيا ، حسن الطبع ، لطيف الشعر ، ترقى به الأحوال حتى أصبح إمام السلطان ، وكان صاحب قدرة على المناظرة ، وله تأليف .
توفي سنة ست وخمسين وألف ، بمدينة قسطنطينية .
خلاصة الأثر ٤/٤٩٣ .
(٥) ديوان منجك ٣٠ .

شيثان حدث باللطافة عنهما
 وثلاثة حدث بطيب ثنائها
 علامة الآفاق من أشعاره
 من لو رآه البحر يوماً مفضباً
 من لو أصاب البرّ أيسر قطرة
 من لو نظمت الشهب فيه مدائحاً
 مانسة سحرية شحرية
 نشوانة واقت تجرّر في الرّبي
 يوماً بأحسن من صفات جنابه
 من ذا يقاس بماجد جعلت له
 ومما مدحت به المبرز^(٥) في العلوم ، المالك أزيمة المنطوق والمفهوم ، والبارع في
 المنشور والمنظوم ، المرحوم عبد الرحمن العمادي ، مفتي دمشق الشام^(٦) :
 بان الخليط ضحى عن الجرعاء
 فمن المقيم لشدة وعناء^(٧)
 الله يعلم أن ضحى في الهوى
 سيان بعد رحيلهم ومسائي^(٨)
 أطوى على الفانيات كأنني
 سير الهوى وكأنها أحشائي
 وأشد ما يشكو الفؤاد ممنوع
 في لحظه دأى ومنه دوائى

(١) سقط هذا البيت من الديوان .

(٢) في الديوان : « عاد روضاً » .

(٣) في م : « سحرية شجرية » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، والديوان . والشجر : صقع على ساحل
 بحر الهند ، من ناحية الين ، بين عدن وعمان ، وإليه ينسب العنبر الشحري . معجم البلدان ٣/ ٢٦٣ .

(٤) في م : « من صفات كماله » ، وفي ا : « جنانه » ، والمثبت في : ب ، ج ، والديوان .

(٦) ديوان منجك ٣٢ .

(٥) في ا ، ب ، ج : « المبرز » .

(٧) في الديوان : « من الجرعاء » ، والخليط : القوم الذين أمرهم واحد . اللسان (خلط) ٧/ ٢٩٣ .

(٨) في الديوان : « أن صبحى في الحمى » .

رَيْحَانَةُ الْحَسَنِ الَّتِي لَعِبَتْ بِهَا
تَجْرَى مِيَاهُ الْحَسَنِ فِي أُعْطَافِهِ
قَرُّ إِذَا حَسَرَ الْقِنَاعَ مُحَاطِبًا
مَلَكَتْ وَلَايَةَ كُلِّ قَلْبٍ مُوَلِّعٍ
إِنْ يُخَفِّهِ لِيَسْلُ النُّوَى لِحَبِيبِنَهُ
كَمْ بَتَّ مَطْوِيَّ الضُّلُوعِ عَلَى جَوَى
فَالِيٍّ فِيهِ تَهْتَكِي وَتَنْشَكِي
عَلَّ الزَّمَانَ يُفِيدُنِي حَمْلَ الْمَنَى
تَجَلُّ الْعِمَادِ وَمَنْ بَنَتْ عِزَمَاتُهُ
مَجْدٌ سَمًا بِجَنَابِهِ حَتَّى لَقَدْ
تَنْدَى أَنَامِلُهُ وَيُشْرِقُ وَجْهُهُ
يَقِظُ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا
سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ الْفَرَاةَ وَالْهُدَى
وَمَهَابَةً سَادَ الْوَلَاةَ وَلَاؤُهَا
وَسَمَائِلَ رَقَّتْ كَمَا خَطَرَتْ عَلَى

رِيحُ الصَّبَا لَارَاحَةُ الصَّبَهَاءِ (١)
جَرَى الصَّبَابَةِ مِنْهُ فِي أَعْضَائِي (٢)
شَخَصَتْ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْأَهْوَاءِ
لَحَظَاتُهُ مِنْ عَالَمِ الْإِنْشَاءِ
صُبْحُ يَسْنَمُ عَلَيْهِ بِالْأَضْوَاءِ
أَغْضَى الْجَفُونِ بِهِ عَلَى الْأَقْدَاءِ (٣)
وَعَلَى مَا فِيهِ تَبْشِي وَبُسْكَائِي
حَيْثُ التَّجَنُّتُ لِأَوْحِدِ الْعُلَمَاءِ (٤)
بَيْتًا دَعَائِمُهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ
بَلَغَ السَّمَاءَ وَقَاتَهَا بِسَمَاءِ (٥)
فِي جُودٍ بِالْآلَاءِ وَاللَّالَاءِ (٦)
جَلِيَتْ عَلَيْهِ حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ
لِجَنَابِهِ السَّامِي عَلَى النَّظَرَاءِ
مُخْفَوْفَةٌ بِجَلَالَةِ وَبَهَاءِ (٧)
زَهَرَ الرَّبِيعُ بِوَاكِرُ الْأَنْدَاءِ (٨)

- (١) في أ : « التي نعمت بها » .
(٢) في أ ، ب ، ج : « تجرى مياه الدل » ، والمثبت في : م ، والديوان .
(٣) في الديوان : « أغضى الجفون بها على البراء » .
(٤) في ب ، ج : « يفيدني حمل المني » ، وفي الديوان : « يفيدني نيل المني » .
(٥) يأتي هذا البيت في الديوان بعد قوله : « ومهابة ساد الولاة ولاؤها » الآتي . وفي م : « مجد سما بجناحه » .
(٦) في الديوان : « فيجود بالآلاء والآلاء » ، تقديم وتأخير .
(٧) في الديوان : « ومهابة شاد الولاة » .
(٨) في م : « وسمائل رقت » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج ، والديوان .

مولای بل مَوَلَى البریةِ فی صَفَا
 أنت الذی مازلتَ تَرْبَ ولایةِ
 تَتَلُو علی سَمْعِ الحامدِ والثَنَّا
 لله أمَّ ما غَذِيتَ بِثَدِیها
 أَطْلَعَتِ شَمْسَ الفَخْرِ فی فَلَکِ العَلا
 المائِثُونَ قلوبَ أَهلِ زمانِهِم
 والضَّارِبُونَ خِیامَ سُودِ دِمِّهِمَ علی
 یامُورِدا حَامَتِ عَلَیهِ غُلَّتِ
 وَافَّتِكَ مِنْ صَوْنِغِ القَرِیضِ فَرانِدا
 لا بل سَقِيتَ رِیاضَ فَکَرِ ماحِلِ
 فَهَصَرْتُ غُصْنَ مَعارِفِ وَماتِرِ
 هِنِياتَ ما شَعَرُ الأَنامِ مُقارِنًا
 ومما مَدَحْتُ بِهِ أیضًا المَرَحومَ (٧) عبد الرحمن العِمادِی المَذکور (٨) :
 یا ابنَ الأَماجِدِ أَنْتَ مِنْ أیِّ الأَفاضِلِ وابنُ مَنْ
 کَذَبَ الذی حَسِبَ الزَّما نَ أَنی بِمِثْلِکُمُ وَظَنَ (٩)

- (١) فی ب : « لله أم قد غذيت . . . وأب لبان العزة » ، وعزة قعساء : ثابتة .
 (٢) فی ا : « أطلعت شمس الفجر » ، وفی ب : « أطلعن فخر الشمس . . . وحققنا بكواكب
 الأبناء » ، وفی الديوان : « محفوفة بكواكب الأبناء » .
 (٣) السماء : أحد كوكبين نيرين . يقال لأحدهما الرامح ، والآخر الأعزل .
 (٤) فی الديوان : « لإذ جئته مستسقيًا » .
 (٥) فی ا : « من صونغ القريض فراندا » ، وفی ب : « قلائدا » .
 (٦) فی الديوان : « لابل سقيت لروض فكري ماحل » .
 (٧) فی ا ، ب : « المذکور » .
 (٨) ساقط من : ا ، ب ، والقصيدة فی ديوان منجك ٣١
 (٩) فی ا : « يأتي بمثلکم » .

أُيقاسَ ماغرسُ العُلاَ يوماً بخَضراءِ الدِّمَنِ (١)
والآلُ بالغَيْثِ المُغِيهِ ثِ إذا تَوَالى أَوْهَتَن (٢)
الْعِلْمُ سِرُّ اللهِ لِهْ سَ عليه غَيْرُكَ يُؤْتَمَنُ
والجُدُّ سارَ إلى جَنّا بِكَ مِنْ أَيْكَ على سَنَنِ
وبكَ المناصبُ نَفَرُها دونَ الوَرى من قَبْلِ أنْ
فإِلَيْكَ مَنى رَوْضَةً بالشُّكْرِ يانِعَةً الفَنَنِ
لَمْ لا يَطِيرُ بِنى الرَّجاءِ إلى حِمَاكَ مَدَى الزَّمَنِ
وبَذَرْتَ لى حَبَّ المَنى وَنَصَبْتَ لى شَرَكِ المَنَنِ (٣)
ومَلَكْتَ رِقَّ مَدائِحِي بِالخَلْقِ وَالخُلُقِ الحَسَنِ

ومما مدحت به (٤) شيخ الإسلام علم العلماء الأعلام (٥) العلامة قدوة (٥) المحققين ،
وعمدة (٥) الفقهاء والمحدثين المرحوم الشيخ أحمد المقرئ المغربي (٦) ، سقى الله ثراه
سحائب الغفران (٧) :

فَخَرّاً دِمَشْقُ على كُلِّ البلادِ بَمَنْ أَوَّلَى البريةَ معروفًا وعِرفانا
المَقْرئُ الذى فى بعضِ أيسرِ ما حَوَى من الفضلِ كُلِّ راحَ حَيْرانا

(١) فى ١ : « من غرس العلا » . (٢) الآل : السراب ، وهتن الغيث : توالى قطره وانصب .

(٣) فى ١ ، ب : « شكر المنن » . (٤) زيادة من ١ : .

(٥) بين هاتين الصفتين فى ١ ، ب ، ج تقديم وتأخير .

(٦) أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمسانى المالكي ، نزل فاس ، ثم القاهرة ، وحج ، وزار بيت المقدس ، ونزل دمشق ، واستقر بصرى آخرًا . كان حافظًا للحديث ، آية فى الأدب ، وله المؤلفات الكثيرة ، أشهرها : نفح الطيب .

توفى سنة لإحدى وأربعين وألف ، بمصر ، ودفن بمقبرة الجاويرين .

والمقرئ ، بفتح الميم وتشديد القاف وآخرها راء مهملة ، وقيل : بفتح الميم وسكون القاف ، لغتان ، أشهرهما الأولى ؛ نسبة إلى قرية من قرى تلمسان .

خلاصة الأثر ١/٣٠٢ - ٣١١ .

(٧) ديوان منجك ٣٦ .

شمس من الغرب قد كانت مشارقها
أغر ما أخذت أيدي الفطام به
تسكاد تقرأ في لآلئ غرته
له من الفكر ماتحنو لأيسره
وسيرة عن أبي حفص تلقفها
مُصاحبٌ حُسنَ فعل الخير بعشقه
يقضي النهار بآراء مُسددة
لأبي وزد نولي اليوم وجهتنا
لئن مُنحنا بلحظ من مواهبه
شقي بدرس « الشفا » مرضى درابتنا
هيهات هيهات من في القوم يشبهه
إذا مشى فعلى الأعناق مشيته
يا سيّد العلماء العاملين ومن
أبرأت ذمّة دهرٍ جاء بمنحني
دهرٌ يقتل آمالي وأوسععه
قطاً كما شئت لا تفك مُنتصراً

بل دونها الشمس يوم الفخر بُرهاناً
إلا وأضحى بماء المجد رباناً^(١)
من سورة العزّة القعساء عنواناً
ثواب الزهر إرشاداً وإذعاناً^(٢)
إلى وقارٍ يضاها هدى سلماناً^(٣)
مُراقبُ ربّه سراً وإعلاناً
ويقطع الليل تسبيحاً وقرآناً^(٤)
وقد غدا بجره الطامي مُرجاناً
نلنا الثريا وكان الخير عُقباناً
لما أفاد مع « الإيضاح » إنقانا
هل السراب يضاها الغيث هتاناً^(٥)
وإن رأيت رجال الحى رُكباناً
هو الإمام المُفدى حينما كانا
بعد الإساءة من لُقياك إحساناً
إذ أنت من أهله خدأ وشكراناً^(٦)
بأخصّيك من الأعداء تيجاناً

(١) في أ ، ب ، ج : « أغر ماخذت » ، وهما بمعنى . وفي الديوان : « أيدي العظام به . . . بماء الفضل . . . » .

(٢) في أ ، ب : « ما تحبو لأيسره » ، وفي ج : « ماتحنو لأيسره » ، والمثبت في م ، والديوان ، وفيه : « له من الرأي » .

(٣) في الديوان : « وسيرة من أبي حفص تلقفها » .

(٤) في الديوان : « يقضي النهار بدرس غير مندرس »

(٥) في الديوان : « يبارى الغيث » .

(٦) في م : « من آله مدحا وشكرانا » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج ، والديوان .

واهنأ فأنت الذى أولاه خالقه من الملائك أنصاراً وأعواناً^(١)
واسمع لها من قوافٍ لا يُماثلها قولٌ من الشعر إلا قولٌ حسناً^(٢)
واستجلبها نزهاً لو أنها رزقت حظاً لكانت لعين الدهر إنساناً
قال : وما أجبْتُ به عن لغز في يراع ، أرسله إلى الفاضل الذى طابت^(٣) بذكر
مآثره^(٤) الأسماع محمد الكرمي^(٥) ، وفى ضمنه لغز في مهند^(٦) :

فدى لك رُوحى من رَشاً مُتبرِّمٍ ومن مُنجدٍ بالمُسْتَهَامِ ومُشهِمٍ
ومن عائبٍ إلّا على غير مُذنبٍ ومن ظالمٍ إلّا على غير مُجْرِمٍ
سقتنى العيونُ النُّجْلُ منك سُلَافَةً جَرَتْ قَبْلَ خَلْقِي فى عُرُوقِ وَأَعْظَمِي
وَأَسْأَلَنِي فِىكَ الْفَرَامُ إِلَى الرَّدَى فَإِنْ كُنْتَ مَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ فَاسْلَمْ
بَعُدْتَ وَلِيْ فى كُلِّ عَضْوٍ حُشَاشَةٌ تَذُوبُ وَطَرَفٌ هَامِيعُ الْجَفْنِ بِالْدَمِ
وَلَسْتُ مَلُومًا أَنْ مَنْ أَبْقَظَ النَّوَى حُظُوظِي الَّتِي لَمْ تَجْنِ غَيْرَ تَنَدُّمِ
جَلَبْتُ إِلَى نَفْسِي الْمَنِيَّةَ عِنْدَمَا رَمَيْتُ فَلَمْ تُخْطِئْ فَوَادِيْ أُنْهَمِي
أَبَى اللَّهُ أَنْ أَبْكِي لَغَيْرِ صَبَابَةٍ وَأَرْتَاعٍ إِلَّا مِنْ حَبِيبٍ بِمَوْئِلِ

(١) فى الديوان : « ولاه خالقه » .

(٢) بين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير ، فى الديوان .

(٣) فى ١ : « بذكره مآثر » ، وفى ب : « بذكرى أُمده » .

(٤) محمد بن يوسف بن يوسف الكرمي ، ولد سنة ثمان بعد الألف ، وقرأ على علماء عصره ، وأتقن اللغتين الفارسية والتركية ، وكان ينظم الشعر فى اللغات الثلاث ، وأتقن الموسيقى ، واشتغل بالتدريس والقضاء ، وكانت له رحلة إلى بلاد الروم ، وحببت إليه العزلة زمناً .
توفى سنة ثمان وستين وألف .

خلاصة الأثر ٢٧٣/٤ .

(٥) فى ١ : « وفى ضمنه لغزه فى مهند » ، وفى ب : « وضمنته لغزاً فى سيف » ، وفى ج : « وفى

ضمنه لغز فى سيف » ، والقصيدة فى ديوان منجك ٤٢ .

سَجِيَّةٌ نَفْسٍ لَا تَزَالُ مَلِيحَةً
أَجْجَعُ شُرْدَ الْمَعَالِي وَإِنِّي
وَأَنْدُبُ أَوْقَانًا أَلَذَّ مِنَ الْمُنَى
تَطَارَحُنِي فِيهِنَّ ذَاتُ تَبَسُّمٍ
مَوْشَعَةُ الْأَعْطَافِ حَالِيَةُ الْبَلَاءِ
أَبَتْ أَنْ تُرَى إِلَّا لِطَرْفِ تَفَكُّرٍ
أَبَيْتُ سَلِيمَ الْقَلْبِ مِنْهَا كَأَنِّي
وَمَا أَنَا مَنْ يَسْلُو هَوَاهَا وَيَنْفَتِي
مُحَمَّدِ السَّامِيِّ الْجَنَابِ وَمَنْ غَدَا
هُمَا أَمَدُ أَضْحَتْ مَا ثَرُّ فَضْلِهِ
وَمَوَّلَى إِذَا ضَنَّ السَّحَابُ بِوَبْلِهِ
لَهُ سُودُّدٌ حَلَّ السَّمَاءِ كَيْنِ رَفْعَةٍ
وَكَيْفَ تَحَلَّتْ بِالسَّمَاحِ بَنَانُهَا
فَمَا رَوْضَةٌ غَنَاءَ بَاكِئَةِ الْحَيَا
تَمُدُّ بِهَا رِيحُ الصَّبَا خَطَوَاتِهَا
بَأَنْهَجَ وَجْهًا مِنْهُ عِنْدَ هَيْبَاتِهِ
فِيَا مَا جَدُّ كُلِّ الْمَفَاخِرِ أَصْبَحَتْ

من الضَّيْمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلُّ مُجْرِمٍ (١)
أَبَيْتُ بِفَكْرِ فِي الْهَوَى مُتَقَسِّمٍ
تَقَضَّيْنَ لِي بَيْنَ الْحَطِيمِ وَزَمَرٍ
حَدِيثَ هَوَى أَخْلَى مِنَ الشَّهْدِ فِي الْقَمْرِ
تُقَلِّدُ عَقْدًا مِنْ دُمُوعِي وَمِنْ دَمِي (٢)
وَيَلْبِسُهَا إِلَّا شِفَاهُ تَوْهَمٍ (٣)
أَرَأَيْتَ صَفْوَةَ الْعَيْشِ مِنْ قَمَرٍ أَرْقَمٍ
إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ الْكَرِيمِ الْمُعْظَمِ (٤)
لَهُ كَرَمُ الْأَخْلَاقِ دُونَ التَّكْرُمِ
عَلَى جَنَّةِ الدُّنْيَا كَفَرَّةٌ أَذْهَمِ
عَلَيْنَا سَقَانًا مُسْجَمًا بَعْدَ مُسْجَمِ
وَذَلِكَ إِزْثٌ فِيهِ مِنْ عَهْدِ آدَمِ
بَغَيْرِ أَضَارِ الْفَضْلِ لَمْ تَنْخَمِ (٥)
تَبَسُّمُ عَنْ تَغَرُّي أَقَاحٍ وَعَفْذَمِ
وَتَرْفُلُ فِي ثَوْبٍ مِنَ النُّورِ مُعْلَمِ
إِذَا يَمَّتْ يُمْنَاهُ آمَالُ مُعْذَمِ
إِلَى مَجْدِهِ الْوَضَّاحِ تَغَرَّى وَتَنْتَمِي

(١) في الديوان : « لا تزال ملحة » .

(٢) الطلي : جمع الطلادة ، وهى العنق .

(٣) في ب ، م : « إلا بطرف تفكير » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان .

(٤) في ا : « الكريمى » ، وهى نسبة المدوح .

(٥) في ا : « وكف تجلت » ، وفي ب : « وكف تجلت بالسماك » ، وفي ج : « وكيف تجلت بالسماك » .

أَتَتْ تَهَادَى مِنْكَ فِي مِرْطٍ دَلَّهَا
وَمَا اضْطَجَبَتْ إِلَّا الْبَلَاغَةَ مَحْرَمًا
لَهَا صَوْتُ دَاوُدَ وَصُورَةُ يُوسُفَ
تُسَائِلُنَا عَمَّا بَرَاهِ إِلَهِنَا
جَرَى قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي الْاَوَّلِ الَّذِي
بِرَاعٍ يُرَاعُ الْخَطْبُ مِنْهُ وَإِنَّ
أَرَانِي طَرِيقَ الْفَضْلِ حَتَّى سَلَكَتُهُ
فَمَا اسْمُ رُبَاعِي إِذَا بَانَ صَدْرُهُ
وَمَا هِيَ إِلَّا بَلْدَةٌ فِي رُبُوعِهَا
وَأَنْ تَحْتَ الْأَفْكَارُ مِنْ ذَلِكَ ثَالِثًا
وَيَذْكُرُنِي أَخْلَافُكَ الْغُرَّ شِطْرُهُ
وَيُبْدِي لَنَا مِنْ قَلْبِهِ الشَّمْسَ فِي الضُّحَى
وِثَانِيهِ نَحْمُودُ لَدَى كُلِّ عَاشِقٍ
وَيُسَلِّمُنِي يَوْمَ التَّرَحُّلِ قَلْبُهُ
وَيُوصِلُ مَا بَيْنَ الْمُلُوكِ وَقَصْدِهَا
حَلِيفُ نُحُولٍ لَمْ يَذُقْ قَطُّ جَفْنَهُ
فَعَوْلٌ وَلَكِنْ لَيْسَ يُدْعَى بِفَاعِلٍ
عَلَى أَنَّهُ قَدْ بَانَ بَعْدَ خَفَائِهِ

خَرِيدَةُ أَفْكَارٍ وَطَبْعٍ مُسَلَّمٍ
وَهَلْ غَيْرُهَا لِلْبِكْرِ يُلْفَى بِمَحْرَمٍ ^(١)
وَحِكْمَةُ لُقْمَانَ وَعِقَّةُ مَرْيَمَ
لَتَسْطِيرِ آجَالٍ وَرِزْقِ مُقَسَّمِ
يَكُونُ وَمَا قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ فَاغْلَمِ
لِيُثْمَرَ مِنْ جَذْوَى يَدَيْكَ بِأَنْعَمِ
وَأَوْضَحَ لِي مِنْ لُغْزِهِ كُلِّ مُبْهَمِ
غَدَوْتَ بِهِ ذَا لَوْعَةٍ وَتَرْتَّمِ
يَطِيبُ مَقَامُ الْمُسْتَهَامِ الْمُتَمِّمِ ^(٢)
بَكَيْتَ الصَّبَا فِيهِ وَعَهْدَ التَّنْعَمِ
وَتَحْرِيفُهُ ضِدُّ لِسَمٍ لَمْ يُكْرَمِ
وَيَطْلُعُ فِيهَا أَنْجُمًا بَعْدَ أَنْجَمِ
وَمَنْ ذَا يَرَاهُ مِنْ وُشَاةٍ وَلُؤْمِ
وَلَسَكْنَةٍ مِنْ غَيْرِ كَفٍّ وَمُعْصَمِ
وَأَنْ هُمْ فِي أَمْرٍ عَلَى الْفَوْرِ يَفْصَمِ
مَنَامًا وَلَمْ يَطْمَعِ بِطَيْفٍ مُسَلَّمِ
قَوْلٍ وَلَكِنْ لَيْسَ بِالْمُتَكَلِّمِ
وَأَصْبَحَ مَشْهُورًا لَدَى كُلِّ ضَيْغَمِ

(١) في أ : « وما أصبغت » ، وفي ب ، ج : « وما اصطبغت » ، وفي الديوان : « ولا اصطبغت » ،
والثبوت في : م .

(٢) في م : « يهيم فؤاد المستهام التميم » ، والثبوت في : أ ، ب ، ج ، والديوان .

فَأَنْزَلَهُ مِنْ نَادِيكَ أَشْرَفَ مَنْزِلٍ
وَلَوْلَا مَعَانِيكَ الْعَذَابُ وَصَوَّغُهَا
وَقَابِلُ جَوَابِي بِالْقَبُولِ تَفَضُّلاً
قَالَ : وَقُلْتُ مُتَغَرِّلاً (١) :

وَإِنِّي الرِّيمُ فَمَا عَلَيْكَ بِعَارٍ
صَهْبَاءُ لَيْسَ يَجُوزُ عِنْدِي مَزْجُهَا
تَدْعُ الدُّجَى صُبْحًا إِذَا هِيَ أُبْرِزْتُ
قُمْ هَاتِهَا حَيْثُ الْمَزَارُ قَدْ اغْتَدَى
طَيْرٌ أَعَادَ الْفَصْنَ جُنُكًا رُكِبَتْ
وَتَبَثُهُ رِيحُ الصَّبَا وَيَبْثُهَا
فَانْهَضَ لَتَفْتَحِ الشَّيْبَةَ قَبْلَ أَنْ
وَأَشْرَبَ عَلَى وَرْدِ الرُّبَى إِنْ لَمْ تَجِدْ
وَأَنْصَبَ بِفِكَرِكَ فِي الْهَوَى شَرَكَ الْمَنَى
هَذَا وَلَسْتُ أَرَى إِذَا فَقِدَ الَّذِي
هَيْهَاتَ مَا النَّأْيُ الرَّخِيمُ وَنَشْوَةُ
وَحَيْنٍ هَيْئَةَ الرِّيَاضِ عَشِيَّةً

خَلَعُ الْعِذَارِ وَلَا ارْتِشَافُ عُقَارٍ
إِلَّا بِرِيقَةِ شَادِنٍ مِعْطَارٍ (٢)
فَكَأَنَّمَا اعْتَصَرْتُ مِنَ الْأَنْوَارِ (٣)
فِي الْأَبْكَ مُنْعَكِفًا عَلَى التَّهْدَارِ (٤)
أَوْتَارُهُ مِنْ فِضَّةِ الْأَمْطَارِ (٥)
ذَكَرَ الْهَوَى مِنْ سَالِفِ الْأَعْصَارِ
يَرْمِي الْمَشِيبُ الصَّفْوَ بِالْأَكْدَارِ (٦)
وَرَدَ الْخُدُودِ لِقِيْلَةَ الدِّينَارِ
لَوْ قُوعَ ظِلٍّ أَوْ خِيَالِ سَارِي (٧)
أَهْوَى جِفَانِ الْخُلْدِ غَيْرَ النَّارِ
خَمِرِ الْقَدِيمِ وَنَفْعَةِ الْأَوْتَارِ
وَتَرَأْسُ الْأَطْيَارِ فِي الْأَسْحَارِ (٨)

(١) ديوان منجك ٨٠ .

(٢) في م : « صهبا ليس يجوز عندي مزجها » ، والمثبت في سائر الأصول ، والديوان . والمعطار : الكثير التعطر .

(٣) في أ : « إذا هي أسفرت » ، وفي الديوان : « فكأنها اعتصرت » .

(٤) الهزار : طائر حسن التفريد .

(٥) الجنك : من آلات الطرب . وفي ب : « من فضة أوتار » .

(٦) في أ ، ب ، ج ، والديوان : « وانهض » ، وفي أ ، والديوان : « لتغتم الشيبه » .

(٧) في أ : « وانصب بفكر » . (٨) في الديوان : « وترسل الأطيّار » .

عِنْدِي بِأَحْسَنَ مِنْ مُسَاجَلَةِ الْأَحِبِّ ۖ بِالصَّبَابَةِ فِي سَنَا الْأَقْمَارِ
 مِنْ كُلِّ مَعْبُودِ الْجَمَالِ مُحْكَمٍ ۖ فِيمَا يَشَاءُ مُسْتَعْبِدِ الْأَخْصَارِ
 قَالَ : وَقَلْتُ مَتَذَكَّرًا لِمَغَانِي الْأُنْسِ الَّتِي أَنْمَحَتْ آفَارُهَا ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْأُمَانِي مَا تَشَبَّهُ
 بِهِ إِلَّا أَخْبَارُهَا (١) :

قَصَرَ الْأَمِيرُ بَوَادِي النَّيْرِ بَيْنَ سَقَى
 كَمْ مَرَّ لِي فِيكَ أَيَّامٌ هَوَّاجِرُهَا
 حَيْثُ الشَّيْبَةُ بِكَرٍّ فِي غَضَارَتِهَا
 حَيْثُ الرِّيَاضُ تُغْنِيَنِي حِمَائِمُهَا
 حَيْثُ الْجُمُالُ أَفْلَاكُهَا طَلَعَتْ
 حَيْثُ الْمُدَامَةُ رَقَّتْ فِي زُجَاجِهَا
 عِطْرِيَّةٌ نَفَضَتْ فِيهَا عَوَارِضُهُ
 يَا قُوَّةُ أَفْرَغْتَ فِي قَشْرِ لَوْلُؤَةٍ
 شَمْسٌ تَعَاظِيَتْهَا مِنْ رَاحَتِي قَمَرٌ
 يَسْعَى إِلَى بَهَا تَحْتَ الدُّجَى حَذِرًا
 مُتَوَجِّجُ الرِّيحِ بِالْإِبْرِيْقِ ذَا قُرْطٍ
 رَبَّاكَ عَنِّي مِنَ الْوَسْنِيِّ مِذْرَارُ (٢)
 أَصَائِلُ وَلِيَالِيَهِنَّ أَسْحَارُ (٣)
 وَلِلصَّبَابَةِ أَخْلَافٌ وَأَنْصَارُ
 بِالذَّفِّ وَالْجُنُكِ وَالسَّنْفُورُ لِي جَارُ (٤)
 زَهْرٌ مِنَ الزُّهْرِ وَالنَّدْمَانُ أَقْمَارُ
 يُدِيرُهَا فَاتِرُ الْأَجْفَانِ سَحَّارُ
 فَتَيْقَ مِسْكِ لِهَ الْأَرْوَاحِ سَفَّارُ (٥)
 فَلَا حَ لِلشَّرْبِ مِنْهَا النُّورُ وَالنَّارُ
 لَهُ مِنَ الْحَسَنِ مَا يَرْضَى وَيُخْتَارُ
 مِنَ الْوُشَاةِ لِأَنَّ اللَّيْلَ سَتَّارُ
 مِثْلُ الْمَلَالِ لَهُ الْجُوزَاهُ زُنَّارُ (٦)

- (١) ديوان منجك ٧٩ ، وخلاصة الأثر ٤/ ٤١٦ .
 (٢) في م : « بَوَادِي النَّيْرِ » ، والصواب في : ا ، ب ، ج ، والديوان ، وخلاصة الأثر ، وانظر في التعريف بَوَادِي النَّيْرِينِ الْحَاشِيَةِ الثَّانِيَةِ فِي صَفْحَةِ ٧٠ . وَالْوَسْنِيُّ : أَوَّلُ مَطَرِ الرَّبِيعِ .
 (٣) في الديوان : « كَمْ مِثْلُ فِيكَ أَيَّامٌ . . . » .
 (٤) في أصول الريحانة ، والديوان : « وَالْمِيطُور » ، والمثبت في خلاصة الأثر . وَالسَّنْفُورُ : آلَةٌ طَرَبٌ كَالْقَانُونِ ، أَوْ تَارُهَا مِنْ نَحَاسٍ .
 (٥) في خلاصة الأثر : « فَتَيْقَ مِسْكِ » . وَالسَّفَّارُ : جَمْعُ الْمَسَافِرِ .
 (٦) في الديوان ، وخلاصة الأثر « ذُو قُرْطٍ » عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ « يَسْعَى » ، وَرَوَايَةُ الرِّيحَانَةِ بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِيَةِ .

يسقي واستقيه من ثغري ومن قدح
يضمنا بأعلى القصر ثوب هوى
أمتع الطرف متى في محاسن به
حتى تيقظ دهرى بعد ما غفلت
قال : وقلت^(٣) :

سقى الله يوم القصر إذ كان بيننا
بروض يحول الماء تحت ظلاله
يلوح به قاني الشقيق وقد حكى
ويهمي به قطر الندى فتخاله
وريحانه الغض الشهي كأنه
سقاني به راح الرضاب مهفهف
وبت أظن الجلائر بدوحه
إلى أن بدت شمس النهار كأنها
قال : وقلت متغزلا^(٤) :

قم للخدمة يا نديم فإنها
حراء صافية المزاج كأنها
شمس إذا بزغت لعينك في الدجى
شرك المني وحباله الأفراح
ورد الخدود أذيب في الأقداح
أغنتك عن صبح وعن مضباح

- (١) في ١ : « فرياح ومحتار » .
(٢) في خلاصة الأثر : « ثوب هدى » .
(٣) ديوان منبج ٨٩ ، والبيت الأول ساقط منه . والقطعة كلها ساقطة من : ب ، ج .
(٤) في الديوان : « وروض يحول » ، والأيم : الحية .
(٥) في الديوان : « مبادى عذار لاح في خد أغيد » .
(٦) ديوان منبج ٨١ ، وخلاصة الأثر ٤١٥/٤ .

مِسْكِيَّةٌ أَنِّي فَضَضْتُ خِتَامَهَا عَبِقَ النَّدَىٰ بِنَشْرِهَا الْفَضَّاحُ^(١)
تَفَتَّرُ عَنْ حَبِّ ثَعُورٍ كُؤُوسِهَا كَسَقِيطِ طَلٍّ فِي ثَعُورٍ أَفَاحِ
يَسْقِيكُمَا رَشًا إِذَا غَنَّىٰ بِهَا رَقَصْتُ لَدَاكَ مَعَاطِفُ الْأَرْوَاحِ
قال : وقلتُ أيضًا متغزلاً^(٢) :

أَلَدَيْهِ نَهَبُ النُّفُوسِ مُبَاحٌ رَشًا سَافِكُ الدِّمَا سَفَّاحٌ
أَيُّ أَسَدٍ تَجُولُ حَوْلَ حِمَاهُ وَكِنَاسٍ لَهُ الظُّبَا وَالرِّمَاحُ^(٣)
ابْنُ عَشْرِ وَأَرْبَعٍ لَوْ تَبَدَّى فِي دُجَى اللَّيْلِ قَلْتُ لَاحَ الصَّبَاحُ
مَارْبِعُ الْعِيُونِ غَيْرَ مُحْيَا هُ إِلَيْهِ أَرْوَاحُنَا تَرْتَاخُ
لِي مَنْ وَجَنَتِيهِ وَرَدَّ جَنِيَّ م وَمُدَامٌ مِنْ ثَعُورِهِ وَأَفَاحُ^(٤)
تَعْدَانِي لَهُ الْقُلُوبُ وَإِنْ شَطَّ م مَزَارٌ وَأُبْعِدْتُ أَشْبَاحُ
إِنْ كُتِبِي إِلَيْهِ صُخْفُ الْأَمَانِي وَبِهَا الرُّسُلُ يَبْنِنَا الْأَرْوَاحُ
قال : وقلتُ فِي الشَّيْبِ^(٥) :

لَا تَلْمَنِي عَلَى اجْتِنَابِي لِلْكَأْ سِ رُؤَيْدًا فَمَا عَلَى مَلَامُ
مَا تَرَى الشَّيْبَ فِضَّةً فِي عِذَارِي سَبَكْتُهُ بِنَارِهَا الْأَيَّامُ^(٦)
قال : وقلتُ فِي غَرَضٍ اقْتَضَىٰ ذَلِكَ^(٧) :

أَسَاءَ كِبَارُنَا فِي الدَّهْرِ حَتَّى جَرَىٰ هَذَا الْعِقَابُ عَلَى الصِّغَارِ

(١) فِي الدِّيَوَانِ : « عَبِقَ الشَّدَاءُ بِنَشْرِهَا الْفَضَّاحُ » ، وَفِي خِلَاصَةِ الْأَثَرِ : « عَبِقَ النَّدَىٰ مِنْ نَشْرِهَا الْفَضَّاحُ » .

(٢) دِيَوَانُ مَنْجُك ٩٠ .

(٣) فِي ب ، وَالدِّيَوَانِ : « أَيُّ أَسَدٍ تَجُولُ حَوْلَ حِمَاهُ » .

(٤) ضَمَّ حَاءُ « أَفَاحِ » لِلضَّرُورَةِ الْقَافِيَةِ .

(٥) دِيَوَانُ مَنْجُك ١٢٧ .

(٦) فِي ج ، م : « سَبَكْتَهَا » ، وَالْمَثْبُوتُ فِي : أ ، ب ، وَالدِّيَوَانِ .

(٧) دِيَوَانُ مَنْجُك ١٣٦ .

لقد شرب الأوائِلُ كأسَ خمرٍ غَدَتْ مِنْهُ الأَوَاخِرُ فِي خُمَارٍ^(١)
قال : وقلتُ متغزلاً^(٢) :

ألقى فَوَادِي فِي أَوَارِي قَرْمُ مَرَامٍ مِنْ اسْكَدَارٍ^(٣)
يَمْضِي الدَّجَى وَنَوَاطِرِي فِي حُبِّهِ تَرْعَى الدَّرَارِي^(٤)
وَأَوْدُ لَوْ عَلِقْتُ بِذِي لِي أَوْعِدَ مِنْهُ يَدُ انْتِظَارِي
يُجْنِي فَأُبْدِي الْعَذَرَ عَنْهُ وَلَيْسَ يَرْضَى بِاعْتِذَارِي
أَتَرَاهُ يَذَرِي بِالذِي قَاسَيْتُهُ أَمْ غَيْرَ دَارِ
أَشْكُو الظَّمَا أَبَدًا وَمَا الْحَسَنِ فِي خَدَّيْهِ جَارِ
أَغْدُو بِهِ حَيْرَانًا لَا أَذْرِي يَمِينِي مِنْ بَسَارِي
رِيمٌ أَبَتْ أَخْلَاقَهُ إِلَّا التَّخَلُّقَ بِالنَّفَّارِ
فَمَشِقَّتُهُ وَعَلَيْهِ مِنْ دُونَ الْوَرَى وَقَعَ اخْتِيارِي

قال : وقلتُ متغزلاً^(٥) :

وَشَادِنٍ أَرْكَبُنِي هَوَاهُ طَرَفَ الْخَطَرِ^(٦)
مُهَفِّفٍ مُبْتَهِّجٍ يَهْزُو بِضَوْءِ الْقَمَرِ
يَسْكَادُ أَنْ يَشْرِبَهُ إِذَا تَبَدَّى نَظْرِي

(١) في ١ : « خمر كأس » .

(٢) ديوان منجك ٨٦ .

(٣) في م : « ألقى فَوَادِي » ، وفيها وفي ج : « في أوار » ، والمثبت في سائر الأصول ، والديوان .
واسكدار : بلدة بالروم ، إليها ينسب الشيخ محمود الأسكداري ، ولي صالح ، كانت وفاته بعد السبعين
وَأَلْف . انظر خلاصة الأثر ٤/٣٢٧ - ٣٢٩ .

(٤) في الديوان : « ترعى الدراري » .

(٥) ليست هذه الأبيات في ديوانه المطبوع .

(٦) في ١ ، ج : « طرف الخطر » ، والمثبت في : ب ، م .

أَبَيْتُ فِيهِ قَلْبًا عَلَى فِرَاشِ السَّهْرِ
كَأَنَّ عَقْلِي كَرَّةٌ لَصَوْلِجَانِ الْفِكْرِ
قال : وقلتُ متغزلاً (١) :

بِئْسَ رَيْمٌ كِفَاسُهُ الْمَرَانُ مَا لِقَلْبٍ مِنْ مُقْلَتَيْهِ أَمَانُ (٢)
ذُو عِذَارٍ كَأَنَّهُ ظُلْمَةُ الشَّرِّ لِكِ وَوَجْهِ كَأَنَّهُ الْإِيمَانُ (٣)
وَكَأَنَّا مِنْ أَنْسِهِ وَحَيًّا م هُ بَرُوضٍ تُظِلُّنَا الْأَفْسَانُ
خَذُّهُ الْوَرْدُ وَالْبَهْفَسُجُ صُدْغَا هُ لَعِينِي وَتَغْرُمُ الْأَفْحُوانُ
وَكَأَنَّ الْحَدِيثَ مِنْهُ هُوَ اللَّوْ لَوْ يَرْقُضُ بَيْنَنَا وَالْجَمَانُ
وَكَأَنَّ النَّدَى وَالْكَأْسُ نُجْلَى فِيهِ أَفَقٌ نَجُومُهُ النُّدْمَانُ
وَكَأَنَّ الْأَنْفَاسَ مِنْهُ نَسِيمٌ وَكَأَنَّا إِذَا شَدَا أَغْصَانُ
وَكَأَنَّ النَّدْمَانِ فِي دَوْحَةِ اللَّهِ وَغُصُونٌ ثَمَارُهَا الْكِتْمَانُ (٤)
يَتَعَاطُونَ أَكْوِيسَ الْعُتْبِ إِذْ طَا فَ عَلَيْهِمْ بِهَا الْمُنَى وَالْأَمَانُ
يَا سَقَى ذَلِكَ الزَّمَانَ وَحَيًّا هُ مُلِثٌ مِنَ الرِّضَا هَتَّانُ (٥)
زَمَنٌ كُلُّهُ رَيْعٌ وَعَيْشٌ غُصْنُهُ يَنْعُ الْجَنَى فَيَنْفَانُ

(١) ديوان منجك ٨٣ ، وخلاصة الأثر ٤/١٣٣ .

(٢) في الديوان والخلاصة : « وغزال كنفاسه المران . والمران : شجر يتخذ منه الرماح ، والرماح اللدنة الصلبة . وفي ب ، ج ، م : « ما لقلبي من مقليته أمان » ، والمثبت في : ا ، والديوان ، وخلاصة الأثر .

(٣) في الديوان : « ذى نواس كأنها . . . » وهو يعنى الذوائب ، التى تنوس ، أى تتحرك . وفى خلاصة الأثر : « ذى نواس » . وبعد هذا البيت فى الديوان وخلاصة الأثر :

فَكَانَ الْعِذَارُ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ م كَغُفُورٍ فِي جِيدِهِ فِرْقَانُ

(٤) فى خلاصة الأثر : « فى روضة اللهب » .

(٥) الملت : الذى يدوم أياما ، والهتان : المتتابع .

مَرَّ لِي بِالشَّامِ وَالْعَمْرِ غَضٌّ وَشَبَابِي يَزِيغُهُ الْعُنْفُوانُ^(١)
ابن عَشْرِ وَأَرْبَعِ وَثَمَانٍ هِيَ عَيْدٌ وَبَعْضُهَا مِهْرَجَانُ
قال : وقلتُ متغزلاً^(٢) :

نَبَّهْ جُفُونَكَ مِنْ نَعَاسِكَ وَاسْتَمَحْ بَرِيقَكَ أَوْ بِكَاسِكَ
طَابَ الصَّبُوحُ فَهَاتِهَا وَاشْرَبْ مَعِيَ بِحَيَاةِ رَاسِكَ
مَا الْوَرْدُ إِلَّا مِنْ خُدُو دِكِّ وَالْبَهْفَسَجِ مِنْ نُوَاسِكَ^(٣)
أَفْذِيكَ ظَلَبِيًّا أَرْتَجِيهِ لَكَ وَأَتَقَيَّ سَطَوَاتِ بَاسِكَ
تَخْتَنِي الْأَسْوَدُ مَهَابَةً مِنْ أَنْ تَمُرَّ عَلَى كِنَاسِكَ

قال : وقلتُ متغزلاً ، من قصيدة^(٤) :

أَتَرَى أَيْنَ حَلٍّ أَمْ أَيْنَ أُمْسَى غُضُنُ بَانَ يُلُّ أَعْلَاهُ شَمْسًا
لَيْتَ أَنِّي وَقَدْ تَرَحَّلَ بِيَدٌ كُنَّ أُمْسٍ لِأَسْطَرِ الْعَيْنِ طِرْسًا^(٥)
لَهْفَ شَاكٍ يَرَى الْمَعَاهِدَ صُمًّا بَعْدَ مَا شَطَّ وَالْعَالِمَ خُرْسًا^(٦)
صَدَّعُ الْبَيْنُ مَفْهُ ثَمَّ فُؤَادًا كَانَ صَخْرًا فَعَادَ بِالْوَجْدِ خَنْسًا^(٧)

(١) في الديوان : « والشوق غَض » ، وفي خلاصة الأثر : « والعيش غَض » .

(٢) ديوان منجك ٨٢ .

(٣) هذا البيت ساقط من : ب ، ج ، وفي م : « والبهفَسَج من نَعَاسِكَ » ، والمثبت في : ا ، والديوان .

(٤) ديوان منجك ٤١ .

(٥) هذا البيت ساقط من : ج ، وسقط أ كثره من : ب ، وفي ا : « كن أُمْسَى » ، وفي

الديوان : « كن أُمْسَا » .

(٦) بعد هذا في ا : « منها » ، والشعر متصل في سائر النسخ ، والديوان .

(٧) يشير إلى صخر بن عمرو السلمي ، أخى الخنساء ، جاهلي ، رثته أخته بقصائد شهيرة . كما يشير إلى أخته الخنساء ، تماضر بنت عمرو ، ولما بكأها عليه ، أسلمت ، وحثت أولادها على الجهاد حتى استشهدوا في حرب القادسية ، توفيت سنة ٢٤ هـ . الشعر والشعراء ٣٤٣/١ - ٣٤٧ ، معاهد

التنقيص ١١٧/١ - ١١٩ .

ومنها (١) :

شَادِنٌ أَظْلَمُ الْخَلَائِقِ الْخَا ظَا وَأَمْضَى فَمَلَأُوا كَبْرُ نَفْسًا (٢)
عَلَّمَتْهُ الْأَيَّامُ طُرُقَ التَّجَنِّي وَاللَّيَالِي أَقْرَأَتْهُ الصَّدَّ دَرْسًا
أَطْلَعَ الْحَسَنُ فِي حَدِيقَةِ خَدَّيْ ٤ وَرُودًا تَرَكْنِي لَوْفِي وَزَسًا (٣)

ومنها (١) :

طَالَمَا بَيْتٌ بِالْخَدَائِعِ أَسْقِيهِ ٤ ثَلَاثًا حِينًا وَأَشْرَبُ خَمْسًا (٤)
نَمَزُجُ السَّكَاسَ بِالْحَدِيثِ وَمَا أُلْ طَفَ ذَاكَ الْحَدِيثَ مَعْنَى وَحِشًا (٥)
لَسْتُ أَذْرِي أَمِنْ عُصَارَةِ خَدَّ يَوْمِ أُمِّ الرَّاحِ صَفْوُ مَائَةٍ حَسِّي
لَا رَأْتُ مُقْلَتِي مُحِيَّاهُ إِنْ كَا نَ فَوَادِي يَسْلُوهُ أَوْ يَتَأَمِّي

قال : وقلتُ (٦) :

لَا تَتَّبِعْهُمُ بِالسَّوِّ دَهْرَكَ إِنَّهُ جَبَلٌ يُجِيبُ صَدَاكَ مِنْهُ صَدَاءُ
مِرَاثُكَ الدُّنْيَا وَفَعْلُكَ صُورَةٌ فِيهِمَا فَمَا الشَّنْعَاءُ وَالْحُسْنَاءُ

قال : وقلتُ متغزلاً (٧) :

تَفَاهَى عَنْدَهُ الْأَمَلُ وَقَصَّرَ دُونَهُ الْعَظْلُ
رَشَا يَفْتَرُّ عَنْ بَرْدِ تَسْكَادُ تُذِيبُهُ الْقُبْلُ (٨)

(٢) بعد هذا في الديوان :

(١) ساقط من : ب ، ج . بَأَنَّهُ يَذْنِي إِلَيْكَ وَلَكِنْ قَلْبُهُ الصَّخْرُ بَلْ مِنَ الصَّخْرِ أَقْسَى

(٣) الورس : نبات كالسمسم ، يصبغ به . القاموس (ورس) .

(٤) في ا ، ب ، ج : « بالخدايع أسقيه » ، ولا يصلح الوزن إلا بتشديد الفاف . وفي ب : « ظالمات . . . » .

(٥) في ب ، ج ، م : « يمزج السكاس » ، والمثبت في ا ، والديوان .

(٦) ديوان منجك ١٣٦ .

(٧) ديوان منجك ٦٢ .

(٨) في ا : « تسكاد تذيبه المقل » .

يَخَامِرُ عِطْفَهُ تَمَلُّ (١)
يُمَثِّلُ مَا يَرُوقُهُ بِصَفْحَةٍ خَذَهُ الْحَجَلُ (٢)
فَلَيْتَ بِهِ كَمَا اتَّصَلَتْ حَشَايَ الطَّرْفُ يَتَّصِلُ
إِذَا مَا الْخِذْرُ أُبْرَزَهُ تَنَاهَبُ حُسْنَهُ الْمُقَلُّ
لَقَدْ أَغْرَاهُ فِي تَلَانِي شَبَابُ نَاضِرُ خَضِلُ
وَقَدْ حَشَوُهُ هَيْفَ وَطَرَفُ مِلْوِهِ كَحَلُ
فَمَا انْخَطَى غَيْرَ قَنَّا قَوَامُ زَانَهُ الْمَيْلُ
وَلَا الْهِنْدِيُّ غَيْرَ ظُبَا حَوَاهَا النَّظِيرُ الْغَزَلُ
سَقَى خَلْسًا بِذِي إِضْمٍ مَضَيْنَ الصَّبْبُ الْهَطِلُ (٣)
وَعَيْشًا حِينَ أَذْكَرُهُ أَمِيلُ كَأَنِّي تَمَلُّ
وَرَبْعًا كَفْتُ أَعْمَدُهُ وَأُنْسِي فِيهِ مُقْتَبِلُ
بَكَيْتُ دَمًا عَلَى زَمَنِ لَدَى تَوْدِيعِهِ الْأَجَلُ
لِيَالٍ كُلُّهَا سَحَرٌ وَدَهْرٌ كُلُّهُ أَصْلُ
(٤) وَهِيَ طَوِيلَةٌ (٥).

قال : وقلتُ في الحماسة (٥) :

لَعَمْرُ أَبِي الرَّاقِي السَّمَائِكِينَ رِفْعَةً وَحَامِي ذِمَارَ الْجَدِّ بِالْحِلْمِ وَالْبَاسِ (٦)

- (١) في الديوان : « يميل به فيعتدل » .
(٢) ، في ١ ، م : « يمثّل ما يروق لنا » ، وفي ب : « ما يرققه » ، والمثبت في : ج ، والديوان .
(٣) الخلس : السكّالُ اليابس نبت في أصله الرطب فيختلط . القاموس (خ ل س) . وذو إضم : ماء يطأه الطريق بين مكة واليمامة ، عند السمينة ، وانظر معجم البلدان ١ / ٣٠٥ .
(٤) ساقط من : ج ، وفي ديوانه بقيتها ، وتبلغ تسعة وعشرين بيتا .
(٥) ديوان منجك ١٠١ .
(٦) في ١ : « لعمر أبي طلت السماكين » ، وفي م : « لعمر أبي راق السماكين » ، والمثبت في : ب ، ج ، والديوان .

فما أنا من يَرْضَى القليلَ مِنَ المَلا
ولا أنا مَن يَحْتَسِي فَضْلَةَ السَّكاسِ
هِيَ النَّفْسُ فَاحْمِلْهَا عَلَى الضَّيْمِ إِنْ تَرِدُ
لَهَا الْعِزَّ وَانْقُضْ رَاحَتِيكَ مِنَ النَّاسِ
قال : وقلتُ أيضاً ^(١) :

وَمُنْتَزَهٌ يَرُوقُ الطَّرْفَ حُسْنًا
لَمَّا فِيهِ مِنَ الْمَرَأَى الْبَدِيعِ
تَجُولُ كِتَابُ الْأَزْهَارِ فِيهِ
وَقَدْ كَسَيْتُ حُلَى الْغَيْثِ الْمُرْبِعِ
وَبَاتِ الْوَرْدُ فِيهَا وَهُوَ شَاكِي السَّ
لَا حَ يَمِيدُ فِي الدَّرْعِ الْمَنِيْعِ
حَكَى مُنْخَمٌ زَنْبِقَهُ طُرُوسًا
وَفِيهَا عَرَضُ أَخْوَالِ الْجَمِيعِ
تَنْمَقُ طَيْبًا أَيْدِي النُّعَامِي
وَتَتَّبِعُهَا إِلَى مَلِكِ الرَّبِيعِ ^(٢)
وَقُلْتُ إِذَا أَنْفَذْتُ لِبَعْضِ الْأَحِبَّةِ كِتَابًا ، فَقَبَّلَهُ وَتَلَطَّفَ فِي حُسْنِ الْجَوَابِ ^(٣) :
خُذْهَا سَطُورًا إِلَيْكَ قَدْ بُعِثَتْ
تَرُومُ لِلنَّفْسِ مَا يُعْمَلُهَا
فِي طَيِّ بَيْضَاءَ ظَلَّتْ مِنْ وَلَهِ
فِيكَ بِأَيْدِي الْأَحَاطِ أَصْقَلُهَا ^(٤)
أَكْتَبَهَا وَالْدموعُ تَنْقُطُهَا
بَعْبَرَةٌ لَا أَزَالُ أَهْمِلُهَا
لَوْ كَانَ ظَنِّي إِذَا بَصُرْتُ بِهَا
نِيَابَةً عَنْ فِي تَقَبُّلُهَا
لَرَأَيْتُ شَوْقًا إِلَيْكَ مُنْدَرِجًا
فِي طَيْبِهَا وَالنَّسِيمُ يَحْمِلُهَا
قال : وقلتُ ^(٥) :

مَهْلًا سَفِينَةً آمَالِي لِمَلْ بَأْنِ
تَهَبُّ يَوْمًا رِيَّاحُ الْأُطْفِ وَالْكَرَمِ
وَيَا حُطُو ظِيَّ رِفْقًا لَسْتُ مُدْرِكَةً
غَيْرَ الَّذِي قَسَمَ الرَّحْمَنُ فِي الْقَدَمِ ^(٦)

(١) ديوان منجك ٩١ ، وخلاصة الأثر ٤/٤١٥ .

(٢) في خلاصة الأثر : « تمنق حليها » .

(٣) ديوان منجك ٧٦

(٤) في ١ ، ب ، م : « فيك بأيدى الأحاط أنقلها » ، والمثبت في : ج ، والديوان .

(٥) ديوان منجك ١٣٥ .

(٦) في ١ ، ب ، ج : « رزق الرحمن في القدم » ، وفي الديوان : « قسم الأرزاق في القدم » .

قال : وقلتُ أيضاً ^(١) :

ورَوْضَةُ أَنْسٍ بات فيها ابنُ أَيْسَكَةَ يُغَرِّدُ وَالنَّائِي الرَّخِيمُ يُشَفِّفُ
وقد ضَمْنَا فِيهِ — من الليلِ سائِغاً رِدَاءً بِأَكْنَفِ الْعَمَامِ مُسَجِّفُ
فَظَلَّتْ عَرَانِينُ الْأَبَارِيقِ بِالطَّلَا إلى أن بَدَتْ كَافُورَةُ الصَّبْحِ تَرَعُفُ
وهذا معنى تصرَّف فيه وأبدع ، وأدار منه على السامع كأس أدبٍ مُترَعٍ ، وقد سبقه
إليه غيره ، كابن رَشِيق في قوله :

صَتَمَ من الكافورِ باتِ مُعَانِقِي في حُلَّتَيْنِ تَعَفُّفٍ وَتَكْرُّمِ
فذكرتُ لَيْلَةَ هَجْرِهِ في وَضْلِهِ فَجَرَتْ بقايا أذْمَعِي كَالْعَنْدَمِ
فَطَفِقْتُ أَمْسَحُ مُقْلَتِي في جِيدِهِ إِذْ عَادَ الكافورِ إِمْسَاكَ الدَّمِ ^(٢)
لكنه جعل جِيدَ ^(٣) محبوبه مِنْدِيلَهُ فدَنَسَهُ ، فلو قال :

فَجَعَلْتُ عَيْنِي تَحْتَ أَخْصِ نَعْلِهِ إِذْ شَيِمَةَ الكافورِ إِمْسَاكَ الدَّمِ ^(٤)
كان أَلْيَقَ بالأدب .

ومن أجاد في هذا المعنى ابنُ مَرْج الكُحْل ^(٥) الأَنْدَلُسِيُّ ، في قوله ^(٦) :

أَلَا بَشِّرُوا بالصُّبْحِ مِثِّي بِأَكْيَا أَضَرَّ به اللَّيْلُ الطَّوِيلُ مع البُكَاءِ ^(٧)

(١) ديوان منجك ٩٩ .

(٢) في ج : « فطفت أَمْسَحُ مُقْلَتِي بِجِيدِهِ » ، وفي م : « فطفت أَمْسَحُ مَدْمَعِي في جِيدِهِ » ، والمثبت في : أ ، ب .

(٣) في ج : « عطف » .

(٤) في أ ، ج : « أَخْصِ رِجْلَهُ » ، وبجز البيت ساقط من : م .

(٥) ورد هذا الاسم مضطرباً في النسخ ، في أ : « ابنُ بَرَحِ المَكْحَل » ، وفي ب : « بَرَجِ المَكْحَل » وفي ج : « ابنُ أُبْرَجِ الكَحْل » ، وفي م : « ابنُ بَرَحِ المَحْكَل » ، وكل ذلك خطأ ، صوابه ما أنبأته ، وهو محمد بن إدريس بن علي . انظر الإحاطة ٢/٢٥٢ ، التكملة لابن الأبار ٢/٦٣٦ ، نفح الطيب ٣/٢٧ .

(٦) الإحاطة ٢/٢٥٥ ، ونفح الطيب ٣/٢٩ .

(٧) في الإحاطة : « ألا أبشروا بالصبح من كان بأَكْيَا » ، ورواية نفح الطيب نقلاً عن الإحاطة توافق رواية الريحانة .

ففي الصُّبْحِ لِلصَّبِّ الْمُتَيْمِّ رَاحَةٌ
ولا عَجَبُ أَنْ يُمَسِكَ الصُّبْحُ عَيْتِي
إذا الليلُ أَجْرَى دَمْعَهُ وإذا شكا
فلم يزلِ الكافورُ للدمِّ مُمَسِّكا
وقد قلتُ أنا في هذا المعنى أيضا :

وساقَى لى الشُّرُورُ غَدًا طيِّبًا
رَأَى فِي الكَأْسِ صُبُّ دَمِ الحَمِيَّةِ
له طَرَفٌ يُشِيرُ إِلَى التَّصَابِي
فَذَرَّ عَلَيْهِ كَافُورَ الحُجَابِ^(١)
قال : ومما قلتهُ أيضا^(٢) :

سَقَى صَوْبُ الحَيَا زَمَنًا
وقد مَدَّ الغَمَامُ رِدَا
سَرَقَنَاهُ مِنَ الغِيَرِ
لَهُ هُذْبٌ مِنَ المَطَرِ
ومما كَتَبَهُ^(٣) إِلَى الأميرِ مُنْجَك^(٤) :

يا وحييداً في السَّجَايَا
وشهباً في سَمَوَا
وَجَوَاداً عِنْدَهُ الأَفْ
أَنْتَ بَحْرٌ دُونَهُ الأَبْ
لَا تَسْمُنِي حَصْرَ أَوْصَا
رَاعَنِي الدَّهْرُ كَمَا قَدْ
والمزَايَا بَاتَّقِ
تِ العُلَى سَامِي الطُّبَا
رَأْسُ عَرَجَا فِي السَّبَا^(٥)
حُرٌّ مِنْ بَعْضِ السَّوَا
فِكَ فِكْرِي فِي وَثَا
رُعْتَ مِصْرًا بِالفِرَا

ومما كَتَبَهُ^(٦) إِلَى الأميرِ^(٧) أيضا^(٨) :

قد بَشَّرْتُكَ بِمِصْرَ بَعْضُ مَعَاشِرَ
لَمْ يَعْلَمُوا الأَقْوَالَ فِي تَأْوِيلِهَا^(٩)

(١) الصب ، بالضم : ماصب من ماء ونحوه . (٢) ليس في ديوانه .

(٣) في م : « كَتَبْتُهُ » ، وهو خطأ صوابه من : ا .

(٤) ديوان منجك ٤٩ . والمقدمة والأبيات مما سقطت من : ب ، ج .

(٥) في الديوان : « وجوادا عنده الأنداد عرجا . . » .

(٦) في م : « كَتَبْتُهُ » ، والثبت في : ا ، ب ، ج .

(٧) بعد هذا في ب زيادة : « منجك المرقوم » ، وفي ج : « منجك » .

(٨) ديوان منجك ٤٩ . (٩) في ا : « لا يعرفوا » كذا .

مِصْرُ أَقْلُ نَدَى أَيَادِيكَ الَّتِي مِنْ فَيْضِ نَائِلِهَا أَصَابِعُ نَيْلِهَا
وهذا كثير الأمثال ، كقول ابن نباتة المصري^(١) :

وَأَفْتُ أَصَابِعُ نَيْلِنَا فَيْضًا وَطَافَتْ بِالْبِلَادِ^(٢)

وَأَتَتْ بِكُلِّ مَسْرُوقٍ مَا ذِي أَصَابِعُ بِلِ أَيْدِي^(٣)

وأحسن من هذا كله قولي من قصيدة نبوية :

أَصَابِعُ سَيِّدِ السَّادَاتِ مِنْهَا لَقَدْ رَوَى الزُّلَالُ صَدَى الْفُؤَادِ

فَلَوْ مِنْهَا يَنَالُ النَّيْلُ ظُفْرًا لَمَّا مَصَّ الْأَصَابِعَ لِلتَّنَادِ

وَعَهْدِي بِالْأَصَابِعِ فِي أَيَادٍ فَكَمْ فِي ذِي الْأَصَابِعِ مِنْ أَيَادِي



(١) ديوان ابن نباتة المصري ١٦٣ .

(٢) في ا ، ب : « وَفْتُ أَصَابِعُ نَيْلِنَا » ، والمثبت في : ج ، م ، والديوان ، وفيه :

وَأَفْتُ أَصَابِعُ نَيْلِنَا وَطَمْتُ فَأَكْمَدْتُ الْأَعَادِي

(٣) في الديوان : « مَا ذِي أَصَابِعُ ذِي أَيْدِي » .

٣٧

الفاضل أبو الطيّب بن رضى الدين الغزى ،
نزىل الشام *

كان شامة الشام ، وغرّة الليالى والآيام .
وله فى الفضل والأدب فنون ، ثم تبدلت الفنون كما يُقال جُنُون ، فاشتغل بدائه ،
وصار هوى الأحبة منه فى سَوَيْدَانِهِ ، فاعتزل ^(١) الناس ، وصار وَسْوَاسُ حَلِيهِ حَلَى
الْوَسْوَاس ، بعدما كان طبعه أَرْقَّ من شمائل الشمال ، ومعانيه أدقَّ من دلائل الدّلال .
وشعره لفضله شعار ، وحسن خطّه يتعلّم منه الحُسنُ تَمَنِّمَةَ العِذار .
كقوله ^(٢) :

صادفته والحسنُ حَلِيَّةٌ — كالرّيم لارُعنا ولا قلباً ^(٣)
والعيْدُ للأخاظِ أبرزه — والبدرُ أقربُ منه لى قُرْباً ^(٤)

(*) سقط من ، ج : « أبو الطيب بن رضى الدين » ، ومكانه « نجم الدين » .

وهو :

أبو الطيب محمد بن محمد بن محمد الغزى العامرى .

كان من أذكىاء العالم وفضلائه ، المشهور لهم بالتألق .

وشعره من أجود الشعر رونقا وديباجة .

تخرج فى الأدب على القاضى محب الدين بن محمد الحى ، وتفقه بالشهاب العياوى .

رحل إلى مصر ، ثم رجع إلى دمشق ، ودرس بالمدرسة القضاية الشافعية .

توفى سنة اثنتين وأربعين وألف .

تراجم الأعيان ٢٦٦/١ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٢ ب ، وهو فيه « أبو الطيب بن بدر الدين » ،

خلاصة الأثر ١٣٥/١ (نقل ترجمته الحى عن خبايا الزوايا) ، ديوان الإسلام لوحة ٦٣ ب .

(١) فى ج ، م بعد هذا زيادة : « عن » .

(٢) تراجم الأعيان ٢٧٠/١ ، وخلاصة الأثر ١٣٦/١ .

(٣) الرعث : جمع الجمع للرعدة ، وهى القرط . والقلب : سوار للمرأة .

(٤) هذا البيت ساقط من : تراجم الأعيان ، وفى خلاصة الأثر : « والبدر أيسر منه » .

أَهْوَى تَهْنِئَتِي وَمَدَّ يَدًا وَفَقَّ الْمُنَى فَتَنَاولَ الْقَلْبَا (١)
ومدَّ اليدَ المعتادَ ، للمصاحفةِ في الأعياد ، مسنونٌ لإظهارِ القربِ والاتِّحادِ ، فجعلها
لأخذِ القوادِ معنَى بديع .
ومثله ما قلتهُ في مدَّ اليدِ المسنون (٢) ، للمأمورِ به في الدَّعاء ، وهو ممَّا لم أُسَبِّحْ إليه ،
فإنَّ أَمَرَ السَّائِلِ بِمَدِّ الْيَدِ ، بمعنى خُذْ ما طلبتَ وازيدَ :

دَعَوْنَاكَ مِنْ بَعْدِ قَوْلِ ادْعِنِي فَكَيْفَ نُرَدُّ وَكُنَّا دُعِينَا
أَمْرُنَا بِمَدِّ يَدَيَّ سَائِلٍ لِيَمْلَأَهَا أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَا (٣)
وهذِي وَجْوهُ الرَّجَاءِ اغْتَدَّتْ تَرَى بَعْيُونَ الظُّنُونِ الْيَقِينَا
ومن شعره قوله من قصيدة (٤) :

مُؤَنَّبِي لَا بَرِحْتَ فِي عَذَلٍ خَبَّذَا حُبُّهُ عَلَى وَلِي (٥)
غُضْنُ دَلَالٍ أَغْرَ طَلْعَتُهُ شَمْسُ الضُّحَى فَوْقَ نَاعِمٍ خَضِلٍ
يَجُولُ فِي عِطْفِهِ الدَّلَالُ إِذَا تَحْمِلُ نَقْوِيهِ فَتَرُهُ الْكَسَلِ (٦)
رَقَمْتُ فِي طِرْسٍ خَدَّهُ قُبْلًا فَظُلٌّ يَمْحُو بَنَانَهُ قُبَلِي (٧)
وَأَخْجَلَ الْوَرْدَ فِي نَضَارَتِهِ شَقِيقُ خَدِّي فِي وَرْدَتِي خَجِلٍ

- (١) في تراجم الأعيان ، وخلاصة الأثر : « وفق الهوى » .
(٢) ساقط من : ١ ، وخلاصة الأثر ١/١٣٦ . نقلا عن الحفاجي .
(٣) بين هذا البيت والذي يليه تقديم وتأخير في : م ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/١٣٦ نقلا عن الحفاجي . وفي ا : « ومَرَّ بِمَدِّ يَدِي سَائِلٍ » ، وفي ب ، ج : « وأمر بمد يدي سائل » .
(٤) خلاصة الأثر ١/١٣٥ ، ١٣٦ .
(٥) في ج ، وخلاصة الأثر : « في عذلي » .
(٦) في م : « تحمل تقويه فترة الكسل » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج . والنقوان : ثنية النقا ، وهو القطعة من الرمل تقاد محدودبة . وفي خلاصة الأثر ١/١٣٦ : « تحمل حقويه . . . » .
(٧) في ب : « بنأيه قبلي » .

وقوله أيضاً^(١) :

تَرَامَتْ نَحْوَهَا الْإِبِلُ وَشَامَتْ بَرَقَهَا الْمُقَلُّ
فَنَاءٌ مِنْ بَنَى مُضَرٍ يُجَاذِبُ خَصَرَهَا الْكَفَلُ
فَمَا اَلْخَطَّارُ إِنْ خَطَرَتْ وَمَا الْمَيْلَةُ الدُّبُلُ
تَكْنَفُهَا لُيُوثٌ وَغَى يُحَاذِرُ بِأَسْهَا الْأَجَلُ^(٢)
لَنْ شَطَّ الْمَزَارُ بِهَا وَأَقْفَرَ دُونَهَا الطَّلُّ^(٣)
يُمَثِّلُهَا الْقَوَادُ بِهِ وَيُدْنِيهَا لَهُ الْأَمَلُ
وَكَمْ لِي يَوْمَ كَاظِمَةٍ قَوَادٌ خَافِقٌ وَجِلُ
وَطَرَفٌ بَعْدَ بَعْدِهِمْ بِمَيْلِ السَّهْدِ مُكْتَحِلُ
عَلِقْتُ بِهَا غَدَاةَ غَدَتٍ مَوَاطِيءُ نَعْلِهَا الْمُقَلُّ^(٤)
فَإِنْ سَارَتْ بِأَخْصِهَا تَدَاعَى الْوَابِلُ الْهَاطِلُ
وَإِنْ قَرَّتْ تَقَرَّرُ الْعِي نُنْفِيْنَا يُضْرَبُ الْمَثَلُ

وقوله^(٥) :

لَمْ أُنْسَ لَيْلَةَ زَارِنِي وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ
ثَمَلًا يَمِيلُ كَأَنَّهَا عَمِيَتْ بِهِ رِيحُ الْجَنُوبِ
وَلَرَبَّمَا جَادَ الْبَخْمِيلُ وَرَبَّمَا صَدَقَ الْكَذُوبُ^(٦)

(١) خلاصة الأثر ١/ ١٣٨ .

(٢) في خلاصة الأثر : « يحاذر بأسها الأسل » .

(٣) في م : « لأن شط المزار بها » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) في ا ، م : « مواطىء نعلها القبل » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) من هنا إلى آخر الترجمة ساقط من : ب ، ج .

(٦) في ا : « ولربما صدق الكذوب » .

فَهَضْتُ إِجْلَالاً لَهُ وَالْقَلْبُ بِالْقِيَا طَرُوبُ
وَفَرَشْتُ خَدَيَّ مَوْطِنًا فَشَى عَلَيْهِ وَلَا لُغُوبُ
وَضَمَمْتُهُ وَلَثَمْتُ فَا هُ الَّذِي مِنْ كَأْسٍ وَكُوبُ
حَتَّى بَدَا الْإِصْبَاحُ وَهُ وَلَدَيْ مِنْ أَذْهَى الْخُطُوبُ
وَلَوَى بِهِ مِنْ حَيْثُ جَا وَمُقَلَّتِي غَبْرَى سَكُوبُ
هَذَا الَّذِي أَهْوَاهُ إِذْ حَازَ الْبَهَاءَ عَلَى ضُرُوبُ
مَلَأَ الْمَسَامِعَ وَالْحَوَا طَرَ وَالنَّوَاطِرَ وَالْقُلُوبُ

وقوله (١) :

وَشَرِبَ أَدَامُوا الْوَرْدَ مِنْ أَكْوِيسِ الطَّلَا وَقَدْ أَنْفَعُوا الْإِصْدَارَ عَنْ ذَلِكَ الْوَرْدِ
سَقَطْنَا عَلَيْهِمْ كَمَا نَلَذَّ لَدَيْهِمْ سَقُوطَ الدَّيِّ عِنْدَ الصَّبَاحِ عَلَى الْوَرْدِ

وقوله (٢) :

عَاطِيَتُهُ حَلَبَ الْعَصِيرِ وَلَا سِوَى زَهْرِ السَّمَاءِ تَجَاهَ زَهْرِ الْمَجْلِسِ (٣)
أَنْظُرْ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مُتَبَرِّمٌ مِمَّا تَفَازِلُهُ عَيُونُ النَّرَجِسِ
وَكُنْ صَفْحَةً خَدِّهِ يَاقُوتَةً وَكَأَنَّ عَارِضَهُ خَيَلَةُ سُفْدُسِ
وَأَصْلُهُ لَابِنُ هَانِي الْأَنْدَلُسِيِّ (٤) :
عَاطِيَتُهُ كَأَسًا كَأَنَّ شُعَاعَهَا شَمْسُ النَّهَارِ يُضِيئُهُ إِشْرَاقَهَا

(١) خلاصة الأثر ١/١٣٧ .

(٢) خلاصة الأثر ١/١٣٧ .

(٣) في خلاصة الأثر : « تَجَاهَ » حول المجلس .

(٤) نقل الحبي هذه الأبيات ، ونسبها لابن هاني أيضا في خلاصة الأثر ١/١٣٧ ، وليست في ديوانه ، كما أني لم أجدها في شرح ديوانه ، تبين المعاني .

أَنْظُرْ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مُتَنَصِّلٌ بِحُفُونِهِ مِمَّا جَنَّتْ أَخْدَاقُهَا
وَكُنْ صَفْحَةً خَدَّهِ وَعِذَارَهُ تَفَاحَةً حَفَّتْ بِهَا أَوْراقُهَا

وقوله (١) :

خَالَسْتُهُ نَظْرًا وَكَانَ مُورِّدًا فَازْدَادَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَلَهَّبَا (٢)
أَنْظُرْ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مُتَنَصِّلٌ بِحُفُونِهِ مِنْ طُولِ مَا قَدْ أَذْنَبَا (٣)
وَكُنْ صَفْحَةً خَدَّهِ وَعِذَارَهُ تَفَاحَةً رُمِيتَ لَتَقْتُلَ عَقْرَبَا



(١) ديوانه (بيروت) ١٦ ، وتبيين المعاني ٨٢ ، ٨٣ ، وخلاصة الأثر ١/١٣٧ .
(٢) في خلاصة الأثر : « عاطيته نظرا » ، وهي رواية توافق ما في تبيين المعاني ، ورواية الرميحانة توافق الديوان ، وفي الديوان ، وتبيين المعاني : « فاحر حتى كاد أن يتلهبا » . وبعد هذا البيت في الديوان ، والتبيين :

هذا طراز ما العيون كَتَبَهُ لَكِنَّهُ قَبْلَ الْعُيُونِ تَكْتُبَا

(٣) في الديوان ، والتبيين : « بحفونه ولقد يكون المذنب » .

ومن أربابها المذللين إلى منازل الفناء ، السائرين عند
وصولى بها إلى دار البقاء ، الأجدد الأوحى ، العلم المفرد^(١) :

٣٨

عبد الحق الشامي ، المعروف بالحجازي*

وهو ، كما أخبرت به ، ذو فضل جسيم ، والسابقون السابقون أولئك المقرَّبون في
جنات النعيم .

أما الفصاحة فهو من الغرِّ المحجلين يوم رهاها .
وأما الفضائل فهو من السابقين في حلبة ميدانها ، المرتضين درَّ المعالي في حُجُور
الفضائل ، المرتدين برُود المسكارم وشملة الشمايل ، العاكفين في حرَم العفاف ،
المقتطفين لجنى المجد الغضِّ القطاف .

فمن ثماره المُفتَح عنها^(٢) عيون أنواره ، الدالة^(٣) على طيب المغرِّس وزكاه
المتبَّت ، قوله من قصيدة طويلة :

سقى الرِّبْع هَطَّالٌ من المزنِ ساكِبُ وجادت عليه السَّارياتُ السَّوارِبُ

(١) في ج : « العالم » .

(*) عبد الحق بن محمد بن محمد الحصى الدمشقي الحجازي الشافعي ، زين الدين .
ولد سنة اثنتين وستين وتسعمائة ، وخرج في شبابه إلى حلب مغاضبا لوالده ، ثم رجع ، وسافر إلى الروم .
وقد أخذ عن أبيه مكانه في مدارس دمشق .

وكان أديبا متمكنا من فنون كثيرة ، جيد الفسكرة ، لطيف المعاشرة .
أقعد بالفالج سنتين ، ثم توفي سنة عشرين بعد الألف .

تراجم الأعيان لوحة ١٢٩٢ ، خبايا الزوايا لوحة ٦٣ ب ، خلاصة الأثر ٣١٠/٢ .
(٢) ساقط من : ب ، ج ، وفي أ : « عن » .

(٣) في أ ، ب ، ج : « الدال » .

هَدِيَّةٌ رَجَافِ الْعَشِيِّ كَأَنَّهُ
وَكُلُّ صَدُوقِ السَّبَرِ دَانٍ رَبَّاهُ
تُزَجِّيه أَنْفَاسُ الشَّمَالِ وَتَمْتَرِي
يُرَوِّى بِهَا فِي سَيْبِهِ بَاطِنَ الثَّرَى
كَأَنَّ هَدِيرَ الرَّعْدِ فِي جَنَبَاتِهِ
كَأَنَّ دُمُوعَ الْمُزْنِ وَهِيَ سَوَاكِبُ
فَذَاكَ الْحَيَا لَا زَالٍ فِي أَرْئُعِ الْحَمَى
فَتُصْبِحُ مِنْهُ الْأَرْضُ مُحَضَّرَةً الرُّبَى
وَيُصْبِحُ مَنْثُورًا بِهَا رَبِيقُ الْحَيَا
خَائِلٌ فِيهَا لِلطَّبَّاءِ مَسَارِحُ
وَفِيهَا لِأَطْرَافِ الْغُصُونِ وَنَوْرِهَا
كَأَنَّ ثُمُورَ النُّورِ وَهِيَ بَوَائِمُ
تَهَادَى ظِلَاهُ الْوَحْشِ فِي عَرَصَاتِهَا
كَأَنَّ الرُّسُومَ الدَّارِسَاتِ أَصْبَرِي
فَوَا أَسْفَلَ الْقَلْبُ مِنْ سَكْرَةِ الْهَوَى
فَنَ لِي بِحِفْظِ الْعَهْدِ مِنْ ذِي صَبَابَةٍ

كُتَائِبُ تَقْفُو إِثْرَهُنَّ كُتَائِبُ^(١)
تَنُوءُ فُوقَ الْأَرْضِ مِنْهُ الْهَيَادِبُ^(٢)
ضُرُوعَ عَزَالِيهِ الصَّبَا وَالْجُنَائِبُ^(٣)
وَتَمَحَّى لِسْفِيَاهَا الْمُحُولُ الْأَوَازِبُ^(٤)
هَدِيرُ قُرُومٍ هَيَّجَتْهَا الضَّوَارِبُ
دُمُوعُ مُحِبٍّ فَارَقَتْهُ الْحَبَائِبُ^(٥)
مَرِيئًا بِهِ مِنْهَا الزُّلَالُ الْخَضَارِبُ^(٦)
مُجَلَّلَةً بِالرَّيْطِ مِنْهَا الْأَهَاضِبُ^(٧)
كَأَنَّ ثَرْتًا مِنْ جِيدِهَا السَّمَطُ كَاعِبُ
وَفِيهَا لِأَذْيَالِ الرِّيحِ مَسَاحِبُ
عَيُونٌ عَلَتْ مِنْ فَوْقِهَا حَوَاجِبُ
بَارِجَاتِهَا الْقُصُوفُ نَجْمُومٌ ثَوَاقِبُ
كَأَنَّ تَهَادَى فِي الْقُصُوفِ الْمَرَازِبُ^(٨)
عَشِيَّةٌ حُقَّتْ بِالْقَطِينِ الرَّكَائِبُ
يُفِيقُ وَلَا مِنْ غَيْبَةِ الشُّوقِ آيِبُ
أَضَاعَتْ هَوَاهُ الْمُذْنِبَاتُ الْعَوَاتِبُ

(١) سقط عجز هذا البيت وصدر الذى يليه من : ا .

(٢) الهيدب من السحاب : المتدلى الذى يدنو من الأرض وتراه كأنه خطوط عند انصباب المطر .

(٣) العزالي : جمع العزلاء ، وهو مصب الماء من القرية ، وهو يشير إلى شدة وقع المطر .

(٤) في م : « في سيبها » ، ولزب الطين : لصق وصلب .

(٥) في ا : « كأن عيون المزن » ، وفي ا ، ب ، ج : « وهى سواكل » ، وفي ج : « وهى سواكل » .

(٦) ماء خضارب : عوج بعضه في بعض ، ولا يكون إلا في غدير أو واد . القاموس (خضرب) .

(٧) في ا : « بالريط منه » . (٨) المرزبان : الرئيس في الفرس .

تَهْبُ معى من هَجَمَةِ العَجَزِ رَبِّمَا تَنْزَالُ بِأَشْفَاعِ الْجُدُودِ الْمُطَالِبُ
فَقَدْ تَذَرَكُ الْحَاجَاتُ وَهَى فَوَائِتُ وَقَدْ تَصَدَّقَ الْأَمَالُ وَهَى كَوَاذِبُ

وقوله : « هدية رجّاف » المراد بالرجّاف : الماء الجارى ، ^(١) وأصل معناه ^(١) المتحرّك المضطرب ، ولهذا سُمِّيَ البحرُ رجّافا ، كما قاله أهل اللغة .

ولهذا أجاد القائلُ في مُرْتَعَشِ الْيَدِ :

مَا هَزَّ رَاحَتَهُ سِوَى فَيْضِ النَّدى وَالْبَحْرُ مِنْ أَسْمَانِهِ الرَّجَّافُ

وقوله : « وفيها لأطراف الغصون » البيت ، كقول ابن نباتة السعدى ، من قصيدة له ^(٢) ، مطلعها :

رَضِينَا وَلَمْ تَرْضِ السُّيُوفُ الْقَوَاضِبُ نَجَازِبُهَا عَنْ هَامِمِهِمْ وَتُجَازِبُ ^(٣)
ومنها :

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا فِي ظُهُورِهِمْ عُيُونًا لَهَا وَقَعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ ^(٤)
وتابعه أبو إسحاق إبراهيم الغزّى ، فقال :

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ بِسُمْرِ الْقَنَا وَالْبَيْضِ عَيْنًا وَحَاجِبًا
وهنا لنا فائدة نفيسة ، وهى أن من أهل المعانى مَنْ ادَّعى أن يَبْتَ الغزّى أَبْدَعُ ^(٥) ،

(١) فى ١ : « ومعناه » .

(٢) بَيْتِيمة الدهر ٣٨٦/٢ ، وَأَمَالِي ابن الشجرى ١٨٣/٢ .

(٣) فى الْبَيْتِيمة ، وَالْأَمَالِي : « رَضِينَا وَمَا تَرْضَى . . . عَنْ هَامِمِهِمْ . . . » .

(٤) فى الْبَيْتِيمة ، وَالْأَمَالِي ١٨٧/٢ : « لَظْهُورِهِمْ » .

(٥) نسب الْحَمْدِي فى خلاصة الأثر ٣١٤/٢ هذا الرَّأْيُ إِلَى الْمُتَرْجِمِ ، فى جواب سَوْأَلِ رَفْعِ إِلَيْهِ ، إِلَى الْمُتَرْجِمِ ، فى الْفَرْقِ بَيْنَ بَيْتِي ابن نباتة السعدى وَأَبْنَى إِسْحَاقَ الْغَزَّيِّ ، فَقُلْنَا عَنْ الشَّهَابِ الْحَفَاجِي .

لما فيه من الطَّباق بين السُّمر والبيض ، ورَدَّ العَجْزُ على الصِّدر ، واللفّ والنَّشر ،
ومراعاة الفطير .

وادّعى أنه يجوز أن يُراد بالعَيْن فيه الرَّئيس ، وبالحاجب مَنْ يَتَّبِعُهُ وَحُجَّابُهُ ،
والمعنى أن رماحنا وسيوفنا نالت الحاجب والحجوب ، والرئيس والمرءوس ، مع اشتماله
على التَّورية والاستعارة ، وهو جميعه ممَّا خَلَا عنه البيت الأول ، مع ما فيه من الافتخار
بقتال الأعداء الثَّابتين ، دون المُنهزمين ، فإنه لا يُفْتَخَرُ بِمِثْلِهِ .

وهذا عِيبُ البيتِ الثَّاني أيضا ، وإن ذكر صاحبُ « إيضاح المعاني »^(١) أنه أبلغُ
لاشتماله على زيادة معنًى ، وهو الإشارة إلى انهزائمهم ، وأطال^(٢) فيه وأسهب ،
وبعد وقرب .

والحق ما ذهب إليه^(٣) خطيبُ المعاني ، فإن الفضل للمتقدِّم ، وبيت الثُّبَاتِ ،
أَحْلَى لما فيه من التَّشبيه البديع ، بِجَمْعِ أثر الطَّعنة المستديرة^(٤) من الرمح^(٥) عِينًا ،
وشطبة السِّيف فوقها حاجِبًا ، والإغراب بِجَمْعِ الظَّهْر محلَّ العين والحاجب .

وأما انهزائمهم فلا يدلُّ على عدم شجاعتهم ، حتى يُحِلَّ بالفخر ؛ فإن الشجاع
يُنْهَزِمُ مَنْ هو أشجع منه ، ولهذا قالوا : « الفرار ممَّا لا يُطاق من سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ »^(٥)

(١) ذكر الخطيب القزويني هذا في آخر كتابه إيضاح المعاني ، في الباب الذي عقده للسرفات . انظر
شروح التلخيص ٤/٤٨٦ .

(٢) الضمير في « أطال » غير راجع إلى الخطيب القزويني ، ولعله راجع إلى المترجم ، كما يدل عليه سياق
السلام في خلاصة الأثر .

(٣) في خلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « صاحب الإيضاح » .

(٤) ساقط من : أ ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) في خلاصة الأثر ٢/٣١٥ : « الأنبياء » .

كما فرَّ موسى حين ممَّ به القَبْطُ^(١) .

وما ذكره من^(٢) معنَى العين والحاجب سخيْف ، وتخيِّل ضعيف ،^(٣) مع أن جعلَ الضَّرْب^(٤) في العين والحاجب من العجائب^(٥) .

وقد مرَّ لي ما نحوْتُ فيه نحو ابن نُباتَة بعينه وحاجبه ، وهو :

وتنظرُهُ في قَلْبِي الصَّبَّ أَعْيُنُ عَلَيْهَا لَمَحْنِي الضُّلُوعِ حَوَاجِبُ

وما ذَكَرَ من النَّدَعِ عَلَيْهِ نَقْلَهُ ابنُ الشَّجَرِيِّ في « أُمَالِيهِ »^(٥) عن الشَّرِيفِ المُرْتَضَى ، وقال : إنه عَابَ عَلَيْهِ قوله : « بظهورهم »^(٦) وقال : لو قال : « بصدورهم »^(٧) كان أَمْدَحَ^(٨) ؛ لأن الطَّمَنَ والضَّرْبَ في الصُّدُورِ^(٩) أدلُّ على الإقْدَامِ والشَّجَاعَةِ للطَّاعِنِ والضَّارِبِ ، والمطعمون والمضروب ، لأن الرجلَ إِذَا وَصَفَ قِرْنَهُ بالإقْدَامِ مع ظُهورِهِ عَلَيْهِ ، كان أَمْدَحَ من وَصَفِهِ بالانْهَرَامِ^(١٠) ، كما قال أبو تَمَّام^(١١) :

(١) يعني قوم فرعون . وفد ذكرهم التويرى باسم القبط أيضا عند سياقه الخبر . انظر نهاية الأرب ١٨٣/١٣ .

(٢) في ١ : « في » .

(٣) وردت العبارة في خلاصة الأثر ٣١٥/٢ نقلا عن الحفاجي هكذا : « على أن جعل العين والحاجب بمعنى الرئيس والمرءوس فن العجائب » .

(٤) في ١ ، ب ، ج : « القبر » .

(٥) أمالي ابن الشجري ١٨٧/٢ .

(٦) في الأمالي : « لظهورهم » .

(٧) في ب ، ج ، م : « بصدورهم » ، والثبت في ١ ، وأمالي ابن الشجري .

(٨) في أمالي ابن الشجري : « أمدح له من وصفه له » .

(٩) في ١ : « الصدر » . (١٠) جاء بعد هذا في أمالي ابن الشجري : « كما قال الأول :

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدماء »

ولم يذكر بيت أبي تمام ، وسياق الرواية في خلاصة الأثر ٣١٥/٢ يعادل مافي الريحانة .

(١١) ديوان أبي تمام (بشرح التبريزي) ٢٢٢/٢ .

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُذَبِّرٍ وَتَنْذَقُ فِي أَعْلَى الصُّدُورِ صُدُورُهَا
ولذا قال بعضُ المحققين : القولُ بأنَّ قَدْ لَتَّ كَثِيرٌ فِي قَوْلِهِ (١) :
قَدْ أَتْرَكُ الْقِرْنَ مُصْفَرًّا أُنَامِلُهُ كَانَ أَثْوَابُهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادِ (٢)
لمناسبةٍ مقامِ المدح ، مِنْ قِصُورِ الْفَهْمِ .

نَمْ لَمْ أَزَلْ أَتَوَكَّأُ عَلَى الْبَيْضَاءِ وَالصَّفْرَاءِ ، وَأَقِيلُ تَحْتَ قِيَابِ الْخَضْرَاءِ وَالزَّرْقَاءِ ،
حَتَّى قَدْ فَتَنَنِي لَهَوَاتُ الْمَهَامِسِ إِلَى حَلَبِ الشَّهْبَاءِ ، وَالنَّاسِ بَيْنَ مُقَوِّضٍ وَرَاحِلٍ ،
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا عَقَبٌ (٣) وَمَرَّاحِلُ ، إِذْ ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ كُلُّ
مَذْهَبٍ ، وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ ، إِنْ تَرَكْتَهُ أَذَى جَسَدِكَ ، وَإِنْ
حَكَكْتَهُ أَذَمِيَّتُهُ وَلَوَثَّتْ يَدُكَ .

عَلَى أَنْتَنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَاللَّهِ مَنِّي الْحَمْدُ عِرْضِي أَمْلَسُ

فَأَلْقَيْتُ فِيهَا عَصَا التَّسْيِيرِ ، عَنْ كَاهِلِ الْعَزَائِمِ ، لَمَّا تَفَقَّحَتْ بِهَا عَنْ زَهْرَةِ الْمَسَرَّةِ
خُضْرُ السَّكَمَائِمِ ، فَإِذَا هِيَ رَوْضَةٌ مُخَضَّرَةٌ الْأَفْنَانِ ، أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ أَهْدَتْهَا
لَنَا الْجِنَانِ .

(١) ذكر ابن منظور هذا البيت في اللسان (ق د د) ٣/٤٧٧ للاستدلال على أن قد تكون مع بعض الأفعال بمعنى ربما ، ونسب البيت للهلذلي ، ولم يعينه ، ونقل عن ابن بري أن البيت لعبيد بن الأبرص . ونقل الزبيدي هذا كله وأضاف إليه نقلا عن الزمخشري ، في تاج العروس (ق د د) ٢/٤٦٢ .

(٢) في ١ : « قَدْ أَتْرَكُ الْقِرْنَ » . والفرصاد : يحجم الزبيب والعنب ، وهو أيضا : الثوت . اللسان (ف ر ص د) ٣/٣٣٣ .
(٣) العقبة : النوبة .

وكأَنَّمَا الخَضْرَاءُ مِنْ طَرَبٍ بِهَا نَثَرْتُ كَوَاكِبَهَا عَلَى الْأَغْصَانِ
ولَهَا حِصْنٌ كَأَنَّهُ وَكُرٌّ لِنَسْرِ السَّمَاءِ ، أَوْ هَامَةٌ مُعَمَّمَةٌ ^(١) بِسَحَابَةٍ دَكْنَاءٍ .
أَرْضُهَا مَفْرُوشَةٌ بِدِيْبَاجٍ نَبَتٍ مُرْصَعٍ بِالزُّهُورِ ، وَحِيطَانُهَا مُجَلَّلَةٌ بِسِتَائِرِ
الْبَهَاءِ وَالنُّورِ .

نَسِيمُهَا أَغْطَرُ مِنْ عَرَفِ شَمِيمِهَا ، وَأَهْلُهَا الْطَفُّ وَأَرْقُ مِنْ نَسِيمِهَا ، مِنْ كُلِّ فَاضِلٍ
مُلِثَتْ بِالْفَضْلِ ثِيَابُهُ ، وَمَا جَدٍ قَدْ حُشِيَ بِالْكَرَمِ إِهَابُهُ ، وَأَدِيبٍ رَقَّتْ ^(٢) شَمَائِلُهُ .

* فَلَوْلَا الْبُرْدُ يُمَسِّكُهُ لَسَالَا ^(٣) *

وَعَذَبَتْ كَلِمَاتُهُ وَرَسَائِلُهُ .

* فَأَرَشَفَنَا عَلَى ظَمَاءٍ زُلَالَا ^(٤) *

فَكَانَ مِمَّنْ لَمَعَتْ بَوَارِقُ بَشِيرِهِ ، وَبَاحَتْ خَوَاطِرُ نَسِيمِ لُطْفِهِ بِأَمْرٍ نَشِيرِهِ ،
الْفَاضِلُ الْكَامِلُ ، الْمُرْتَدِيْ بِمَجْبَرِ الشَّمَائِلِ ، الْعَاكِفُ فِي ^(٥) حَرَمِ الْإِفَادَةِ ، الطَّالِعُ نَجْمُهُ
مِنْ ^(٦) أَفْقِ السَّعَادَةِ :

(١) في ١ : « بكل ساحة دكناء » ، وفي ب : « سحابة دكناء » ، وفي ج : « سحابة وكفاء » .

(٢) في ١ : « راقى » ، وفي ج : « رقت بالفضل شمائله » .

(٣) أخذ هذا من قول أبي العلاء المعري :

يَذِيبُ الرَّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْغِمْدُ يُمَسِّكُهُ لَسَالَا

شروح سقط الزند ١٠٤/١ .

(٤) صدر بيت لأبي نصر أحمد بن يوسف المنازى ، وعجزه :

* أَرْقَ مِنْ الْمَدَامَةِ لِلنَّدِيمِ *

انظر معجم البلدان ٦٤٩/٤ ، معاهد التنصيص ٨٥/١ .

(٥) في م : « على » . (٦) في م : « في » .

أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهَّاب الشَّافِعِي ،
العُرْضِيُّ الحَلَمِيُّ *

(١) فَلَقَيْتَنِي مِنْهُ حَبْرٌ مُجِيدٌ ، وشاعرٌ مُجِيدٌ ، وأديبٌ يَضَعُ القِلَادَةَ فِي الجِيدِ .
له فضلٌ لَمْ تَنْظُرْ عَيْنُ الدَّهْرِ لِمُنَافِيهِ ، بل كَلَّمَا أَجَالَ طَرْفَهُ رَأَى كُلَّ لَمْنٍ فِيهِ ،
فَإِذَا وَادٍ خَصِيبُ النَّوَى وَالشَّمْرِ ، وَحَدِيقَةٌ مُنَمَّنَةٌ الْأَطْرَافِ وَالطَّرَرِ ، سَقَتْهَا غَمَامٌ
نَدَاهُ (٢) ، وَبَاكَرَهَا صَيْبٌ جَدُّوَاهُ ، بِلَا مِنَّةٍ لِحَوَامِلِ السَّحَابِ ، وَلَا اِنْتِظَارٍ لِقَوَائِلِ
الصَّبَا وَالْجَمَائِبِ .

صَرَفَ نَقْدَ أَوْقَاتِهِ ، وَرَأْسَ مَالِ عُمْرِهِ وَحَيَاتِهِ ، فِي تَحْصِيلِ رِيحِ الْفَضْلِ
وَالْعِبَادَةِ ، (٣) وَتَرَكَ فَضْلَ الْعَيْشِ وَفُضُولَ النَّاسِ لِمَا رَأَى فِي تَرْكِهِمَا مِنَ السَّعَادَةِ (٤) ،

- (*) أبو الوفاء ابن عمر بن عبد الوهَّاب بن إبراهيم الشافعي الحلبي العرضي .
مفتي الشافعية بحلب ، وابن مفتيها ، وأحد أعيان العلماء في المعرفة والإتقان والحفظ والضبط .
اشتغل بالتدريس ، والتصنيف ، والإفتاء .
كانت ولادته سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ، وتوفي سنة إحدى وسبعين وألف .
لإعلام النبلاء ٣٠٨/٦ ، تراجم الأعيان لوحة ٣٧٩ ب ، خبايا الزوايا لوحة ٦٦ ب ، خلاصة
الأثر ١٤٨/١ .
وفي م : « العرضي » ، في هذا الترجمة وفيها يليها ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، ومصادر الترجمة .
وعرض ، التي ينسب إليها المترجم ، يضم أوله وسكون ثانيه : بليد في برية الشام ، بين تدمر والرصافة
المشامية . يقول ياقوت : يدخل في أعمال حلب الآن . معجم البلدان ٦٤٤/٣ . وانظر استدرارك ابن
الأثير على ابن السمعاني . اللباب ١٣٢/٢ .
(١) نقل الطباخ في إعلام النبلاء ٣١٢/٦ من هنا إلى قوله : « لنطرز حلله بطراز المأثور . والسلام »
الآتي صفحة ٢٧٢ عن م .
(٢) في ا : « يدها » ، وفي ج : « نداه » ، والمثبت في : ب ، م .
(٣) ساقط من : ا .

(١) ورأى في (١) كلُّ بُكْرَةٍ وَعَشِيَّةٍ، حُبْلَى جَنِينِ نَوَائِبِهَا (٢) فِي مَشِيمَةِ الْمَشِيَّةِ .
ولما شِئَتْ كَرَمَهُ وَسَيَّبَهُ، وَرَدَّتْ رَيْبَعًا زَرًّا عَلَيْهِ جَيْبِهِ، انْتَدَبَ لِمُلَاقَاتِي، وَابْتَدَرَ
وَحَيْرَ أَنْوَارِ الرَّبِيعِ مَا بَكَرَ .

وكتب إلى مادحا ، ولزّند فيكري قادحا قوله :

أَرَى الشَّهْبَاءَ لِلْعَلِيَّاءِ قِبَابًا	أَلَمْ تَرَ أَفْقَهَا أَبْدَى شِهَابًا
وَقَبْلُ كَسَتْ مَعَالِمَهَا الدِّيَاجِي	مُسْرِبَةً ذُرَاهَا وَالْهَضَابَا
وَكَدَّرَ صَفْوَوَ مِنْهَلِمَا قَتَامٌ	أَحَالَ شَرَابَهَا الصَّافِي سَرَابًا
وَجَرَّعَهَا كُؤُوسَ الْجَوْرِ صِرْفًا	وَلَوْ سُقِيَ الْغَرَابُ بِهَا لَشَابَا
وَكَانَ الْجَهْلُ مُنْسِعَ الْفَيَافِي	يَضِلُّ الْأَلْمَعِيُّ بِهَا الصَّوَابَا
وَضَاقَ الْعِلْمُ ذُرْعًا حِينَ سُدَّتْ	مَنَاهِجُهُ وَضَاقَ بِهَا رِحَابَا (٣)
تُعَلِّمُهَا الْمَطَامِعُ كَاذِبَاتٍ	وَكَمْ عَادَتْ سَحَابَتُهَا ضَبَابَا (٤)
إِلَى أَنْ حَلَّتْهَا رُوحُ الْمَعَالِي	وَطَوَّقَ عِقْدَ مِنْتِهِ الرَّقَابَا
إِمَامُ الْعِلْمِ بَخْنًا وَاكْتِسَابَا	مُشِيدُ الْفَضْلِ إِرْثًا وَانْتِسَابَا
فَوَاصِلُهَا بِغَيْرِ سَبَاقٍ وَعَدٍ	وَفَاجَأَهَا بِنِعْمَتِهِ اخْتِسَابَا
فَأَهْلًا بِالَّذِي مِنْهُ اسْتَنَارَتْ	مَعَالِمُهَا وَقَدْ عَزَّتْ جَفْسَابَا
وَقَدْ وَطِئَتْ عَلَى هَامِ الثَّرْيَا	وَنَظَّمَتْ النُّجُومَ لَهَا نِقَابَا
فَقَرَّ بِهَا وَقَرَّ بِهَا وَادَادَا	وَقَرَّ عِيُونَ أَهْلِهَا اقْتِرَابَا

(١) في ا، ب، ج : « لا رأى كل . . . » .

(٢) في ا، ب، ج : « نوائبها » .

(٣) في ا : « الرحبا » .

(٤) في ا : « تعلّمها المطالع » .

وقد ظفرت بكَنْزِ الجَدِ حَتَّى أحوال التَّبَرِّ للذَّهَبِ الثَّرَابِ^(١)
 وفاضَ بحارُ كَفَيْهِ علوماً وأتبعها بمنطقه عُمُـابَا
 ونَصَّرَ وجهَ روضِ الفضلِ لَمَّا سقاءهُ من فوائده رَبَابَا^(٢)
 قد ازدحمتْ بمورده عفاةُ الـ فضائلِ حينَ ما سأل انصِيبَا
 وقد ملأوا رَكايهم ورامُوا ذخائره انتهازاً وانتهاءً^(٣)
 إذا جال السؤالُ بفكرِ شخصٍ قبيلَ النطقِ لَبَّاهُ جوابَا
 فيما ذخَرَ العلومِ فدتكِ نفسِي ونادتكِ العُلا تبغِي الثَّوَابَا^(٤)
 أقولُ قلمي عِثاراً زكاً فيه فما وَفَى المدحِ ولا أصابَا
 وكنتُ نبذتُ شِعْري في قِفارٍ نسيْتُ الأُنسَ منه حينَ غابَا^(٥)
 إذِ الأيامُ قد رَفَعَتْ بُعْثاً نَخَّالتُ أَسْـها تَرْقِي العقابَا
 وظنُّوا أنهم كَنَزُوا علوماً وأنهم اللهُ ما ملكوا نصابَا
 أأمِدُّ مَنْ بَنَظَمِي ليس يَذْرى حَمِيماً قد أرذتُ أمَ الحَبَابَا^(٦)
 وكان القصدُ من قصْدي تُجَازِي من المدوحِ لو فهمَ الخطابَا
 ولولا أَنَّكَ السَّامِي مقاماً له الأفلاكُ طَاطَاتِ الرِّقَابَا
 وكان بِمدْحِكَ العالی افتِخاري لما ذَهَبْتُ بالمدحِ الكِتَابَا^(٧)

(١) في أ: « أحوال التبر » .

(٢) في ج: « من فرائده ربابا » ، وفي م: « من مواهبه ربابا » ، والثبت في ن: ب . والرباب: السحاب الأبيض ، واحدته ربابة .

(٣) الركايا: جمع الركبة ، وهى البئر تحفر ، اللسان (ركى) ٣٣٤/١٤ ، ولعله أراد بالركايا جمع الركوة ، وهى شبه تور من آدم ، تتخذ الماء . وجمعها ركاء وركوات .

(٤) في أ ، ب ، ج : « وفادتكِ العلاء . . . » .

(٥) في أ : « نسيْتُ الأُنسَ فيه » .

(٦) و أ ، ب ، ج : « أو الحبابا » . (٧) في م : « لما أذهبت بالمدح الكتابا » .

فَدُمَ يَارِزِينَةَ الدُّنْيَا بِمَجْدٍ تَقْنَعَتِ الْعُلَا مِنْهُ اخْتِجَابًا^(١)

ثم كتب بعدها :

لقد طَفَعَتِ أَفْنَدَةُ الْعُلَمَاءِ بَشْرًا^(٢) ، وَاِرْتَاخَتْ أَسْرَارُ السَّكَمِلِينَ سِرًّا وَجَهْرًا ،
وَأُفْعِمَتِ^(٣) مِنَ الْمَسْرَةِ صَدُورُ الصُّدُورِ ، وَطَارَتْ الْفَضَائِلُ بِأَجْنَحَةِ الشُّرُورِ ، بِيَمْنِ
قُدُومِ^(٤) مَنْ اخْضَرَّتْ رِيَاضُ التَّحْقِيقِ بِأَقْدَامِهِ ، وَغَرِقَتْ بِحَارُ التَّدْقِيقِ مِنْ سَحَابِ
أَقْلَامِهِ ، وَتَلَالُاتُ غُرَرِ الْمُبَاحِثِ إِشْرَافًا ، وَأُجْرِيَتْ^(٥) مَسَائِلُ الطَّالِبِينَ فِي مِيَادِينِ
التَّوَضِيحِ سُبُاقًا .

أَعْنَى بِهِ جُهَيْنَةُ أَخْبَارِ الْعُلُومِ ، وَخَازِنَ أَسْرَارِ الْمَنْطُوقِ وَالْمَفْهُومِ ، الْمُؤَسَّسَ لِدَعَائِمِ
الْأَحْكَامِ فِرْعَا وَأَصْلًا ، وَالسَّابِقِ فِي مِضْمَارِ التَّحْقِيقَاتِ^(٦) مِنْذُ كَانَ طِفْلًا .

وَقَدْ خَدَمَتْهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي كَتَبَتْهَا عَجَلًا ، وَكَفَتْ أَضْمَرَتْ أَلَا أَفْوَهَ بِكَلِمَةٍ
مِنْهَا خَجَلًا ،^(٧) لَكِنْ ظَنَنْتُ^(٨) بِالْمَوْلَى كُلِّ جَمِيلٍ ، وَرَأَيْتُ سَتْرَهَا بِذَيْلِي^(٩) السَّمَاحِ
وَالصَّفْحِ^(١٠) مِنْ فَضْلِهِ^(١١) الْجَزِيلِ .

هَذَا ، وَإِنْ الْعَبْدَ كَتَبَ تَارِيخًا سَمَاهُ « مَعَادِنُ الذَّهَبِ » ، فِي الْأَعْيَانِ^(١٢) الْمَشْرِقَةِ بِهِمْ
حَلَبِ^(١٣) « سَيَعْرِضُ بَعْضُهُ عَلَيْكُمْ ، وَيُبَوِّقِي^(١٤) بِأَنْمُودِجٍ مِنْهُ لَدَيْكُمْ ، وَجُلُّ الْقَصْدِ
أَنْ تَسْكُتَبُوا إِلَى نَسَبِكُمْ وَأَشْيَاخِكُمْ ، وَمَقَرُّوآتِكُمْ ، وَبَعْضُ شَيْءٍ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ،
لِنُطَرِّزَ حُلَّاهُ بِطِرَازِ الْمَأْثُورِ . وَالسَّلَامُ .

(١) فِي أ : « تَقْنَعَتِ الْعُلَامَنُ حِجَابًا » . (٢) فِي أ ، ب : « بَشْرَى » .

(٣) فِي أ : « وَفَعِمَتْ » ، وَفِي ب : « وَأُفْعِمَتْ » .

(٤) سَاقَطَ مِنْ : أ . (٥) فِي أ ، ب ، ج : « وَأُجْرَتْ » .

(٦) فِي أ : « التَّحْقِيقُ » . (٧) فِي ج : « لَكِنْ انْظُنْ » .

(٨) فِي أ : « بَيِّدَ » . (٩) فِي أ ، ب ، ج : « بِفَضْلِهِ » .

(١٠) فِي ب : « الْمَشْرِقَةُ بِحَلَبِ » . (١١) فِي م : « وَيَأْتِي » .

وَأُنْشِدُنِي مِنْ شِعْرِهِ قَوْلَهُ ^(١) :
 بَوْرِدِ الْخَدِّ رَيْحَانٌ مُحِيطٌ وَتَرَكِي حُبَّهُ لَا أَسْتَطِيعُ
 وَقَلْتُ النَّفْسُ خَضْرَاءُ يَا عَذُولِي كَمَا قَدْ قَلْتُ وَالزَّمَنُ الرَّبِيعُ ^(٢)
 وَهَذَا مِثْلُ عَامِّي ^(٣) ، يَقُولُونَ : « النَّفْسُ خَضْرَاءُ ، تَشْتَهِي كُلَّ شَيْءٍ » .
 وَقَوْلُهُمْ : « تَشْتَهِي » لِمِخْ ، جَمْلَةٌ مُفَسَّرَةٌ لَخَضْرَاءُ .
 وَكَأَنَّ أَصْلَهُ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طُيُورِ
 خُضْرٍ ^(٤) » .



(١) إعلام النبلاء ٣١٠/٦ ، خلاصة الأثر ١٥٠/١ . ونقل الطباخ والمحبي تعقيب الحفاجي على البيتين .
 (٢) في خلاصة الأثر : « كما قد قيل . . . » .
 (٣) بعد هذا في خلاصة الأثر : « ترتم في الجنة » ثم عقب على هذا المحبي بقوله : « والأصوب أن
 يقال : لأن أصله ، ثلاثة تذهب عنك الحزن ؛ الماء ، والخضرة ، والوجه الحسن . ومعنى أن النفس خضراء ،
 أي تميل إلى الخضرة بالطبع » ، وقد نقل الطباخ هذا أيضا في إعلام النبلاء .
 (١٨ - ربحانة - ١)

٤٠

أخوه محمد بن عمر العُرْضِيَّ*

فاضلٌ نجيبٌ حَسِيبٌ ، صَحْبَنِي وَبُرْدُ شَبَابِهِ قَشِيبٌ ، وَغَصْنُهُ فِي رِيَاضِ
المَعَالِي رَطِيبٌ :

إِذْ غُصْنُ ذَلِكَ الشَّبَابِ مُعْتَدِلٌ لَمْ تَطْمَعِ الْحَادِثَاتُ فِي مَيْلِهِ
وَمَخَابِلُ النَّجَابَةِ عَلَيْهِ لَأْمَحَةٌ ، وَطَيُورُ الْبَلَاغَةِ فِي قَفْصِ سَطُورِ خَطِّهِ صَادِحَةٌ ، بِكُلِّ
مَا هُوَ أَسْرُّ مِنَ التَّهَانِي ، وَأَمَانِ الظَّافِرِ بِالْأُمَانِي ، وَحُلُلُ فَضْلِهِ زَامٍ بِآدَابِهِ طِرَازُهَا ،
وَعِدَاتُ الدَّهْرِ فِيهِ قَدْ ^(١) حَانَ إِنْجَازُهَا ، وَقَدْ يَجُودُ الْبَخِيلُ الشَّحِيحُ ، وَكَمْ لَاحَ تَحْتَ
الرَّغْوَةِ مِنْ لَبَنِ صَرِيحٍ .

فَلَمْ تَضِلَّ فِيهِ الظُّنُونُ ، لَمَّا قَضَتْ مَا فِي ذِمَّتِهَا مِنَ الدُّيُونِ ، وَفَكَتْ مَا عِنْدَهَا
مِنْ مُفْلَقَاتِ الرُّهُونِ .

فَأَنْشَدَنِي مِنْ مُقْطَعَاتِهِ ، وَأَهْدَى إِلَيَّ مِنْ حُبَّائِيهِ قَوْلَهُ ^(٢) :

لَمْ أَزَلْ مِنْ صَحِيفَةِ الْقَلْبِ أُمْلَى فِي دُجَى الْاِغْتِرَابِ سَطَرَ مِثَالِي ^(٣)

(*) محمد بن عمر بن عبد الوهاب العُرْضِي الحلي .

يقول فيه الحلي : كان من الفضل في مرتبة الآحاد ، ومن الأدب في مرتبة لاتال بالاجتهاد .
ولى القضاء مدة ، ثم اشتغل بالتدريس ، ثم ولى إفتاء الحنفية بحلب سنتين ، ثم سافر إلى الروم .
وحين مات أخوه أبو الوفاء المتقدم أخذ مكانه في إفتاء الشافعية بحلب ، والوعظ بجامعها .
توفي سنة إحدى وسبعين وألف ، وبلغ من العمر نحو ستين سنة .

لإعلام النبلاء ٣١٨/٦ ، خبايا الزوايا لوحة ١٦٧ ، خلاصة الأثر ٨٩/٤ .

(١) ساقط من : م ، وهو في : ا ، ب ، ج . (٢) خلاصة الأثر ١٠١/٤ .

(٣) في ا ، ب : « لم أزل في صحيفة القلب أملئ » ، والمثبت في : ج ، م ، وخلاصة الأثر .

ناصباً هُذَبَ جَفْنِ عَيْنِي شِبَاكَ فَعَسَى أَنْ أَصِيدَ طَيْفَ خِيَالِكَ^(١)
وقوله^(٢) :

يَا لَيْلَةَ طَالَتْ عَلَى عَاشِقٍ بَاتَ مِنَ الْوَجْدِ عَلَى جَمْرٍ
كَلِيلَةَ الْمِيلَادِ فِي طَوْلِهَا تَسِجُ فِيهَا الْعَيْنُ بِالْقَطْرِ^(٣)
كَأَنَّهَا تَكَلَّى جَنِينَ لَهَا أَغْرَقَتْ سَمْتَهُ بِالْفَجْرِ
وقوله أيضاً^(٤) :

ارْقُودُوا قَالِقُوداً لَيْسَ بِجَلْدٍ وَارْحَمُوا ذَلَّتِي وَطُولَ عَوِيلِي^(٥)
أَنَا شَحَّاذُ حُسْنِكُمْ وَعَيُونِي يَا غُنَاةَ الْجَمَالِ كَالْكَشْكُولِ^(٦)
وقوله أيضاً^(٧) :

قَالَ لِي الْحَبِثُ لِمَ وَضَعْتَ عَلَى الْأَنْزِ فِ عَيْونَا فِي عَيْونِكَ مَقْنَعُ
قَلْتُ مَذْ خَطَّ كَاتِبُ الْحَسَنِ نُونًا فَوْقَ نَفَرٍ كَحَاجِبِينَ وَأَبْدَعُ^(٨)
فَجَعَلْتُ الْعَيْونَ أَرْبَعَ عَلَى أَنْ أَرَى يَا رَشَّاقَ حَوَاجِبَ أَرْبَعِ

(١) في ١ ، ب ، ج : « لعسى أن أصيد » ، والمثبت في : م ، خلاصة الأثر وفي ١ ، ج ، خلاصة الأثر : « طير خيالك » ، والمثبت في : ب ، م .

(٢) خلاصة الأثر ٤ / ١٠٠ .

(٣) في خلاصة الأثر : « تسج فيها العين » تصحيف .

(٤) خلاصة الأثر ٤ / ١٠٠ .

(٥) في أصول الريحانة : « وارحموا ذلتي » ، والتصويب من خلاصة الأثر .

(٦) في خلاصة الأثر : « إن شحاذ حسنكم » .

(٧) خلاصة الأثر ٤ / ١٠١ ، وفيه : « وله في العيون المستعارة للنظر » .

(٨) في خلاصة الأثر :

قَلْتُ مَذْ خَطَّ كَاتِبُ الْحَسَنِ فِي نَفَرِكَ نُونًا كَحَاجِبِينَ وَأَبْدَعُ

وقوله أيضا^(١) :

ما قَصُرَتْ تلك الليالي التي في جُنْحِهَا بِتِ سَمِيرَ المِلاحِ
لَكِنْ أَشْوَاقِي لَذاكَ الرَّشَا قد عَاجَلَتْنِي خَوْفٌ وَشَكُّ البَراحِ^(٢)
شَقَقْتُ جَبِينًا كَالدُّجَى حَالِكًا عن صَدْرِهِ فَاَنْجَابَ عَنْهُ الصَّبَاحِ^(٣)

وقوله أيضا :

قد رَمَانِي بِالْمُؤْنِ سَاقِي زَمَانِي فَكَأَنِّي دِرْدِي كَاسٍ لِلدَّامِ
فَارَأَقْتَنِي الدَّامِي بَطْلَمَ فِي الزَّوَايا وَمَوْطِئِ الأَقْدَامِ

وقوله أيضا^(٤) :

عَابَ قَوْمٌ شَرِبَ الدَّامِ وَلَمْ يَذْ رُؤَا بَانَ التَّعْيِيبِ عَيْنُ العُيُوبِ^(٥)
جَبُرَ قَلْبُ الأَقْداحِ بِالرَّاحِ خَيْرٌ فِي اعتِقَادِي مِنْ كَسْرِ كَاسِ القُلُوبِ

وقوله^(٦) :

إِنْ ذَاكَ الرَّشَا الخِشْفَ الَّذِي مَاتَ عَنْهُ وَالِدٌ فَهُوَ كَظِيمٍ^(٧)
زَادَهُ مَوْتُ أَبِيهِ قِيَمَةً كَانَ دُرًّا ففَدَا اليَوْمَ يَتِيمَ

(١) خلاصة الأثر ٤/١٠١ ، ١٠٢ ، وقبله قوله : « ورجع إلى وطنه ، فأخذ يندب أوقاته الماضية ، فما قاله في ذلك العرض » .

(٢) في ١ ، ب ، ج : « قد عاجلتني فوق وشك البراح » ، وفي خلاصة الأثر : « ما عاجلتني خوف وشك البراح » .

(٣) في خلاصة الأثر : « عن صدره فانجباب لي عن صباح » .

(٤) خلاصة الأثر ٤/١٠١ . (٥) في خلاصة الأثر :

عَابَ قَوْمٌ شَرِبَ الدَّامَ وَلَا يَدُ رُونَ أَنْ التَّعْيِيبَ عَيْنُ العُيُوبِ

(٦) خلاصة الأثر ٤/١٠٠ ، وفيه : « وله في يتيم » .

(٧) الكظيم : المكروب .

وقوله أيضا :

قد زهدنا عشقا لدينار خدٍ سبكته حسنا يمين الباري
وتركت النوال والمال على أن أرى فيه مالك الدينار

وقوله أيضا ^(١) :

كان عهدي بالرؤم فيها يضوع ولم والآن ضاع فيها العلو
شيت فود سيد الرسل هود ولقد شيت فوادي الرؤم ^(٢)

وقوله ^(٣) :

كأنى وآمالى إذا ما تقهقرت وبرق أماني سراب وخلب
عروس مجيد الرقص حيناً إلى ورا وحيناً أماماً وهى بالبين تلعب

وقوله مضمناً :

السيف لما حكام لحظ ناظره ناديته بلسان فى الهوى لهج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج

وقوله ^(٤) :

أيها الرقيم هل ترئم بنظرة عل يصحو الفؤاد من بعد سكرة
بأبى أنت غصن بأن تننى وغدا يمزج الدلال بخطر

(١) ذكر الحبي في خلاصة الأثر ٤/١٠١ البيت الثانى فقط ، وذكر قبله : « ولما طال مكثه بالرؤم قال » .

(٢) يشير بهذا إلى ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم فى جواب أبى بكر رضى الله عنه ، حين قال يا رسول الله ، قد شيت ! فقال : « شيتنى هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يساء لون ، وإذا الشمس كورت » . وفى رواية : « شيتنى هود وأخوانها » .

انظر تفسير القرطبي ١/٩ ، تفسير ابن كثير ٢/٤٣٥ .

(٣) سقطت هذه اللفظوعة والنسب تليها من : ب ، ج .

(٤) ذكر الحبي في خلاصة الأثر ٤/٩٢ الأبيات الخمسة الأولى .

أَلِفُ الْقَدِّ زَانَهَا نُقْطَةُ الْخَلَا لَ فَأَضْحَى وَوَاحِدُ الْحَسَنِ عَشْرَةٌ (١)
 عَارِضٌ أَخْضَرٌ وَيَبِيضٌ ثَنَائِيًّا سَوْدًا وَجَهَ عَيْشَتِي بَعْدَ خُضْرَةٍ (٢)
 أَنْتَ زَهْرٌ غَضٌّ وَقَلْبِي كَهَامٌ فَلَمَّاذَا أَوْقَدْتَ يَبْتَكَ جَمْرَةٌ (٣)
 زَرَعْتُ مَقْلَتِي بِخَدِّكَ وَرَدًّا فَأَمْحِنِي قِطَافَ زَرْعِي زَهْرَةٌ
 يَا أَبَا عُذْرَةَ الْمَلَا حَتَّى إِنِّي بَيْنَ مَوْتِي هَوَاكَ مِنْ حَيِّ عُذْرَةٍ
 كَعْبَةُ الْحَسَنِ كُلَّ وَقْتٍ إِلَيْهَا فِي رِكَابِ الْمُنَى أَحْبُّ بِفِكْرَةٍ



(١) عقب المحي على هذا بقوله : « قلت هي حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها » .
 (٢) في خلاصة الأثر : « شارب أخضر . . » .
 (٣) في ١ : « وقلبي كهام » .

ووالد هذين الفاضلين الحَبْرُ ، علامة زمانه ، شيخ الإسلام :

٤١

عمر بن عبد الوهاب العُرْضِيُّ*

نَسِيجٌ وَحْدِهِ ، وفريد فضله ومجده .

بحرٌ لا تُكَدِّرُهُ الدَّلَا ، ولا تُنْزِفُ بِمَعْصُ مَوَارِدِهِ المِلا .

لم يزل صَدْرًا للإفادة والإفتاء بحلب ، ترعى في ربيع فضله سَوَائِمُ الطَّلَب .

وتَأَكِيفُهُ وتصانيفه تنقلها الرُّكبان ، وتَقِفُ دُونَهَا سوابقُ الحُسْنِ والاستحسان .

حتى رَقَى شَرَفُ السَّبْعِينَ ، وصعد إليها بدرجات السَّنِينَ ، رَافِلًا فِي حُلَلِ النِّعَى ،

حتى جَرَّ الدهر عليه أذْيَالَ القَنَا .

وهو آخر مَنْ صَنَّفَ بحلب ، وأفاد ، وأجاد .

ومن أَجَلٍ مصنفاته « شرح الشَّفاء » في مجلدات ، ولغا عليه اعتراضات ، يَبْنِئُهَا

في « شرحنا » .

(*) عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم العرضي الحلبي الشافعي .

ولد بحلب سنة خمسين وتسعمائة .

قرأ على والده ، ثم لزم الإمام محمود بن محمد الباني الحلبي المعروف بابن البيهقي ، والملا إبراهيم بن محمد

البياني ، وغيرهم .

وكان أَوْحد وقته في فنون الحديث والفقه والأدب ، وهو مفتي حلب وواعظها ، وله مؤلفات كثيرة .

توفي سنة أربع وعشرين وألف

لإعلام النبلاء ٢٠٠/٦ ، تراجم الأعيان لوحة ١٣٠٠ ، خبايا الزوايا لوحة ١٦٠ ، خلاصة الأثر

٢١٥/٣ ، سلك الدرر ٧٨/٢ .

وله نظم ونثر ، كقوله في « شرح ^(١) الكافية للجامي » ، وله عليه « حاشية جلية » ^(٢) :

لِلَّهِ دَرُّ إِمَامٍ طَالَمَا سَطَعَتْ أَنْوَارُ أَفْضَالِهِ مِنْ عِلْمِهِ السَّامِيِّ ^(٣)

أَلْفَاظُهُ أَسْكُرَتْ أَسْمَاعَنَا طَرَبًا كَأَنَّهَا الْحُمْرُ تُسْقَى مِنْ صَفَا الْجَامِ ^(٤)

ولشيخه ^(٥) محمد بن الحنبلي فيه أيضا ^(٦) :

لِكَافِيَةِ الْإِعْرَابِ شَرْحٌ مُفَعَّحٌ ذَلُولُ الْمَعَانِي ذُو انْتِسَابٍ إِلَى الْجَامِيِّ

مَعَانِيهِ تُجَلِّي حِينَ تُتَلَّى كَأَنَّهَا هِيَ الْحُمْرُ تَبْدُو شَمْسُهَا فِي صَفَا الْجَامِ ^(٧)

وإصاحبنا الشيخ عبد الله الدنوشري ^(٨) :

لِلَّهِ شَرْحٌ بِهِ شَرْحُ الصُّدُورِ لَنَا كَأَنَّهُ الدَّرُّ أَوْ أَزْهَارُ أَكْثَامٍ ^(٩)

قَدْ أَسْكَرَ السَّمْعَ إِذْ تُتَلَّى عَجَائِبُهُ وَالشُّكْرُ لَا غَرَّ وَمَعْرُوفٌ مِنَ الْجَامِ ^(١٠)



(١) في م : « الجامي على الكافية » ، (٢) خلاصة الأثر ٢١٦/٣

(٣) في م : « طالما طلعت » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) في م : « تسقى في صفا ... » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفي : ا ، ب ، وخلاصة

الأثر : « صفا الجامي » ، والمثبت في : ج ، م .

(٥) في ج : « ولشيخنا » ، وفي ا بعد هذا زيادة : « العلامة » .

(٦) خلاصة الأثر ٢١٦/٣ ، والمقدمة ، والبيتان بعدها مما سقط من : ب . وانظر لإعلام النبلاء

٢٠٤/٦ .

(٧) في ا : « من صفا الجامي » ، وفي خلاصة الأثر : « يبدو جرمها من صفا الجامي » .

(٨) خلاصة الأثر ٢١٦/٣ ، ٢١٧ ، وسيترجم الحفاجي الشيخ عبد الله الدنوشري في قسم مصر .

(٩) في م : « في أزهار أكام » ، وفي ب : « أو أزارار أكام » ، والمثبت في : ا ، ج ،

وخلاصة الأثر .

(١٠) في ا ، ب ، وخلاصة الأثر : « من الجامي » ، والمثبت في : ج ، م .

٤٢

صلاح الدين الكوراني الحلبي*

فاضل ، شاعر ، ناظم ، نائر ، مُكثِر ، مُسهب ، مُطرب ، مُعجب .
رأيتُه بحلب يُعاني حِرْفَةَ الْوِراقَةِ ، ويكتبُ للقُضاةِ الوثائقَ التي شَدَّتْ وَثاقَهُ ،
وقد قيَّده السِّكَبَرُ ، وعاقَه الدهرُ أبو العِبرِ ^(١) ، فَحَجَّلَ بين الغرائبِ والرَّغائبِ ، وفَقَلَ
بيدِ فِكرِهِ في الذُّرَّةِ والغارِبِ ، وهو في مَهْدِ الخُمُولِ راقِدٌ ، فَرَّتْ به النوائِبُ وهو
على طَريقِها قاعد .

وقد كان امتدحني بعدة قصائد ، منها قوله :

شهابُ المعالي قد أضاءت به الشُّهبَا وقد أطلعت من غُرِّ أفكارِهِ الشُّهبَا ^(٢)
ومن قبلُ أخبارُ النَّماءِ تواترت وقد ملأتُ أَسْماءَنا لُؤلؤاً رَطْباً
وكان التَّمَنِّي أن يُطابقَ سَمْعُنا نواظِرَنا واستفَرقتْ قَلْبَنا حُباً
وقد أغرَبتُ ألفاظُهُ مَعَ تَأخُّرٍ عن السَّبقِ حتى فاقَتِ العَرَبَ العَرَبَا
فمن منطقٍ عذبٍ وفضلٍ مُوجِّهِ إلى المدحِ إيجاباً وللحاسدِ السِّلْبَا

(*) صلاح الدين الكوراني الحلبي القاضي .

من مشاهير الأدباء ، له شعر مطبوع ، ونظم مصنوع ، مع مشاركة في فنون عديدة ، وخبرة بمفاهيم
عجيبة ، وكان مكثرًا من قول الشعر .

وكان رئيس السكتاب بحكمة قاضي قضاة حلب .

توفي بحلب ، سنة تسع وأربعين وألف .

لإعلام النبلاء ٢٥١/٦ ، وقد نقل الطباخ كل الترجمة بتصرف ، تراجم الأعيان لوحة ١٢٣٧ ، وهو
فيه خطأ « مجد الدين » والباب معقود لحرف الصاد ، خبايا الزوايا لوحة ١٦٩ ، خلاصة الأثر ٢٥٢/٢ .

وكوران ، التي ينسب إليها ، من قرى أسفراين . معجم البلدان ٣١٩/٤ .

(١) في ١ : « أبو الغير »

(٢) في ١ : « من غر أبكارها الشهبَا » ، وفي ب : « من نحو أبكاره الشهبَا » ، وفي ج « من غر

أبكاره الشهبَا » .

بَنَى غُرًّا أَنْجَحَتْ لَهُ قَدْ تَأَسَّسَتْ
إِذَا كَانَ مِنْهُ الْفَهْمُ فِي الْبَحْثِ سَابِقًا
فَأَهْلًا بَيْنَ يَحْيَا بِهِ مَشْرِقُ الْعَلَا
وَمِنْ حَلَبٍ كَانَ الْفِطَامُ مِنَ الْمُنَى
إِلَى أَنْ أَتَاهُ اللَّهُ بِعُضَا بَقِيَّةٍ
فَتَبَّأَ لِمَنْ قَدْ زَاغَ عَنْ وَدَّهِ وَقَدْ
وَمُذَّ قَدْ أَتَى هَذَا الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ
قَدْ اغْدَوْدَقَتْ يَمْنَاهُ مِنْ بَرَقِ بَشِيرِهِ
وَأَسَفَتْ أَيْدِي فَضْلِهِ سُحْبَ النَّدَى
لَهُ قَلَمٌ إِنْ يَنْفُثِ السَّحَرُ نَافِعًا
فِيَا مَنْ لَهُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ هِمَّةٌ
عَلَى حَلَبٍ لَمَّا قَدِمْتُمْ تَبَسَّمْتُمْ
وَأَبْنَاؤُهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ مُرَادُهُمْ
عَلَى ذَا مَضَى عَهْدُ الْأَخِلَاءِ وَالَّذِي
وَأَشْكُو إِلَيْكَ الدَّهْرَ عَبْدَكَ إِنَّنَا
وَكَمْ قَعَدْتُ عَنْ سَبْقِهَا كُلِّ صَافِنٍ
وَأِنِّي عَلَى فِقْلِ الزَّمَانِ لَوَاجِدٌ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الدُّخَانَ يُجَفِّفُ

فَلَمْ يَسْتَطِيعْ بَاغِي الْجَوَابِ لَهَا نَقْبًا
وَذَلِكَ مِنْهُ لَا يَفَارِقُهُ دَأْبًا
وَقَدْ كَانَ كَالْعَنْقَاءِ جَاوَزَتْ الْغُرْبَا
فَقَدْ بَيَّسَتْ مِنْهَا ضُرُوعُ الْمُنَى حَلَبًا (١)
مِنْ الْحَزْمِ حَتَّى زَاخُوا الْمَنْهَلَ الْعَذْبَا
تَبَدَّى ثُبُوتُ الْقَوْلِ إِذَا ظَهَرَ وَالْحَرْبَا (٢)
لَبِيبًا عَلِمْنَا أَنَّهُ قَدْ حَوَى لُبًّا
وَقَدْ سَحَبَتْ غُرًّا لِلْعَالَى لَهُ سُحْبًا (٣)
وَقَدْ غَرَسَتْ مِنْ حُبِّهِ فِي الْحَشَا حَبًّا
فَمَا ضَرَّهُ أَنْ لَا يَغَادِرَهُ عَضْبًا
وَبَاعَ طَوِيلُ يَبْهَرِ الرُّومِ وَالْعُرْبَا
تَغُورُ مَبَانِيهَا وَتَاهَتْ بِكُمْ عُجْبًا
وِدَادٌ وَلَا يَنْغُونُ مَالًا وَلَا كَسْبًا
يُرُومُ خِلَافَ الْوُدِّ يَسْتَوْجِبُ السَّبَّ
نُسَائِلُهُ سِلْمًا يَجَاوِبُنَا حَرْبًا
نُسَائِقُهَا الْعَرَجَا وَتَلَحُّقُهَا الْحَذْبَا (٤)
بُكَاءٌ عَلَى الْخُنْسَاءِ فِي صَخْرِهَا أَرْبَى
فَدَاوَيْتُ دَمْعِي فِي تَنَاوُلِهِ شُرْبًا

(١) في ١، ج : « فقد يئست منها ضروع الهنا حلبا » .

(٢) في ب : « بثوب القول » وفي ١، ب، ج : « إذا ظهرت حربا » .

(٣) في ١، ب : « غر المعاني » .

(٤) الصافن من الخيل : القائم على ثلاث قوائم .

وفي كلٍّ معنى فيه قد رَقَّ رِقَّةً
وَعَبْدُكَ ذِيكَ الصَّلَاحُ مُقَصِّرٌ
أَعْلَلَهُ مَنْ كَانَ سَارِقَهُ غَضَبًا (١)
ولو لم يكن قَيْدُ الْكِتَابَةِ عَائِقُ
لِحَاوَلَتُ مَنْ عَجَّاجٌ فِكْرُكَ قَطْرَةٌ
بِمَدْحِكَ لَكُنْ لَا يَقُولُ بِهِ كِذْبًا (٢)
وَنَقْلُهُ تَوْقِيْعِي الْوِثَاقِ وَالْكِتَابِ (٣)
لِحَاوَلَتُ مَنْ عَجَّاجٌ فِكْرُكَ قَطْرَةٌ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَصْبَحْتُ عَبْدًا مُكَاتِبًا
وَلَا عَيْقَ لِي حَتَّى أَرَى اللَّحْدَ وَالتُّرْبَا
فَلَا زِلَتَ فِي أَعْلَى مَقَامٍ إِذَا حَدَثَ
كَمَا يَشْرَبُ الْمُصْفُورُ مِنْ مَائِهِ عَبًّا (٤)
حُدَاةٌ حِجَازٍ فِي السَّرَى تُطْرِبُ الرَّكْبَا
وَأَنْشَدَنِي لَهُ :

لَعَمْرُكَ لَمْ أَشْرَبْ دُخَانًا لِأَجْلِ أَنْ
وَلَكِنْ زَنَايِيرُ الْهَمِّ لَسَعَنِي
تُسَرُّ بِهِ نَفْسٌ تَدَانِي خُرُوجُهَا
فَدَخَنْتُ حَتَّى يَسْتَبِينَ خُرُوجُهَا (٥)
وَمَا أَنْشَدَنِي هَذَا ، أَنْشَدْتُهُ قِطْعًا لِي فِي مَعْنَاهُ .

منها قولي :

مَاشَرِبتُ الدُّخَانَ إِذْ مِيرْتُ عَنْكُمْ
أَحْرَقْتَنِي الْأَشْوَاقُ فَالْقَلْبُ مِنْهَا
لِتَلَهَّ بِه عَنْ الْأَحْزَانِ
صَارَ بِالْوَجْدِ مَحْزَنَ النَّيْرَانِ
فَخَشِيتُ الْأَنْفَاسَ تَفْضُحُ حَالِي
فَلِهَذَا سَتَرْتُهَا بِاللُّدْخَانِ (٦)



(١) في ب : « أَعْلَلَهُ مِنْ كَاسِهِ رَقَّةٌ غَضَبًا » .
(٢) في ا ، ب ، ج : « لَا يَقُولُ » . (٣) في ب : « وَنَقْلُ تَوْقِيْعِي الْوِثَاقِ وَالْكِتَابِ » .
(٤) في ا ، ب : « مِنْ عَجَّاجٍ مَدْحُكَ قَطْرَةٌ » . (٥) في م : « حَتَّى يَسْتَبِينَ عُرُوجُهَا » .
(٦) في ا : « تَحْرَقُ حَالِي » .

٤٣

السيد أحمد بن النقيب الحلبي *

سَيِّدٌ يُجِنُّ طِينَتُهُ بِمَاءِ الْوَحْيِ وَالْقُبُورَةِ ، وَغُرِست نَبْعَتُهُ فِي سَاحَةِ الْفَضْلِ وَالْفَتْوَةِ ،
لَهُ مَنَاقِبُ هِيَ الْوَشْيُ حُسْنًا وَبِهْجَةً .

* إِذَا نُشِرَتْ كَانَتْ مُمَسَّكَةً الشَّمْرِ *

وِغَرَائِبُ رَغَائِبُ فِي السَّكْرَمِ وَاضِحَةُ الْمَحْجَّةِ .

* يَظَلُّ بِهَا مُسْتَعْبِدَ الْفَظْمِ وَالنُّثْرِ ^(١) *

اجْتَلَيْتُ بِحَلَبِ مُحْيَاهُ ، فَأَكْرَمَنِي بِجُودِهِ وَنَدَاهُ ، وَمَدَحْتُهُ شُكْرًا
لَمَّا أَوْلَاهُ :

وَكَذَا الْهَاشِمِيُّ مِثْلُكَ لَا يُدْخِلُ إِلَّا بِهَاشِمِيَّ السَّكَلَامِ

فَاسْتَعَارَ « دِيوَانِي » ، وَاشْتَغَلَ بِمُطَالَعَتِهِ وَانْتِخَابِهِ ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ دَعَاؤُهُ فَلَمْ يَجِبْ ،

(*) السيد أحمد بن محمد الحسني ، المعروف بابن النقيب الحلبي .

ولد بحلب ، وبها نشأ ، ورحل إلى القسطنطينية .

ولى القضاء ، ونيابة القضاء بالقدس ، وحلب .

وله منزلة عظيمة في النظم والنثر ، وألف « حاشية » على « الدرر والغرر » في الفقه .

توفي سنة ست وخمسين وألف ، وعمره ثلاث وخمسون سنة .

إعلام النبلاء ٢٨٦/٦ ، وقد نقل الطباخ عن الريحانة كل الترجمة ، خبايا الزوايا لوحة ١٧٠ ، خلاصة

الأثر ٣١٧/١ ، وأكثر الحبي في ذكر أشعاره وآثاره ، هدية العارفين ١/١٦٠ .

وقد سقط من : ب صدر الترجمة حتى قوله : « هي الوشي حسنا وبهجة » .

(١) في ١ ، ب ، ج : « مستعبد الشكر والشعر » .

ثم لافيته فاعتذر بعد عتابه ، بأن اشتغاله بالديوان ^(١) منع من الملاقاة ^(٢) ، وأنشدني له
هذه الأبيات :

وَحَقِّكَ لَمْ أَتْرُكْ زِيَارَةَ سَيِّدِي لَلْوَيْعُوقُ النَّفْسَ عَنْهُ وَلَا لَيْتَ
وَلَكِنْ بَدِیْوَانٍ لَهُ قَتُّ خَادِمًا وَقَدْ كَانَ فَكَّرِي قَبْلَ ذَلِكَ كَالْمَيِّتِ
فَأَذْهَبْنِي حُسْنٌ بِهِ ظَلْتُ حَائِرًا فَأَدْخَلُ فِي بَيْتٍ وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْتِ



(١) في أ ، ب : « منع الملاقاة » ، وفي ج : « منعه الملاقاة » .
(٢) ساقط من : م .

القِسْمُ الثَّانِي

في محاسن العصرين من أهل المغرب
وما والاها

٤٤

مولای أحمد أبو العباس المنصور بالله *

ابن الخليفة أبي عبد الله المهدي بن عبد الله القائم بأمر الله الشريف الحسني :
 مِنْ جَوْهَرٍ مِنْهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعَلِيهِ مِنْ نُورِ الْإِلَهِ بَهَاءُ
 مَلِكِ الْآن ، المَطْوُوقُ بِفَضَائِلِهِ وَفَوَاضِلِهِ جَيْدَ الزَّمَانِ ، أُنَامُ الْأُنَامِ بِبِقِظَةِ حِرَاسَتِهِ فِي
 حَرَمٍ ، فَقَالُوا ^(١) فِي ظِلِّ ظَلِيلٍ تَحْتَ رِيَاضِ السَّعْدِ وَالْكَرَمِ .
 وَعَطَايَاهُ تَمْنَأُ الْفَقْرَ وَاسْمُهُ عُودَةُ النَّقَمِ ^(٢) ، وَبَشَرُ مُحِيَّاهُ لِكُلِّ نَدَى وَجُودٍ سَلَمَ .
 وَلَهُ شَرَفٌ تَحْسُدُهُ الشَّمْسُ فِي الشَّرَفِ ، وَجَوْدٌ ^(٣) جُودٍ إِذَا وَكَّفَ أَقْلَعَ السَّحَابُ
 عَنْ مَجَارِيهِ وَكَفَّ .
 مَعْدِنِ مَجْدٍ وَحَسَبِ ، وَجَوْهَرِ سِيَادَةٍ وَنَسَبِ ، جَمْعُ بَيْنِ نِزَارِهِ وَمَعَدَّةٍ ، بَاعَ تَمَدُّدُهُ
 النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ قَبْلَ مَدَّةٍ :

نَسَبٌ تَحْسَبُ الْعُلَا بِمُجْلَاهُ قَلَدَتْهَا نَجْمُهَا الْجُوزَاءُ ^(٤)

(*) أحمد بن عبد الله بن محمد ، أبو العباس المنصور ، ابن الخليفة المهدي .
 اشتغل في أول أمره بالعلم ، وأظهر أنه غير طالب للملك . حتى إذا تولى ابن أخيه ، وعزم على
 قتل من بقي من أعمامه ، حاربه وهزمه ، واستولى على المغرب ، وحسنت العلاقة بينه وبين سلاطين
 آل عثمان ، وحكم ثمانية وعشرين عاما .
 وكان سلطانا عادلا ، عظيم القدر ، حسن التدبير ، أدبيا ، له شعر جيد .
 توفي سنة اثنتي عشرة بعد الألف .
 الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٨٩/٥ وما بعدها ، خبايا الزوايا لوحة ١٦٥ ب ، خلاصة الأثر
 ٢٢٢/١ ، نزهة الحسادى ٧٨ .

(١) في م : « فناموا » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٢) في الأصول ما عدا ا : « النعم » .

(٣) الجود : المطر الغزير .

(٤) في ا : « قلدته نجومها » ، والمثبت في سائر الأصول .

بَدْرٌ اتَّخَذَ أَفْقَ الْمَغْرِبِ هَالَةً ، وَبَحْرَ أَفَاضٍ ^(١) عَلَى كُلِّ وَادٍ ^(٢) نَوَالَهُ .
 لَهُ كِتَابٌ آرَاءُ الْأَلْبَابِ سَلْبُهَا ، وَبَوَادِرُ ^(٣) هِمَمٍ لَيْسَ إِلَّا الْأَرْوَاحُ طَلَبُهَا .
 لَا تَزَالُ تَخَاطَبُهُ ، مَنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ ، بِكَلَامٍ ^(٤) بَيْنَ عَبِيدٍ وَلَبِيدٍ ^(٥) ،
 وَحَبِيبٍ وَالْوَلِيدِ ^(٦) .

أَخْبَرَنَا الْأَدِيبُ الْفِشْتَالِيُّ ، بِقُسْطَنْطِينِيَّةٍ ، أَنَّهُ لَمَّا دَعَتْ وَالِدَتُهُ شُعُوبَ ^(٧) ،
 وَوَفَدَتْ عَلَيْهِ بَوَارِحُ الْخَطُوبِ ، وَجَلَسَ أَخُوهُ الْأَكْبَرُ فِي مَسْنَدِ الْخِلَافَةِ وَسَرِيرِهَا ،
 وَظَلَّ مُتَنَزِّهاً فِي رَوْضَتِهَا وَغَدِيرِهَا ، أَظْهَرَ أَنَّهُ لِلْمَلِكِ غَيْرُ طَالِبٍ ، وَأَنْفَقَ رَأْسَ عَمْرِهِ فِي
 فَتْحِ كَنْزِ الْعِلْمِ وَالْمَطَالِبِ .

فَلَمَّا مَاتَ أَخُوهُ قَامَ وَلَدُهُ فِي مَحَلِّهِ ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْغُرُورُ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ ، فَأَزْخَى
 عَلَيْهِ الشَّبَابُ ، سِتَارَةً حَجَبَتْ عَنْهُ الصُّوَابَ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِعُضْ خُدَّامِهِ ، بِقَتْلِ مَنْ بَقِيَ
 مِنْ أَعْمَامِهِ ، لِيُصْنِفِي مِنْ قَذَى الْأَكْدَارِ وَرِزْدَهُ ، وَلَمْ يَذَرِ أَنْ مَنْ شَرِبَ وَحْدَهُ غَصَّ
 وَخُدَّاهُ ، فَذُ شِبَاكَ مَكَائِدِهِ ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ مَصَائِدِهِ ، كَالْخَافِرِ بِظُلْفِهِ ، عَلَى
 مُدْبِئَةٍ حَقِيقَةٍ .

وَأَنَّى تَنْجِيهِ مِنْ الشَّرِّ حِيلَةٌ وَقَدْ طَالَ مَا أَوْدَتْ بِمُحْتَالِهَا الْحِيلُ
 فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ مَوْلَايَ أَحْمَدُ وَجَفَّ مَعَ أَخِيهِ بِجَيْشٍ مِنَ الرُّومِ وَجَيْشٍ مِنْ عِنْدِهِ ،
 قَائِلًا : إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ، فَفَقِمَتْ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْهَزِيمَةُ ، وَعُلِّقَتْ

(١) فِي م : « عَلَى وَارِدِهِ » وَالثَّبْتُ فِي : أ ، ب ، ج .

(٢) فِي أ ، ب ، ج : « وَبَرْد » .

(٣) فِي م : « بَنَى عَبِيدٌ أَوْ لَبِيدٌ » ، وَالثَّبْتُ فِي : أ ، ب ، ج . وَهُوَ يَعْنِي : عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ، وَلَبِيدُ
 ابْنُ رِبْعَةَ .

(٤) يَعْنِي بِحَبِيبِ أَبِي تَعَامٍ ، وَبِالْوَلِيدِ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ .

(٥) شُعُوبٌ : هِيَ الْمُنِيَّةُ .

على جيد تدبيره من الخِذلان تَمِيمَة ، فأصبح لعنان عزمه ثانيا ، وذهب الملك الفِرْنَسِيَس فأمده بما رجع به للحرب ثانيا .

فلما التقت الكتيبة السوداء بالكتيبة الخضراء ، أقلعت سحابة النّقع بعد ما أمطرت ديمة الدّماء الحمراء ، فكم أسير في غلّ ندمه ، وقتيل طلع بدره في شفق دمه .

* فما أ كثر القتل وما أرخص الأسرى *

فولج البحر وأغرق نفسه في مائه الغمر ، وقال لقصير عمره بيدي لا بيد عمرو^(١) .
فقلّصت السعادة عنه ظلّها ، وعقد النّحس له عقدة لم يذكر عاقدها حلّها ، وملّه الملوّان ، وضحك على أمه الخِذلان ، فتبرّجت لأحمد عروس تلك الممالك مهنة بالرفاء والبنين ، وأمست نورها لنور محياه ضواحك مهللة بالفتح المبين .
فما ألمّ بتلك النّغور قلح^(٢) إلّا جلاه بمساويك الرّماح ، ولا نبض عرق كغير إلّا فصده بمباضيع الصّفايح .

مع دخوله بيوت الفضل من أبوابها ، وتحليه دون ملوك الزّمان بحلى آدابها ، حتى إنه كان يحضر دروسها ، ويحيى بمنطقه الرّايق دروسها ،^(٣) ويطلع في سماء ديوانه شمسها^(٤) .

وله شعر وإنشا ، بهما طراز الجدي موشى ، فهو ربّ السيف والطّيّلسان ، والقلم المسدّد والسّنان .

لا زال المغرب به كامل الأهلة ، والشمس تسعى له لتخدم بالسعد محله .

(١) يشير إلى قصة قصير بن سعد اللخمي ، وعمرو بن عدى بن نصر ، ابن أخت جذيمة الأبرش ، حينما أرادا أن يثارا لمقتل جذيمة من الزباء ، فقتلت نفسها قائلة : بيدي لا بيد عمرو .
انظر مجمع الأمثال ١/١٥٧ والعارف لابن قتيبة ٦١٨ ، ٦٤٦ .
(٢) القلح : صفرة تعلو الأسنان .
(٣) ساقط من : ا ، ب ، ج .

فمن عَفَدَه المنظوم ، ورجح أدبه المختوم ، قوله ^(١) :

حرامٌ على طَرَفٍ يراهُ منامٌ وحلٌ لجسمٍ قد جفاهُ سِقَامٌ ^(٢)
وكيف بقلبٍ في هواهُ مُقَلَّبٌ وأنى له بين الضُّلوعِ مُقَامٌ ^(٣)
فيأشادِنَا بزعى الحشا أنتَ بالحشا أما لمَحَلٍّ أنتَ فيه ذِمَامٌ
وأحسن ^(٤) من هذا قول الأَرَجَانِي ، في معناه ^(٥) :

يرمى فؤادى وهو فى سَوْدائِهِ أنراه لا يَحْشَى على حَوَائِهِ
ومن البليَّةِ وهو يرمى نفسه أن يطعمَ المُشْتاقُ فى إبقائِهِ ^(٦)
وها هنا نكتة أدبية ، وهو أن الأَرَجَانِي أخذ هذا المعنى من قول الحماسي ^(٧) :
قومى هم قتلوا أُمِّمَ أخى فإذا رميتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي ^(٨)

إلا أن هذا لا يُعدُّ سرقة ، وإنما هو توليد وانتقال من معنى لآخر بضاهيه ،
وهو من سحر البلاغة ، واستخراج مُحَبَّات كنوز المعانى ، وقل من يهتدى
إليه لدقته .

(١) خلاصة الأثر ٢/٢٢٣ . (٢) فى ج :

حرام على طرف يراك منام وحل للجسم قد شفاه سقام
والثبوت فى سائر الأصول ، وخلاصة الأثر ، ورواية الخلاصة توافق ما فى ج فى مجز البيت .
(٣) فى خلاصة الأثر : « وأنى له بين الضلوع مقام » .
(٤) فى م : « منه » ، والثبوت فى سائر الأصول .
(٥) ديوان الأرجاني ٨ ، وخلاصة الأثر ٢/٢٢٣ .
(٦) فى الديوان :

ومن الجهالة وهو يرشُق نفسه أن يطعم العُشَّاقُ فى إبقائه
والثبوت فى الأصول ، وخلاصة الأثر .

(٧) ديوان الحماسة (شرح المرزوق) ١/٢٠٤ ، والبيت للعارث بن وعلة الذهلي .

(٨) فى المرزوق : يقول ، قومى ، يا أميمة ، هم الذين لجعونى بأخى ووترونى فيه .

وكانت بعضُ حظاياها عليه غَضَبِي^(١) ، وهي^(٢) مُجَرَّدَةٌ عليه من صَوَارِمِ هجرها
عَضْبًا ، فأَهْدَى له حَرَاسِيَّ^(٣) وردةً من بستانِهِ ، وحيَّاهُ بِشِيرِ الربيعِ بنشرها قبل
أوانِهِ ، فأرسلَهَا إليها مع أبياتِ يَسْتَرْضِيها ، وبِستَعِطِفْ غِصْنَ قَامَتِهَا بنسيمِ
العتابِ وَيَسْتَعْفِفِهَا^(٤) :

وَأَقَى بِهَا الْبَسْتَانُ صِنُوكَ وَرَدَةً يَقْضِي بِهَا لَمَّا مَطَلَتْ عَهودَا
أَهْدَى الْبَهَارَ مُحَاجِرًا وَأَنَى بِهَا فِي وَقْتِهِ كَيْمَا تَسْكُونُ خُدُودَا^(٥)
فَبَعَثَهَا مُرْتَادَةً بِنَسِيمِهَا تُثْنِي مِنَ الرُّوضِ النَّضِيرِ قُدُودَا

وهو في هذا كَنِ أَهْدَى لِلْبَحْرِ الدَّرَرِ ، بل لِلرُّوضِ الزَّهَرِ ، ولا أقول
الْتَمَرِ إِهْجَرَ .

وقوله أيضا^(٦) :

لَا وَطَرَفٍ عِلْمَ السَّيْفِ فَقَدَ فِي قَوَامٍ كَفَنَّا الْخَطَّ مَيْدَ^(٧)
وَوَمِيزٍ لَاحَ لَمَّا ابْتَسَمَتْ مِنْ ثَفَايَا مِثْلِ دُرٍّ أَوْ بَرَدَ
مَا هَلَالُ الْأُفُقِ إِلَّا حَاسِدٌ أَعْلَاهَا وَبَهَاها وَالغَيْدُ
وَلَذَا صَارَ ضُئِيلًا نَاحِلًا كَيْفَ لَا يَفْنَى نَحُولًا مِّنْ حَسَدٍ^(٨)

(١) ساقط من : ا ، ب .

(٢) ساقط من : ا ، ب ، ج .

(٣) الحراسى : الواحد من حرس الملك ، وهم أعوانه .

(٤) خلاصة الأثر ٢/٢٢٥ .

(٥) البهار : نبت طيب الريح ، قال الجوهري : البهار : العرار الذى يقال له عين البقر ، وهو بهار
البر ، وهو نبت جعد له فقاحة صفراء نبت أيام الربيع ، يقال له : العرارة . اللسان (ب ه ر) ٨٤/٤ .

(٦) خلاصة الأثر ٢/٢٢٤ .

(٧) في خلاصة الأثر : « لا ولخط . . . وقوام . . . » .

(٨) في خلاصة الأثر : « عليلا ناحلا » .

وللقطب المكيّ على منواله :

لا وفرغ كدجى الليل غسق وجبين ضوؤه ضوؤه الفلق
ومحيّا كلف البدر به وخدود من حوالينها شفق^(١)
ما أرى الغزلان إلا سرقت منك جيداً والتفتاناً وحدق
ثم خافت فتولت شرداً كيف لا يشرد خوفاً من سرق
ومما نسجته على منواله :

لا وغصن راق للطرف ورق وعليه حلل اللطف ورق
وشموس لم تغب عن ناظري والشعور الليل وأخذ الشفق
وعيون حرمت نومي وما حللت لي غير دمعى والأرق
ما انجرار الرياح إلا خجلاً من رصاب سكرت منه الحدق^(٢)
والذى قد حسبوه حبباً فوق خد الكاس قطرات العرق

﴿ تنبيه ﴾

هذا القسم عدّه أهل البدع من المحسنات كقول عبد الله بن المعتز^(٣) :
لا ورمان النهود فوق أغصان القدود
وعناقيد من الصّد غر وورد من خدود^(٤)
ورسول جاء بالميعاد من غير وعيد^(٥)

(١) في م : « كلف الدهر به » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٢) في ا ، ج : « إلا خجل » ، والمثبت في : م ، ب .

(٣) ديوانه ١٣٦ ، ١٣٧ . (٤) بعد هذا في ديوان ابن المعتز :

ووجوه من بدور طالعات من سعود

والبيت أيضاً في خلاصة الأثر ٢٢٤/١ ، وفيه : « طالعات بالسعود » .

(٥) في الديوان : « بالميعاد من بعد الوعيد » .

ونعيمٍ من وصالٍ في قفا طول الصدود^(١)
ما رأت عيني كعيدٍ زارني في يوم عيد^(٢)

وقد أشار إليه في « الكشاف » ولم يفهمه كثير من الأدباء ؛ لأنه من المعاني
الوضعية ، فلا وجه لجعلها محسنة .

وقد بينه الإمام المرزوقي^(٣) بما لا مزيد عليه ، في شرح قوله :

بَقِيْتُ وَفَرِيْ وَانْحَرَفْتُ عَنْ الْعَلَا وَلَقِيْتُ أَضْيَافِيْ بِوَجْهِ عَبُوسٍ
إِنْ لَمْ أَشْنِ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً لَمْ تَخْلُ بَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ^(٤)
فأشار إلى أنه جعل ما يندم به من الصفات ، سواء أتهم اتصافه بها أم لا ؛ لغاية
تنفّر عنه ، بمنزلة المصائب العظيمة عنده ، ثم يجعل^(٥) مقسمًا به ، تأكيدًا لعظم فظاعته ،
ففيه كفاية على كفاية ، أو كفاية مرتّبة على المجاز ، وهو كثير ، كقوله :

لئن كان ما بُلِّغْتَ عَنِّي فَلَامَنِي صَدِيقٌ شَاتٍ مِنْ بَدَى الْأَنَامِلِ^(٦)

وهذا هو القسم الممدود من المحسنات ، وكذلك إذا أقسم على الشيء بنفسه ، أو

(١) في الديوان :

ونعيمٍ في وصالٍ حلّ من طول الصدود

وفي خلاصة الأثر : « وشقا طول الصدود » .

(٢) في الديوان « ما رأت عيني كظي » ، وفي خلاصة الأثر :

ما رأت عيني كعيدٍ زُرْنِي في يوم عيد

(٣) حاشية أبي تمام (بشرح المرزوقي) ١٤٩/١ ، والبيتان للأشتر النخعي .

(٤) في شرح التبريزي للحماسة ٧٦/١ أنه يعني بابن حرب معاوية بن أبي سفيان .

(٥) في م : « جعل » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

(٦) في أ : « فإن كان » ، وفي ب : « وإن كان » .

بمساويه ، كقوله ^(١) :

* وَثَمَائِكَ إِنَّمَا إِغْرِيبُ ^(٢) *

وقد ذكره الزَّجَّاجُ ، وفيه مباحثُ آخر ، ايس هذا محلها .

وأخبرني الأديب الفِشْتَالِي ، أنه أنشده يوماً قول الأبيوزدِي ^(٣) :

وَلَوْ أَنِّي جُعِلْتُ أَمِيرَ جَيْشٍ لَمَّا حَارَبْتُ إِلَّا بِالسُّوَالِ

فقال ^(٤) صاحب الترجمة : لو كان ^(٥) الشعرُ لي لقلت ^(٦) :

وَلَوْ أَنِّي جُعِلْتُ أَمِيرَ جَيْشٍ لَمَّا حَارَبْتُ إِلَّا بِالْفَوَالِ ^(٧) .

وفي معناه قولي في بعض الرسائل : أعزُّ حصون العباد ، ظهورُ المَطْهَمَةِ ^(٨) الجياد ،

وخيرُ من دَبَّ عَنْكَ الْعِدَى ، مَنْ مَلَكَتْ قَلْبَهُ بِالْفَدَى .

ونحوه قولي :

بَنَيْتُ حَصُونًا تَصُونُ الْعُلَا إِذَا مَا بَنَاهُ الْمُلُوكُ أَنْهَدُمُ

حَصُونًا مِنَ الْعَدْلِ مِنْ حَوْلِهَا خَفَادِقُ فِيهَا مِيَاهُ السَّكْرَمِ ^(٩)

(١) صدر بيت لأبي تمام وعجزه :

* وَلَا لِي تَوْمٌ وَبَرَقٌ وَمِيضٌ *

ديوانه (بشرح التبريزي) ٢/٢٨٧ .

(٢) قال التبريزي : « المعروف أن الإغريض الطلع ، وقيل : إن البرد يسمى إغريضاً » .

(٣) ليس في ديوانه ، وهو في خلاصة الأثر ١/٢٢٤ ، وبعده قوله :

لَأَنَّ النَّاسَ يَنْهَزِمُونَ مِنْهُ وَإِنْ ثَبَتُوا الْأَطْرَافَ الْعَوَالِي

(٤) زيادة من : م ، على ما في : ا ، ب ، ج . (٥) في ا : « أن » .

(٦) خلاصة الأثر ١/٢٢٥ .

(٧) في خلاصة الأثر بعد هذا : « قال الخفاجي : وأين كلام سائل مل السؤال ، من كلام ملك يملك القلوب بالنوال » .

(٨) جواد مطهم : تام الحسن .

(٩) في ا ، ب ، ج : « حصون من العدل » بالرفع .

ولابن الرومي ، من قصيدة له ^(١) :

وحاربَ من نَعْمائِهِ رَبِّبَ دَهْرِهِ من البرِّ والمعروفِ جُنْدُ جُنْدٍ

ولما بلغه « شرح توضيح ابن هشام » ، الذي صنّفه الأستاذ الخال ، في مجلدات ، أرسل إليه عطيةً جزيلة ، ورجا منه إرسال نسخة منه .

وصورة ما كتبه إليه :

من عبد الله المجاهد في سبيله ، الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين ، الشريف الحسيني ، أمد الله بعزیز نصره وأوامره ^(٢) ، وظفر بنصره عساكره ^(٣) .

إلى الفاضل الذي إذا نحا من العلوم نحواً رفع علمه توضيحاً ، وجاز ^(٤) تالياً وهو المُقدِّم ، ما تحضّص من الخلاصة تنقيحاً ، وشرح ما خفي إبانةً وتصريحاً ، الفقيه المثل ، النبیه النبیل ، المُتَقِنُ المُتَقِنُ ، لا زال يُعمر من دَسْتِ العلم مِنْصَه ، يُعْمَلُ في مِیدَانِهَا وَخَذَهُ وَنَصَهُ ^(٥) .

سلامٌ علیکم ، ورحمة الله وبركاته .

(١) ذكر المحي في خلاصة الأثر ٢٢٥/١ أن هذا البيت لمولای أحمد بن الرومي ، من قصيدة مشهورة طويلة ، ذكر منها هذين البيتين :

له صورةٌ مُكْتَمَةٌ في سَكِينَةٍ كما اكْتَنَتْ في الغَمْدِ الجُرَازُ المُمْتَدُّ

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السِّيفِ والسِّيفُ مُنْتَضِيٌّ وَحِلْمٍ كَحِلْمِ السِّيفِ والسِّيفُ مُعَمَّدُ

ثم قال : « قال الحفاجي : انتقدت عليه أنه كرر السيف أربع مرات ، وثلاث منها حل الإضمار ، ومثله يخل بالفصاحة . ثم قال : ورد بأنها كدعائم الحيا ، لو رفعت واحدة منها انهدم ؛ وجهه أن تغاير الصفات منزل منزلة تضاد الموصوفات ، وكذا تغاير أوقاتها ، وكررت هنا لتدل بطريق السكناية الإيمائية على ذلك ؛ حتى كأنه السيف ، ودلالة اللفظ عليه في كل حال بمنزلة دلالة المشترك على معانيه . وهذا نقله الشيخ في دلائل الإعجاز عن صاحب . انتهى ملخصاً . »

(٢) في ١ ، ب ، ج : « أوامره » . (٣) في ١ ، ب ، ج : « عساكرهم » .

(٤) في ١ : « وجاز » ، وفي م : « وجاء » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٥) وخذ البعير : أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام ، ونص البعير : استخرج أقصى ما عنده من السير .

أما بعد حمد الله الذي ألهم تنقيف أود اللسان ، وفثق منه بالبيان رتقا ، وصرّف حكمة الإغراب على السنة الأعراب ، فامتد شأوها في مجال الإبانة طلقا ، وأجرى جياذ مقاييسه المطردة فلم يتخلف لاحق عن متقدم سبقا .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي أرصده سببا للسعادة سفيراً ، ودحض به قوادم الشرك فأصبح مهيضاً كسيرا ، وأعاض جمعه من السلامة تكسيرا ، والرضا عن آله وأمرته الفرّ الزهر الذين ينمّ شذا ذكرهم عبيراً ، و يروق طراز مجدهم حبيراً .

وعن أصحابه الأعلام ، الذين فضوا حلق الضلالة المسرودة ، ولقيت من عاصف بأسهم مبيداً مبيراً .

وصلة الدعاء لعلّ هذا المقام الأحمدى المنصوريّ الحسنيّ بنصرٍ عزيزٍ يقطف من الفتح زهرات الكفائم ، وسعدٍ جديد لا يزال قرين عزّماته الماضية ما انقذح برق في مُسكّة الغمام ، فكتبناه لكم من حضرة مرّاكش ، حاطها الله ، وصنائعُ الله تعالى لهذا الجنب النبويّ الكريم المولويّ مطردة أطراد كموب الذابل ^(١) ، وأمداد عنايته المطيفة المُحدّقة بهذه الإيالة ^(٢) العلّية واكفة الغمام الوابل .

هذا ، وإنه قد اتّصل بنا مائعنا به حُسن منابكم ، وإرسالكم ^(٣) لعلّ هذا المقام ، وأنكم ممن ارتشف مُجاجة لثته ^(٤) المسكّية الختام ، واستوفى إيماض عنايته البازغة الشارق ، وشام حيّاها ^(٥) الواكف غنير خلّب البارِق ، ليُقمص من فقصها ^(٦)

(١) الذابل : الرمح الدقيق . (٢) الإيالة : السياسة ، والبلاد تحت ولاية وال .

(٣) في أ : « وأسبابكم » ، وفي ب : « وأسبالكم »

(٤) في أ : « نسيبه » ، وفي ج : « تشيعه » ، والكلمة ساقطة من : ب .

(٥) في أ ، ب ، ج : « حاما » . (٦) في أ ، ج : « عصبا » .

المَوْشَى أُنِيقَ الشَّارَةِ ، وَيَسْتَشِفُّ ^(١) فِي حِزْبٍ مِنْ حَلٍّ مِنْهَا عَلَوَى دَارَةَ .

وإلى هذا فتعرفوا أن أمثالكم من حَلَّةِ المعارف ، المتفقيئين لظلمها الوارف ، مُتَمِّم لهم في هذا الجَنَابِ قِسْطُ النَّبَاهَةِ بَيْنَ وَتَرٍ وَشَفْعٍ ، ونداء أعلامهم في هذا الباب لم يزل نداء رَفَعٍ ، وَجَنَى الكَرَامَةِ دَانِي الْاهْتِصَارِ ، وحظهم منها الإِسْهَابُ الذي لَا يُخِلُّ بِهِ اقْتِضَابٌ وَاقْتِصَارٌ ، وَفِتْنُهُمُ الْمُتَحَيِّزَةُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ لَمْ تَزَلْ بِالْعَنَايَةِ مُحْفُوفَةٌ ، تَتَعَرَّفُ مِنْ تَغْوِيهِ الْمَقْدَارِ مَزِيَّتَهُ وَشُفُوفَهُ .

وَأَمَّا الْفَرْضُ الَّذِي يَمْتَمُّ ، وَالْقَصْدُ الَّذِي بِهِ أُلْمِتُمْ ، مِنْ خِدْمَةِ خِزَانَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِتَصْنِيفِكُمُ الْمُنْقَحَ الْفُصُولِ ، الْمُحَرَّرِ الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ ، « شرح توضيح العلامة ^(٢) ابن هشام » ، الَّذِي ^(٣) أُبْرَزَ مِنْهُ مَكْنُونُهُ حَتَّى اسْتَفَارَ بَعْدَ اكْتِنَامِ ^(٤) ، وَتَرَكَ ذِكْرَ خَالِدٍ ^(٥) غَيْرَ خَالِدٍ ، وَنَسَخَ مِنْ صِيغَةِ الطَّرِيفِ وَالْقَالِدِ ، فَلَكُمْ التَّصْرِيحُ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَالتَّفَرُّدُ بِمُسْتَمَرِّ الْإِضْمَارِ ، وَسَابِقُ الْحَلْبَةِ إِنَّمَا يُعَرَّفُ آخِرَ الْمِضْمَارِ ، فَقَدْ وَقَعَ ^(٦) مِنْ مَحَلَّنَا ^(٧) الْكَرِيمِ مَوْقِعَ الْقَبُولِ ، وَهَبْ لَهُ مِنْ إِيْثَارِنَا ^(٨) كُلَّ صَبَا وَقَبُولٍ ، وَتَوَفَّرَتْ دَاعِيَةٌ رَغْبَتُنَا فِي إِتْمَامِهِ ، وَإِطْلَاعُ جَنَى زَهْرَاتِهِ مِنْ أَكْثَامِهِ ، لِيَنْسِقَ ^(٩) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سِلَاقِ خِزَانَتِنَا الْعَلِيَّةِ اسْمُهُ ، وَيَنْبُتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي فَهَارِ سِهَابِ الْكَرِيمَةِ رَسْمُهُ .

(١) في أ : « ويشف » ، وفي ب : « وينسف » ، وفي ج : « وينشق » .

(٢) ساقط من : أ ، ب .

(٣) في م : « أبرز من مكنونه خفي استنفار واكتنام » ، وفي أ ، ج : « أبرز من مكنونه جنى استنفار واكتنام » ، والمثبت في : ب .

(٤) (يعني زين الدين خالد بن عبد الله الأزهرى ، من أهل جرجا ، بصعيد مصر ، نشأ بالقاهرة ، وعلى علمائها أئقن العربية حتى صار من أعلام النحاة ، له مؤلفات نحوية كثيرة . توفى سنة ٩٠٥ هـ .

الضوء اللامع ١٧١/٣ ، الكواكب السائرة ١٨٨/١ .

(٥) في م : « في مجلسنا » .

(٦) في م : « لإسارنا » ، وفي ب : « اختيارنا » ، والمثبت في : أ ، ج .

(٧) في م : « لينسق » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

والله تعالى يسدّد لكم في غرض التوفيق مراميأ ، ويجعل قسطكم من التسديد
زاكياً ونامياً .
والسلام ^(١) .



﴿ فصل ﴾

المكتوب له هذا المنشور العالى ، هو ^(١) أستاذى وخالى ، علامة العصر في سائر
الفنون ، وسيرُ الدهر الذى كان في ضميره عن النقص مَصُون .
سَيَبُونَه عصره ، وشافعى زمانه ^(٢) في مضره ^(٣) .
تحفة عطارِد ، وهدية الفلك لـكل ماجد .
صاحبُ الحسب والنسب ، الزاهد العابد ، الذى لم تمض له طرفة عين في غير
طلب الفوائد .

تخرّج على والدى ، ثم لازم العلامة أحمد بن قاسم ، والعلامة ^(٤) الشمس الرملى .
ثم بعدهما انتهت إليه الرئاسة العلمية ، وصدرُ الإفادة والتأليف والتصنيف .
وبه تخرّجت ، وبعلمه وبركة دعائه انتفعت .
قدّس الله تعالى روحه ، وجاد بسحب الرحمة ضريحه :

(١) ساقط من : ا ، ب ، ج . وشمس الدين الرملى ، هو محمد بن أحمد بن حمزة ، ذهب جماعة من
العلماء إلى أنه مجدد القرن العاشر ، توفى سنة ١٠٠٤ . وسيدكره المؤلف عند ذكر شيوخه آخر
الكتاب . انظر خلاصة الأثر ٣/ ٣٤٢ .

٤٥

أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين

القطب، الربباني، الشنواني، الوفاي.

وجده الأعلى ابن عم السيد على الشريف الوفاي، التونسي منشأ ومولدا.

بحر العربية الذي استمدت منه جداول الفضائل، وروض الكمال الذي قامت له الأغصان على سويقها في الخائل.

لو رآه المبرّد برّد به الغليل، أو أحمد لقال: أفدي «بالعين» هذا الخليل.

فكم قرط وشنف، وألف وصنف.

لم أذر أمة الحياة أحلى أم بحار راحاته، أم ماجرى في ظلمات نفسه^(١) المكتحل من عين دواته.

أما ترى القلم بغير رُوح مسّه فشى، وطرز حُلل القراطيس ووّشى.

(*) في م: «أبو بكر لإسماعيل بن شهاب الدين»، والتصويب من: أ، ب، ج، وخبيا الزوايا. وهو:

أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين الشنواني، نسبة إلى شنوان، بلدة بالنفوية، وبها ولد. تخرج في القاهرة على علماء عصره في جميع الفنون، وكان إماما في النحو، تشد إليه الرحال؛ للأخذ عنه، والتلق منه.

وقد اشتغل بالتأليف، وخرجت له مؤلفات كثيرة، أهمها «شرح توضيح ابن هشام»، ويذكر الحبي أن هذا الشرح في مصر معدوم، ويقال إنه لا يوجد إلا بأرض المغرب؛ فإن نسخته غار عليها بعض المغاربة، فذهب بها معه إلى المغرب.

ابتلى أبو بكر بالفالج، وتوفى سنة تسع عشرة بعد ألف.

خبيا الزوايا لوحة ١٦٩ ب، خلاصة الأثر ٧٩/١، ديوان الإسلام لوحة ١٥١ أ.

(١) النفس: المداد الذي يكتب به.

في طَرَسِه جَدَاوِل تَشَبَّهَتْ أَنهَارُهَا ، وَنَبَتْ مِنَ الشُّطُورِ عَلَى حَافَتِهَا رِيَاضُهَا
وَأَزْهَارُهَا ^(١) وَأَنْوَارُهَا ^(٢) :

فَكَأَنَّ الزُّهُورَ فِيهَا شُمُوعٌ وَلِذَا قِيلَ لَهَا أَنْوَارٌ
وهو لَعْمَرِي مِمَّنْ تَشَرَّفَتْ ^(٣) الصِّفَاتُ بِذَاتِهِ ، وَلِذَا سُمِّيَتْ بِالتَّوَابِعِ ، وَتَحَيَّرَتْ
الْعِبَارَاتُ فِي بَدِيعِ صِفَاتِهِ ، إِذْ رَأَتْ مَا لَمْ تَرَهُ عَيُونُ الْمُطَامِعِ .

وهو والدي وَأُسْتَاذِي وَخَالِي ، وَمِنَ التَّأَمَّ فِي زَمَنِ الطَّلَبِ بِهِ شَعْتُ حَالِي .
وهو كَمَا سَمِعْتُهُ تَلَمَّذَ لِأَبِي وَنَخْرَجَ بَابَن قَاسِمٍ ^(٤) ، وَهُوَ الرُّخْلَةُ الْعَلَامَةُ الَّتِي هُوَ
لِعَقْدِ الْفَضْلِ فِي جَيْدِ الدَّهْرِ نَازِمٌ .

وله تصانيف كثيرة شهيرة كـ « شرح التوضيح » الذي قرَّط به آذَانَ الدَّهْرِ ،
وَتَوَجَّعَ بِهِ رَأْسَ الْكَمَالِ وَهَامَةَ الْفَخْرِ ، وَنَظَّمَ بِهِ فِي جَيْدِ الْفَضْلِ قَلَانِدَ الشُّطُورِ ،
فَافْتَضَحَتْ حِلَاوَةُ « الْقَطْرِ » ^(٥) وَانْتَشَرَتْ طَلَاوَةُ « الشُّذُورِ » ^(٦) :

تِلْكَ آثَارُنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا فَانظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الْآثَارِ ^(٧)
وَكُنْتُ كَتَبْتُ إِلَيْهِ مَكَاتِيبَ بَعْدَ رَحَلَتِي ، وَأَسْرَى الزَّمَانَ لِي ^(٨) فِي طُولِ غُرْبَتِي ،
^(٩) مِنْهَا مَكْتُوبُ صُورَتِهِ :

وَجَدَ الصَّبَا لِلْعَاشِقِينَ رَسُولًا فَشَفَى بِإِهْدَاءِ السَّلَامِ عَلِيلًا

(١) ساقط من : ج .

(٢) ساقط من : ا ، ب .

(٣) في ا ، ب ، ج : « تَشَرَّفَ » .

(٤) هو أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمِ الصَّبَاغِ الْأَزْهَرِي ، شَهَابُ الدِّينِ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ مِصْرَ ، تَوَفَّى بِمَكَّةَ مُجَاوِرًا ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةَ .

تَرَاجُمُ الْأَعْيَانِ ، لِلْبُورِينِ ٦٢/١ ، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٤٣٤/٨ .

(٥) في ا : « طَلَاوَةُ الشُّذُورِ » ، وَفِي ب : « وَانْتَشَرَتْ طَلَاوَةُ الشُّذُورِ » ، وَفِي م : « وَطَلَاوَةُ الشُّذُورِ » ، وَالتَّيْبُ فِي : ج .

(٦) في ا ، ب ، ج : « لِنَ آثَارُنَا » . (٧) ساقط من : ا .

(٨) في ب : « مِنْهَا مَكْتُوبُ هَذِهِ صُورَتِهِ الْجَمِيلَةِ » ، وَفِي م : « مِنْهَا مَكْتُوبَتُهُ » ، وَالتَّيْبُ فِي : ا ، ج .

قُلْ لِلْأَحِبَّةِ أَنْتُمْ مَذْغِبْتُمْ لَمْ أَلْقَ وَجْهًا لِلشُّلُوِّ جَمِيعًا
نَخَلَعْتُ أَيَّامَ الْوِصَالِ قَصِيرَةً وَابْسُتُ لَيْلًا لِلْهُمُومِ طَوِيلًا

حرس الله تلك الذات التي بذرها لا يُخَشَى سِرَارُهُ ، لا زالت مُشْرِقَةً في سماء
المعالي أنوارُهُ ، وكَلَامُهَا رَوْضَ كَمَالِ الْمَجْدِ أَوْرَاقُهُ وَثَمَارُهُ ، وَسَقَاها مِنْ وَسْمِيَّ النَّعْمَاءِ
كُلَّ صَيْبٍ مُغْدِقٍ ، بَلْ مِنْ وَلِيٍّ ^(١) سَجَابَاهُ مَا يَزُودُهُ بِهِ خِصْبُ كُلِّ رَبِيعٍ وَيُورِقُ ،
وَحَيَّا اللَّهُ ذَلِكَ الْمُحْيَا ، وَرَوَّى مَوَاطِنَ مَوَاطِنِهِ الَّتِي يَفَاخِرُ بِهَا ثَرَاهُ الثَّرِيَّا .

لا زالت الفضلاء لا تَنْصَرِفُ عَنْ نَادِيهِ ؛ لِأَنَّهُ ^(٢) مُنْتَهَى جُوعِهَا ، وَلَا بَرِحَتْ
الْفَضَائِلُ مِنْ سُحْبِ بَنَانِهِ مُخْصِبًا رُبُوعِهَا ، كَمَا قُلْتُ فِي قَصِيدَةٍ تَمَسَّكَتُ بِأَذْيَالِ
أَفْضَالِهِ ، وَتَمَسَّكَتُ بِعَبِيرِ نَسَمَاتِ إِقْبَالِهِ :

فَرَائِدُ تَزْهُوٍ فِي تَرَائِبِ مَذْجِهِ وَعِنْدِي لَوْلَا الْجَيْدُ مَا حَسُنَ الْعِقْدُ
سَقَى اللَّهُ هَانِيكَ الرُّبَى سُحْبَ رَاحَةٍ لَهَا نَسَمَاتٌ مِنْ عَوَاطِفِهِ تَحْدُو
وَأَنَّ بَقَاعًا قَدَّ سَقَاها بَنَانُهُ لِيَنْبُتُ فِي أَرْجَائِهَا الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُطْفِئَ مِنَ الْبُعْدِ ضِرَامَ صَدَاهُ ، بِمُشَاهِدَةِ ذَلِكَ الْوَجْهِ الَّذِي
يَقْطُرُ مِنْهُ مَاءُ بَشِيرِهِ وَنَدَاهُ ، وَيُحَسِّكُمُ فِي عَاتِقِ الْفِرَاقِ ، سَيُوفَ التَّدَانِيِ وَالتَّلَاقِ ، فَإِنَّ
الْعَبْدَ مَا دَامَ فِي أَمْرِ الْبُعْدِ ، فَيَكْرَهُ مَحْبُوسٌ فِي سَجْنِ الْغَرَامِ وَالْوَجْدِ ، مُتَعَلِّقٌ بِهِ
أَشْرَاكَ النَّوَى وَالنَّوَابِ ، فَهُوَ جَازِمٌ بِالْأَلَا يُرْفَعُ حِجَابُ هَمِّ النَّاصِبِ .

وَكَيْفَ لَا ، وَإِنَّا الْقَلْبُ مَمْلُوءٌ بِوَلَائِكَ ، وَثُوبُ الْحَيَاةِ ^(٣) لِحُمَمَتِهِ وَسَدَاهُ ^(٤) مَنْسُوجٌ
بِيَدِ نَعْمَائِكَ ، فَأَنْتَ ^(٥) نُورُ حَقِيقَةِ الزَّمَانِ ، وَنُورُ حَقِيقَةِ الْجِنَانِ ، وَالسَّلَامُ .

(١) الولي : المطر يسقط بعد المطر .

(٢) في أ ، ب ، ج : « فَإِنَّهُ » .

(٣) في م : « لَحْمَةٌ وَسَدَاهُ » .

(٤) في أ ، ب ، ج : « فَإِنَّكَ » .

فكتبَ إلى ، رحمه الله ^(١) :

سلامٌ شَذَاهُ يَمْلَأُ الْأَرْضَ نَفْحَةً تُبَلِّغُهَا مِنِّي إِلَيْكَ يَدُ الصَّبَا ^(٢)
 وَتَحْمِلُهَا هُوجُ الرِّيَّاحِ إِلَى الْعُلَا وَتَنْشُرُهَا فِي الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ^(٣)
 وَسَقَى دِيَارَ الرُّومِ وَالْجَوْ عَابِسُ رَذَاذِ كَمَالٍ حَلَّ فِيهَا وَطَنَبَا ^(٤)
 وَرَدَّ عَلَيْهِ الْغَيْمُ لَوْلُوَ حَلِيهِ فَفَضَّضَ هَامَاتِ النَّبَاتِ وَذَهَبَا ^(٥)
 لَن كَانَ عَنْ مِصْرٍ تَوَارَى شِهَابُهَا فَقَدْ لَاحَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ كَوْكَبَا ^(٦)
 وَمَا كَانَ تَأْخِيرِي جَوَابَكَ عَنْ قَلِي وَلَكِنْ ضَعَفِي لِلْقَرِيحَةِ شَيْبَا ^(٧)
 وَشَرْقِي دَمْعِ الْأَسَى وَأَهَاضِي عَلَى أَنَّ قَلْبِي مِنْ فِرَاقِكَ غَرَبَا ^(٨)
 نَأَتْ بِكَ يَاقُسُ الْفَصَاحَةِ بِلْدَةً وَخَلَفْتَنِي بِمُتَدِّدِ الْفِرَاقِ مُعَذَّبَا
 فَلَيْتَ الَّذِي شَقَّ الْقُلُوبَ بِرُمُهَا وَلَيْتَ الَّذِي سَاقَ الْقَطِيعَةَ قَرَبَا
 سلامٌ كَعَرَفِ الرُّوضِ جَرَّ عَلَيْهِ النَّسِيمَ ذَيْلَهُ ، بعدما بَاتَتْ كُؤُوسِ الْقَطْرِ تُدَارِ
 عَلَيْهِ نَهَارَهُ وَلَيْلَهُ ، فَأَشْرَقَتْ شَمْسُ نَهَارِهِ عَلَى الرَّوَابِي وَالْبِطَاحِ ، وَأَقْبَلَتْ تَرْشُفُ رَيْقِ
 الْعَوَادِي مِنْ شِفَاهِ الشَّقِيقِ وَثَنَايَا الْأَفَاحِ ، وَنَشَرَ ^(٩) كَافُورُ الطَّلِّ مِسْكَى الشَّدَى عَلَى
 مَجَامِرِ ^(١٠) الْجُلُنَّارِ ، وَنُصِبَتْ عَلَى نَدَى النَّدَى سُرَادِقَاتُ مِنْ مُخَيَّمَاتِ الْأَشْجَارِ .

(١) خلاصة الأثر ٨٠/١ . (٢) في خلاصة الأثر : « يملأ الأرض نكهة » .
 (٣) في خلاصة الأثر : « وتحمله هوج الرياح . . . وتنشره . . . » .
 (٤) في م : « ويسقى ديار » ، والمثبت في ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفي ب : « وسقى ديار
 القوم » ، وفي ج :

وسقى ديارَ القومِ والجوَّ عابِسُ وزاد كَالَا حَلَّ فِيهَا وَطَنَبَا

وفي خلاصة الأثر : « والجو عابِسُ » . (٥) في خلاصة الأثر : « لَوْلُو طَلَه » .
 (٦) في ا : « لَنَ فِي سَمَا مِصْرَ . . . » . (٧) في خلاصة الأثر : « عَنْ سَدَى » .
 (٨) في خلاصة الأثر : « وَشَرْقِي دَمْعِ الْأَسَى وَأَهَاضِي » .
 (٩) في م : « وَنَشَرَتْ » ، والمثبت في ا ، ب ، ج .
 (١٠) في ا : « مَجَاجِرَ » .

يُهدى إلى من ألفت إليه العلوم مقاليدها ، وملكت من التحقيقات الفكرية طارفيها
وتليداتها ، أفصح من وثنى وجوه الطروس بخطوط المعارف ، وأسبل على عرائس
الألفاظ فواضل المطارف .

لا زالت عوارف المعارف عليه منهلة ، وذبول مجده من بحار المكارم مبدلة .
وبعد ، فقد ورد علينا^(١) المشرف الكريم ، فالتقينا عليه عصا التسليم ، واجتذينا
من قطوفه الدانية بأكورة التسجيع ، وتصيذنا من غصون همزاته حاتم الترجيع ، ورأينا
قد اشتمل على عتب أرق من دمة الكيب ، وأطف من معاتبة الحبيب للحبيب .
غير أن عذري مقبول لا يرد ، وطول الأسي رفيق لا يود ، فإن المرض لازمني
منذ سنوات ملازمة النجوم الأفلاك ، ونصب لصيد الصحة فخاخه والشباك ،
لا يفارقني إلا مفارقة الجفن للعين ، كأنه غريم ملح له على دين .

كان الشقم محتاج الجسمي فما ينفك عنه قيد شبر
إن أردت القيام من مضجعي فلا بد من معين ، وإن مشيت فلا أستغني عن
عصا وقرين .

رفضت يدي القلم وطالما حملته ، وجفا يميني بعد ما أرضعته من جداول
النوال وغذته .

وارتعشت اليد إفراقه أسفا وندما ، وصار وُجْدان الطروس بعده عذما ،
وأصبحت كائني من أهل الكهف والرقيم^(٢) ، لا أعرف كم لبنت من السنين ، وإن كان
عندي المقعد المقيم^(٣) ، والسلام .

(١) ساقط من : ا ، ب ، ج .

(٢) الرقيم : لوح رصاص كتبت فيه أنسابهم ودينهم ، ومن هربوا . معاني القرآن ١٣٤/٢ . وانظر
اختلاف المفسرين في معناه ، في تفسير القرطبي ٣٥٦/١٠ ، ٣٥٧ ، وتفسير ابن كثير ٧٣/٣ .

(٣) في ا ، ج : « والمقيم » .

وما شكاه في كتابه ، فالحج رماه بأوصابه ، في دهر ^(١) أثقله بمصائبه ^(٢) ، وعضه ^(٣) بأنياب نوائبه ^(٤) ، فكساه لباس البأس والضر ، وخلع ثوب الحياة ، فقال ^(٥) :

* فتوباً لبيست وثوباً أجرت *

وقلت لما أتى نعي وفاته ، مضمناً ^(٦) :

رحم الله أوحده الدهر من قد كان من حلية الفضائل حالي ^(٧)
ذاك من قلت سلوة إذ نعوه ليس حتى على المنون بخال
والمصراع الأخير شاهد لتزخيم خالد ، كما ذكره النجاة ^(٨) .

ولما جاء نعي الخال ، أخبرت بموت الوالد أيضاً ، فقلت في مرثية له :

كانّ الليالي غلطتني ولم أكن أقدر أن أغترّ بالمكر والحيل
فقلت إذا أعطيتك الأمن عاجلاً من الرزء هل ترضى فقلت لها أجل
نجاءت بفقدي للذين أحبهم وقالت لهذا كنت أغنى فلا تسأل
لأنّي لا أخشى مصاباً بعيداً فله ريب الحادثات وما فعل

وهذا معنى مشهور في كلام فصحاء العرب ، ولكنني تصرفت فيه ، مع تنمية النوع ، تصرّفاً يعرف حسنه من ذاق حلاوة الأدب .

وفي هذا المعنى يقول الصولي :

كنت السوداء لمقلة تبكي عليك وناظر ^(٩)

(١) في أ : « أثقله عصابه » ، وفي م : « أثقلته عصابه » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) في م : « وعضته بالأنياب نوائبه » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

(٣) عجز بيت لامرئ القيس صدره : * فلمّا دنوت تسديتها * .

شرح ديوان امرئ القيس للبطلومي ٩ ، وروايته : « فتوباً نسيت » .

(٤) خلاصة الأثر ١/٨١ .

(٥) في م : « في حلية الفضائل » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) انظر حاشية الصبان على الأشموني ٣/١٨٤ .

(٧) في م : « يبكي عليك الناظر » ، وفي المواهب اللدنية (الزرقاني على المواهب) ٨/٢٨٧ :

« فعمى عليك الناظر » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ
وهو رثاء في ابن له ، وأخطأ صاحب «المواهب اللدنية» إذ زعم أنه رثاء في النبي
صلى الله عليه وسلم ، وعزاه لغير قائله ^(١) .

وفي معناه قول الآخر :

فكلُّ ما كنتُ أخشى قد أصبْتُ بهِ فليس بعدهم من فائتِ جَزَعُ ^(٢)
وقال آخر :

اعتَضْتُ باليأسِ منه صَبْرًا واعتدل الحزنُ والشُّرُورُ
فلستُ أرجو ولستُ أخشى ما أحدثتُ بعده الدهورُ
فليجهدِ الدهرُ في مُصَابِي فاعسى جهده يُضِيرُ ^(٣)
وقال أشجع ^(٤) :

فما أنا من رُزءٍ وإنَّ جَلَّ جازِعٌ ولا بسُرورٍ بعد موتِكَ فارِحُ
وقال غيره :

لعمري لئن كُنَّا فَقَدْ نَاكَ سَيِّدًا يَحِقُّ لَنَا طَوْلُ التَّحْزُنِ وَالْهَلَعِ ^(٥)
لقد جرَّ نفعًا فَقَدْ نَاكَ لَنَا أَمِنًا عَلَى كُلِّ الرِّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ
وقيل لأمِّ الهيثم ^(٦) - وهي امرأة مع بلاغتها لها علم بالألفه ، والأزهرى كثيرًا
ما ينقل عنها في « تهذيبه » - لما مات ابنها : ما أسرعَ ماسَلَوْتِ عن الهَيْثَمِ !
فَقَالَتْ : أُمَّا وَاللَّهِ ، لَقَدْ رُزِنْتُه كَالْبِدْرِ فِي بَهَائِهِ ، وَالسَّيْفِ فِي مَضَائِهِ ، وَالرُّوحِ فِي

(١) عزاه صاحب المواهب اللدنية إلى حسان بن ثابت .

(٢) في م : « فليس من بعدهم » .

(٣) في ا ، ب ، ج : « فاعسى جهده يصير » . (٤) زهر الآداب ٧٩٤ .

(٥) في ا ، « لعمري وإن كنا » ، وفي ج : « لعمري لقد كنا » .

(٦) خبر أم الهيثم في زهر الآداب ٧٩٨ ، وفيه أنها أم الهيثم السدوسية .

رُؤَايَاهُ^(١)، وَاللَّهِ، لَقَدْ فُرِيتُ كَبْدِي^(٢)، وَتَصَدَّعَ قَلْبِي لَفَقْدِهِ وَبُعْدِهِ^(٣)، وَمَا اعْتَصَمْتُ بِهِ إِلَّا^(٤) الْأَمْنُ مِنَ الرِّزَايَا بَعْدَهُ^(٥).

وقد أوضح هذا المعنى القائل^(٥):

وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدًا

وهو بابٌ واسع ، لو أردنا نظائره سحبتنا ذيلَ المقال ، على أثرِ اللَّلال ، فلنقتصر على مقدار الكفاية منه .



(١) في زهر الآداب : « والرمح في استوائه » .

(٢) في زهر الآداب : « ولقد فتنت مصيبتيه كبدى » .

(٣) زيادة من : م .

(٤) في ١ : « أمني من الرزايا بعده » ، وفي ب ، ج : « أمن الرزايا من بعده » ، وفي زهر الآداب :

« أمن المصائب لفقده » .

(٥) التمثيل والمحاضرة ١٠٤ ، خاص الخاص ١٠٦ ، نهاية الأرب ٩٧/٣ ، والقائل هو عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر .

٤٦

محمد الفِشْتَالِي*

وزير مولاي أحمد .

أديبُ قَاسٍ، ورِيحانة فضلائِها الأكياس .

تقدّم فيها مُتقلداً قِلادةَ إنشائها ، فائقاً برسائلِها على سائر أدبايها .

وكان في عصرِه من أجَلِّ وزرائِها، رافِلاً في حُللِ الحُبُور ، تَبَسّم له الدولةُ الأُحمديّة

بُشغور السُرور .

وعاد إلى القُسطنطينيّة رسولاً من ملكِ الغرب والعودُ أحمد ، مُعيّناً للسّفارة وهل

أحدٌ أوّلَى بالرّسالة من محمد ؛ لأنه ممّن ألقى إليه مقاليدَ النّهى البشر ، وسَلّمتْ إليه

يدُ التّدبير مفاتيحَ الرّأى والحدَر .

وكان بها كثيراً ما يجلُو على كَأْسِ أنسِه ، ويسامِرُني بلّيل سَمَرِه ونِقِسِه ، ونحن في

مِضمار المُحاورة نتجَارى ، حتى مضى لنا معه أوقاتُ أقصرُ من إنباهِ القِطاة والحُبَارى ،

وأقصرُ من عُمرِ تَلالِقِ الأُحباب ، بل سَالِفَةٍ^(١) الذُّباب ؛ لأنه ممّن أحكم عُرَى المجد ،

وجذب عِنانَ الشّعْر وأحكم الحِلَّ والعَقْد .

فكنتُ إذا جاذبته أهدابَ الآداب ، وأجلتُ في ناديه قِداحَ الخطاب ، كَأَنِّي

جاثٍ^(٢) بين يَدَيِ الفرَزْدَق أو جَرِير^(٣) ، لأنه بصيرٌ بمُوراثِ الكلام خَبِير .

(*) ذكره الخفاجي في خبايا الزوايا لوحة ١٧١ ب ، والسلاوي في أثناء الجزء الخامس من الاستقصاء

باسم محمد بن علي الفشتالي ، وعلى أنه كاتب مولاي أحمد ، لا وزيره .

(١) في ا ، ب ، ج : « بسالفة » ، والسالفة : مقدم العنق .

(٢) في ا ، ب ، ج : « بين الفرزدق وجريير » .

ولما ورد الرُّوم ، كتبتُ له مُهنَّئاً بالقدوم :

قدومٌ له هَذِي الثُّغُورُ بَوايِمُ وليس له غَيْرُ الرُّهُورِ مَباسِمُ ^(١)
مَسَرَّاتُ إقبالٍ وعزمُ قَواذِمِ عليها لِطَيرِ اليَمْنِ رَفَّتْ قَواذِمُ ^(٢)
على فَتْرَةٍ وافيتَ الرُّومَ مُرسِلاً فضاءتْ بِنُورِ العلمِ مِنْها العالِمُ
فهل أَهْدَتِ الأَيَّامُ أعيادَها لَنَا ففى كُلِّ وَقْتٍ مَذِ قَدِمْتَ مَوايِمُ

هذا هناءٌ عرائسِهِ على الألبابِ مَجْلُوءَةٌ ، وآياته المَحْكَمَةُ بلسانِ الزمانِ مَتَلُوءَةٌ ، سُرَّتْ به الليلية والأَيَّامُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ فى فَمِ الدنيا ابْتِسامُ .

وَلَعَمْرِي لقد أَبانَ هذا الرِّسُولُ مِنَ المُرْسِلِ كِمالَهُ ، ولا غَرَوُ أنْ خُصَّ مُحَمَّدٌ فى زَمانِنَا بِالرِّسالةِ .

قدومٌ ذَهَبَ الأفقَ فى البُكرِ والأَصالِ ، وهَبَّتْ على رِياضِ مَجدِهِ نَسَماتُ الإقبالِ .

وقد جَرِيتُ فى هَذِهِ التَّهَنُّةِ مِنَ الأدبِ على سَنَدِهِ ، وأردتُ أنْ تُخَيِّبَها ^(٣) فرائضُ مَذْهَبِهِ ومُؤَكَّداتُ ^(٤) سُنَدِهِ .

فَمِنْ مَولانا تُجَنَّبُ ^(٥) ثَمَراتُ الألبابِ ، وتُطَرَّزُ ^(٦) حُللُ المَعارِفِ والآدابِ .
فهذا زَمانٌ طَلَعَتْ فيه ^(٧) شَمْسُ الفَضْلِ ^(٨) مِنْ مَغربِها ، فإنْ فَتَحَ مَولانا كَنُوزَ فِكرِهِ فالعَبْدُ أَحَقُّ بِمَطلِئِها ، والسَّلامُ .

(١) فى ١ : « هَذِي الثُّغُورِ مَباسِمِ » .

(٢) فى ١ : « وعز قَواذِمِ » .

(٣) ساقط من : ١ ، ب ، ج .

(٤) فى ب ، ج : « نَجَتْنى . . . ونَطَرَزَ » .

(٥) فى م : « الشَّمسِ » ، والمُنْبِتِ فى : ١ ، ب ، ج .

فأجاب بقوله :

جَذِيلُ حِكَاكِ قَدْ رَمَى بِعَظِيمَةٍ كَثَالَتِ الْأُنْفَى وَهَنَّ عَظَائِمُ^(١)
وَذَكَّرَنِي الظَّنَّ الَّذِي قَدْ نَسِيتُهُ فَتَى مُبَشِّرٌ بَلْ مُنْذِرٌ لَا يُقَاوِمُ
كَأَنِّي بِالْفَضْلِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ يُغْطَى عِرَاقًا وَهُوَ بِالنَّقْصِ عَالِمُ^(٢)
طَالَمْتُ ، أَبْقَاكَ اللَّهُ ، السَّحَاةُ^(٣) الَّتِي لَوْ رَأَاهَا الْفَتْحُ^(٤) لَمَا انْفَتَحَ لَهُ إِلَى الْإِحْسَانِ
بَابٌ ، وَلَوْ طَالَعَهَا الْبَدِيعُ^(٥) مَا ارْتَدَى مِنْ تَمِيمِهِ بِجِلْبَابٍ .
أُفْسِمُ بِتِلْكَ الْفَقْرِ وَالْقَوَافِي ، وَهَنَّ الْقَوَادِمُ فِي جَمَاحِ الْإِحْسَانِ وَاخْطَوَانِي ، لَقَدْ
سَقَتْنِي^(٦) مِنَ الْأُنْسِ بَعْدَ الصَّخْوِ كَأَسَا دِهَاقًا^(٧) ، وَمَلَأَتْ فِكْرِي وَهُوَ الْمَظْلَمُ بَتْنَانِي
السَّكَنِ إِضَاءَةً وَإِشْرَاقًا .
وإِنِّي لِتَارِكٍ لِمَتَابِ اللَّيَالِي ، إِذْ جَعَمْتُنَا فِي^(٨) هَذِهِ الدِّيَارِ بِأَمْثَالِكُمْ ، لَا زِلْتُمْ تُقِيمُونَ
رُسُومَ الْمَعَالِي ، وَتَجْمَعُونَ فِي الْمَكَارِمِ بَيْنَ الْمَقْدَمِ وَالتَّالِي ، بِمَنَّةٍ وَطَوْلِهِ .
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
وَلَهُ مَا شِعْرِ تَشْرِبُهُ أَفْوَاهُ الْأَسْمَاعِ ، وَرِيَاضُ مَنْشُورٍ تُغَرِّدُ حَمَامُ قَوَافِيهِ
بِمُطَرِّبِ الْأَسْجَاعِ .

(١) الجذيل المحكك : الذي ينصب في العطن لتحتك به الجري ، وأنا جذيلها المحكك : أي يشتفي برأيي . وثلاثة الأنافي : القطعة من الجبل يجعل إلى جنبها اثنتان ، ليوضع عليها القدر ، ورماء بثلاثة الأنافي ، أي بالشر كله ، جعل المرأفة بعد أنفة ، حتى إذا رماه بالثالثة لم يترك منها غاية . القاموس (أثف) ، وهكذا جاء « الأنفي » في البيت ، وجمع الأنفة أنافي .
(٢) العراق : الخرز المثنى في أسفل المزادة ، والراوية . انظر القاموس (ع رق) .
(٣) السحاة : ما أخذ من الفطاس . اللسان (س ح ي) ٣٧٢/١٤ .
(٤) يعني الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان السكاتب المؤرخ ، توفي سنة ٥٢٨ هـ . انظر معجم الأدباء ١٨٦/١٦ ، نفح الطيب ٦١٨/٤ .
(٥) يعني البديع الهمداني ، أحمد بن الحسين ، المتوفى سنة ٣٩٨ هـ . معجم الأدباء ١٦١/٢ ، يقيمة الدهر ٢٥٦/٤ .
(٦) في ١ ، ج : « سقيتني » .
(٧) كس دهاق : ممتلئة .

(٨) في ١ ، ب ، ج : « من » .

فما دار بيني وبينه من كؤوس الخطابة ، وجال من جِداد القول في مضار
المكاتبة ، وأنا مسجون بالروم ، وليس لي غير القضاء والقدر سجان ، في ديار ترى
العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان ، قولي ملغزاً في حبات الأحقاف ، الملتفة
تحت أغصان المعاطف على كُتب الأزداف :

أيارَوْضاً له ظِلُّ	وشمسُ معارفٍ نملُو
ويأمن قوله فضلٌ	وعنصر ذاته فضلٌ
أين لي ما مُقَيِّدةٌ	بردفٍ ماله وفضلٌ
بلا قلبٍ مُحجَّبةٌ	ومنها العقد والحلُّ (١)
على باب السرِّةِ أو	على كنزِ الهوى قفلٌ
ويحسن عقدها لكن	إذا حلَّيتَها تحلو

فأجاب ، وأجاد :

وفكر طله وبُلُّ	لنذب فضلُه أصلٌ
ونظم أرفع الشهب	لأذني قدره نعلٌ
لهذي فتكة بكرٌ	عما في بدئها نصل (٢)
وحزنتم قصَبَ السبق	فلم بعدد لكم خصلٌ
وفزنتم من ثنا جزلٍ	بما ليس له مثلٌ
فلا زلتم ولا زالت	بكم ساعاتنا تحلو

وكتبت له ملغزاً أيضاً :

أيها المفرد الذي صار جمعا	في المعالي ورق لفظاً وطبعاً
أي شيء لدى السموات يُلقي	وهو في الأرض بالجرأة يسعى

دُرُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ إِنْ عَدَدْنَا وَتَرَاهُ إِذَا تَحَقَّقَتْ سَبْعًا
فَأَجِئْنِي بِمُؤَهَّرٍ مِنْ نِظَامٍ كِي أَحَلِّي بِهِ لِسَانًا وَتَمَنَّا
فَأَجَابَ ، وَأَجَادَ :

يَابِدِيْعًا حَازَ الْحَاسِنَ طَبْعًا وَكَرِيْمًا لَهُ الْحَامِدُ تَسْعَى
لِي لُغْزًا أَهْدَيْتَهُ فِي بُرُودٍ مِنْ مَعَانٍ كَأَنَّهَا وَشَى صُنْعًا ^(١)
حَاكِهِ فِكْرُ مَاهَرٍ قَدْ تَنَاهَى فِي ضُرُوبِ الْبَيَانِ أَضْلًا وَفَرْعًا
خَامِسٌ مِنْ بُرُوجِ دَائِرَةِ الشَّمِّ سِرٌّ فِي الْغَابِ بِالضُّبَارِمِ يُدْعَى ^(٢)
لِمَيَادِينِ فِكْرِهِ تَنْبَارَى سُبُقٌ عَنْدهَا السَّوَابِقُ صَرَعَى
شُقْرُ ذَاكَ الْبِرَاعِ مَعَ دُهِمِ نَفْسٍ شُهْبُ طَرَسٍ يُرْضِيهِ حُسْنًا وَوَضْعًا ^(٣)
يُسْعِدُ الْكُفَّ سَاعِدَاهَا الْقَوِيًّا نِ وَمَا لِلطَّعْمَانِ ضَاعَفَتْ دِرْعًا
وَالْقَوَافِي تَمِيلُ مَيْلَ الْغَوَايِ لِلْفَتَى حِينَ يُشْبَعُ الشَّيْخُ صَفْعًا
إِنْ عَهْدِي بِالرَّمْيِ عَهْدٌ قَدِيمٌ أَنْتَ أَقْوَى عَلَى قَسِيِّكَ نَزْعًا
وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ أَبِي حَيَّةَ التَّمِيمِيِّ ^(٤) :

رَمَيْتَنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الْكَنَاسِ رَمِيمٌ ^(٥)

- (١) في ١ ، ب ، ج : « لى لغز » .
(٢) يعنى الأسد ، وهو الخامس من بروج الشمس ، وهو أيضا الضبارم . انظر القاموس (ضبرم) .
(٣) في ١ : « يرضيه جنا » ، وفي ب : « خيا » ، وفي ج : « حيا » ، وهو اضطراب . وبين هذا البيت والذي قبله تقديم وتأخير في ج ، وفيها : « شعر ذاك البراع » .
(٤) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة ، شاعر ، راجز ، من أهل البصرة ، وصف بالجن والكذب والبخل ، كان له سيف ، يقال : لم يكن بينه وبين الخشب فرق ، كان يسميه لعاب اللنية ، توفي آخر خلافة المنصور العباسي .

سمت اللآلى ٩٧ ، المؤلف والمختلف ١٤٥ .

والبيتان في البيان والتبيين ٣/٣٢٤ ، والكامل ١/٢٩١ .

- (٥) في الأصول : « رميت وستر الله . . » ، ولا يتفق هذا مع ما أوراده المصنف من إيراد البيتين . والتصويب من : البيان والكامل ، وفيهما : « عشية آرام الكناس رميم » .

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَيْتَنِي رَمَيْتُهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمٌ ^(١)

وَأَنْشَدَنِي قَصِيدَةً هُنَا فِيهَا بَفْتَحَ ، فَمَا اخْتَرْتُهُ مِنْهَا قَوْلُهُ :

بُشِّرَى تَرْفُؤُ مِنَ الزَّمَانِ الْمُقْبِلِ	بِمَنْصَةِ الْجَنْدَلِ الَّذِي لَمْ يَرْحَلِ
يَا نَجْلَ فَاطِمَةَ وَكَلَّ مُفَاخِرٍ	فَهُوَ الْمُفَاخِرِ دُرَّكُمْ بِالْجَنْدَلِ
لَوْلَا ضِيَاءُ الْمَشْرِقِيَّةِ وَالْقَنَاءِ	ضَلَّتْ كَتَائِبُهُمْ بَلِيلُ الْيَلِ
بِعَسَاكِرٍ رَمِدَتْ بِعُثَيْرٍ نَقَعِهَا	عَيْنُ الْغَزَالَةِ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ
خُطِبَتْ سُيُوفُكَ فِي مَنَابِرِ هَامِهِمْ	خُطْبًا تَذِيقُهُمْ نَقِيعَ الْحَنْظَلِ

ومنها ، في ختامها :

هَاسِكُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَوَافِيَا	فَاحَتْ مَجَامِرُ طَيْبِهَا بِالْمَنْدَلِ
بَدِيحِ أَهْلِ الْبَيْتِ هَزَّتْ مِعْطَفَا	هَزُّوْا بِمَدْحِ جَرِيرِهِمُ وَالْأَخْطَلِ

وقوله في جواب اللغز السابق : « حين يشبع الشيخ صفعا » من مزج الجدة بالهزل .

وعليه فانظر قولي في النثف ، التي سميتها « بالشهب السياره » ، وهو :

قِيلَ إِنْ كَانَ فِي الشَّبَابِ سُرُورٌ	فَبَيَاضُ الْوَجْهِ خَيْرٌ وَقَارِ
قُلْتُ رُدُّوا الشَّبَابَ لِي وَاصْفَعُونِي	وَاجْعَلُونِي سُخْرِيَةً لِلصَّغَارِ

والشيء بالشيء يذكر .

(١) ذكر المرد هذين البيتين فيما يفضل لنخاضه من التلكف ، وسلامته من التريد ، وبعده من الاستعانة ، وقال بعد أن أوردهما : « يقول : رمتني بطرفها ، وأصابتني بمحاسنها ، ولو كنت شابا لرميت كما رمت ، وفتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب »

وأجاد التعاويذى^(١) في قوله^(٢) :

وَعُلُو السَّنِّ قَدْ كَسَّرَ بِالشَّيْبِ نَشَاطِي
كَيْفَ سَمَوْهُ عُلُوءًا وَهُوَ أَخَذَ فِي انْخِطَاطِ

وقوله : « بعساكر رمدت » إلى آخره ، كقول الأَرَجَانِي^(٣) :

وَالشَّمْسُ فَرَطُ سَفَاهُ أَرَمَدَ عَيْنَهَا فَكَحَلَهَا أَيْدَى الْجِيَادِ بِإِثْمِدِ
ومنه قولي في الثَّغَفِ أيضا :

وَلَيْلِ زَارَنِي وَالسَّعْدُ وَآفَى عَلَى رَغَمِ الْمُنَافِقِ وَالْمُدَاجِي
رَأَى لَيْلِي عِيُونَ الشَّهْبِ رُمْدًا فَمَصَّبَهَا بِمَسْوَدِّ الدِّيَاجِي
وَأُنْشَدَنِي مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ ، قَالَهَا وَقَدْ دَعَاهُ دَاعِي النِّجَاحِ ، وَأَسْفَرَتْ لَهُ شَمْسُ الظُّفْرِ مِنْ
خَلْفِ سِتَارَةِ الْفَلَاحِ ، وَأُنْشَدَتْهُ الْمَسْرَّةُ ، قَوْلَ شَيْخِ الْمَعَرَّةِ^(٤) :

ابْقَ فِي نِعْمَةٍ بِقَاءِ الدُّهُورِ نَافِذَ الْأَمْرِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ
وَقَدْ قَدِيمٍ مِنْ غَزَاةٍ صَدَعَ بِهَا شَمْلَ الْكَفْرِ أَيْ صَدَعَ ، بَعْدَ مَا خَطَّ عَلَى صُحُفِ
الْبَسِيطَةِ سَطُورَ جَيْشٍ مُتَرَبِّبَةٍ بِالْفَتَحِ ، غَصَّ بِعَثِيرِهَا الْوَهَادَ ، وَسُرَّ بِهَا الْفَضَاءُ فَتَضَمَّنَتْ
مِنْ دَمِ الْأَعْدَاءِ بِالْجِسَادِ^(٥) ، وَالرَّبِيعُ قَدْ نَقَطَ تِلْكَ الصَّحْفَ وَوَشَّاهَا ، وَخَطَّ فِي جَوَانِبِهَا
النَّبَاتَ وَحَشَّاهَا .

وَكَسَا الْأَرْضَ خِدْمَةً لَكَ يَا مُو لَأَيَّ دُونَ الْمُلُوكِ خَضَرُ الْحَرِيرِ
وَعَدَّتْ كُلُّ رَبْوَةٍ تَشْتَمِي الرِّقَّةَ صَبَابٍ مِنْ النَّبَاتِ قَصِيرِ^(٦)

(١) التعاويذى هو محمد بن عبيد الله ، يقال له ابن التعاويذى ، وسبط التعاويذى ، شاعر بغدادى ،
عمى في آخر عمره ، توفى سنة ٥٨٣ هـ .

نسكت الهميان ٢٥٩ ، والنجوم الزاهرة ١٠٥/٦ .

(٢) نسكت الهميان ٢٦٢ . (٣) ديوانه ٩٥ .

(٤) شرح التنوير على سقط الزند ٧٠/١ ، وشروح سقط الزند ٢٢٤/١ .

(٥) الجساد : الدم اليابس . انظر القاموس (ج س د) .

(٦) في م : « وعدت كل روضة » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

فَهِيَ تَحْتَالُ فِي زَبَرِ جَدَةٍ خَفْءٍ مَرَاءٍ تُغْذَى بِلُؤْلُؤٍ مَنُشُورٍ^(١)
 فَقَدِمَ وَلَهُ عَنِ ذُنُوبِ الدَّهْرِ صَفْحٌ ، وَالْقِلَاعُ تُعْرِبُ عَنْ رَفْعِ عَزَمِهِ بَعْدَ مَا بَنَاهَا
 عَلَى الْفَتْحِ ، فِي يَوْمٍ عُدَّهِ عِيدَ السَّرُورِ ، فَهُوَ مِلٌّ الْعِيُونِ مِلُّ الصَّدُورِ .
 فَهَامَ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ ، وَهُوَ إِذَا رَأَسَ كُتَّابَهُ ، وَنَازِلُهُ عَقُودُ^(٢) الْجَوْهَرِ فِي سِلَاقِ خِطَابِهِ ،
 مُهْنَتًا وَمُنْشِدًا ، وَفِي رِيَاضِ نَادِيهِ مُغَرِّدًا ، بِقَوْلِهِ أَيْضًا^(٣) :

قَسَمًا بِالْجَفُونِ فِي سَطْوَةِ الْمَدِّ لِكِ وَقَدْ أُيِّدَتْ بِحُسْنِ الْمُتَوَرِّ
 وَظَبَاهَا الَّتِي بِهَا تَحْتَمِي فِي حَوَازَةِ الصَّوْنِ بَارِقَاتُ النُّفُورِ
 وَبَحْدٍ يُكْنَى أَبَا لَهَبٍ تَذْ كَيْ يَدُ الْحَسَنِ نَارَهُ فِي الضَّمِيرِ
 وَبَرَوْضٍ تَدِبُ شَوْقًا إِلَيْهِ عَقْرَبُ الصَّدْعِ فِي لِيَالِي الشُّعُورِ
 لَمْ يَجْرِنَا الْمَنَامَ حَتَّى تَفَاسَتْ نَحْوَنَا لِلخِيَالِ طَرَقُ الْمَسِيرِ^(٤)
 يَا ظِبَاءَ سَنَحْنُ مُلْتَفِتَاتٍ مُتَلِعَاتٍ أَجْيَادَهَا لِلنُّفُورِ
 أَمِنْ اللَّهِ رَوْعَكَ فَبَانِي أُرْتَجَى وَقَفَةً بِوَقْتِ يَسِيرِ^(٥)

ومنها :

نَسَمَةٌ فِي بَابِ الْإِمَالَةِ تَبُّ دَى عِلَلِ اللَّيْنِ فِي الْقَضِيبِ النَّضِيرِ^(٦)
 مَا عَهْدَنَا رِيحَ الْفَلَا وَغُصُونًا يُشْرِقُ الْحَسَنُ فِي بُرُودِ الْبُدُورِ
 رَافِضَاتٍ عَهْدَنَا هَلْ لَوْضَلِ مِنْ رَجَاءٍ يَطْفِئُ لِقَلْبِي الْحَرُورِي^(٧)

(١) في م : « خضرا وتغذى » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .
 (٢) في ا ، ب : « عقد » . (٣) في ا ، ب ، ج : « منها » .
 (٤) في م : « بيننا للخيال » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .
 (٥) في ا : « آمن الله » ، وفي م : « بوقت مسير » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .
 (٦) في م : « تبرى علل اللين » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .
 (٧) في ا ، ج : « رافضيات عهدنا » ، وهو هنا يشير إلى المقاتلة بين الرافضة والحروية ، أتباع
 نجدة بن عامر الحواري . انظر السكامل للمبرد ٢٤٤/٣ وما بعدها .

ذابَ شوقاً وأنفقَ العمرَ سَعياً في رِضاكُمْ وماله من شعورِ
كان خدّى جَرَى السَّوابقِ شُهْباً بادِياتٍ في لونها المُستنيرِ
فاستحالتْ حُمْراً وتكمن طوراً من أخاديدِ جَرِيها في حَفِيرِ
باعتكافٍ يَحْكِي جهادَ جِيادِ مُدمناتٍ على الشرى والبُكورِ

ومن مديحها :

يَانِسِيبَا أَنْتَ الْمُقَدَّمُ فِي الْمَدْحِ حِـ فَلَسْنَا نَرَى لَكُمْ مِنْ نَظِيرِ
كَمْ نَظَّمْتُمْ لِلْحَقِّ عِقْدَ اغْتِزَازِ وَنَتَرْتُمْ بِالْحِلِّ نَظْمَ الْفُجُورِ
وَبَضْرَبِ الْهِنْدِيِّ كَمْ قَدْ طَرَحْتُمْ مِنْ ضُرُوبِ الْعِدَى يَجْمَعُ الْكُسُورِ
وَأَدْرَيْتُمْ عَلَيْهِمُ الْمَنَافَا أَوْ كُوسًا لَمْ تَزَلْ بِكَفِّ الْمُدِيرِ
دَامَ فِي الْعِزِّ مُلْكُكُمْ وَبِئْسَ نَتْنِي عِزِّكُمْ لِلْفَتْوحِ سَيْفُ الظُّهُورِ
مَا جَرَتْ أَفْرُسُ الدَّرَارِي بِمِثْمَا رِ مَيَادِينِهَا بِطُولِ الدُّهُورِ

قوله : « يَانِسِيبَا » إلخ ، كقول بعضهم مُضْمِنًا مِنْ قَصِيدَةِ نَبَوِيَّةٍ :

لَهُ النَّسَبُ الْعَالِي فَيَا مَادِحَ الْوَرَى إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالْنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ ^(١)
وَلِلَّهِ دَرُّ ابْنِ خَفَاجَةَ ، فِي قَوْلِهِ ^(٢) :

مَلِكُكَ تَبَسَّمَ بِشَرِّ الْمُنَى بَمَرَّاهُ وَامْتَدَّ خَطْوُ الْأَمَلِ ^(٣)
فَلَمْ أَذِرْ وَالْحَسَنُ صِنُوْهُ لَهُ أَبْدَأُ بِالْمَدْحِ أَمْ بِالْفَزْلِ ^(٤)

(١) عجز البيت تضمين لصدر بيت المتنبي :

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالْنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ أَكْلٌ فَصِيحٌ قَالَ شعراً مُتَمِّمٌ

ديوانه ٢٩٠ .

(٢) ديوان ابن خفاجة ١٠٢ .

(٣) في الديوان : « تبسم ثغر المي » .

(٤) سقط هذا البيت من : ١ .

وكتب إلى وقد أصابته حُمى فافتصد ، يذكر اشتياقه ، ويشكو مآلهم من ملاقاتي وعاقه .

أنا في غربتي وعلتي ، ونار خليل لم تبَلِّ بملاقاته غلتي ، لا أظن نسيان الإخوان ، واعتذر لتقصير الزمان .

كأن زمني خاف لحناً فلم يكن ليجمع بين الساكنين بأوطان^(١) فكتبت إليه :

كفاك الله ما نخشى وغطى عليك بظل نعمته الظليل

أعز الله تعالى أنصار الكرم الفياض والحسب ، وحفظ بحمايته معالم الفضل العامرة بالأدب ، بيقائك محروساً من هجوم الخطوب ، محفوقاً بسور منيع من إحاطة القلوب ، وأضوات جرس^(٢) الدعاء به مرفوعة ، وسدته بحجاب الصنائع ممنوعة ، وله من عطر الثناء نشر انتشر ، فلا يمل حتى يمل نسيم السحر .

والدهر وإن كان ذا غير ، من تفكر فيه اعتبر ، فكيف يتسلط عليه بالأمه ، وهو لا يتسلط على أيادي إنعامه ، فإن هم به ونعمه^(٣) سابعة عليه ، فقد ورد : « اتق شر من تحسن إليه » .

أتهدي له الأيام سقماً وإنما مساعيه في أعناقهن قلانيد
فإن اعتل فإنما اعتل الكرم والكمال ، وإن مرض فقد مرضت الأمانى
والآمال ، والقلوب والأرواح ، وإن دعونا له فإنما ندعو لأنفسنا بالصلاح ، ورُبَّ

(١) في أ ، ج : « فإن زمني » .

(٢) في أ : « حرس » ، وفي ب ، ج : « خرس » .

(٣) في م : « ونعمته » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

مريض لا يُعاد ، ولا يُحرَم الأجرَ مريضُ الفؤاد ، فلا أقول :
بأيتَ علتهِ بي غير أن له أجرَ العليلِ وأنى غيرُ مأجورٍ
وقد بلغتُ فصدّه الباسليق^(١) ، وأنه قد بكى دماً عرقه العريق .

وباتَ اغتلاكُ يبكى دماً وتضحكُ في جِسْمِكَ العافيةُ
وعرقُ الصّحةِ له في كل منبتِ شجرةٍ عينٌ باكية ، تبكى بدموعِ العرقِ على فراقِ
العافية ، وليس ببكاءٍ وإنما من استغرب في الضحك قد تدمعَ عيناه ، كما أن الحزين قد
يضحكُ دهشةً مما دهاه .

فأضحك الله تعالى ثغراً فصاحتِه ، كما ضحكتُ تباشيرُ صحتهِ ، وهنأ الله تعالى الوجود ،
بسلامة الكرم والوجود ، وأطلع كوكبَ سعديه في أفق الإفاقة والإقبال ، فإن لكلِّ
زمانٍ مُقبلٍ غرّةٌ وهلال .
والسلام .

﴿فصل﴾

دعانا مرّةً داعي الصّبا ، فخرّك مِنّا ما حرّ كنه من عذباتِ البان أنفاسُ الصّبا ،
إلى روضٍ أنيق ، ووادي تزوره السّراء من كلِّ فجٍّ عميق .
نبّهت عيونَ أزهاره أكَفَّ نسيمِ السّحر ، ونيطأت على قُدود قُضبه بعد اخضرارِ
عارضِ نباته تماثُم الزّهر .

والرّيحُ تجذبُ أطرافَ الفُصون كما أفصى الشّقيقُ إلى تنبيهه وسنانِ

(١) الباسليق : عرق في الذراع . شفاء العليل ٤٠ ، وانظر فقه اللغة ٩٢ .

في مجلسٍ سكرتٍ فيه أباريقُ الصُّبَّاءِ^(١) ، فرجعتْ أصواتها ترجيعَ
تمتّامٍ وفأفأه^(٢) .

مع خلّانٍ ، وخلّصَ إخوان ، كلُّ منهم قُرّةٌ ، في عُيون المسرّة .
فيه طراز حلّل اللّيالى ، وروضة تُنبِت أنوار المعالى .
تتجاسد عليه القلوبُ والعيون ، وتُختَم به صُحفُ الطّرفِ وخِتامُه مسكٌ يقناسُ
فيه المتنافسون .

قام لديهم ساقٍ كالفِ على سين أعطى قافه للإبريق ، أو غصن عبّث به الصِّبّا فكاد
يُعقد من اللين ذيلُ حواشى لُطفه الرقيق .

لولا كُتَيْفُ^(٣) كُتَيْبٍ رِذْفِه ، القائمُ عليه هَيْفُ عِطْفِه .
لولا سِهامُ جفونِه انتظمتْ عِقدتْ على وجنّاته القُبُلُ^(٤)

فنادى : حىّ على الصُّبوح ، هلمُّوا إلى رَيْنحانة الرُّوح ، شقيقةِ نفسِ الإنسان ،
صابونِ دَرَنِ الأُخْزاف ، دِرْيَاقِ^(٥) ملْسوعِ الغُموّم ، مَطِيّةِ لَهْوٍ تُرْتَحِلُ بها
من منازلِ الهُموم ، بازٍ له دُستبان^(٦) من ذهبٍ ، بصطاد به سوانحِ الفَرَحِ والطَّرَبِ ،
حيث لا يُسمَعُ صُراخُ لغير الأوتارِ ، ولا بسكّاءٍ إلا للقفاني ولا رقباءِ سِوى^(٧)
عيونِ الأزهار .

(١) فى م : « المدام » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) فى ب ، م : « وفافا » ، وفى ج : « ترجيع تمتام ووفاء » . والمثبت فى : ا .

(٣) ساقط من : ا .

(٤) فى ا : « عقد على وجناته » ، وفى ب ، ج : « عقدا على وجناته » .

(٥) الدرياق والترياق بمعنى ، وهو علاج للسموم .

(٦) فى الألفاظ الفارسية العربية ٦٤ الدستان : النغمة ، والدستانوان : تعريب دستانبان ، ومعناه :
الضارب بالدستان .

(٧) فى ا ، ب ، ج : « غير » .

فلم يزل يُحكّم فيهم السكّاسات ، ولا يسمعون من عَذْب ألقاظِه غيرَ خذ ومات ،
في يومٍ شابَّت ذوائبه ، من قبلِ ما طرَّ بالعَشِيَّة شارِبُه .

فلَمَّا دنا المَسِير ، وغاب بدرُ السكّاسِ المُنِير ، قام بعضهم ثَملاً سكران ، وذهب
حافياً رجلاًن ، فنسيَ نعلَه ، وأودعَ عند الخمارِ عقلَه ، فكأَنَّمَا فرَّ هارباً لما طرَحَ أحمالَ
أحزانِه ورمأها ، وألقى صحيفَةَ فِكرِه والزَّادَ حتى نعلَه ألقاها .

فكُتِبَتْ إليه أُعزِّيهِ فيها ، وأُخِفَّ عنه مصائبُ الدَّهرِ وأُرثيها ، بقَوْلِي على لسانِه
مُداعِباً ، ومفاكِهاً له مُطايباً .

لقد خائنا دهرٌ وكنا به نملو	يوذُ هلالُ الأفقِ لو أنه نعلُ
وقد كان لي نملٌ فشتتَ شملها	وما الدَّهرُ أهلٌ أن يدومَ له شملٌ ^(١)
وكانت تقى بالنفسِ رجلى فأصبحتُ	تُفارقُها من بعد ما آذنَ الثَّكلُ
وقد كنتُ ذا بشرٍ فأصبحتُ حافياً	وكم حزنْتُ من بعدها الكعبُ والرجلُ ^(٢)
فكم حَبَّتْني في سرورٍ وشِدَّة	ولم تتخلَّفَ عن مُرادِي ولم تَعْلُ
ونقلتِ الأقدامَ للراحِ سَجَرَةً	فعدتُ ولا عقلٌ لَدِي ولا نَعْلُ
كذلك عاداتُ الشَّرابِ وفعلُه	فما اختارَه مُضَيٌّ بهٍ وله عَقْلُ
وأُنشِدْتُ خِلِي حين ضاعتْ ولم يكنْ	ليمنَعني في ذلك الحادثِ الخِلُ ^(٣)
وإنَّ أخلاءَ الزَّمانِ غَناهمُ	قليلٌ إذا الإنسانُ رَلَّتْ به النُّعْلُ ^(٤)
فأنشدني يديماً يَبُتُّ مُهَجَّتِي	لكيما فَوادِي عن محبتها يَسْلُو

(١) في م : « وقد كان لي شمل » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٢) يشير في صدر البيت إلى بشر بن الحارث الحافي ، زاهد ورع ، محدث نقه ، توفي سنة ٢٢٧ هـ .
تاريخ بغداد ٦٧/٧ ، حلية الأولياء ٣٣٦/٨ ، طبقات الصوفية للسلمي ٣٩ .

(٣) في م : « ليسعني في ذلك الحادث الخل » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٤) في ج : « عتادهم قليل » .

تَرَوْدُ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعًا لَفِيْهَا فَقَدْ شَمَرْتُ جَيْدَاهُ وَأَنْصَرَمَ الْحَبْلُ^(١)
فَلَهْفَى عَلَيْهَا حِينَ أَمَسَتْ شَهِيْدَةً وَقَدْ جَاذَهَا بِالدَّمْعِ قَطْرٌ لَهُ هَظْلُ
وَأَضْحَتْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى دُونَ دَافِنٍ وَلَكِنْ بَكَفِ السُّحْبِ أَمْسَى لَهَا غُسْلُ^(٢)
فَلَمَّا سَمِعَهَا الْفِشْتَالِيَّ اسْتَظَرَفَهَا جَدًّا^(٣) ، وَكَتَبَ لَهُ :

رَأَيْتُ أَدِيْبًا وَاضِعًا كَفًّا حَائِرٍ عَلَى ذَقْنٍ إِذْ لِلْهُمُومِ بِهِ شُغْلُ
فَقُلْتُ لَهُ هَلْ بَانَ الْفُؤَادُ لَوْتُ بِهِ نَوَى قَذْفُ أُمِّ لَا يُرْجَى لَهُ وَضْلُ^(٤)
فَقَالَ عَلِمْتُمْ أَنَّ جَارِيَّتِي يَدْرِي وَرَاحِلَتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ
خَرَجْتُ مَعَ الْبَايِزِيِّ لِحَاثِ مُدَامَةٍ رَجَاءِ سُرُورٍ وَالطَّرِيقُ بِهَا وَخَلُ
فَأُبْتُ وَبَى مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ لَسَعَةٍ بِخُفْيِ حُنَيْنٍ لَا ثَرَاءَ وَلَا عَقْلُ
نَأَتْ عَنْ أَدِيمِ الْأَخْصَيْنِ وَقَايَةً وَمَا بِي شُعُورٌ إِذْ تَخَطَّفَهَا الْوَبْلُ
كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخُطْبُ فِي وَثْبَاتِهِ بِكُلِّ كَرِيمٍ لَا يَفَارِقُهُ فَضْلُ
وَفِي كُلِّ قَلْبٍ لِلْخُطُوبِ مَا نَمُّ يَحِقُّ لِأَرْبَابِ الْقَرِيضِ بِهَا شُغْلُ
فَقُلْتُ لَهُ إِنْ الْعِيَاةَ تَقْتَضِي بِتَضَحِيْفٍ نَعْلٍ أَنْ قَدَرَ كَمْ يَعْلُو
تَسْوَدَ دَهْرٌ جُودَ كَمْ وَاتَى لَهُ فَالْقَتْ إِلَيْهِ عِنْدَ ذَا نَعْلَمَا الرَّجُلُ

وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْأَدِيْبُ زَيْنُ الدِّينِ الْإِشْعَاقِيُّ الْحَلَبِيُّ^(٥) :

تَعَزَّأْخِي إِنْ كُنْتَ تَمَنَّيْ لَهُ عَقْلُ وَلَا تَبْدُ أَحْزَانًا إِذَا ذَهَبَتْ نَعْلُ

(١) في ١ ، ج : « شمرت جدا » ، وفي ب : « شمرت جدا وانقطع الحبل » .

(٢) في م : « وأمست على وجه الثرى » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

(٣) ساقط من : أ ، ب .

(٤) القذف : البعيد .

(٥) سبق أن ذكرت في حاشية صفحة ١٦٦ هذه الأبيات قلا عن الحبي ، وعن إعلام النبلاء ، وذكرت حينئذ أني لم أجدها هذا النص فيما بين يدي من نسخ الريحانة ، فليصحح .

ولا تَعْتَبِ الدَّهْرَ الْخَوُونَ فَدَأْبُهُ لَعَقْدِ اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ دُونَ الْمَدَى حَلُّهُ^(١)
 لَحَى اللَّهُ دَهْرًا لَا يَزَالُ مُوَلِّعًا بِتَكْدِيرِ صَفْوِ الْعَيْشِ مِمَّنْ لَهُ فَضْلُ
 يُفَرِّقُ حَتَّى شَمَلِ رَجُلِي وَنَعْلِهِمَا أَشَدَّ فِرَاقٍ لَا يُرَى بَعْدَهُ شَمْلُ^(٢)
 فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعْ مَا اللَّيْبُ بِجَازِعِ وَلَا تَارِكِ صَفْوًا إِذَا زَلَّتِ الدَّعْلُ^(٣)
 بِحَقِّكَ قُمْ نَسْعَى إِلَى الرَّاحِ سُحْرَةً نُجِدُّ أَفْرَاحًا لِكُلِّ صَدَأٍ تَجْلُو
 إِلَى دَارِ لَذَاتِ وَرَوْضِ مَسَرَّةٍ بِرَحْبِ فِنَاهَا مِنْ غُصُونِ الْمُنَى ظِلُّ^(٤)
 وَلَابِنِ قَلَاقِيسَ ، وَقَدْ سُرِقَتْ نَعْلُهُ^(٥) :

قُلْ لِنَجْمِ الدِّينِ يَأْمَنُ نَهْتَدِي مِنْ مُجِيَاهُ بِأَسْنَى قَبَسِ^(٦)
 مَا الَّذِي أَوْجَبَ عَوْدِي رَاجِلًا بَعْدَ أَنْ وَافَيْتُكُمْ ذَا فَرَسِ^(٧)
 خَلَمُوا نَعْلِي لَمَّا عَلِمُوا أَنِّي مِنْ رَبِّعِكُمْ فِي قُدْسِ

﴿ تَمَّة ﴾

يُقال في المثل للمتساويين في الخير : فَرَسَا رِهَان .

وهذا كما أفاده بعضهم باعتبار ابتداء الجرمي ؛ لتساويهما حين الإرسال ، وأما في
 المنتهى فيغلب سبق أحدهما ، فكيف يجعلان متساويين ، وقد ضربتُ أنا المثل للمتساويين
 في الدَّناءة بفَرْدَتِي النَّمْل ، وَثَوْرِي الْحَرَاث^(٨) ؛ فإنه لا يُنْتَفَعُ بأحدهما دون الآخر ، فقلت :
 وَثَقِيلَيْن هُمَا مَا افْتَرَقَا مِنْهُمَا الدَّهْرُ أَبُو الْغَدْرِ اسْتَفَات

(١) في خلاصة الأثر ١٩٠/٢ : « دون المدي » .

(٢) في م : « وصل » ، والمثبت في أ ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) في خلاصة الأثر : « ولو زلت النمل » . (٤) في خلاصة الأثر : « لرحب فناها » .

(٥) ديوان ابن قلاقيس ٥٧ ، وقد سقط البيت الأول منه .

(٦) في أ ، ب ، ج : « بأذكي قبس » . (٧) في الديوان : « بعد ما وافيتكم » .

(٨) في ج : « المحراث » .

فَكَانَ اللُّؤْمَ قَدْ صَاغَهُمَا فَرَدَّتِي نَعْلَيْهِ أَوْ ثَوْرِي حِرَاثَ^(١)

وقد ضربت العربُ المثلَ في هذا برِجْلِي النِّعَامَةِ ، فقال الشاعر^(٢) :

وإني وإياها كَرِجْلِي نَعَامَةٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ غِنَى وَفَقِيرٍ^(٣)

قال القائلُ في « أماليه »^(٤) : أي أننا في اتفاقنا لا نختلف ؛ لأنه مامن بهيمة

تُكْسِرُ إحدى رِجْلَيْهَا ، إلا وتنتفع بالأخرى غير النِّعَامَةِ . انتهى

ولما قدِمَ رَغِبٌ فِي صُحْبَتِي ، وَخَطَبَ رَاغِبًا مَوَدَّتِي ، وَوَدَّ انْقِطَاعِي عَنْ سِوَاهُ ، فَلَمَّا

رَأَيْتُ كِفَاءَتَهُ^(٥) وَصِدْقَ مُدْعَاهُ ، كَتَبْتُ لَهُ :

سَلَا بَانَةَ الْوَادِي لَدَى الْمَنْزِلِ الرَّحْبِ مَتَى فَقَدْتُ غُرَّ الْمَنَاقِبِ مِنْ صَحْبِي

فَهَلْ فِي حِمَاهَا نَفْحَةٌ عُمَيْرِيَّةٌ قَدْ اسْتَوْدَعَتْهَا الرِّيحُ مِنْ نَفْسِ الرَّكْبِ

وَهَلْ بَيْنَ أَطْلَالِ الرُّسُومِ وَنُؤْيَاهَا حَائِمٌ بَانَ فِي الرُّبَى طَيَّرَتْ لُبِّي^(٦)

وَهَلْ مِنْ عُهْدٍ قَدْ تَقَضَّتْ بِقِيَّةٍ يُؤَوِّي بِهَا حَقِّي وَيُقْضَى بِهَا نَحْيِي

سَقَى اللَّهُ عَهْدًا لِلْأَحْبَةِ صَيِّبًا مِنْ الطَّرْفِ تَغْنِيهِ عَنِ الْوَابِلِ السَّكْبِ

وَهَيْفَ عُصُونٍ جَادَهَا هَاطِلُ الْفَنَى فَمُنْبِتُ أَوْرَاقًا مِنَ الشَّجَرِ الْقَضْبِ^(٧)

وَكُلُّ خَلِيلٍ رَقَرَقَ الْوُدَّ صَافِيًا فَكُلُّ مَلَامٍ فِي مَحَبَّتِهِ بُصْبِي

(١) في م : « فردتي نعل وثوري الحراث » وفي ج : « فردتي نعل وثوري حراث » ، والمثبت

في : ا ، ب .

(٢) نسبة الثعالبي في ثمار القلوب ٣٥٢ إلى أعرابي يخاطب امرأته ، في أبيات . وانظر أمالي الثعالبي ١٨٨/٢

(٣) في م : « في غنى وفقير » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، و ثمار القلوب ، والأمالي . وفي ثمار القلوب : « وإني وإياه » وقال في تفسير ذلك : « وكانت امرأته تجفوا أخاه دحية وتطرده ، فأخبر أنه وأخاه كرجلي نعامة إن أصاب أحدهما شيء بطلت الأخرى » .

(٤) أمالي الثعالبي ١٨٨/٢ ، وتصرف الخفاجي في عبارته ، والأبيات برواية تخالف رواية الثعالبي .

(٥) في م : « محبته » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٦) في ا : « حمام أُنَاف في الربى أطربت لبي » ، وفي ب ، ج : « حمام أُنَاف في الربى طيرت لبي » .

(٧) في ا : « فأنبت أوراقا من الخز والعصب » ، وفي ب : « فأنبت أوراقا من الخز والقضب » ،

وفي ج : « فأنبت أوراقا من الشجر والعصب » .

أَصْدَقَ فِيهِ الظَّنُّ مِنْ ضِئْتِي بِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدْ عَرَفْتُ سِوَى قَلْبِي
وما ذاك من سوءِ الفِعَالِ جِبِلَّةٌ فكم جاء سوءُ الظَّنِّ من شِدَّةِ الحُبِّ
هذا معنَى غيرِ ما قاله الْمُتَنَبِّيُّ (١) :

إذا ساءَ فعِلُّ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَتَّبِعُهُ مِنَ تَوَهُّمٍ
والحديثُ شَجُونُ .

ومنها :

إذا غابَ بَدْرُ التَّمِّ ظَلَّتْ مُرَاقِبًا لَمَطَلَعِهِ مِنْ مَشْرِقِ الْعَيْنِ وَالْغَرْبِ
ولكنَّ شمسَ الحُسْنِ مِنْ وَجْهِ مُنِيبِي لَقَدْ بَرَزَتْ لِلنَّاطِرِينَ بِلَا حُجْبِ
كذلك بِشَمْسِ الْغَرْبِ أَشْرَقَ شَرْقُنَا بِفَضْلِ لَهُ قَدْ شَاعَ فِي الْعُجْمِ وَالْغَرْبِ
وقد كُنْتُ قَدِيمًا تَبْتُ عَنْ كُلِّ خُلَاطَةٍ تُنْكَدُ عَيْشِي وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الذَّنَبِ (٢)
فَلَمَّا صَفَى مِنْهُ الْوَدَادُ وَمَشَرَبٌ يَرُوقُ لِظَايِمِ ذَيْدٍ عَنْ مَوْرِدِ عَذَبِ
نَقَضْتُ عَلَى حُكْمِ الْمَرْوَةِ تَوْبَتِي وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ الْمَعَالِي مِنَ الْغَرْبِ
وبعد الشعرِ فصل :

مولايَ أحمد (٣) قد ملأَ فضلهُ الجبالَ والوهادَ ، فسَدَّ عَلَى حُسَادِهِ طُرُقَ الْجَحْدِ ،
وحازَ السِّيَادَةَ مِنْ سَاعَةِ الْمِيلَادِ ، فَإِنَّكَ مَهْدِيٌّ إِلَيْهَا مِنَ الْمُهْدِ .

وهو يعلمُ أنَ عَقَائِلَ الْوَدَادِ فِي خُدُورِ (٤) الْخُمُولِ كَمِيْنَةٍ ، وَأَنَّهُ لَا تَنْجَلِي (٥)
أَعْيُرَ الْمُحْرِمِ وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَةَ ، فَإِنَّ الزَّمانَ مُشْتَقٌّ مِنَ الزَّمانَةِ ، وَالْإِخْوَانُ لِقَلْبٍ قُلُوبِهِمْ مِنْ
الْخِيَانَةِ ، وَإِنْ أَطْلَعَ السَّبَاخُ النَّخْلَةَ الْفَيْفَانَةَ ، فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى ، وَتَقَطَّعَ

(١) ديوان أبي الطيب ٤٥٦ . وقد سقطت هذه المقدمة والبيت حتى أول الأبيات التالية من : ج .

(٢) في أ ، ب : « وهو من أعظم الذنوب » . (٣) ساقط من : أ ، ب ، ج .

(٤) في م : « خدود » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

(٥) في م : « لا تنجلي » ، وفي أ : « لا تنجلي » ، والمثبت في : ب ، ج .

الأززارُ مالها من ضَيِّقِ العُرَى ، وما كلُّ جوهرٍ له مُشْتَرَى ، وما كلُّ صاحبٍ يَعْرِفُ
قَدْرَ العَسْكَرِي .

فلذا نَفَرْتُ حَتَّى عَنْ ظِلِّي ، وقاطعتُ حَتَّى وَاْدِي وَأَهْلِي ، لَكِنَّ مَالَكْ مِنْ حُسْنِ
الْأَخْلَاقِ ، جَذَبَ لَكَ ^(١) مَوَدَّتِي بِالْأَطْوَاقِ ، وَالسَّلَامِ .

قولي : « وما كلُّ صاحبٍ » إلخ ، إشارة إلى ما ذكره ياقوت في « مُعْجَمِهِ » ^(٢) ،
من أن الصَّاحِبَ ابنَ عَبَّادٍ تَمَّتْ لِقَاءُ أَبِي أَحْمَدَ العَسْكَرِيِّ ، فَكَاتَبَهُ فِي الْحُضُورِ لَهُ ،
فَتَعَلَّلَ بِكِبَرِ السَّنَةِ ، فَلَمَّا يئِسَ مِنْهُ جَذَبَ السُّلْطَانُ لَذَلِكَ الصُّوبَ ، وَسَارَ مَعَهُ ، فَخِينِ
أَنِّي عَسْكَرَ مُكْرَّمٍ ، كَتَبَ لَهُ :

وَلَمَّا أَبَيْتُمْ أَنْ تَزُورُوا وَقَلْتُمْ ضَعُفْنَا وَمَا نَقْوَى عَلَى الْوَخْدَانِ ^(٣)
أَتَيْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ أَرْضٍ نَزُورُكُمْ عَلَى مَنْزِلٍ بِكَرٍّ لَنَا وَعَوَانٍ ^(٤)
نُسَائِلُكُمْ هَلْ مِنْ قَرَى لَنَزِيلِكُمْ بِمِلٍّ جُفُونٍ لَا بِمِلٍّ جِفَانٍ
فَأَجَابَ ، بِفَتْرٍ ، وَنَظَمَ مِنْهُ :

أَرُومٌ نُهُوضًا ثُمَّ يَذْنِي عَزِيمَتِي تَعَوُّذُ أَعْضَائِي مِنَ الرَّجْفَانِ ^(٥)
فَضَمَمْتُ بَيْتَ ابْنِ الشَّرِيدِ كَأَنَّمَا تَعَمَّدُ تَشْدِيدِي بِهِ وَعَنَانِي ^(٦)
أُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ

فَلَمَّا قَرَأَهُ اسْتَحْسَنَهُ ، وَقَالَ : لَوْ خَطَرَ بِيَالِي هَذَا الْمَثَلُ ، مَا أُرْسَلْتُ ذَلِكَ الشَّعْرُ ،
لَكِنِّي ذَهَلْتُ عَنْهُ ^(٧) .

(٢) معجم الأدباء ٨/٢٤٨ - ٢٥٥ .

(١) ساقط من : ١ ، ب .

(٣) الوخدان : ضرب سريع من السير .

(٤) في معجم الأدباء ٨/٢٤٩ وديوان الصاحب ٢٩٤ : « وكَمْ مَنْزِلٌ » .

(٥) في ١ ، ب ، ج : « ثُمَّ يَكْنِي عَزِيمَتِي » ، والمثبت في م ، . ومعجم الأدباء ٨/٢٥٣ ، وفي الأصول :

« تَعَوُّذُ أَعْضَائِي » ، والمثبت في معجم الأدباء .

(٦) يعني صغرا ، أختا الحنساء ، وقد تقدم التعريف به في صفحة ٢٥٠ .

(٧) تصرف الخفاجي في عبارة الصاحب . انظر معجم الأدباء ٨/٢٥٠ .

ثم إن العسكرى قصده بحجم^(١) غفير من تلامذته ، فى ساعة لا يصل إليه أحدٌ فى مثلها ، فحجبه الحجاب ، ورفع صوته ، يقول^(٢) :
مالى أرى القبة الفيحاء مقفلة . دونى وقد طال ما استفتحت مقفلها^(٣)
كانها جنة الفردوس معرضة . وليس لى عمـل زالك فأدخلها
فناداه الصاحب : أدخلها يا أبا أحمد ، فلك السابقة^(٤) .

فبادر له الخدم ، وحملوه حتى جلس عنده ، فأقبل عليه ، ورفع به إلى أرفع مجلس ،
ثم تحدث معه ، وسأله عن مسألة ، فقال له : الخبير صادفت .
فقال له : ^(٥) « ما زلت » تغرب فى كلِّ شيء حتى فى المثل السائر .
فقال : تغاءلت عن السقوط للحضرة .

فأدرَّ عليه ، وعلى من معه بصلات كانوا يأخذونها إلى أن توفى .
فاظَّرمافى هذه القصة من لطائف الآداب ، وما للصاحب مع جلالة قدره من مكارم
الأخلاق ، الذى طير ذكره فى الآفاق ، وخلده فى صحائف الدهور ، وهكذا
فلتكن الصدور .

ولما أراد العود إلى المغرب ، قال لى : عندى أمانة من مولاي أحمد ، لا أرى
غيرك لها أهلاً ومَحَلًّا ، فطال العهد ولم أر لها محلاً ، فقلت :

(١) فى م : « مع جم » . والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٢) ذكر ياقوت ٢٥٤/٨ أن البيهين لأبى تمام ، وهما فى ديوانه ٢٣٦ ، وشرح التبريزى ٤٨/٣
من أبيات له يمدح بها مالك بن طوق .
(٣) فى الديوان : « مالى أرى الحجرة البيضاء » ، وفى التبريزى « مالى أرى القبة البيضاء » ، وفى
الديوان والشرح : « مقفلة عنى » .
(٤) فى م : « السالفة » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، ومعجم الأدباء ٢٥٥/٨ .
(٥) ليس فى معجم الأدباء .

* إِنَّ نَحْلًا وَإِنْ مُرْتَحَلًا ^(١) *

فلما أَرَفَ الرَّحِيلَ كَتَبْتُ لَهُ رُقْعَةً فِيهَا :

أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَكَ طُولَ مَوَاعِيدِكَ ، وَجَعَلَ آمَالَنا السَّكُونِيَّةَ مُورِقَةً مِنْ
سَحَابِ جُودِكَ .

وَلَعَمْرِي ، لَقَدْ طَالَ الْمِطَالُ فَعُرْقُوبُ ^(٢) لَا يَبْلُغُ عُرْقُوبَهُ ، وَزَادَ الْعَتَبُ عَلَى الْإِلْحَاحِ
وَالْعَتَبُ بَغِيرِ جُرْمِ عُقُوبَةٍ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ أَمَلِي أَضْعَفَ مِنَ الذُّبَابِ ، مَا ارْتَبَطَ بِحِمَالِ
الْمُسْكَبُوتِ عَلَى هَذَا الْبَابِ ، فَلِلَّهِ أَنْتَ مَا أَحْلَمَكَ وَأَصْبَرَكَ عَلَى كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ،
وَلَمْ أَرِ مِثْلَكَ فِي الْجُودِ ، إِذْ بَذَلْتَ لِي أَنْوْفَ أَلُوفٍ مِنَ الْوَعُودِ ، وَلَمْ تُلْغِنِي عَلَى مُقَابَلَتِهَا
بِالْكُفْرَانِ ، وَهَذَا أَنَا ذَا تَائِبٍ شَاكِرٍ لِهَذَا الْحَرَمَانِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لِمِثْلِكَ عَلَى مِنَّةٍ ، وَأَحْمَدُ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ مُتَّبِعًا لِلسُّنَّةِ .

وقد كان يعجبني قولُ أبي محمد الحكيم :

لُبْسُ الثِّيَابِ وَتَشْيِيدُ الْقُصُورِ فِي تِلْكَ الثِّيَابِ رَأَيْنَا أَنْفُسًا خَرِبَةً
لَا ضَرِبَنَّ رَجَائِي أَلْفَ مَقَرَّةٍ فِيكُمْ وَأَضْلُبُ آمَالِي عَلَى خَشْبَةٍ
فَلَمَّا رَأَيْتُ بُعْدَ الْعُهُودِ ، وَطُولَ حِمَالِ الْوَعُودِ ، قُلْتُ :

طَالَتْ مَوَاعِيدُكَ يَا سَيِّدِي وَالْعَمْرُ قَدْ يَقْصُرُ عَنْ ذَا الْمِطَالِ ^(٣)
فَخِلْتُ أَمَالِي لَهَا دُرْبَةً قَدْ عَلَّمَتْهَا الْمَشْيَ فَوْقَ الْحِمَالِ

(١) صدر بيت للأعشى ، ومجزه :

* وَإِنَّ فِي السَّقَرِ مَاضِيَ مَهَلًا *

ديوانه ٢٣٣ .

(٢) عرقوب : جاهل عرف بخلف الوعد . انظر قصته في : ثمار القلوب ١٠٢ ، المعارف ، لابن قتيبة

٦١٢ ، معجم البلدان ٩/٤ ١٠٠٩ .

(٣) في ١ : « والعمر يقصر عنه هذا المطال » ، وفي ج : « والعمر قد يقصر عند المطال » .

ولو ترى مثلاً لها ربما جرت على فرجتها بالنوال^(١)
واللائق بالعارف بالزمان ، أن لا يعتب على أحد من الإخوان ، فإن الدهر
خريف وهريم ، ولو سأل شقيق شقيقه درهما لقال : أودى دريم .
فرحم الله الكرام ، وعلى الجود الرحمة والسلام .
وهذه رقعة قصدت بها المزح والجون ، ورياضة الطبع الحرّون .
وقولى : « أودى دريم » مثل .
قال الأغشى^(٢) :

ولم يود من كنت تسعى له كما قيل في الحرب أودى دريم^(٣)
قال الشكري في « شرح ديوان الأغشى » : درم هو دب بن مرة بن ذهل ،
وكان النعمان يتطلبه ، فجهز له سرية ؛ فلما ظفر به مات في أيديهم ، قبل وصوله
للنعمان ، فلما سأل عنه ، قالوا : أودى دريم . فذهبت مثلاً . انتهى .
وقصدت به الدرهم ؛ لأن الدرهم فارسي معرب ، وأصله دريم ، وقد يُتلفظ به
على أصله^(٤) .
ومثله قولى فى الرجل الجليل ، يكون حاملاً لا يؤاسيه أحد ، فإذا مات عظموه ،
وتأسفوا عليه :

بكى الخلق ذا الفضل لما مضى وقالوا ألا ليته لو سلم
ولو كان يسألهم درهما لقال له الناس أودى دريم

(١) فى م : « على فرحتها » ، والثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) ديوانه ٣٩ .

(٣) فى ا ، ب : « أسعى له » ، وفى الديوان : « كما قيل فى الحى أودى درم » .

(٤) انظر المعرب ١٤٨ .

﴿فصل﴾

ذكر لي يوماً أنه مشتاقٌ لِلِقَائِي ، مُستوحِشٌ لظلمةِ التَّنَائِي ، فقلتُ : ما جوابي
لك غيرُ قول أبي العِيناءِ للمُتَوَكِّل ، وقد قال له : قد اشْتَقَّتْ لك يا أبا العِيناءِ .
فقال له : يا سيدي ، إنما يشتدُّ الشوقُ على العبدِ ؛ لأنه لا يصلُ إلى مَوْلَاهُ ، وأما
السَّيِّدُ فمَن أراد عبده دعاه .

وما أكذبَ الشوقَ بالمقال ، إن لم تَقُمْ عليه شواهدُ الإقبال .
وقد شرحَ حالنا في التَّنَائِي والتَّدَانِي ، قولُ ناصِحِ الدِّين الأَرَجَانِي^(١) :
وَإِذَا رَأَيْتَ الْعَبْدَ يَهْرَبُ ثُمَّ لَمْ يُطَلَبْ فَمَوْلَى الْعَبْدِ مِنْهُ هَارِبٌ
فَاهْتَرَزَ عِطْفًا ، وَتَاهَ^(٢) رِقَّةً وَلُطْفًا .
ثم قال لي : مَن^(٣) أَيُّ مَعْنَى^(٣) أخذ هذا ؟
قلتُ : لا أدري .

فقال : هو من قول المُتَنَبِّي^(٤) :
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَّرُوا أَنْ لَا تُقَارِقَهُمْ فَالْزُحْلُونَ هُمُ
فَأَبْدَأُ^(٥) وَأَبْدَعُ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الْأَدَبِ بَمَرَأَى وَمَسْمَعِ .
ومنه أخذ القائل :

لَيْسَ ارْتِمَالُكَ تَرْتَادُ الْغَنَى سَفَرًا بَلِ الْمُقَامُ عَلَى بُؤْسٍ هُوَ السَّفَرُ
وَالْمُتَنَبِّي أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الطَّائِي^(٦) :

(٢) في ١ ، ب : « وَتَاهَ » .

(٤) ديوان أبي الطيب ٣٢٥ .

(٦) ديوان أبي تمام ٤٧٥ .

(١) ديوانه ٥٣ .

(٣) في ١ : « أَيْنِ » .

(٥) أبدأ : جاء بالبدى ، أى البديع .

وما القفرُ بالبيدِ الفضاءِ بل التي نبتَ بي وفيها ساكنوها هي القفرُ^(١)
ولمَّا رأى وزراء الروم ، ومأم عليه من دارِسِ الرُشوم ، من تكبُّرٍ
بلا نفعٍ يُرجى ، وتَبَخُّرٍ كلِّ دابةٍ منهم حتى العرجى ، قال : أهؤلاء عني
الغزى^(٢) بقوله :

مِنْ آلَةِ الدَّسْتِ ما عندَ الوزيرِ سِوَى تَحْرِيكِ لِحِيَّتِهِ فِي حَالِ إِيْمَاءٍ^(٣)
فَهُوَ الْوَزِيرُ وَلَا أَزْرٌ يَشْدُ بِهِ مِثْلُ الْعَرُوضِ لَهُ بِحَرٍّ بِلَا مَاءٍ^(٤)
فَذِيلَتُهُ بَدِيهَةٌ لَهُ ، وَقَلْتُ :

عسى تدورُ عليهم دَائِرَاتُ رَدَى تُقَطِّعُهُمْ تَقْطِيعَ أَحْشَاءٍ^(٥)
فقد شابَهَ الرئيسُ المرموسُ ، وقام على جُزْبِ الأبدانِ قُرْعُ الرُمُوسِ ،
وما هذه الذُّولُ ، إن لم يَعْرِها الآنَ خَلَلٌ ، إلا كَسَفَفِ السَّمَاءِ ، وَقُبَّةِ
الْخَضْرَاءِ ، قَائِمَةٌ بِلَا عُمْدٍ وَلَا أَطْنَابٍ وَلَا وَتِدٍ ، فَهِيَ كَبُيُوتِ الْأَشْعَارِ ، لَا تُظِلُّ
فِي حَضَرٍ وَلَا أَسْفَارٍ .
كما قلتُ :

جِيوشٌ ما لها في الْمُلْكِ نَفْعٌ حَكَتْ صُورًا تُصَوِّرُ فِي كِتَابِ
رَأَيْتُ قِتَالَهُمْ مِنْ غَيْرِ نَبَلٍ كَمَثَلِ الضَّرْبِ فِي كُتُبِ الْحِسَابِ

(١) في الديوان : « وما القفر بالبيد القفار » .
(٢) إبراهيم بن عثمان ، أبو إسحاق ، كانت له الرحلة إلى العراق وخراسان ، ومدح آل بويه ، توفي
سنة ٥٢٤ هـ . وفيات الأعيان ٤١/١ . واليتان فيه ٤٢/١ .
(٣) في م ، ج : « ما عند الأميرى سوى » ، والمثبت في : ا ، ب ، وفي وفيات الأعيان : « لم يعط
الوزير » .

(٤) في م : « بلا أزر » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، ووفيات الأعيان .
(٥) في ا : « تقطعهم » ، وفي ب : « تقطعهم مثل ما تقطع أحشائي » .

وعلى بحر العروض يعجبني هنا قول الأرجاني^(١) :

راع الفؤاد نوى الخليط ولم يكن قبل النوى من حادث بمروع
وأرى فؤادي في الزمان كأنه يبت العروض يراد للتقطيع
وللحظيري :

وعرض بلا ذنب يُقطع دائما كبيت عروض والحوادث أطوار
وقلت في معناه :

دوائر أفلاك تلوح بحورها بأصفار نجم قابلتها بتضرير
كما خط في رسم العروض دوائر جميع الذي فيها معدة لتقطيع
وقلت أيضا :

وإني في تضيق ما قد جمعه لأجل الذي يولي الوزير من الغنى
كبائع بيت كان فيه مقرر يقول كفاني بيت شعري مسكنا



(١) ديوانه ٢٥٦ ، والبيت الأول ترتيبه في القصيدة السادس ، والثاني هو الثاني عشر .

٤٧

محمد بن إبراهيم الفاسي*

نزيل مصر

شمس فصاحةٍ طلعتْ في آخر الزَّمان من المغرب ، لو رآه ابن سَعِيد^(١) لَنَسِيَ
 ٢) بفاكهة مُفاكهته^٢ ذكر « المُرْقِص والمُطَرِّب » .

ما كنتُ أظنُّ المغربُ تُنجِبُ له بِمَثِيل ، إن الزَّمانُ بِمَثَلِه لبخيل .
 ارتحل لمصر ، واختلط بِناسِها ، وميَّزَ حالَ فُصولها وأجْناسِها .

ولما قدِمَ كتبتُ له خاطباً لعقائِلِ ودادِه ، جالياً كُثُوسَ المُوانِسَةِ على فُؤادِه :
 أيا شمسَ أهلِ الغربِ شَرَّفَتْ مِصرَنا وَقَلَّدَتْه عِقْداً نَفِيساً من الأُنسِ
 فصارَ رَبيعاً باعْتَدالٍ قُدُومِكم ولا بِدَعٍ فيما قَلْتُ في شَرَفِ الشَّمسِ
 وكانت حالي معه حاليَّة ، ومواردُ أنسِي به من قَدَى الكَدْرِ^(٣) صافيَّة ، أراضِه
 ثُدِي الآداب ، وأنخذِه مِمَّنْ مودَّتُه تدخُلُ بيتَ القلبِ بغيرِ إِذْنٍ وحجاب .

(*) محمد بن إبراهيم ، بديع الزمان الفاسي .
 كان فاضلاً ، لساناً ، فصيحاً ، شاعراً ، له نظم رائع ، ونثر فائق ، حسن الإبراد ، مقبول الإنشاد ،
 جمع بين رقة الحضارة ، ودقة البدوالة .
 رحل من المغرب إلى المشرق ، وجال في البلاد ، ودخل قسطنطينية ، واجتمع بعلمائها .
 وانتهى به الطاف إلى مصر ، وبها توفي سنة ست بعد الألف .
 خيايا الزوايا لوحة ١٧٦ ب ولقبه الخفاجي فيها بالمتع ، خلاصة الأثر ٣/٣١١ .
 (١) علي بن موسى بن محمد ، المعروف بابن سعيد المغربي ، أديب ، مؤرخ ، شاعر ، ولد بالأندلس ،
 وزار مصر والشام والعراق ، وتوفي بتونس سنة ٦٨٥ هـ .
 بغية الوعاة ٢/٢٠٩ ، فوات الوفيات ٨٩/٢ ، نفح الطيب ١/٤٥٣ .
 (٢) في ١ ، ب : « بفاكهته مفاكهة » ، وفي ج : « بفاكهته مفاكهة » .
 (٣) في م : « الأكدار » ، والمثبت في : ١ ، ج .

إلى أن ارتحل إلى المحلة^(١) ، وجعل كرم قاضيهامقرّة أمه ومحله ، وفارق أخلاءه وصحبه ، إما كبده من صحبته الأمرين الفقر والغربة ، فانهطت عليه أغصان المسرة والهنا ، وأقام في رياض المسكارم تحت ظلال المني .

إلى أن حالت الحال ، وأذنت شمس حياته بالزوال ، فجاد بنفسه ، وغاب في مغرب رمسه ، بعد ما وقف على أطلال الميم ، باكياً على دارس رسوم الكرم .
وكان مُغرماً معي بالميزاح ، لابساً للخلاعة وبرّد الجدّ عنه غير مُزاح .
وأنشدني له يوماً قوله :

حكيتُ إبليسَ خفّاً وصورةً من عورة
ياساني عن العمى عندي نصفُ خبره

فقلت له : قد سبقك إلى هذا الباخريّ ، في قوله^(٢) :

فلا تحسبوا إبليسَ علّنا اتلّنا فإني منه بالفضاح أبصر
وكيف يرى إبليسُ معشار ما أرى وقد فتحت عيناى لي وهو أغور
وهو من قول الآخر :

وكنتُ فتى من جند إبليسَ فارتقى بي الحال حتى صار إبليسُ من جندی
ولومات من قبلي لأخيت بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدى
وكان إذا أغار على معني أغار ، ولا يُبالى بأنه يرى مغزاه إذا انجلى الغبار ، تبعاً
لمذهب القائل :

فإنّ الدرهم المضروب باسمي أحبُّ إليّ من دينارٍ غيّرِي

(١) المحلة : مدينة بالديار المصرية . انظر معجم البلدان ٣ / ٤٢٨ .

(٢) الملتقط من ديوان الباخريّ ٥١ .

كقوله :

يَتَارَكًا شُرْبًا لِقَمِوتِنَا الَّتِي تَجْلُو صَدَا الْقَلْبِ الْكَثِيبِ الْعَانِي
فِي تَرْكِ مِثْلِكَ شُرْبَهَا لِي رَاحَةً تُوْفِرُهَا وَطَهَارَةُ الْفِنْجَانِ
وهو من قول ابن الرومي^(١) :

يَالْأُمِّيَّ فِي الرَّاحِ غَيْرَ مُقْصِرٍ مَا زَالَ ظَنُّكَ سَيِّئًا فِي الرَّاحِ^(٢)
فَأَقْلُ مَا فِي تَرْكِ مِثْلِكَ شُرْبَهَا تُوْفِرُهَا وَطَهَارَةُ الْأَقْدَاحِ
ولم يزل باللهو معروفاً ، وبغزلان النقا مشغولاً مشغوفاً ، لا سيما إذا تفتح عن وزد
الحدود أكام العذار ، وشاهد صنع الله الذي يؤلج الليل في النهار .
وقالوا أنت كتبت العذار بعزله فقلت لهم لا تعجلوا فيها ولى
ويقال إن هذا الأمر أذهب خبره وخبره ، ومحاميد الفقا عينه وأثره ، حتى
عصفت رياح^(٣) المنية بروضة القسيب ، وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب ،
فاختصر واختصر^(٤) ، بأمر الملك المقتدر .
لا زال جدته روضة من رياض الجنان ، ولا برح مجرى لجداول
الرحمة والرضوان .

فمن العنبر الذي أذ كته مجامر فكره ، وقدفته في سواحل المحاورة بجور شعره ،
ما أنشده لي من قوله مضمناً :
قُلْ لِلْقُضِيبِ وَرَاحُ الرِّيحِ تَعْطِفُهُ أَثْنَاءَ بُرْدٍ مِنَ الْأَزْهَارِ مُنْتَسِجٍ

(١) ديوان ابن الرومي ٢٨٨ .

(٢) في الديوان : « لا زال ظنك » .

(٣) في ب : « فاختصر واختصر » ، وفي ج : « فاختصر واختصر » وفي م : « فاختصر واختصر » ،

والثبوت في : أ . واختصر : مات شابا .

أَشْبَهَتْ قَامَةً مِنْ أَهْوَاهُ لَوْ طَلَعَتْ
لَكَ الْبِشَارَةُ فَاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَدْ
وَلابن أبي حَجَلَةَ (٣) مُضْمِنًا :

قُلْ لِّلَّهِ لَهْلَالٌ وَغَيْمٌ الْأَفْقِ يَسْتَرْهُ
لَكَ الْبِشَارَةُ فَاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَدْ
وَأَنشَدَنِي لَهُ أَيْضًا مُضْمِنًا :

أَسْأَلُو فِي الْمَسْوَى طَعْمَ الْهَوَانِ
وَمَنْ أَهْـوَاهُ وَاصْلَنِي جِهَارًا
وَقَدْ حَلَّ الْعِذَارُ بِوَجْنَتَيْهِ
وَأَنشَدَنِي قَصِيدَةً ، مِنْهَا :

أَتَسِيلُ دَمْعِي ثُمَّ تَسْأَلُ مَا جَرَى
هَذِي دِيمَا نَفْسٍ هَوَاكَ أَذَابَهَا
وَمِنْهَا :

مَنْ كَانَ يَقْبِضُهُ جَلَالُ الْحُبِّ عَنْ
فَأَنَا جَمَالِي الْغَرَامِ وَهَكَذَا
بَسَطِ الْجَمَالَ فَلَمْ يَزَلْ مُتَحَيِّرًا (٥)
وَرَدُّ الْجَمَالِ لَنْ تَرَاهُ مُكَدَّرًا

(١) في م : « من نهواه » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٢) ذكر المحي لهذا البيت تضمينا آخر في خلاصة الأثر ٣/٣١٤ .

(٣) أحمد بن يحيى التلساني ، المعروف بابن أبي حجلة ، شاعر ، متصوف ، وله مع فريق من الصوفية اعتراضات ، امتحن بسببها . توفي سنة ٧٧٦ هـ .

الدرر الكامنة ١/٣٢٩ .

(٤) ضمن مجز بيت الغنفي ، وصدره :

* مَغَانِي الشَّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَغَانِي *

وهو من قصيدة له في عضد الدولة البويهى ، ويصف شعب بُوَّان . ديوانه ٥٥٧ هـ .

(٥) في ا : « جال الحب » .

ومنها في حسن الختام :

وإليكما والحسنُ بعضُ صفاتها
قد زفَّها فكُرى إليك ومهرُها
حاشاكُ تهمُّلُها ويعرفُ قدرها
ختمَ البيانُ بها فكلُّ سليم طَبَّه
وله في الهجاء مُضمَّناً (٢) :

لقد قلتُ للطُوري لَمَّا بدا لذا
بوجهٍ كلَّيلِ الهجرِ أسودَ طائلِ
كجُلُودِ صخرٍ حطَّه السَّيلُ من عُلِّ (٣)
ألا أيُّها الليلُ الطَّويلُ ألا انجلِ
ومما أنشدنيهِ لنفسه قوله :

ولَمَّا دارَ بالخدَّينِ نَبْتُ
تَيْقَنْتُ الوِصالَ وليسَ وَغْدُ
هناكَ ولا خُلُوٌّ من رَقِيبِ
ولسكنَ دَارَةُ القَمَرِ اسْتَنْمَتْ
حكى عصرَ الصُّبَا قبلَ اللَّشِيبِ
فدلَّتْنا على مطرٍ قريبِ

وأنشدتُ له قولي في معناه :

على خَدِّه مُذْلاحَ نَبْتُ عِذارِهِ
إِذَا ما اسْتَدَارَتْ دَارَةُ البَدْرِ حَوَالَهُ
جَرَتْ أدمُعِي في الخَدِّ ذاتِ صَمِيبِ
فإنَّ وَقوعَ القَطَرِ غَيْرُ عَجِيبِ

(١) في أ، ب، ج : « وتعرف قدرها » .

(٢) ضمن بيتي امرئ القيس المعروفين .

(٣) في أ : « للطودي » . وهو خطأ ، والطوري ؛ هو : عبد القادر بن عثمان ، مفتي الحنفية بمصر .
كان موجوداً في سنة ست وعشرين وألف . انظر خلاصة الأثر ٤٤٢/٢ .

ومما أنشدنيّه قوله من لفظه مُضمَّنًا :

ياسالِبَ الغُصْنِ حُسْنَ القَدِّ والمَيْلِ ومُلبِسِ الشَّمْسِ ثوبَ الحُزْنِ والحِجَلِ^(١)
 ماشَانِ خَدِّكَ نَبْتُ بِلِ صَفَا فِتْرَا مَتَ فِي سَنَاهُ ظِلَالُ الهُدْبِ والمَقْلِ
 فاقْبُدْتُ عَلَى حُبِّهِ يا قَلْبُ تَحْظَ بِهِ فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلِّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ

ومعنى البيت الثاني مما سُبِقَ إليه ، كقول الأَرَجَانِي^(٢) :

أَعِدْ نَظْرًا فَمَا فِي الخَدِّ نَبْتُ سَمَاهُ اللهُ مِنْ رَبِّ المَنُونِ
 وَلَكِنْ رَقَّ مَاءُ الخَدِّ حَتَّى أَرَاكَ خِيَالَ أَهْدَابِ الجُفُونِ^(٣)

ومما قلته في معناه مُضمَّنًا :

صَقِيلُ خُدُودِهِ مِرْآةٌ قَلْبِي وَمَاءُ الحُسْنِ رَقٌّ بِهِ وَرَاقَا
 تُحِيطُ بِهِ العَيُونُ إِذَا تَبَدَّى وَهَلْ طَرَفٌ يُطِيقُ لَهُ فِرَاقَا
 فَخَالُوا رِقَّةَ الأَهْدَابِ فِيهِ عِذَارًا قَدْ كَسَا بَذْرًا حَقَاقَا
 وَظَلْنَا نَجْتَلِي مِنْهُ مُحِيًّا كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَادِقٍ نِطَاقَا

وكان يهوى بمصرَ غلامًا وقد دبَّ ظِلُّ العِذارِ على وَرْدِ خَدِّهِ ، وجعل حارسُ
 الحُسْنِ بِنَفْسِهِ سِيَّاحَ وَرْدِهِ ، هَامَ بِهِ هَيَّامُ سَعْدِ بْنِ أَنَيْسٍ بَوْرْدِهِ ، وَوَهَبَهُ رُوحًا لَهُ لَابِسَةَ
 حُلِّ المَوَدَّةِ ، فَكَانَ لَا يُسَرُّ إِلَّا إِذَا اضْطَبَحَ^(٤) مِنْ عِذارِهِ بِالْأَسِّ^(٥) ، ثُمَّ لَمَّا أَذْرَكَهُ
 الفَرْقُ مِنَ الوجدِ والبَاسِ ، عَمِلَ فِيهِ مُزْدَوِجَةٌ لَمْ يُذْرِكْهَا مُذْرِكٌ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا

(١) في م :

ياسالِبَ الغُصْنِ لَيْنَ القَدِّ والمَيْلِ ومُلبِسِ الشَّمْسِ ثوبَ الحُزْنِ مِنْ خِجَلِ

والنبت في : ا ، ب ، ج .

(٢) ليس في ديوانه ، وهذه المقدمة والبيتان بعدهما مما سقط من : ا .

(٣) في ج : « أَرَاكَ مِثَالَ أَهْدَابِ الجُفُونِ » .

(٥) الأَسِّ : الرِيحَانُ .

(٤) في ا ، ب ، ج « أَصْبَحَ » .

لَصَدَّهْ الْمُهْلِكُ ، فَارْتَحِلْ لافْتِضَاحِهِ لَلْمَحَلَّةِ الْكُبْرَى ، فَكَتَبْتُ لَهُ إِذَاكَ قَصِيدَةً ،
لَأُجِدَّ لَهُ الذِّكْرَى .

منها :

مَنْ لَمْ يَدِمْ ذَكَرَ الْحَبِيبِ النَّاسِي
بِي مَنْ كَسَا جِسْمِي السَّقَامَ وَعَلَّنِي
فِي نَقْطَةٍ مِنْ خَالِهِ يَرْجُو الْوَفَا
لَمَّا خَشِيتُ عَلَى الْكَرَى مِنْ مَدْمَعِي
يَقْسُو عَلَى فَوَادِهِ بِالْيَقَةِ
تَاللهِ مَا حُبِّي لِعَارِضٍ خَدَّهْ
وَمِمَّا هَذَا فِيهِ — فليس بناسٍ
بُدَّامِ دَمْعِي يَا لَهُ مِنْ كَلَسٍ
دَمْعُ زِيَادَتِهِ بَغِيرِ قِيَّاسٍ
أَوْدَعْتُهُ فِي طَرَفِهِ النَّعَّاسِ
يَعْدِيهِ لَيْنٌ قَوَّامِهِ الْمِيَّاسِ
كَالْوَرْدِ بَلْ حُبِّي لَهُ كَالْآسِ

ومنها :

يَا جَوْهَرًا لِمَجْدٍ صَارَ مُجَرَّدًا
لَوْ لَمْ تُحَدِّثْ عَنْ شِمَائِلِكَ الصَّبَا
يَارَاحِلًا عَنِّي وَجُرَى أَدْمَعِي
عَقْدٌ عَلَى حَيْدِ الزَّمَانِ مُنْظَمٌ
لَمْ أَسْتَطِعْ وَضْفِي لَهَيْبِ صَبَابِي
وَمِمَّا هَذَا فِيهِ —

ومنها :

فَاسْتَجَلِّهَا بِكَرَأٍ نَتِيجَةَ لَيْلَةٍ
لَا زَالَ يَا إِنْسَانَ عَيْنِ الْعَصْرِ مِنْ
صَهْبَاءٍ سَالِبَةٍ عُقُولِ النَّاسِ
ذِكْرِي بِسَالِفِ عَهْدِكَ اسْتِئْثَنَاسِي

(١) في م : « وجرى مدمعي » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج . وعجز البيت تضمين لقول أبي تمام في مدح أحمد بن المعتصم :

مافي وقوفك ساعة من بآسٍ نقضي ذمام الأربع الأدراسِ

مولائى ، أما الشوق فقد اشتعل ضراما ، وكاد عذابه أن يكون غراما ، حتى قال
فَمَ الْجَفْنُ (١) بلسان الدَّعِ : يانارُ كوني برُداً وسلاماً .

فإنى ألقى إلى كتاب كريم ، فاح منه شميم عرارِ نجدٍ وما بعد العشيّة من شميم ،
فَمَتَّعْتُ بما هو أحلى من الوصلِ بعد الهجر ، ومن الأمن بعد الخوف ، ومن البرء بعد
السَّقم ، ولم أذر أطيف منام ، أو زائر (٢) أحلام ، أم قُرب نوى بعد البعاد ،
أم حبيب وافي (٣) بلا ميعاد ، من أديب أشرق بدرُ مجده ساطعا ، وألبسني برُدَ
المسرة أخضر يانعا .

أهمُّ يَبْسُطُ حجري لالتقاطِ إذا حاضرت بالدُرِّ النسيقِ
فخدانى أن أحت مطيِّ الهَمِّ ، إلى نحو كعبة الفضل والكرم ، فخركتُ
مِجْمَرِ الطَّبَعِ حتى عبق عنبراً ونذاً ، وهزّزتُ قُضْبَ اليراع على خدِّ (٤) الطُّرسِ
فانتثر (٥) أقاحاً وورداً .

وقد كنتُ ممن زجر عن هذه الصنّاعة طبعه ، فإنها كما قيل كاليأسمين
لا يساوى جمعه .

ولسانُ التّقصير ، كما قيل قصير ، لا سيّما والجود عبدُ أنت سيّده ، والفضلُ عقدُ
أنت مُقلّده ، والبلاغةُ سِوار ليس (٦) لغيرك عليه يد ، ورداء المعارفِ مُستعار منك ،
وإن كان لا يُسترد ، وللصّاحبة ماء لا يجرى في غير ناديك ، وينبوعه لا يتدفّق
إلا من أياديك .

(١) في م : « الجفون » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٢) في ا ، ب : « وزائر » .

(٣) ساقط من : ا ، ب ، ج . (٤) في ب ، ج : « غدِير » .

(٥) في م : « فانتثر » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٦) في ب : « عليه لغيرك » .

ولو صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ^(١)
 وزمانُ الأُنسِ غَابَتْ عَنِّي أَسْرَارُهُ ، وطريقُ المجدِ أَظْلَمَ دُونِي لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ ،
 وانطَوَى عَنِّي دُجَاهُ وَضُجَاهُ ، فَسَامَرْتُ نَسْرَهُ^(٢) وَنَعَائِمَهُ^(٣) ، وَنَفَضْتُ بَعْضَا التَّسْيَارِ
 نُجُودَهُ وَتَهَائِمَهُ ، وَعُودَ الْهُوَى ، قَدْ بَيَسَ وَذَوَى ، وَعَمَّ يَدِي قَدِيمٌ بِالْفَضَالِ ، وَإِنِّي فِي
 السَّبْقِ وَقَدْ أَتَقَلَّنِي قَيْدُ الْكَلَالِ .

وَلَا يُنْكِرُ مِنَ الْقَرَائِحِ جُودُهَا ، وَلَا مِنْ نِيرَانِ الذِّكَا خَوْدُهَا ، وَقَدْ غَاضَ
 الْكَرَامَ ، وَقَاضَ الْأَسْثَامَ ، وَالْحَرْثُ لَا يُسْتَعْبَدُ بِغَيْرِ الْوِدَادِ ، وَلِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ
 الْفُؤَادِ .

وَلَوْلَا ابْتِدَاسُ ثَغْرِ الْمُنَى ، وَامْتِدَادُ خَطِّ الْأَمَلِ لَنَا ، لَمَلَّ كُلُّ قَلْبٍ عَائِي ،^(٤) يَقْتَاتِ
 السَّوْفَ^(٥) وَالْأَمَانِي .

فَقَدْ صَرَفْتُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَجْهَ مَيْلِي ، لَمَّا نَفَرَ عَنِّي كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى صُبْحُ لَيْلِي ،
 وَاسْتَوْحَشْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى ظِلِّي ، وَمَلَأْتُ حَتَّى الْمَلَلُ فَقُلْتُ مَنْ لِلَّيْلِ^(٥)
 وَمَنْ لِي .

إِنَّ دَهْرًا يُلْفُ شَمْلِي بِسُعْدَى لَزْمَانٍ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ
 وَفِي الْمَثَلِ : « أُعْطِيَ الْعَبْدُ كِرَاعًا^(٦) ، فَطَلَبَ ذِرَاعًا » .

(١) البيت لأبي تمام ، وهو آخر بيت في قصيدة يمدح بها مهدي بن أصرم . ديوانه (بشرح انتبيري)
 ٣٤٠/٢ ، وفيه : « فلو صورت نفسك » .

(٢) النسر : كوكبان ؛ الواقع ، والطائر .

(٣) النعائم : من منازل القمر .

(٤) في م : « بقيات الشوق » ، وفي ا : « بقيات السوف » ، وفي ب : « بقيات السيوف » ، وفي
 ج : « بقيات التشوق » ، ولعل الصواب مأثبته .

(٥) في ا ، ب ، ج : « لي » .

(٦) الكراع من البقر والغنم : هو مستدق الساق العاري من اللحم ، ومعنى « أعطى العبد كراعا
 فطلب ذراعا » أنه يطعم في الأفضل ؛ لأن الذراع في اليد ، وهو أفضل من الكراع في الرجل . انظر
 اللسان (ك ر ع) ٣٠٧/٨ .

ففسى أن تُمْنُوا بسُطور ، هي سلاسلٌ يُتَرَقَّى بها إلى الشُّرور .
 لا زِلْتَ تَرُفُلُ في ثوبِ بقاءِ بالصِّحَّةِ مُعَلِّم ، وتَقِيلُ في ربيعِ مَسَرَّةٍ حِمَاهُ عن
 الأَكْدارِ مُحَرَّم ، أَلَمِ الظَّلَالِ عَذْبِ المِشارِبِ ، تُسَطَّرُ محامِدُهُ بين دَفْقَتِي المِشارِقِ
 والمِغاربِ ، ما حنَّ صديقٌ إلى صديق ، وصُرفَ بِدِراهمِ ^(١) النُّجُومِ دِينَارُ الشمسِ
 الأَنِيقِ ، والسلام .

فأجاب بقوله :

أَسْقِطْ طَلَّ في حَديقَةِ آسِ	أُم ذَا حِبابٍ دارِ فُوقِ السَّكاسِ
أُم دُرٌّ تَغْرِ الأَقْحُوأَةِ بِرِسْمِ	أُم دَمْعٍ طَرْفِ التَّرْجِسِ النِّعَاسِ
أُم جَنَّةٍ جُنَّ النَّسِيمُ بِحُسْنِهَا	أَغْصَانُهَا مِنْ ذَاكَ فِي وَسْوَاسِ
أُم هَذِهِ زُهْرُ النُّجُومِ تَزِيدَتْ	مِنْهَا السَّمَاءُ هِدَايَةَ لِلنَّاسِ
أُم ذَا هُوَ السَّحَرُ الحَلَالُ حَلَامِ	عَذْبُ الزَّلَالِ وَكُلُّ عُضْوٍ حَاسِيِ ^(٢)
أُم رُقْعَةٍ رَفَعَتْ لَوَاءَ بَيَانِهَا	فَأَتَى البَدِيعُ لَهَا ذَلِيلَ الرِّاسِ
نَطَقَتْ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ظَلَّتْ لَهَا	أَحْدَاقُ بَيْنِ مُحَقِّقٍ أَوْ خَائِسِ ^(٣)
الشَّعْرُ فَأَخَّرَ أَنْجَمَ الشَّعْرَى بِهَا	وَأَلْجَوْا قَالِ الْفَضْلُ لِلْعَرِطَاسِ
مَنْ ذَا يُطَاوِلُهَا وَمَطْلَعُ نُورِهَا	أَفَقُ الشَّهَابِ وَظُلْمَةُ الْأَنْفَاسِ
وَأَفَتْ فَمَا وَفَيْتُ بِمَعْزَلِ حَقْوِقِهَا	إِلَّا بِبَذْلِ النَّفْسِ وَالْأَنْفَاسِ
طَارَ الْفَوَازُ لَهَا فَقَالَ وَقَارُهَا	مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ
جَاءَتْ تُحَدِّثُ عَنْ مُحَاسِنِكَ الَّتِي	شُدَّتْ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ بِمِرَاسِ ^(٤)
أَمَّا الْفَصَاحَةُ صَحَّ أَنْكَ قُسْمُهَا	بِالرَّغْمِ مِنْ غَمْرِ حَسُودٍ قَاسِيِ

(٢) في ١ : « الحلال أم العذب » .

(٤) المراس : الشدة والقوة .

(١) في ١ : « بدراهم » .

(٣) خساً البصر : كل وأعي .

لِلَّهِ دَرُّ عَقِيلَةٍ أُبْرَزَتْهَا عَقَلْتُ بِهَجَّتِهَا عَقُولَ النَّاسِ
 مِنْ كُلِّ بَيْتٍ كَادَ يُشْبِهُ لَفْظُهُ مَعْنَاهُ كُلُّ دَقٍّ عَنْ إِحْسَاسِ
 شَرَحَتْ لِي الْوُدَّ الْقَدِيمَ وَذَكَّرَتْ قَلْبًا فَدَيْتُكَ لَمْ يَكُنْ بِالنَّاسِ
 مَا أَخْطَأْتُ رَشْدًا وَإِنْ تَكَ أَبْطَأْتُ خَيْرُ اللَّقَا مَا كَانَ بَعْدَ الْيَاسِ
 فَالْحُبُّ أَنْ أَرْضَى بِمَا تَرْضَى وَهَا حُبِّي وَحَقِّكَ رَاسِخٌ بِأَسَاسِ^(١)
 كُنْ كَيْفَ شَدَّتْ فَشِيَمَتِي حِفْظُ الْعَهْوِ دِ وَإِنِّي طَوَّدُ الْوَفَاءِ الرَّاسِي
 يَا مَنْ زَهَا حُرُّ الْقَرِيضِ بِلَفْظِهِ وَغَنِي بِهِ الْإِنْشَاءَ مِنْ إِفْلَاسِ
 وَمَنْ اسْتَفَارَتْ مِنْهُ مَصْرُ وَأَفْقُهَا لَمَّا كَسَاهَا الْفَضْلُ خَيْرَ لِبَاسِ
 وَمَنْ انْمَحَى ذَنْبُ الزَّمَانِ لِأَجَلِهِ وَغَدَتْ بِهِ الْأَيَّامُ كَالْأَغْرَاسِ
 دُمْتَ الْمُقَدَّمِ فِي الْمَجَادَةِ وَالْإِجَا دَةِ وَالْإِفَادَةِ وَالنَّدَى وَالْبَاسِ
 وَإِلَيْكُمَا وَهِيَ الْمَلَا حَةُ نَفْسُهَا وَالْحَسَنُ بِالْأَنْوَاعِ وَالْأَجْنَاسِ
 فَإِذَا أَصَاخَ لَهَا الْحَسُودُ حَسِبْتَهُ مَا بَيْنَ كَأْسٍ أَوْ ظِلِّاءِ كِفَاسِ
 عَذْرَاهُ تَبَسُّطُ عَذْرِ تَقْصِيرِي وَمِنْ دَاءِ التَّطَاوُلِ فَهِيَ نِعَمَ الْآسِي
 أَنِّي لِمُنَى أَنْ يَجِيءَ بِمِثْلِ مَا تَأْتِي وَأَيْنَ الشَّمْسُ مِنْ نِبْرَاسِ
 لَكِنَّهَا رَدُّ السَّلَامِ سَلَكْتُ فِيهِ الطُّولَ قَدَرِ زِيَادَةِ اسْتِقْنَاسِ
 فَعَلَيْكَ مِنْ أَوْفَى السَّلَامِ أُبْرَهُ تَمَنَّيْتُ بِكَ بِدِ بَعْدَهُ وَيُقَاسِي
 حَلَّ الْمَحَلَّةِ جَسْمُهُ وَالْقَلْبُ فِي مَصْرِ لَدَيْكَ وَأَهْلُهُ فِي فَاسِ
 بَعْدَ تَقْبِيلِ ثُرَيَّا ذَلِكَ الثَّرَى ، الَّذِي عَبَقَ فِي الْمَشَامِ^(٢) عَنَسِيرًا ، وَقَلْدَ جِيدَ
 الزَّمَانِ دُرَرًا .

(١) في م : « راسخًا بأساس » على النصب ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٢) في ب ، م : « الشام » ، والمثبت في : ا ، ج .

لا زال مَنبَعُ البَيانِ ، وَمُنْتَجَعُ الأَغْيَانِ ، ولا بِرَحِّ جوهرٍ حِصْبَانِهِ يُفَضِّلُهُ العَيَانِ ،
على قِلائِدِ العِقيَانِ .

هذا ، وقد وصل إلى ، وصل ^(١) اللهُ لك ^(٢) أسبابُ العَلا ، وألبَسَكَ رائِقَ الحُلَى ،
كتابُك الخطير في رُقعةٍ من محاسنِ لَفْظِكَ الرَائِقِ الجَلِيبِ ، المَزْرِي بِرَوْنَقِ رَيْقِ الشَبَابِ ،
وبَهْجَةِ من بدائعِ خَطِّكَ المستَوْقِفِ للنَظَرِ ، المُخْجَلِ بِحُسْنِهِ الوَشْيِ الفَاخِرِ ، والرَّوْضِ
الْفَاخِرِ ، فأجَنَانِي ثَمَرَ البَرِّ يَانِعَا ، وَجَلَّى عَلَيَّ وَجْهَهُ الْوُدُّ أبيضَ ناصِعَا .

وأراني كيفَ اتِّقَادُ القَوَافِي فِي زِمَامِ البَيَانِ سَمْعًا وَطَوْعًا
وفتَحَ المُخَاطَبَةِ بابَا ، طَالَمَا كُنْتُ لَهُ هَيَّابَا ، وَرَفَعَ حِجَابَا ، تَرَكَ القَلْبَ
وَجَابَا ^(٣) .

مَا زِلْتُ أَغْزِلُهَا أَمَلَا ، فَلَا أَطِيقُ لَهَا عَمَلَا ، وَالْأَحْظَمُ أَمَدَا ، أَذُوبُ
دُونَهُ كَمَدَا .

وَفِي تَعَبٍ مِنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نَوْرَهَا وَيَزْعُمُ أَنْ يَأْنِي لَهَا بَضْرِيْبٌ ^(٤)
لَا جَرَمَ أَنَّهُ اقْتَضَانِي خَالِصَ وَدٍّ ، وَصَحِيحَ عَهْدٍ ، لَمْ يَلْتَفِتْ مَنِّي إِلَى مَعْدِرَةٍ ، وَلَمْ
يَكْثُرْ لِي إِلَى مَا فِي الْوُسْعِ مِنَ الْمَقْدَرَةِ ، وَقَدْ يَعُودُ عَلَى عِلْمِكَ بِحَرِّ الْقَرِيحَةِ ثَمَدًا ^(٥) ،
وَحُسَامُ الذَّهْنِ مُعْضَدَا .

فَتَكَلَّفَتْهَا بِحَكْمِ هَذَا الْفَرَامِ تَحْتَ حَصَرٍ ، وَنَازَحَ بَصَرَ ، فَإِنْ سَمَحْتَ بِالْإِغْضَاءِ ،
وَسَاحَحْتَ فِي الْإِقْنَاءِ ، سَلِمْتَ لَكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ ، وَظَهَرَتْ لَشُكْرِكَ ^(٦) بِالْقَضَاءِ .

(١) في م : « أوصل » . (٢) في ج ، م : « إليك » .

(٣) قلب وجاب : كثير الحفوق . (٤) البيت لأبي الطيب المتنبي ، في ديوانه ٣١٧ .

(٥) الثمد : الماء القليل ، يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف ، أو الحفرة يجتمع فيها ماء المطر .

(٦) في أ ، ب : « لشكوك » .

وأما العذرُ الذي تَوَخَّيتَ - ولا عُدِمْتَ - شَرَحَهُ ، وَحَمَّيْتَ بِقُوَّةِ الْكَلَامِ
شَرَحَهُ ، فَأَنْتَ غَنَى عَنْ تَسْكُفَاتٍ إِيْضَاحِهِ ، وَمَدَّ أَوْضَاحِهِ ، فَالَّذِي يَثْبُتُ فِي
الْأَنْفُسِ ، مِنَ الْوُدِّ الْمَصُونِ الْحَرُوسِ ، لَا يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ تَسَلُّطِ الطُّمُوسِ وَالذُّرُوسِ .
وَلَا أَقُولُ إِنْ وَدَّيْ لَكَ كَالْتَّيَّزِ ، إِذْ لَا يَصْفُو مَا لَمْ يَشْبُهُ لَهَيْبُ الْجَزْرِ ، وَلَا كَالرَّاحِ ،
حَيْثُ يَفْتَقِرُ فِي الرَّفْقَةِ إِلَى مَرِّ الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ .

بَلْ أَقُولُ : إِنْ وَدَّيْ لَكَ - أُبَيَّتَ اللَّعْنُ - كَالْفُرَاتِ الْعَذْبِ ، يُشْفِي غَلِيلَ الْقَلْبِ ،
وَيُطْفِئُ لَهَيْبَ الصَّبِّ ، يُحِلُّ بِالْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ فَيُحْيِيهَا ، وَيَعْرِثُ بِالرُّوْضَةِ الذَّابِلَةَ فَيُتَوِّجُهَا
بِالْأَزْهَارِ وَيَحْلِيهَا .

وَأَنْتَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - لَا تَتَثَرَّبُ عَلَيْكَ إِذْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ، وَيَجْرِي فِي أُمُورِهِ
عَلَى مُقْتَضَى مَرَاتِبِهِ ^(١) ، فَإِنَّ حُنُوءَ السَّيِّدِ - وَأَنْتَ ذَاكَ - يُسْتَكْثَرُ قَلِيلُهُ ، وَإِخْلَاصُ
الْعَبْدِ ، وَهُوَ أَنَا ، يُسْتَحَقَّرُ ، كَمَا عَلِمْتَ ، جَلِيلُهُ ، وَالْحَقُّ أَغْلَبُ ، وَمَعْرِفَةُ الْمَرْءِ
نَفْسَهُ أَضُوبُ .

وَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِالِاسْتِفْسَارِ عَنْ أَحْوَالِ الْعَبْدِ ، فَالْحَالُ فِي خَيْرٍ ، وَالْمَالُ يَعْلَمُهُ
اللَّهُ تَعَالَى .

وَبِالْجُمْلَةِ ، فَسَهْمُ الْمَصِيبَةِ إِنْ سَدَّهَ الدَّهْرُ فَعَلَى مِثْلِهِ وَقَعَ ، وَالتَّأَلُّمُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ
قَدْ أَرْتَفَعَ .

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الصَّبْرِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلُوٌّ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلٌ ^(٢)
وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ دَعَا الصَّبْرَ لِمَا شَاءَ أَجَابَ ، وَأَرَاهُ مِنْ نَشْرِهِ الْأَفْقِ الْمُنْجَابِ ،
وَأَقَامَهُ بَيْنَ مَبْرَاتٍ وَأَنْطَافٍ ، وَأَعْطَاهُ مِمَّا أَحَبَّ جَنَى قِطَافِ .

(١) فِي ١ ، ب : « وَتَبَّتْهُ » .

(٢) الْبَيْتُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ٣ / ٢٤٤ ، وَفِيهِ : « وَلَمْ أَرْ كَالْعُرُوفِ » ، وَفِي ب : « أَمَّا مَذَاقُهُ * فَر » .

وَلِلَّهِ دَرَّ الْقَائِلُ ^(١) :

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَغْنَى بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ ^(٢)
وَهُوَ الدَّهْرُ لَا يُرَدُّ عَنْ مُرَادِهِ ، وَلَا يُصَادَرُ فِي إِصْدَارِهِ وَإِبْرَادِهِ .

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ ^(٣)

عَلَى أَنْ طَوَّلَ الْغَيْبَةَ لَيْسَ لَشَيْءٍ ، عِلْمُ اللَّهِ ، آثَرُهُ عَلَى لُقْيَاكُمْ ، إِذَا اسْتَبَدَّلَهُ ^(٤)
طَوْعًا لَكِنَّهُ ارْتِكَابٌ لِلْأَخْفِ مِنَ الضَّرَرَيْنِ ، وَاخْتِيَارٌ لِلْأَهْوَنِ مِنَ الشَّرَّيْنِ .

عَسَى غَلَطًا يَدْنِي الزَّمَانُ عِنَانَهُ بِدَوْرِ أُمُورٍ وَالْأُمُورُ تَدَوِّرُ

فَتُدْرِكُ آمَالٌ وَتَقْضَى مَآرِبٌ وَيُحَدِّثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورُ

فَلِذَلِكَ قَنَعْتُ مِنَ الْبَحْرِ بِالْوَشَلِ ^(٥) ، وَسَرَحْتُ فِي رِيَاضِ الْمُنَى بَيْنَ عَسَى وَلَعَلْ ،

فَقَدْ قِيلَ : إِذَا دَارَ الْفَلَكَ ، فَعَلَيْكَ أَوْ فَلَكَ ، وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ أَمْرٌ لَا تُدْرِكُ الْعُقُولُ
حِكْمَتَهُ ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ ^(٦) .

وَمَا اجْتَلَيْتُهُ فِي كِتَابِكَ الْخَطِيرِ ، وَرَوْضِ خَطَابِكَ الْمَطِيرِ ، اسْتَدْنَعَى شَيْئًا مِنْ نَظْمِ

الْعَبْدِ وَنَثَرِهِ ، وَالتَّنْوِيهِ ^(٧) بِذَلِكَ مِنْ خَامِلٍ ذِكْرِهِ .

فَلَا عَدِمْتُ مِنْكَ مَوْلَى عَلَى الْإِحْسَانِ مُنَابِرًا ، وَحَكِيمًا لِكُنْزِ الْكُسْبِ

الْخَاطِرِ جَابِرًا .

مَعَ تَشَتُّتِ الْحَالِ لِبُعْدِ مَزَارِكِ ، وَنَأْيِ دَارِي عَنْ دَارِكِ .

(١) هُوَ أَبُو تَمَامٍ . دِيَوَانُهُ ٤٨٥ .

(٢) فِي الدِّيَوَانِ : « مَا اسْتَجَى بِخَيْرٍ » .

(٣) الْبَيْتُ لِلنَّمْرِ بْنِ تَوَلَّبِ الْعُكْلِيِّ . التَّمْثِيلُ وَالْحَاضِرَةُ ٥٦ .

(٤) فِي ١ : « اسْتَبَدَّلَتْهُ » .

(٥) الْوَشَلُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ ، يَتَجَلَّبُ مِنْ صَخْرٍ أَوْ جَبَلٍ .

(٦) سُورَةُ الشُّورَى ٢٨ ، وَقَدْ سَقَطَ مِنْ : أ ، ب (مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا) .

(٧) سَاقَطَ مِنْ : أ .

وأقسِمَ أني صَمَمْتُ على التَّغافلِ عن الجوابِ ، وهو الأُوْلَى بالصَّوابِ ، إذ ليس بليبي
مَنْ يقيسُ الشَّبرَ بالبَّاعِ ، والجبانَ بالشُّجاعِ ، وكيف لا ، وكلُّ مَنْ تكلَّفَ فوق طاقته ،
افتضح لساعته ، لكن عدمُ الامتثالِ محذور ، والمُلْجَأُ إلى ما لا يُطاق معذور .

فكَلَّفْتُ ما يُعرَضُ عليك من المُسمَّطات ^(١) ، سوى القصيدة المشار إليها بذكر
بعضها ، فإنها متقدِّمة على ورود مُشرِّقِكُمْ .
فمثلُكَ مَنْ سدَّ الخللَ ، وتجاوزَ عن الزَّلَلِ .
واللهُ يُبقيك ، ومن كلِّ سوءٍ يقيك ، والسلام .

قوله في القصيدة : « حلَّ المحلَّة » إلخ ، كقول ابن الخازن ^(٢) :
يوماً مجزؤى ويوماً بالعقيق ويو ماً بالعذيب ويوماً بالخلينصاء ^(٣)
ولأبي تمام ^(٤) :

بالشَّامِ أهلي وبغدادِ الهوى وأنا
وللأمير أبي فراس الحمداني ^(٥) :

ياهل لصبِّ بك قد زدته
على بلالٍ أسره أسراً ^(٦)
قد عدم الدنيا ولذاتها
لكنه ماعدم الصَّبراً
فهو أسيرُ الجسم في بلدةٍ
وهو أسيرُ القلب في أخرى

(١) في ا ، ب : « السمطات » ، والمسمط : أبيات تجمعها قافية واحدة مخالفة لفواقي الأبيات .
انظر القاموس (س م ط) .

(٢) هكذا في الأصول ، ونسب ياقوت هذا البيت إلى عبد الله بن أحمد بن الحارث ، شاعر بني عباد .
معجم البلدان ٢ / ٤٦٧ .

(٣) في معجم البلدان : « يوم » في المواضع الأربعة .

(٤) ديوانه ٣٢٣ . (٥) ديوانه ١٥٦ .

(٦) في الديوان : « ارث لصب » .

ولابن عبدربه الأندلسي^(١) صاحب «العقد»^(٢) :

الجسمُ في بلدٍ والروحُ في بلدٍ يا وحشةَ الروحِ بل يا غربةَ الجسدِ
إن تبك عينك يا من قد كلفتُ به من رحمةٍ فهماسمَّانٍ في كبدِي^(٣)
ولابن الفارض^(٤) :

كيفَ يَلْتَذُّ بالحياةِ مُعْنَى بين أحشائه كوزي الزناد^(٥)
في قرَى مضرَ جسمه والأصيحى بـ شامًا والقلبُ في بغداد^(٦)
وقلتُ أنا^(٧) في مثله^(٧) :

شَقَّتَ النَّوْمُ والأحبةُ عني مع تأليفِ أذمعي ووُلوعي
أنا في بلدةٍ وأهلي بأخرى وحببي بغيرِ تلكَ الربوعِ
فكانَ الزَّمانُ مني اشتري الصِّفَ وَ بِنَقْدِ أسالهُ من دُموعي
وقوله في المنشور : « وُدِّي لك » إلخ ، كقول^(٨) أبي محمد بن سفيان^(٨) من شعراء
« الفلائيذ » :

كتبتُ وما عندى أضنى من الرَّاح ، وأضوء من سِقْطِ الزُّنْدِ عندَ الاقتِداح .
وقول^(٩) أبي محمد بن القاسم^(٩) الوزير ، في جوابه :

- (١) ساقط من : ا ، ب .
(٢) ساقط من : ب ، ج ، والبيتان في : المطرب من أشعار أهل المغرب ١٥٣ ، بغية الملتبس ١٣٨ .
(٣) في المطرب والبغية : « فهما سهماك في كبدِي » . وفي البغية : « إن تبك عينك لي يا من
كلفت به » .

(٤) ديوانه ١٠٥/٢ ، ١٠٦ . (٥) بعد هذا في الديوان قوله :

عمره واضطبارُهُ في انتقاصٍ وجَواءِ وَوَجْدُهُ في ازديادٍ

- (٦) في الديوان : « والقلب في أجياد » .
(٧) زيادة من : ب .
(٨) في الأصول : « محمد بن سفيان » ، والمثبت في فلائذ العقيان ١٣٦ .
(٩) في الأصول : « محمد بن القاسم » ، والمثبت في فلائذ العقيان ١٣٨ .

كتبتُ عن ودٍ لا أقول كصفو الرّاح ، فإن فيها جناحا ، ولا كسقط الزّند فربّما
كان شحاحا^(١) ، ^(٢) ولكن أصنى^(٢) من ماء الغمام ، وأضوء^(٣) من القمر ليلة
التمّام^(٣) .

فراجع به بقوله : كتبتُ - دام عزّك - عن ودٍ كماء الورد نفّحه ، وعهد كصفائه
صفّحه ، ولا أقول أصنى^(٤) من ماء الغمام^(٤) فقد يكون معه الشّرق ، ولا أضوء من قمر
التمّام ، فقد يدركه النقص ويُمحق .

وليس ما وقع فيه الاعتراض مُختصاً بصفو الرّاح ، ولا بسقط الزّند عند الاقتراح ،
فإن أمور هذا^(٥) العالم هذه سبيلها ، وجياد الكلام تجول كيفما أرسلها^(٦)
مُجملها .

وعلى ذكر القصة قلتُ :

إن الصّفىّ الذى قد كنتُ أعهده عند المماتِ ذُخراً للوداد مُذيق
وقد يفصّ بخير الزّاد آكله وقد يكون من الماء الزّلال شَرَق
وقلتُ أيضاً :

إن كنتُ توجعنى باللّوم فى زلّلى وظلّت تُبرئى منى الداء بالداء
فقد يسوغُ بضربِ الظّهر غصّة من قد استغاث فلم يُنجِده بالماء

-
- (١) فى ١ : « سجاحا » ، والشحاح : البخيل .
(٢) فى قلائد العقيان ١٣٨ : « ولكن أقول أصنى » .
(٣) فى قلائد العقيان : « من القمر متواى التمام » .
(٤) فى قلائد العقيان : « من صوب الغمام » .
(٥) ساقط من قلائد العقيان .
(٦) فى قلائد العقيان : « شاء » .

﴿فصل﴾

كنتُ في عُنفوان الشباب أهوى الهزل والخلاعة ، مع هذا الأديب ،
لكثرة ما عنده من الأهواء ، فكُتبتُ له يوماً ، وقد رأيتُ ^(١) يتحدث مع ^(٢) بعض
الأخذاء :

ما بال مولاي مُغرَى بتقديم الذكور على الإناث ^(٣) ، ومرتكباً لأثام نُطَلِّقَ بها
حُورُ الجنان بالثلاث ؛ وذلك لأن الرجلَ خيرٌ من المرأة بالاتِّفاق ، فلذا تخلفَ عن
الإخلاق ^(٤) ، وشقَّ جيبَ الشقاق ، كما قلتُ :

أديبٌ مالَ عن حبِّ الفواني وبالعلمان أصبح ذا اكِتراثٍ
أُقلتَ برأى أربابِ المعاني فغلبتَ الذُّكورَ على الإناثِ
وما سواه على خلافِ القياس ، وإن لم يَحُلْ مثله عن لبسِ والتباس ، وأُبرَّان ^(٥)
تحت لحافِ خطرٍ .

ومن خالفَ المعاني ، الأديبُ الأصغفاني ، حيث قال :

هاتيكَ حبيبتى ازدهنتى طيباً أوسعتُ بها ابنَ هانيءٍ تكذيباً
لو أمعنت النِّجاةُ فيها نظراً لم تدعُ إلى المذكرِ التَّغليبَ
والتَّغليبَ بابِ واسعِ الموارِدِ ، كثيرُ المصايدِ والأوابِدِ ، فليُنظَرِ الصُّواب ،
ولا يُرْسَلِ البارُّ في الضباب .



(١) ساقط من : ا ، وسقط من ب : « يتحدث » .

(٢) ساقط من : ج .

(٣) الخلاق : ضرب من الطيب ، أعظم أجزاءه الزعفران .

(٤) في م : « دائرين » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٥) في م : الخطر ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

٤٨

الوزير عبد العزيز الشعالبي الأديب *

ساحرٌ تخَلِبُ نَفَثَاتِهِ العقولَ ، وفاضِلُ الأيامُ من فضله غُرَرٌ وحُجُول .
إن ذُكِرَ رِقَّةُ طَبِيعِهِ فما السَّمَّالُ والسَّمُول ، أو شِعْرُهُ فما أبياتٌ غيرُهُ إلا دارِسات
رُسُومٍ وظُلُول .

إذا طَرَزَ بكلامه بُرودَ الجَد ، تخالُهُ مَن جاورَ سُكَّانَ تِهَامَةٍ وَتَجَد .
قَدَّتْ من أديمِ الجَد خِلالُهُ ، ففضَحَ الرِّياضَ وسَحَرَ السَّحَرِ أَقْوالُهُ .
دِيْمَةٌ مجدٍ أَمْطَرَتْ سَحائِبُهُ ، وسَماءُ فضْلِ شَرَفٍ كَوَا كِبَها مَنافِهُ .
شَمائلُ لاجِبِ الزَّمانِ مُعْطَرًا حكاها ولا خَدَّ السَّمُولِ مُورَدًا
أَطْلَعَ في رِياض^(١) المِغْرِبِ وَرَدَهُ وَسَوَّسَنَهُ ، وأَصْبَحَ لِلْفِقْهِ مالِكا فُضائِلُهُ في صَحْفِ
الدَّهْرِ « مُدَوَّنَةٌ » .

بِمَثَلِهِ بطونُ الإِمْساكِ عَقِيْمَةٌ ، فلورآه الشَّعالبي تَوَجَّ به « تَمِيْمَةُ الْيَتِيْمَةِ » .
إذا جَلَى كَواعِبَ كَلِمَاتِهِ فَضَحَتْ الكَوَاكِبُ نُورًا ، وإذا أَنْشَأَ عُدَّ نَثْرُ سِوَاهِ
هَبَاءٍ مَنْثُورًا .

ولما قَدِمَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ الرُّومِ اجْتَمَعَ بِهِ الأفاضِلُ ، وعَظَّمَهُ مَن بها من الصُّدُورِ
والأُمائِلِ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ مادِحًا ، ولَعَذَّبَ أدبُهُ ما حِجًا ، بقولِي من قَصِيْدَةٍ :
وَأَفْتِ وَطَرَفُ النَّجْمِ مَكْحُولُ الحَدَقِ وعَارِضُ الظُّلُمَاءِ فِي خَدِّ الشَّقَقِ
سَكْرَانَةُ الأَحْساظِ من خمرِ الصَّبَا تَمُتُّ في ذيلِ ظِلَامٍ وَفَرَقِ

* ذكره الخفاجي في خبايا الزوايا لوحة ١٨٤ ١ ، وسماه « عبد العزيز بن محمد الشعالبي » .
(١) في ١ : « بلاد » .

واستعجَلَتْ في خَطْوِهَا تَكَادُ أَنْ
مَائِسَةٌ تَفْضَحُ أَغْصَانِ النِّقَا
فَأَبْصَرْتَنِي لِلسَّقَامِ لَابِسًا
فَابْتَسَمَتْ فَكَادَ مِنْ بَارِقِهَا
مَا هَتَزَّ غَصْنُ الْبَانِ إِلَّا فَرَقَا
ومنها :

مَا الْجَمَالَ فِي رِيَاضِ خَدَّهَا
مَا ذُقْتَهُ وَمَا صَفْوَى حَكْدِرْ
وَرَدَّ بِأَفْوَاهِ الْمُنَى مُسْتَعَذِبْ
عَبْدُ الْعَزِيزِ مَنْ بَعِزَّ مُجْدِهِ
رَوْضُ سَحَابِ الْفَضْلِ جَادَ نَوْرَهُ
لِلْفَضْلِ مَالِكٌ وَفِي مِضْمَارِهِ
خُذْهَا عَرُوسًا لِبَسْتَ ثَوْبَ الْبَهَا
لَوْ صُرَّ دُرٌّ طَرَقَتْ أَسْمَاعُهُ
قَدْ وَصَفَ السَّحَرَ لِسَانُ طَرِسِهَا
حَتَّى غَدَا الْعَنْبَرُ يُبَالِقِي نَفْسَهُ
رَاقٍ لِنَظَائِرِي وَرُودُهُ وَرَقٌ^(١)
بَهَجَرِهَا فَكَيْفَ لِي مِنْهُ شَرَقْ
كَوْرَدٌ بِحَرٍّ قَدْ نَفَى قَذَى الْمَلَقْ
أَحْيَ زَمَانًا فِيهِ لِلْفَضْلِ رَمَقْ
حَتَّى زَهَا مُقْتَطَعًا وَمُنْتَشَقْ^(٢)
مِنْ أَشْهَبٍ بِقَصَبِ السَّبْقِ أَحَقْ
سَعَتْ إِلَيْكَ بَيْنَ خَبٍّ وَعَنْقْ^(٣)
أَهْدَى لَهَا دُرَّ الثَّنَاءِ فِي طَبَقْ^(٤)
بِعَارِضٍ خُطَّ عَلَى خَدِّ الْوَرَقْ
فِي الثَّارِ مِنْ غَيْظٍ لَدَيْهِ وَحَنْقْ

(١) في ١ : « ورده ورق » ، وفي ب ، م : « وورده ورق » ، والمثبت في : ج .

(٢) في م : « جاد نومه » ، والمثبت في : ١ ، ب ، ج .

(٣) خب الفرس في عدوه : إذا راوح بين يديه ورجليه ، أى قام على إحداها مرة وعلى الأخرى مرة ، والضيق : سيرة الدابة السريع .

(٤) صردر ، هو على بن الحسن بن علي البغدادي ، شاعر مجيد ، مدح القائم العباسي ، ووزيره ابن المسلحة ، كان يلقب بلقب أبيه صربير ، حتى لقي نظام الملك فقال له : أنت صردر ، وفيات الأعيان لا صربير ، ، فلزمه . توفي سنة ٤٦٥ هـ .

ومدحه صاحبنا الأديب أبو المعالي الطالوي بقصيدة أنشدنيها ، منها :

لعمدِ العزيز الأوحدي النعالي بدائعُ فاقَتْ مُبدعاتِ النعالي
فما بعدها في الدهرِ تُلْفَى يَقيمةٌ ولا قبلها وَشْتُهُ أَقلامُ كاتبِ
سَوادُ سطورٍ في بياضِ مَهَارِقِ وشامٌ على خِـدِّ لِحْفاءِ كاعبِ
وإلا لَمَيَّ وَسَطَ الشَّفاءِ يُعَلُّ مِنْ جَنَى النِّجْلِ ممزوجاً بماءِ المذائبِ ^(١)
وإلا رياضٌ قد كسَتْها يدُ الصِّبا طرائفَ وَشْيٍ من نسيجِ السَّحابِ ^(٢)
كَانَ عَلَيْهِمُ عَبَقَرِيٌّ مَطَارِفِ ومن حُلَلِ الدِّيباجِ وَشْيُ عِصَابِ
فكيف تَرَى عَيْنٌ يَقيمةَ دَهرِها وأُمُّ سَجَايَاهُ وَلودُ الفرائِبِ
فَلَلَهُ مَوْلَى قد شَهِدْنَا بِمَا وَشَى مُكَاتِبَةُ الصَّادِقِ صابٍ وصاحبِ ^(٣)
وَحَكَمَ في نَظْمِ القَريضِ خَواطِرُ أبتُ غَيرَ نَظْمِ النِّيرَاتِ النَّواقِبِ
فما يَشْكُرِي القومُ يوماً وإن شَدا بِنَظْمِ القَوافي عِندَهُ غَيرَ ناعبِ ^(٤)
فكم بَنتُ فِكرٍ قد جَلاها بَدَانُهُ عَلَيْنَا وما غَيرُ الأديبِ بِخاطِبِ
كَانَ صَبَا دَارِينَ فَضَّتْ عَشِيَّةً على عِظْفِها المِياسِ مِنْكَ الحَقَائِبِ ^(٥)
ومَرَّتْ بَوادِي الشَّجَرِ بِجَنازَةِ اللّوَى لَوَى الرَّمْلِ فِيهِ البانُ مُرَخًى الذَّوائِبِ ^(٦)
تُجاذِبُ من نَجْدٍ شَمِيمٍ عَرايِرُهُ فيزَنُونُها الحَوَذانُ من لَحَظِ غاضِبِ ^(٧)

(١) في ١ : « ولا لَمَيَّ » . والمذنب بكر الميم وسكون النال : سيل الماء ، والجدول إذا لم يكن واسعا

(٢) في ١ : « ولا رياض » .

(٣) يعني أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي ، والصاحب لإسماعيل بن عباد .

(٤) يعني المنخل بن مسعود اليشكري .

(٥) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان ٥٣٧/٢ .

(٦) الشجر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ؛ إليه ينسب الغبر الشعري . معجم البلدان

٢٦٣/٣ .

(٧) الحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء في أصلها صفرة ، وورقته مدورة . انظر

اللسان (ح وذ) ٤٨٨/٣ .

وَوَافَتْ حِمَى الزَّرَّاءِ لَيْلًا فَسَاجَلَتْ
وَالْمَغْرِبِ الْأَفْصَى ثَنَتْ مِنْ عِنَانِهَا
بَحَيْثُ تَرَى الْبَيْتَ الْإِمَامِيَّ مَعْتَلًى
تَجَرَّ الْعَوَالِي السَّمْهَرِيَّةَ وَالْقَنَا
عَلَيْهَا أَسْوَدُ الْإِنْسِ فِي يَوْمِ سَلِيمِهَا
بِهَا يَكْلَأُ اللَّهُ الْخِلَافَةَ فِي حِمَى
حِمَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ مَوْلَايَ أَحْمَدٍ
أَسْوَدٌ عَلَى مَتْنِ السَّرَاحِيْبِ غَابُهَا
تَلَوَّى بِأَيْدِي الدَّارِ عَيْنَ كَأَنَّهَُا
تَرَى السَّرْدَ نَهْيًا وَالْقَتِيرَ حَبَابُهُ
مُؤَيِّدُ دِينِ اللَّهِ مُسْتَجِرُ الْقَنَا
سَلِيلُ الْوَغَى إِنْ يَنْتَضِي يَوْمَ مَعْرَكِ
وَمِنْهَا :

فَيَا ابْنَ الْأَلَى هَذِي مَنَاقِبُ نَحْرِهِمْ
لَعِنْدِي عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ وَنَائِيهَا
وَلَكِنْ قَوَافِي الشُّعْرِ كَيْفَ أُجِيدُهَا
وَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْفَخْرِ شَأْوُ لَطَالِبِ
قَلَانْدُ نَظْمٍ كَالْفُجُومِ الثَّوَابِ
وَفِيكُمْ أُنَى التَّنْزِيلِ يَا آلَ طَالِبِ

- (١) في م : « تطوف به الآمال » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .
(٢) المقرب من الخيل : الذي يقرب معلقه ومربطه لكرامته ، والسلب : الطويل .
(٣) في ا ، ب ، ج : « عليها أسود أنس يوم سلمها » والمثبت في : م . وفي م : « وفي الحرب تلقى » ، وفي ا ، ب : « تلقى » ، والمثبت في : ج .
(٤) المقرب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .
(٥) السرحوب : الطويل المتناسب الأعضاء . والثعلب : طرف الرمح الداخل في جبة السنان .
(٦) السرد : الدرع ، النهى ، بالفتح والكسر : الغدير . والقدير : رءوس مسامير الدرع .
(٧) في ا : « إن ينتهز يوم معرك » ، وفي ج : « إن ينتقض يوم معرك » .

وإني لأهوى أن أكون مع الصَّبا
لدى ملكٍ داني النِّوالِ وكفه
على كلِّ خطٍّ من أسرَّةٍ وجَّهه
لِسُدْنِهِ مأوى العَفَاةِ بَعَثْتُهُمَا
عليها من المذبح الإماميَّ جوهر
وأشدني الفاضل عبد العزيز بقسطنطينية قصيدة ، منها :

رُجَاةُ الْفَجْرِ أَبَدَتْ خَمْرَةَ الشَّفَقِ
فَبَاتَ فِي زُهْرِ الْأَفْدَاحِ زَهْرٌ طَلًّا
وَاللَّيْلُ قَدْ قَلَّدَ الْإِصْبَاحَ حِينَ بَدَأَ
وَمَا مَحَا الصُّبْحُ نَقْسَ اللَّيْلِ وَاسْتَتَرَتْ
لَكِنْ دُمُ اللَّيْلِ لَمَّا سَالَ عِنْدُمَهُ
فِي رَوْضَةٍ أودَعَتْهَا الشُّجْبُ سِرًّا شَدًّا
فِيهَا الْكُمْتُ كُتُوسَ الرَّاحِ مُعْتَرِكُ
حَيْثُ الْأَسِنَّةُ زُرْقٌ مِنْ بَنَفْسَجِهِ
وَالشَّقِيقُ أَحْمَرَارٌ فِي جَوَانِبِهِ
وَالرَّيْحُ فَوْقَ مُتُونِ الْمَاءِ طَالَعَةٌ
وَالرَّوْضُ مِثْلُ أَبِي حَفْصٍ وَبِهَجَّتِهِ
نَجَلُ السَّرِيِّ أَبِي الْعَبَّاسِ مِنْ ظَهَرَتْ
وَعَلَى مِنْوَالِهَا قَوْلُ الْحَلِيِّ (١) :

فَيُرْوِزُ الصُّبْحُ أَمْ يَاقُوتَةُ الشَّفَقِ
بَدَتْ فَهَيَّجَتْ الْوَرَقَاءَ فِي الْوَرَقِ

(١) ديوانه ٥٢ ، والبيت افتتاحية قصيدة له في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبيت الشقيق من قول القاضى عياض ^(١) :

انظر إلى الزرع وخاماته تحكى وقد ماست أمام الرباح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح ^(٢)
ولابن الزقاق الأندلسي ^(٣) :

نثر الورد في الغدير وقد درجه بالهبوب نشر الرباح ^(٤)
مثل درع الكمي مزقها الطع ن فسات به دماء الجراح



(١) فلائد العقيان ٢٢٤ .

(٢) في الفلائد : « كتابا تحفل مهزومة » .

(٣) ابن الزقاق الأندلسي : هو علي بن عطية بن مطرف البلنسي اللخمي ، شاعر غزل ، توفي سنة

٥٢٨ . مقدمة ديوانه . والبيتان في ديوانه ١٣١ .

(٤) في الديوان : « نشر الورد » .

العلامة محمد ذكروك المغربي *

عابد زاهد ، فهو مشكاة نور تعلق قلبه بالمساجد .
فأحاديثه مصابيح الأنوار ، وذاته مشكاة العلوم والأشرار ، وآثاره مشرقة
بالكمال ، وجماله مرتفع لسوارح الطلب والآمال .
تعمق أرواح العلماء من حلاه النّاد ، وتنفوح في مجامير الذّكاء الوقاد ، وتبشّر
بالنّجاح ، وتنادى : حيّ على خير الفلاح .

مع صيته هو المسك الفتيق ، والروض المنير الأنيق ، وخلق بكل ذكر جميل
خليق ، فلا يدركه مبار خلفه جرى ، هيهات هيهات ذاتاً أثراً .
وكتف وأذهم الشّيبية طرب العنان ، وورقها خضر مائس الأفدن ، وورق
مطوّقة بروائع ^(١) الأفئنان ^(٢) ، أرود مساقط النّدى ، حتى علق به حبّيل الرّجا ،
وأنا في إبان الطلب ، أنجز في بضاعة الأدب ، فنزلت بساحته ، وحطّطت رخلي على
ماء سماحته ، كما قال الكندي :

وحطّطت رخلي في بني ثعلب إن الكريم للكريم محلّ
فوردت منهّل إفادته ^(٣) الصّافي ، وقرأت عليه علمي العروض والقوافي ، وهو
شفاء الغليل ، لا سيما في علم الخليل ، فقد تخرّج به طلابه ، وضربت به أوتاده وامتدت

(*) ذكره الخفاجي أيضاً في خبايا الزوايا لوحة ١٨٧ أ ، وهو فيها : « محمد ركوك المغربي » .

(١) في م : « بدائع » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

(٢) في أ : « الأفئنان » ، وفي ب ، ج : « الامتنان » .

(٣) في أ : « لإرادته » .

أسبابه ، حتى قامت به الأدلة ، وسلّمت بلا فاصلة من كلِّ علة ، وجرت في بحاره
مياه الفضائل ، حتى كاد أن يكذب القائل ^(١) :

* مثل العروض له بحر بلا ماء *

فكم وشي رداء الآداب ووشع ، وردّ شمسها من المغرب كما ردت ليوشع ، واسكل
عصر يوشع يردّ شمس الفضل بعد الأفل ، وتشرق شمس العصر على
القصر والطول .

يقرى وفود الطلب بيانا ، ويقرئ عيون الأمل حسنا وإحسانا .

وله في المعالي أرومة ، وفي مغارس الفضل جرتومة .

غذى بلبان الفضل وليدا وعدّ لبيد إذا قيس بفصاحته بليدا .

راق في جيد دهره قلادة الأوصاف ، وتحلّت بعذب مدائح أفواه الرّواة من

سائر الأطراف ، حتى تهادته الدّول ، تهادى لذيد الكرى للمقل .

فهو أندى على الأكباد من قطر الندى ، وألذ في أفواه الأجفان من

كحل الكرى .

فالكون إما ناطق فمعظم حرمانه أو ناطق فمُسبّح

ثم إن الدهر اقتطف ثمرة فؤاده ، وقطع فلذة كبده ببيع أولاده ، فهاجر إلى

طَيِّبَة وقال بها في ظلال النّعيم ، إلى أن دعاه لجواره المولى ^(٢) الكريم .

وكنْتُ كَتَبْتُ إليه أسليه ، وأصبره في بنييه وأعزّيه :

كنّ المعزّى لا المعزّى به إن كان لا بد من الواحد

لعل الله يخلف ما أخذ من بنيك ومالك ، ويجعل الباقي منهم كما قيل في المثل : فتّى

ولا كمالك . وأنت لا تعدم أجر الصبر على كمالك .

(٢) في م : « الملك » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(١) سبق في صفحة ٣٣١ .

فَكَمْ نَبَتْ مِنْ « غَصْنِ غُصُونِ »^(١) ، وَطَلَعَ مِنْ حَبَّةٍ سَنَابِلُ حَبَاتِهَا
دُرٌّ مَكْنُونٌ .

وَفِي اللَّهِ الْخَلْفُ مِنْ كُلِّ ضَائِعٍ ، وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ .
وَالسَّلَامُ .

وَكَانَ أَمَلِي عَلَى مَنْ أَشْعَارُهُ ، وَبِدَائِعِ فَوَائِدِهِ وَآثَارِهِ ، مَا حَسَدَنِي عَلَيْهِ الدَّهْرُ فَرَقَهُ
أَيْدِي سَبَا ، وَهَجَمَ عَلَيْهِ الضَّيَاعُ وَالنَّسِيَانُ فَهَبَّ وَسَبَى .
* وَسَهْمُ الرِّزَايَا بِالْفَنَائِسِ مُوَلَّعٌ^(٢) *



﴿ تَمَمَّةٌ وَفَائِدَةٌ مَهَمَّةٌ ﴾

فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْمَثَلِ ، قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي كِتَابِ « لَيْسَ »^(٣) :
لَيْسَ أَحَدٌ سَمِيَ نَوَاطِ النَّخْلَةِ جَرِيمَةً إِلَّا أَوْسًا الْأَنْصَارِيَّ ، فِي حَدِيثٍ لَهُ ، وَهُوَ أَنَّ
أَوْسًا^(٤) بَنَ حَارِثَةَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ إِلَّا مَالِكُ^(٥) ، وَلَأَخِيهِ خَمْسَةُ أَوْلَادٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ
الْمَوْتَ ، قَالَ لَهُ قَوْمُهُ : كُنَّا نَأْمُرُكَ بِالتَّزْوُجِ فِي شَبَابِكَ فَلَمْ تَفْعَلْ !
فَقَالَ : لَمْ يَهْلِكْ هَالِكٌ ، تَرَكَ مَالِكٌ ، وَإِنْ كَانَ الْخَرْجُ ذَا عَدَدٍ ، فَلَيْسَ^(٦)
كَمَالِكٍ وَلَدٌ .

(١) فِي ١ : « غَصْنُ غُصُونِ » .

(٢) عَجَزَ بَيْتٌ لِلْخَرِيمِيِّ ، إِسْحَاقُ بْنُ حَسَّانَ ، وَصَدْرُهُ :

* وَأَعَدَّدَتْهُ ذُخْرًا لِكُلِّ مُلِمَّةٍ *

الْتِمِثِلُ وَالْمُحَاضِرَةُ ٨٤ ، وَفِيهِ : « بِالذَّخَائِرِ مُوَلَّعٌ » .

(٣) لَمْ أَجِدْ هَذَا النِّقْلَ فِي كِتَابِ لَيْسَ الْمَطْبُوعِ . وَانْظُرْ بَعْضَ الْخَبَرِ فِي اللِّسَانِ (وِثْمٌ) ، ٦٢٩/١٢ .

(٤) فِي ١ ، ب ، ج : « أَوْسٌ » .

(٥) ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ ٩/١ ، ١٤٩/٢ ، أَنَّ مَالِكََ الْمُعْنَى فِي الْمَثَلِ هُوَ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ .

(٦) فِي ١ ، ب ، ج : « وَلَيْسَ » .

فعل الذي استخرج النخلة من الجريمة ، والدار من الوثيمة ، أن يجعل للمالك نسلا ، ورجالا بسلا .

يامالك ، المنيّة ولا الدنيّة ، والعقاب قبل العقاب ، والتجلد لا التبيلد .
واعلم أن القبر خير من الفقر .

وشرُّ شارب المِشْتَف (١) ، وأقبح طاعم المَقْتَف (٢) .

وذهاب البصر ، خير من كثير من النظر .

ومن كرم الكريم ، الدّفاع عن الحريم .

ومن قلّ ذلّ ، ومن أمر فلّ .

وخير الغنى القناعة ، وشرُّ الفقر الضّراعة .

والدهرُ يومان ، فيومٌ لك ، ويومٌ عليك ، وكلاهما مُسْتَحْذَر (٣) ، وإِنَّمَا

تَعْرِى مَنْ تَرَى ، وبِعْزْكَ مَنْ لَا تَرَى (٤) ، ولو كان الموتُ يُشْتَرَى ، لَسِلمَ منه أهلُ الدنيا .

الشّريفُ : الأبلج ، واللّثيم : المُعْلَمَج .

والموتُ اللَّقِيم ، خيرٌ من أن يُقال هَبِيت .

وكيف السّلامة ، لمن ليست له إقامة .

وشرُّ من المُصِيبَة سوء الخلق ، وكل مجموع إلى تكلف ، حَبَاكَ إِلَهْكَ .

قالوا : فكان من نسل مالك بعدد الخرزج ، أو نحوهم .

(١) اشتف ما في الإناء : شربه كله .

(٢) في ١ : « المقتف » ، وفي ب ، ج : « المقتف » ، والثبت في م . وقف ما في الإناء : أخذ جميعه واشتفه .

(٣) في ١ ، ب ، ج : « سيحسر » .

(٤) في ١ ، ب : « وإِنَّمَا يعز من ترى ، وبِعْزْكَ مَنْ لَا تَرَى » ، وفي ج : « وإِنَّمَا يعز من ترى ، ولا يعزك من لَا تَرَى » .

تفسيره :

الجريمة : التمرة تُسمى بها الفؤاة ؛ لأنها منها .

والوثيمة : حَجَر القَدَّاحَة .

وأمر بمعنى ^(١) : كَثُر .

والهَيْبَت : الضعيف الجبان .

والأَبْلَج : السيد الوَضَّاح .

والمُعْلَج : المختلط النسب .



(١) في م : « يعني » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج

﴿ خاتمة ﴾

اعلم أنّي كنتُ في رحلتى مُتَجَرِّراً في بضائع الفوائد ، مُغرماً بصَيِّد الشَّوَارِدِ وقَيِّد
الأوابِدِ ، واستِعلام خبرٍ مَنْ لم أره من الأدباء والفضلاء ، فسألتُ مَنْ لِقِيته من المغرب
عَمَّنْ قُرْبَ عهدِهِ بها من الأعيان ، وعن خَبَايا الدَّفَائِنِ التي ادَّخروها وهم أَقلُّ من القليل ،
والدَّهرُ حَسودٌ بخيل .



فَمِمَّنْ تَعَطَّرَتْ بِطِيبِ أَخْبَارِهِ ، وَتَفَكَّهَتْ بِبَاكُورَةِ ثَمَارِهِ ، بِالْمَغْرِبِ :

حسام الدين بن أبي القاسم الدرعي المغربي *

أديبٌ حُسامٌ طَبِيعُهُ مُرْهَفٌ ، وَمَشْرِفُهُ بِحُلَى الآدَابِ وَالْعِلْمِ مُشْرِفٌ .
قَدْرُهُ أَعْلَى مِنَ النُّجُومِ الزَّاهِيَةِ ، وَمِسْكُ مَدَادِهِ يُرَخِّصُ شَذَاهُ الْغَالِيَةِ .
فَاخَرَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ بِمَطَالَعِ شَمْسِهِ ، وَعَلِمَ قُطْرُهُ بِهِ أَنْ يَوْمَهُ خَيْرٌ
مِنْ أَمْسِهِ .

فَهُوَ رَوْضٌ تَقْبِلُ الْأَرْضُ فِيهِ ثَفُورُ الزُّهُورِ ، وَتُطَرِّزُ بُرُودُ الْآدَابِ بِمَالِهِ مِنَ
الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ .

أخبرني صاحبنا محمد بن إبراهيم الفاسي - لا زال في رَوْحِ وَرَيْنَحَانِ ، وَلَا بَرِحَ

(*) هكذا في الأصول ، والخبايا : « ابن أبي القاسم » .

وهو :

حسين بن قاسم بن أحمد بن محمد ، حسام الدين ، المغربي ، المالكي ، العتيقي ، الدرعي .
ولد سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، بوادي درا .

تلمذ للعنجوري ، والحميدي ، والزفوري ، والقُدومي ، وأكثر عن أبي العباس ابن القاضي .
قدم دمشق بعد أن زار بلاد الروم ، ثم خرج منها حاجا ، وقطن بمدينة العلا ، في طريق المدينة
من الشام .

وأحبه أهلها ، فجعلوه لهم إماما ، وخطيبا ، ومعلما للأطفال ، ومفتيا لهم على مذهب مالك .
توفي سنة إحدى عشرة بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ١١٨٢ ، خلاصة الأثر ١٠٢/٢ .
ودرعة : مدينة صغيرة بالمغرب ، من جنوبي الغرب ، بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ ، ودرعة
غريبها .

معجم البلدان ٥٦٧/٢ . وانظر خلاصة الأثر ١٠٤/٢ .

جَدَّهُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَانِ - أَنَّهُ أَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ مُضْمَّنًا ، يَخَاطَبُ
مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَنْدَلُسِيَّ (١) :

وَلِي صَاحِبٌ قَدْ هَذَّبَتْ لِي يَدُ الصَّفَا مَوَدَّتَهُ فِي غِيَمَةٍ وَعَيَانٍ (٢)
وَلَكِنْ هَوَائِي مَعَ هَوَاهُ تَخَالَفَا تَخَالَفَ رُؤْيَا السَّجْنِ لِلْفَتَيَانِ (٣)
فِيهِ هَوَايَ بَنِي نَجْدٍ وَلَيْنَ خُصُورِهِمْ وَأَهْوَايَ بَنَاتِ الْغَوَرِ طَوْلَ زَمَانِي
يُذَكِّرُنِي حَالِي وَإِيَّاهُ قَوْلَهُ رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي



(١) نقل الحجي هذه الأبيات عن الفيومي في « منزهه » . خلاصة الأثر ١٠٣/٢ .

(٢) في خلاصة الأثر : « هذبت يد الصبا » .

(٣) في خلاصة الأثر : « ولكن هواي مع هواي تخالفا » ، ويعني بـ « تخالف رؤيا السجن للفتيان »

ماورد في قوله تعالى ، في سورة يوسف ٣٦ : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ ... الآيات . وانظر القصة في تفسير ابن كثير ٤٧٧/٢ .

٥١

عبد العزيز الفِشْتَالِي *

أديبٌ عَذْبُ اللسان ، ماضى شَبَا السَّنان .
له دَمَتْ أخلاق وشمائل ، تجرُّ وراءها ذُبُول الصَّبَا والشمائل .
ألطفُ من وَجَناتٍ وَزِدَ عِذارُها الآس ، وأسحرُ من عيون الغَيْد إذا
غازَلها النُّعاس .

إن خَطَّ زَيْن بُرْدِ البلاغةِ وَوَشَّاه ، وتغايَّر على أخذِ الرِّقَّةِ لفظُه ومغناه :
فَيَطْرَبُ السَّمْعُ لألفاظِه وَيَرْقُصُ القلبُ لمغناهُ
بِهَمَّةٍ هي خِذْنُ القَضَا ، ولُطْفٍ طبعِ أَلَدَّ من ذَنْبٍ بحاه الرِّضَا .
فريدٌ هِمَّتُه إلى هَضَباتٍ ^(١) الهَمَّةِ نَاطِرَةٍ ، وحيدٌ تَقَفُ دُونِ اشْتِهَارِهِ
الأمثالُ السَّائِرَةُ .

عَبَّتْ بالبيان راحاتُ فِكرِهِ السَّاحِرَةِ ، فأَبْقَظَتْ من مَهْدِ الألفاظِ عيونَ
المعاني الفاتِرَةِ .

(*) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي ، أبو فارس .
كانت الملك المنصور مولاى أحد ، الذى تقدمت ترجمته صفحة ٢٨٩ .
يقول فيه الملك المنصور : « إن الفشتالى تفنن به على الملوك ، ونبارى به لسان الدين ابن
الخطيب » .

توفى سنة ثلاثين ، أو إحدى وثلاثين وألف .
خبيايا الزوايا لوحة ١٨٢ ب ، خلاصة الأثر ٤٢٥/٢ ، ديوان الإسلام لوحة ٦٦ ب ، وأكثر
السلامى فى النقل عنه أثناء الجزء الخامس من الاستقصاء . سلافة العصر ٥٨٢ ، نزهة الحادى لوحة
٦٧ ، ب .
(١) فى « هضاب » .

وكان قبلَ ماجرٍ عليه الدهرُ ذُبُولَه قام لإقباله ، وقرَّبه في ^(١) الدولة العلوية
الأحمدية على أمثاله .

فمَّا ارتشَقَه فمَّ ^(٢) السمع والآذان ^(٣) ، وروى بنميره العذب ظاميُّ
الأذهان ، قوله ^(٤) :

حين أزمعتُ عند خوفِ البعادِ وعَدَّتْني من الفراقِ العوادي
قال صَحْبِي وقد أطلتُ التِّفَاقِي أيُّ شيءٍ تركتُ قلتُ فؤادي ^(٥)



(١) في م : « من » ، والمثبت في ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ٢/٤٢٥ .

(٢) في م : « سمع الآذان » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٣) خلاصة الأثر ٢/٤٢٥ .

(٤) ذكر المحي بعد هذا له أبياتا أخرى ، نقلها عن عبد البر الفيومي ، في « منترهه » ، وقد ذكر
الفيومي اعتراض الحفاجي على هذه الأبيات ، وتعرض له في كلام طويل . انظر خلاصة الأثر ٢/٤٢٥ ، ٤٢٦ .

٥٢

عبد السلام بن سنوس المغربي*

أديب فأس ، ومِسْك غِزْلان ذلك الكِفاس ، ورِيحَانُهُ أَهْدَى نَفْحُهُ خَبْرَهُ إِلَى
الصَّبَا الطَّيِّبِ الْأَنْفَاسِ .

فَلِلَّهِ طِيب الْأَخْبَارِ ، وَمَا أَهْدَاهُ لِي مِنَ الْمَسَارِ ، مِنْ كُلِّ حَدِيثٍ هُوَ لِمَعِينِ الْفَخْرِ
قُرَّةً ، وَفِي وَجْهِ دُهُمٍ اللَّيَالِي غُرَّةً .

ألفاظه ^(١) تضحكُ على تُغُورِ الأنوار ، الضاحكة لُبِّكَاءِ الْأَمْطَارِ .
أُنشدني له بعضُ الأدباء :

وبدرٍ لاح من تحتِ السلامِ يقولُ لكلِّ قلبٍ قد سَلَّاهُمْ
لنن خَشْنَتْ مَلَابِسُهُ عَلَيْهِ فَقَدْ خَشْنَتْ عَلَى الْوَرْدِ الْكَأَمِ
السلام : جمع سلْهامة ، وهي بِلغة أهل المغرب بُرْنَسُ أبيض خِشَن .
وأُنشدني عبد العزيز الثعالبي شعراً له في القمر ، منه :

دَعْ ذَا وَقْلٍ لِلنَّاسِ مَاطَارِقُ يَطْرُقُهُمْ جَهْرًا وَلَا يَتَّقِي
ليس له رُوحٌ عَلَى أَنَّهُ يَرْكَبُ ظَهَرَ الْأَذْهَمِ الْأَبْلَقِ
شيخٌ رَأَى آدَمَ فِي عَصْرِهِ وَهُوَ إِلَى الْآنِ بِحَدِّ نَقِي
وهو بَوَسْطِ الْبَحْرِ مَعَ قَوْمِهِ لَا يَنْثَنِي عَنْ نَهْجِهِ الضَّيِّقِ ^(٢)
هَذَا وَيَمْشِي الْأَرْضَ فِي لَيْلَةٍ أَعْجَبَ بِهِ مِنْ مُوْتَقٍ مُطْلَقِ

(*) في م : « عبد السلام بن سوسن المغربي » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، خبايا الزوايا ١٨٧ .

(١) في ا ، ب ، ج : « ألفاظ » .

(٢) سقط هذا البيت ، والبيتان التاليان له من : ا ، ب ، ج .

فتارةً ينزلُ تحتَ الشَّرى وتارةً وَسَطَ السَّما يَرْتَقِي
وتارةً يُبْصِرُ في مغْرِبٍ وتارةً يُبْصِرُ في مشْرِقٍ^(١)
وتارةً تُبْصِرُهُ سَاحِلاً يَجْزِي بِسَاطِئِ الْبَحْرِ كَالزُّورِقِ^(٢)
وتارةً تَحْسِبُهُ وَهُوَ فِي ضَيْعَتِهِ وَالْبَعْضُ مِنْهُ بَقِيَ
ذُبَابَةً مِنْ صَارِمٍ مُرْهَفٍ بَارِزَةً مِنْ جَفْنِهِ الْمُطْبِقِ
يَذْنُو إِلَى عُرْسٍ بِهَا حُسْنُهَا يَخْتَطِفُ الْأَبْصَارَ بِالرُّونِقِ
حتى إذا جَامَعَهَا يَرْتَدِي بِحُلَّةٍ سَوْدَاءٍ كَالْمُحْرِقِ
وَهُوَ عَلَى عَادَتِهِ دَائِماً يُجَامِعُ الْإِنْسَى وَلَا يَلْتَقِي
ثُمَّ يَحُوبُ الْقَفَرُ مِنْ أَجْلِهَا مُشْتَمِلاً فِي مِطْرَفٍ أَزْرَقِ
حتى إذا قَابَلَهَا ثَانِياً تَشْكُّهُ بِالرُّمَحِ فِي الْمَفْرِقِ
وبعدَ ذَا تُلْبِسُهُ خِلْعَةً يَا حُسْنَهَا فِي لَوْنِهَا الْمُونِقِ
فجَسْمُهُ مِنْ ذَهَبٍ جَامِدٍ وَجِلْدُهُ صَيْغَ مِنَ الزَّئْبِقِ
ثُمَّ يُرَى فِي حَالِ إِنْتِمَائِهِ مِثْلَ مِجَنِّ الْحَرْبِ الْمُلْتَقَى^(٣)
وهو إذا أَبْصَرْتَهُ هَكَذَا أَحْسَنُ مِنْ صَاحِبَةِ الْمَفْرِقِ
^(٤) وقد نُسِبَ هَذَا لغيره .



(١) في ا ، ب ، ج : « فتارةً يبصر في مغرب » .
(٢) من أول هذا البيت إلى آخر القصيدة ساقط من : ا ، ب ، ج .
(٣) المحرب : صاحب الحرب ، والشجاع .
(٤) قبل هذا في الزيادة : « وهي طويلة » .

٥٣

السيد عبد الخالق الفاسي

أديبٌ تَجَنَّبَنِي مِنْهُ الْأَلْبَابُ يَانِعَ ثَمَرَاتِهَا ، وَسَمَاءٌ لَمْ (١) تَخْرُجْ بِدُورٍ (٢) كَالِه
عَنْ هَالَاتِهَا .

فَرَعٌ مِنْ شَجَرَةِ الثُّبُوءِ ، الْمَسْقِيَّةِ بِمَاءِ الْوَحْيِ وَالْفُتُوَّةِ .

فَعَلًا وَسَمًا ، فَأَصْلُهُ ثَابِتٌ وَفِرْعُهُ فِي السَّمَاءِ .

فِطْرَاهُ مُذْهَبٌ عَلَى كَمِّ الْمَجْدِ ، لِأَنَّهُ مِنْ ذُوَابَةِ تَمُوسٍ بَيْنَ تِهَامَةٍ وَنَجْدٍ .

عِقْدٌ عَلَى صَدْرِ الْمَنَاقِبِ الْعَلِيَّةِ ، وَتَاجٌ مَعْقُودٌ بِرَأْسِ الْعَصَابَةِ الْعَلَوِيَّةِ .

تَوَلَّدَ بَيْنَ الْمُصْطَفَى وَوَصِيِّهِ وَلَاغَرَوَانٍ تَزْكُو هُنَاكَ الْغَرَائِصُ

شَمَامَةً (٣) فِي يَدِ الْأَدَبِ ، وَرِيحَانَةً مِنْ رِيَاحِينَ الْعَرَبِ .

لَمْ تَزَلْ سَيَّارَةً الْمَسَائِلَ تَلْقَطُ أَخْبَارَهُ ، وَرُكْبَانُ الْأَخْبَارِ تَتَزَوَّدُ
وَتَمْتَنُّ أَسْعَارَهُ .

فَمَا أَنْشَدَنِي لَهُ الْأَدِيبُ مُحَمَّدُ الْفَاسِي :

إِذَا مَا رُمْتَ نُصَحَ النَّاسِ طَرًّا تَحَرَّ الْمُقِيلِينَ ذَوِي الْإِيَابِ

فَلَا تُسْمِعْ سِوَى مَنْ كَانَ حَيًّا وَإِلَّا لَا خَرَجَ عَلَى خَرَابِ



(١) في ١ : « يخرج بدر » .

(٢) الشمامة : كل ما يشم من الروائح الطيبة .

٥٤

السيد يحيى القرطبي*

هو فيما بلغنى روضٌ مُخَصَّب ربيع ، من وادٍ بالفضل مَرِيع .
من فُرُوعِ الدَّوْحَةِ الْعَالِيَةِ الْعُلْوِيَّةِ ، وَثَمَرَاتِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، الْبَاسِقَةِ بِمَا سَقَاهَا
من ماءِ النَّدَى ، وَالْمُورِقَةِ الْمُثْمَرَةِ بِالْعِلْمِ وَالْهُدَى .
فَخَارَ لَوْ أَنَّ الشَّمْسَ تَكَسَّى سَفَاءُهُ لَمَّا غَشِيَتْهَا الْمُظْلِمَاتُ الدَّوَامِسُ^(١)
أَمِيرٌ بِالْأَنْدَلُسِ فِي وَقْعَةٍ أَمَرَتْ أَفْرَاحَ الْقُلُوبِ ، وَشَقَّتْ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ
قَبْلَ الْجُيُوبِ ، فَأَصْبَحَ فِي حَالٍ تَعُدُّ الْمَنَآيَا أَمَانِيَا ، وَبَرَى لَضَعْفِ الدِّينِ الْمَوْتَ
طَبِيبًا شَافِيَا .

إِذْ عَثُرْتُ خِيُولُ الْفِتَنِ وَالنِّقَمِ ، بِذَوِي الْمِرْوَةِ وَالنِّعَمِ ، فَأَرْسَلَ قَصِيدَةً نَعَى بِهَا
الْإِسْلَامَ ، وَنَادَى مُلُوكَ الرُّومِ وَعُلَمَاءَهَا الْأَغْلَامَ ، فَلَمْ يَجِدْ بِهَا صَفِيًّا ، يَقُولُ لَهُ لَقَدْ
أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ، وَذَلِكَ فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ سُلَيْمَانَ^(٢) ، الَّذِي دَخَلَ فِي خَبَرِ كَانَ ،
وَهِيَ هَذِهِ :

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُعْرِ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دَوْلُ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَانُ
وَعَالَمُ الْكُونِ لَا تَبْقَى مُحَاسِنُهُ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ

(*) ترجمة المخفاجي أيضا في خبايا الزوايا لوحة ١٨٢ ب .

(١) ساقط من : أ ، ب ، ج .

(٢) السلطان سليمان بن سليم العثماني ، ولى سنة ست وعشرين وتسعمائة ، وتوفى سنة أربع وسبعين
وتسعمائة . شذرات الذهب ٨/ ٣٧٥ .

يَمَزُقُ الدَّهْرُ مَقَاكِلَ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتَ مَشْرِفِيَّاتٌ وَخُرُصَانُ^(١)
وَيَنْقُضِي كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ كَانَ ابْنُ ذِي يَرْنٍ وَالْغَمْدُ غَمْدَانُ^(٢)
أَيْنَ الْمُلُوكِ ذُووُ التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتَيْجَانُ
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادٌ مِنْ إِرَمِ وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبِ
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحْطَانُ
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانُ
دَارِ الزَّمَانِ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِهِ وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيوَانُ
كَأَمَّا الصَّعْبُ لَمْ يُسْهَلْ لَهُ سَبَبٌ يَوْمًا وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ
فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ
وَالْمَصَائِبِ سُـلُـوَانٌ يَهْوِيهَا وَمَا لِمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُـلُـوَانُ
دَهَى الْجَزِيرَةِ خَطْبٌ لِأَعْزَاءِ لَهُ هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَأَنْهَدَ شَهْلَانُ
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَاثْمَتْ حَنْتُ حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ
فَسَلَّ بَلَنْسِيَّةً مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ وَأَيْنَ قُرْطُبَةُ أَمِ أَيْنَ جِيَّانُ^(٣)

(١) الخرس : الرمح القصير ، والسنان .

(٢) غمدان : قصر باليمن ، في صنعاء ، قيل بناه سليمان بن داود عليهما السلام لزوجه بلقيس ، وقيل بناه يشرخ بن الحارث بن صيفي بن سبأ ، جد بلقيس ، بناه بأربعة وجوه ؛ أحمر ، وأبيض ، وأصفر ، وأخضر ، وبني داخله قصرا بسبعة سقوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعا . تاج العروس (غ م د) ٤٤٦/٢ . وانظر معجم البلدان ٨١١/٣ .

(٣) بلنسية : مدينة ، متصلة بجوزة كورة تدمير ، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة ، وهي بيرة بحرية ذات أشجار وأنهار ، وتعرف بمدينة التراب . معجم البلدان ٧٣٠/١ .
ومرسية : من أعمال تدمير ، وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها . معجم البلدان ٤٩٧/٤ .
وقرطبة : مدينة عظيمة ، وسط بلاد الأندلس ، بينها وبين البحر خمسة أيام . معجم البلدان ٥٨/٤ ، ٥٩ .

وجيان : مدينة لها كورة واسعة بالأندلس متصل بكورة للبيرة ، مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة ، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا . معجم البلدان ١٦٩/٢ .

وَأَيْنَ خِصَصَ وَمَا تَخَوَّبَهُ مِنْ نُزَرِهِ
كَذَا طَلَيْطَلَةٌ دَارُ الْعُلُومِ فَكَمْ
وَأَيْنَ غَرْ نَاطَةَ دَارُ الْجِهَادِ وَكَمْ
وَأَيْنَ حَمْرَاوُهَا الْعَلْيَا وَزُخْرُفُهَا
قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا
وَالْمَاءُ يَجْرِي بِسَاحَاتِ الْقَصُورِ بِهَا
وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ يُحْكِي فِي تَسْلُسُلِهِ
وَأَيْنَ جَامِعُهَا الْمَشْهُورُ كَمْ تُلَيْتُ
وَعَالِمٌ كَانَ فِيهِ لِلْجَهَّوْلِ هَدًى
وَعَابِدٌ خَاضِعٌ لِلَّهِ مُبْتَهِلٌ
وَأَيْنَ مَالَقَةٌ مَرَسَى الْمَرَاكِبِ كَمْ
وَكَمْ بِدَاخِلِهَا مِنْ شَاعِرٍ قَطِنٌ
وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَاضٌ وَمَلَانٌ^(١)
مِنْ فَاضِلٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانٌ^(٢)
أُسْدِيَّ بِهَا وَهُمْ فِي الْحَرْبِ عُقْبَانٌ^(٣)
كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ عَدْنَانٌ^(٤)
عَسَى الْبُكَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَزْ كَانَ
قَدْ حَفَّ جَذُولَهَا زَهْرٌ وَرَيْنَحَانٌ
سَيُوفَ هِنْدٍ لَهَا فِي الْجَوِّ لَمَعَانٌ
فِي كُلِّ وَقْتٍ بِهِ آئٍ وَفُرْقَانٌ
مُدْرَسٌ وَلَهُ فِي الْعِلْمِ تَبْيِيبَانٌ
وَالدَّمْعُ مِنْهُ عَلَى الْخُلْدِ بِنِ طُوفَانٌ
أَرْسَتْ بِسَاحَتِهَا أَفْلَاكٌ وَغَرْبَانٌ^(٥)
وَذِي فُنُونٍ لَهُ حِذْقٌ وَتَبْيِيبَانٌ

(١) حمص : هي أشبيلية ، سميت بذلك لأن بني أمية لما حصلوا بالأندلس وملكوها ، سمو عدة مدن بها بأسماء مدن الشام ، وقيل : دخل جند من جنود حمص إلى الأندلس ، فسكنوا أشبيلية ، فسميت بهم . معجم البلدان ٣٣٨/٢ .

وأشبيلية : مدينة عظيمة ، كانت قاعدة ملك الأندلس ، وهي غربي قرطبة ، بينهما ثلاثون فرسخا ، وهي على شاطئ نهر عظيم ، قريب في العظم من دجلة أو النيل ، تسير فيه المراكب المثقلة ، يقال له وادي الكبير . معجم البلدان ٢٧٥/١ .

(٢) طليطلة : مدينة كبيرة ذات خصائص محودة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل وادي الحجارة ، وهي غربي ثغر الروم ، وبين الجوف والشرق من قرطبة . معجم البلدان ٥٤٥/٣ .

(٣) غرناطة : هي أقدم مدن كورة لإبيرة ، من أعمال الأندلس ، وأعظمها ، وأحسنها ، وأحصنها ، بينها وبين لإبيرة أربعة فراسخ ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا . معجم البلدان ٧٨٨/٣ .

(٤) يشير إلى حصن الحمراء ، الذي بناه محمد بن يوسف ، ابن الأحمر الخزرجي ، المتوفى سنة ٦٧١ هـ انظر الإحاطة ٥٩/٢ .

(٥) مالقة : مدينة عامرة ، من أعمال رية ، سورها على شاطئ البحر ، بين الجزيرة الخضراء والمرية . معجم البلدان ٣٩٧/٤ . والغراب : سفينة من سفن البحر القديمة .

وكم بخارجها من منزله فرج
وأين جارتها الزهراء وقبتها^(١)
وأين بسطة دار الزعفران فهل
وكم شجاع زعيم في الوغى بطل
كم جندلت يده من كافر فعدا
وواديا من غدت بالكفر عامرة
كذا المريبة دار الصالحين فكم
تبسكى الخفيفة البيضاء من أسف
حتى الحاريب تبسكى وهي جامدة
على ديار من الإسلام خالية
حيث المساجد قد أمست كنائس ما
يا غافلاً وله في الدهر موعظة
وما شياً مرحاً يلهمه موطنه
تلك المصيبة أنست ما تقدمها
يارا كبين عتاق الخيل ضامرة
وحاملين سيوف الهند مرهفة
وجنة حولها نهر وبستان
وأين يا قوم أبطال وفُرسان^(٢)
رأى شبيهاً لها في الحسن إنسان
بداله في العدى فتك وإمعان
تبسكى من أرضه أهل وولدان
ورددت رحيداً شرك وطغيان^(٣)
قطب بها علم غوث له شان^(٤)
كما بكى لفراق الإلف هيمان
حتى المنابر تبكى وهي عيدان
قد أفقرت ولها بالكفر عمران
بهن إلا نواقيس وضلبان
إن كنت في سنة فالدهر يقظان
أبعد حص تغر المرء أوطان
ومالها مع طويل الدهر نسيان
كأنها في مجال السبق عقبان^(٥)
كأنها في ظلام الليل نيران

(١) الزهراء : مدينة صغيرة ، قرب قرطبة ، بينهما ستة أميال وخمسة أصداس ميل ، اختطها عبدالرحمن الناصر سنة ٣٢٥ هـ ، وعملها منزلاً له ، وأنفق في عمارتها من الأموال ما تجاوز حد الإصراف ، وجعل للنفقة عليها ثلث جباية البلاد . معجم البلدان ٩٦٢/٢ .

(٢) وواديا : كذا بالأصول

(٣) المرية : مدينة كبيرة ، من كورة لالبيرة ، من أعمال الأندلس . معجم البلدان ٥١٧/٤ .

(٤) في ١ : « عتاق الخيل مضرة » .

ورائعين وراء النهر من دعة
أعندكم نبا من أمر أندلس
كم يستغيث صناديد الرجال وهم
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
ألا نفوس أبيات لها هم
يا من لنصرة قوم قسّموا فرقا
بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم
فلو تراهم حيارى لادليل لهم
فلو رأيت بكاهم عند بيعهم
يارب طفل وأم حيل بينهما
وغادة مارأتها الشمس بارزة
يقودها العليج عند السبي صاغرة
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
هل للجهاد بها من طالب فلقد
وأشرف الخور والولدان من غر ف
ثم الصلاة على المختار من مضر

لهم بأوطانهم عز وسلطان
فقد سرى بحديث القوم ركبان
أسرى وقتلى فلا يهتز إنسان
وانتم يا عباد الله إخوان
أما على الخير أنصار وأعوان
سطا عليهم بها كفر وطغيان
واليوم هم في قيود الكفر عبدان
عليهم من ثياب الذل ألوان
لهالك الأمر واستهوتك أحزان
كما تفرق أرواح وأبدان
كأنما هي ياقوت ومرجان^(١)
والعين باكية والقلب حران^(٢)
إن كان في القلب إسلام وإيمان
تزخرفت جنة المأوى لها شان
فازت لعمرى بهذا الخير شجعان
ماهب ريح صبا واهتز أغصان^(٣)



(١) في أ : « الشمس طالعة » .

(٢) في ب ، م : « والقلب حيران » ، والمثبت في : أ ، ج . والعلج : الرجل من كفار العجم .

(٣) في م : « ريح الصبا » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

﴿ فصل ﴾

هنا^(١) تُسَكَّب العِبرَات ، لَتُطْفِئُ نيران الحَسَرَات .
فهذه الأندلس دارُ الإسلام ، ملكها الكُفَّارُ وبُدِّلَ نورُها بِالظَّلام .
وجوامعُها صارت كِفائِس ، وأسودَّها لِكِلاب الكفرةِ فرائِس .
وجامعُ قُرْطُبَةَ الكبير مملوءٌ بالكتبِ مسدودُ الباب ، ومأوى للحشرات
ومَرَقَدٌ لِلِكِلاب .

وأَسْطُولُ الرُّومِ يُنْفِقُ عليه الأموال ، فتخرجُ رؤسائهم بُعْدَدَ الحرب والرجال ،
ويأخذون الجزيةَ من فقراء المسلمين ، فإذا عادوا عَدُّوا وأنفسهم غَزاةً غائمين .
ولولا أهلُ المغرب^(٢) والجزائر ، لم يكن للدِّين مُعِين ولا ناصر^(٣) .
وقد سَلَطَ اللهُ عليهم بنى الأصفر ، فصار عَيْشُهم أَسودَ بالموتِ الأحمر .
وسَلَطَ على قُسْطَنْطِينِيَّةَ دِوَامَ الطَّاعُونِ الجارِف ، فقلوبُهم راجفةٌ وعيونُهم
بالدماء^(٤) ذوارِف .

وترى حريقَ تلك الدِّيَار ، لا يَحْمَدُ في ليلٍ ولا نهار ، لما بها من ظَلَمَةِ الوُزَرَا ،
وإنَّما طَفَعُوا بِعلماءٍ سوءٍ^(٥) وقضاةٍ عمَّ جهلُهم سائرَ الورى .

لعمركَ قد عمَّ الحريقُ ببلدَها علماءَ الرُّومِ في الجهلِ والعمى^(٦)
ومن مالِكٍ وأبى رسولٍ حريقهم دَعاهُم إلى نارِ الجحيمِ جَهَنَّمَا
فقال اقفلوها واقبضوا أُجْرَةَ لها فإن هُدِمَت يُبْنَى بها مَهْدٌ مَأْمُومٌ^(٧)

(١) في م : « هناك » ، وفي أ : « هناك » والثبت في : ب ، ج .

(٢) في ب ، م : « الغرب » . (٣) في أ ، ب ، ج : « وناصر » .

(٤) ساقط من : أ . (٥) ساقط من : ج .

(٦) سقط بحز هذا البيت وصدر الذي يليه من : أ .

(٧) في أ : « فقالوا اقفلوا » .

فَطَالَبَهُمْ خُزَّانُهَا بِوَقُودِهَا وَمَا صَرَفُوهُ فِي زَمَانٍ تَقَدَّمَ
فَأُفْتِنَاهُمْ الْمَقِيَّ بِأَنْ ضَمَانَهُ عَلَيْهِمْ وَأَنْ الْغُرْمَ لِلْبُطْءِ مَغْنَمًا ^(١)
وَمِنْ كَثْرَةِ الدِّينِ الْحَيِطُ بِمَا لَهُمْ أَبَاحَ رِشَاقًا كَانَ رَبِّي حَرَمًا

فهذه إندارات ثلاث ، جرت عادةُ الله بعدها بالخراب ، واستئصال مَنْ بها
بأشدَّ العذاب والعقاب ، كما قال الله تعالى ^(٢) : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا
مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا .

وهذا المعنى في الحريق ظَنَنْتُ أَنْي لَمْ أُسَبِّقْ إِلَيْهِ ، ثم رأيتُهُ في شعر أبي الحسن المنجِّم ^(٣) ،
حيث قال :

أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةٍ وَلِلنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ
كَذَا كُلِّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ نَهَاوِشٍ فَعَمًّا قَلِيلٌ فِي نَهَايَرٍ يُغْرَمُ ^(٤)
وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ حَبْسُهُ فَجَسَاءَتُهُ لَمَّا اسْتَبْطَأَتْهُ جَهَنَّمُ
ومثله قول الآخر ، فيمن انكسرت يده .

قَالُوا فُلَانٌ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عِبَرٍ قَدْ أَصْبَحَتْ يَدُهُ مَذْمُومَةً الْآثِرِ
تَأَخَّرَ الْقَطْعُ عَنْهَا وَهِيَ سَارِقَةٌ نَجَاءُهَا الْكَسْرُ يُسْتَقْصَى عَنْ الْخَبَرِ
وقوله « يستقصى » إلخ فيه لطف ، يعرفه من له شمة من الأدب ^(٥)

(١) في ١ : « بَأَنْ ضَمَانَهُ عَلَيْهِ » ، وفي ب : « بَأَنْ ضَمَانَهُمْ عَلَيْهِمْ » ، و « مغنما » هكذا بالنصب في الأصول ، لضرورة القافية .

(٢) سورة الإسراء ١٦ .

(٣) يعني على بن هارون بن علي ، من أسرة لها مكاتبة في الجاه والأدب ، كان راوية ، شاعرا ، أديبا ، متكلمًا ، حبرا ، توفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة .

معجم الأدباء ١٥/١٢ ، يتيمة الدهر ٣/١١٩ .

(٤) النهاوش : المظالم والإجافات بالناس . القاموس (ن ه ش) . والنهاير : المهالك . القاموس

(ن ه ب ر) . (٥) ساقط من : ج .

ذكر مكة المشرفة ومن بحماها ، صانها الله وحماها
وزادها تشريفا وتكريما وتعظيما

لَمَّا امْتَطَيْتُ مَطَايَا إِلِهِم ، وَوَجَّهْتُ وَجْهَ عَزْمِي إِلَى قِبْلَةِ الْأُمَمِ ، وَرَعَيْتُ بِالْأَحْدَاقِ
حَدَائِقَ^(١) تِلْكَ الْمَسَارِحِ ، وَقَدْ سَالَتْ بِأَغْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِيحِ ، فِي وَفْدٍ رَكِبَ عَزْمُهُمْ
غَارِبَ الْمَسَرَّةِ وَامْتَطَى ، وَهَدَّتْهُمْ النُّجُبُ إِلَى أَوْدِيَةِ بَضْلٍ فِيهَا الْقَطَا ، فَقَطَعُوا مَهَامِهِ
وَأَطْلَالَ ، يَخَافُ أَنْ يَسْرِيَ بِهَا طَيْفُ الْخِيَالِ .

فَكَمْ لَاحَتْ جَدَاوِلُ مَوَارِدِ الثُّوْقِ جُسُورُهَا ، وَسَارَتْ بِهِمْ سَفَائِنُ بَرٍّ
وَالسَّرَابِ^(٢) بِحُورُهَا .

فَكَأَنَّهَا أَشْجَارٌ ، يَحْرُّ كَمَا صَبَا الْأَشْجَارُ .
تَسْقِيهَا مِنَ الشَّرَى غَمَائِمُهُ ، وَتَزْهَوُ عَلَى نَوْرِ الْخُدُودِ كَمَايِمُهُ .
بَلِيلٌ يُعَاطَى^(٣) فِيهِ الرَّكْبُ مِنْ سَخَرِ النُّعَاسِ ، رَاحًا لَمْ تَذُقْ نَشَأَتَهَا مَرَاشِفُ كَاسِ ،
وَالشَّمَالُ تَحْدُوهُمْ بِمَسْكِي الْأَنْفَاسِ ، وَالسَّمَاءُ حَدِيقَةُ نَرْجَسٍ بَيْنَ رَيْنَانٍ وَأَس .
حَتَّى التَّقَطُّ كَفُ^(٤) الصَّبَاحِ زُهُورَ زُهُرِهِ ، وَقَطَفَتْ بِنَفْسَجِ الظُّلُمَاءِ رَاحَةً
فَجَرَّهَ ، وَوَرَدَ سِرْحَانَهُ غَدِيرَ الصَّبَاحِ ،^(٥) وَنَادَى الْقَمْرِيُّ عَلَى مَنَارِ الدَّوْحِ^(٥) : حَيَّ
عَلَى الْفَلَاحِ .

وَلَمْ أَزَلْ أَدَابُ فِي التَّنَسِّيَارِ ، إِلَى أَنْ نَفَضْتُ عَنْ^(٦) مَنَكِبِ الْمَشَقَّةِ غُبَارَ الْأَسْفَارِ ،
فَنَزَلْتُ بِجَوَارِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَنَطَيْبْتُ بِمَسْكِ تَرَابِ الْحَطِيمِ وَالْمَقَامِ .
وَقُلْتُ :

بِمَكَّةَ لِي غَنَاءٌ لَيْسَ يَفْنَى جِوَارُ اللَّهِ وَالْبَيْتِ الْمُعَظَّمِ
فَفِيهَا كَيْمِيَاءُ سَعَادَةٍ قَدْ ظَفِرْتُ بِهَا مِنَ الْحَجَرِ الْمَكْرَمِ .

(١) ساقط من : أ (٢) في م : « السراب » .

(٣) في م : « يتعاطى » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

(٤) ساقط من : أ (٥) في أ : « ونادى القمر على منابر الدجى » .

(٦) في أ : « من » .

فلما أَفْضْتُ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاسِكِ بِتِلْكَ الْبِقَاعِ ، طَفْتُ بِهَا بِلَ الْمَسْرَةِ طَوَافَ الْوَدَاعِ ،
وخرجتُ مِنْ أَحَبِّ الْبِلَادِ ، وَاللَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى دَارِهِ ^(١) إِلَّا مَنْ اسْتَخْلَصَهُ مِنَ الْعِبَادِ .
وَمَا دَرَى الْبَيْتُ أَنِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ مَا سِرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ
قَاصِدًا طَيِّبَةَ الطَّيِّبَةِ ^(٢) الْمُطَيَّبَةِ ، وَارِدًا مَوَارِدَ آمَالِي الْمُسْتَعْدَّةِ .

وَقَدْ قِيلَ فِي زُرْقِ الْعِيُونِ شَامَةً وَعَنْدِي أَنْ الْيُمْنَ فِي عَيْنِهَا الزُّرْقَا
فَكَلَّمَا سَرَى فِي الصَّبَا نَسْرُ بَطَاحِهَا ، وَدَدْتُ لَوْ أَعَارَتْنِي الْعُقَابُ خِفَافَ جَنَاحِهَا ،
إِلَى أَنْ لَمَعَتْ أَنْوَارُ الْهُدَى ، مِنْ سَمَاءِ الْعُلَا وَقِيَابِ الْحَى .

لِمَهْطِ الْوَحْيِ حَقًّا تَرَحُّلُ النُّجُبِ وَعِنْدَ هَذَا الْمَرْجَى يَنْتَهِي الطَّلَبُ
فَنَزَلْتُ أُعْتَنِقُ الْأَرَاكَ مُسَلِّمًا ، وَكِدْتُ أَنَّمْ أَخْجَفُ الرِّوَا حِلَّ ، إِذَا أَوْصَلْتَنِي إِلَى
أَعْزَبِ الْمَنَاهِلِ ، وَلَمْ أَقُلْ عَلَى قَلْقِ الْوَضِينِ ^(٣) ، أَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ ^(٤) .

فَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فَظَاهُورُهُنَّ عَلَى الرَّجَالِ حَرَامٌ ^(٥)
قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ التَّرَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ ^(٦)
فَحَلَلْتُ فِي أَرْفَعِ مَقَامٍ ، تُفَاخِرُ فِيهِ الرُّءُوسُ ^(٧) الْأَفْدَامُ ، وَيَشْهَدُ نَشْرُ الْمِسْكِ بِفَضْلِ
غُبَارِهِ ، وَتَقَرُّ الْجَوَاهِرُ بِأَنَّهُا دُونَ حَصَاهُ فَضْلًا عَنْ أَحْجَارِهِ .

(١) فِي أ ، ب : « لِدَارِهِ » .

(٢) سَاقَطَ مِنْ : م ، وَهُوَ فِي : أ ، ب ، ج .

(٣) الْوَضِينُ : بَطَانُ عَرِيضٍ مَنسُوجٍ مِنْ سَيُورٍ أَوْشَعٍ ، أَوْ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جِلْدِ الْقَامُوسِ (وَضَن) .

(٤) الْوَتِينُ : عَرَقٌ فِي الْقَلْبِ إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ . الْقَامُوسُ (وَتَن) . وَالشَّهَابُ يَشِيرُ إِلَى
قَوْلِ الشَّمَاخِ :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي عَرَابَةً فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَمْدَحُ بِهَا عَرَابَةَ بَنِ أَوْسٍ . دِيَوَانُهُ ٩٢ .

(٥) الْبَيْتَانِ لِأَبِي نَوَاسٍ فِي دِيَوَانِهِ ٦٤ ، وَقَدْ ذَكَرَهُمَا أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ ، وَالْمَرْزُبَانِيُّ فِي اعْتِرَاضِ

لِأَبِي نَوَاسٍ عَلَى بَيْتِ الشَّمَاخِ السَّابِقِ . انْظُرْ كِتَابَ الصَّنَاعَتَيْنِ ٢١٠ ، ٢١١ ، الْمَوْشِحَ ٩٥ ، ٩٦ .

(٦) فِي الصَّنَاعَتَيْنِ وَالْمَوْشِحِ : « مِنْ وَطِئَ الْحَصَى » .

(٧) فِي أ ، ج : « الْأَرْجَلِ » .

* وفاخَرَتِ الشُّهْبَ الحَصَى والجنادِلُ *

فلذا صَحَّ رَمَى الجِمارِ ، بِحَصَبَائِهَا الصَّغارِ ، ولم يَصِحَّ بالجواهرِ والدرَرِ ، وما ذاك إلا لِشَرَفِ خَصَّةِهَا خالقِ القُوَى والقُدَرِ .

فنزَّهَتْ^(١) عِيونَ أُمَلِيٍّ فِي رَوْضَةِ ذَاتِ أَنْوارِ ، وَعَلِمَتْ وَهَى مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ أَنِّي لَا أَدْخُلُ بَعْدَهَا النَّارَ .

وَأَنَا الآنَ مُنتَظِرٌ لِأَلطافِ رَبِّي ، وَهُوَ^(٢) فِي كُلِّ الْأُمُورِ حَسْبِي ، أَن يُعِينَنِي لِجَوارِهِ ، وَاجْتِلَاءِ نُورِ حَبِيبِهِ وَمُخْتارِهِ ، بِهِ إِلَيْهِ مُتَوَسِّلًا ، وَفِي نَيْلِ رِجائِي مُتَوَكِّلًا لَا مُتَأَكِّلًا .

وَقَدْ تَأَمَّلْتُ دَعْوَةَ أَبِي الْأَنْبِياءِ إِبْرَاهِيمَ ، وَقَوْلَهُ : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ إِذْ لَمْ يَقُلْ : أَجْعَلِ النَّاسَ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الشَّوْقَ يَجْذِبُهُمْ إِلَيْهِ ، وَيُعَلِّقُ مِشْكَاتَهُ قُلُوبَهُمْ بِسُلَّاسِلِ أَنْوارِهِ ؛ حَتَّى يَرَاهُمْ بِغَيْرِ اخْتِيَارٍ لَهُ مُتَوَجِّهِينَ ،^(٣) وَهُمْ عَلَى تَحْمُلِ الْمَشاقِّ بَوَعْثاءِ السَّفَرِ غَيْرُ مُتَضَجِّرينَ^(٤) .

كَأَنَّما هُوَ مِغْنَطِيسُ أَنْفُسِنَا فَيُجِئُنا كَأَنَّ دَارَتْ نَحْوَهُ الصُّورُ وَلِذا جَعَلَ الطَّائِفُ الْبَيْتَ عَلَى يَسَارِهِ ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ فِي جِهَةِ الْيَسَارِ ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْوُصُولِ مائِلًا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ دَامَ عَلَى ما كَانَ عَلَيْهِ .

كَمَا قُلْتُ :

قُلْ لِمَنْ لَامَ عَلَى سَعْيِي لَهُ قَصْرُ اللَّوْمِ وَإِنْ شِئْتُ لَمْ
مَنْ أَنَّى قَلْبِي إِلَيْهِ سَاعِيًا كَيْفَ لَا يَسْعَى إِلَيْهِ قَدَمِي



(٢) فِي ١ ، ب ، ج : « وَذَلِكَ » .

(١) فِي ١ : « فَتَزَهَتْ » .

(٤) فِي ١ : « وَعَلَى مَحَلِّ الْمَشاقِّ بَوَعَثَ السَّفَرِ غَيْرُ مُتَضَجِّرينَ » .

(٣) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ٣٧ .

ذكر الدولة الحسنية^(١)

ومن بها من بَقِيَّةِ العلماء والشعراء والأعيان

هو بَيْتٌ أُسِّسَتْ عُمْدُهُ عَلَى الْخِلَافَةِ ، وَقُطِّرَتْ مِنْ شَعْبٍ شَجَرَتِهِ مِيَاهُ اللَّطَافَةِ ،
وَعَرِسَتْ بَيْنَ أَثْلَاثِ الْجُدْرِ أَعْوَادُهُ ، فَاسْتَرَاخَتْ عَنْدهُ الْآمَالُ وَتَعَبَتْ حُسَادُهُ .

قَصُرُ مَعَالٍ يَرُدُّ الطَّرْفَ كَلِيلًا ، وَنَسِيمَ الشَّمَالِ عَلِيلًا .

* أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُدْنِي عَلَى الْأَسَلِ^(٢) *

فَهُوَ سُورُ الْخُطُوبِ ، وَخَلِيفَةُ أَخْلَاقِ الصَّبَا وَالْجَنُوبِ .

تُقَصَّدُ بِتُحَفِ الْمَدَائِحِ ، فَيَسْتَرَوْنَهَا بِفَقْدِ الْمُنَافِحِ .

فَعِنْدَهُم مَحَطُّ الرُّكْبَانِ مِنَ الْأَطْرَافِ ، وَرَبْحُ الْحَامِدِ مَتَجَرُّ الْأَشْرَافِ .

فَإِذَا كَانَ الدَّهْرُ قَاتِمَ الْأَنْعَامِ ، مُسَوِّدَ النَّوَاحِي ، فَوُجُوهُهُمْ نُجُومِي وَوَضَّاحُ
غُرَيْرِهِمْ صَبَاحِي .

فَسَكَمَ رَاضُوا الزَّمَنَ بَعْدَ الْحِرَّانِ ، فَأَصْبَحَ سَهْلَ الْقِيَادِ رُخِيَّ الْعِفَانِ .

(١) في م : « الحسنية » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج . وقد ذكر الفاسي ، في العقد الثمين ١/ ١٨٠ ولاية الشريف حسن بن بجلان سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، وذكر الولاية من بعده حتى ولاية الشريف بركات ، سنة تسع وعشرين وثمانمائة . وأكمل ابن ظهيرة ، في الجامع اللطيف ٣١٨ وما بعدها ، صنيع الفاسي ، حتى وصل بالولاية إلى أبي نعيلى الآتي ذكره وابنه أحمد ، حين كان يكتب كتابه هذا ، سنة خمسين وتسعمائة . كما ذكر أحمد بن زبني دحلان ، في خلاصة الكلام ٣٦ ، وما بعدها ، ولاية الشريف الحسن بن بجلان ، وسرد الوقائع ، وذكر رجال الريحانة ، من أهل هذا البيت ، حتى صفحة ٦٤ .

(٢) صدر بيت المتنبي ، من سفيقة له ، وعجزه :

* وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّينَ كَالْقَبْلِ *

تَحَلَّى بِذِكْرِهِمُ الْأَفْوَاهُ ، ^(١) وَيَفُوحُ نَشْرُ الطَّيِّبِ خَالِطَتَهُ الْأَفْوَاهُ ^(١) .
وَعَزَّوْهُمْ فِي جِبَاهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، يَعْجَزُ عَنْ وَصْفِهَا أَفْوَاهُ الدُّوَى
وَالسَّنَةُ الْأَقْلَامُ .

فِي سَمَاءٍ مَعَالٍ مَاءٌ مَجْرَتْهَا مَوْرُودٌ ، يَنْبْتُ فِي حَافَاتِهِ ^(٢) شَقَائِقُ الشَّقِيقِ
مُتَوَرِّدَةً ^(٣) الْخُدُودُ .

فَاكْتَحَلَتْ بِالسَّحَرِ مُقَلَّةٌ دِيَاجِيَهَا ، وَقُلِدَتْ بِجَوَاهِرِ النُّجُومِ لَبَّاتٌ لِيَالِيَهَا .



إِلَى أَنْ أُدِّيتْ أَمَانَةُ الْمَلَكِ إِلَى :

(١) ساقط من : ١ . والأفواه : ما يعالج به الطيب ؛ كما أن التوابل ما تعالج به الأطعمة ، وقيل :
الأفواه ما أعد للطيب من الرياحين . اللسان (ف و هـ) ١٣ / ٥٣٠ .
(٢) في ١ : « حافاتها » .
(٣) في م : « متورد » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

٥٥

أبي نَمِيٍّ بن بَرَكَات *

فهطلت منه على رياضِ الحرمين سحائبُ البركات .

وله شعرٌ بليغٌ نفحاته ذِكْيَةٌ ، وفصاحته عُلْيَةٌ ، كقوله في المقام اليوسُفي بمصر
والأداهم أحجال ، والقيود كما قيل خلا خيلُ الرِّجال ، وقد لمعَ بَرَقُ الحِجاز فسكاد يطيرُ
شوقاً لِحِمَى حَجَبِهِ (١) النُّوى والحِجاز (٢) :

ما يلمعُ البرقُ من تِلَقًا ديارِهِمُ	إلا وليَ مَدَمَعٌ بالسَّفحِ هَطَّالُ
واللهِ لولا قيودٌ في قِوَانِمِنَا	من الجليل وفي الأغصانِ أغلالُ
لكان لي في بلادِ اللهِ مُتَسَعٌ	وفي الملوكِ لُباناتٌ وآمالُ
لي حُرْمَةُ البيتِ والجارِ القديمِ ومن	أناكُمُ وكهولُ الحى أطفالُ
أَتَيْتُكُمْ وجلايبُ الصَّبَا قُشْبُ	فكيف أرحلُ عنكم وهى أنمالُ (٣)

وفي البيت الأخير معنى لطيف ، وهو كقولى :

تالله ما فارقتُ لى وطناً به بُرْدٌ جررتُ من الشبيبةِ زَاهِي
إلا لأنى أَسْتَحْيِ من رَدِّهِ خَلَقًا أَرَقُّعَه بِعَذْرِ وَاهِي



(*) الشريف أبو نَمِيٍّ محمد بن بَرَكَات .

ولد سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، بمكة .

وتولى بعد وفاة أبيه سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة ، وعمره عشرون سنة .

وكان ذا همة عالية ، ذا جد وإقبال ، وكان أبوه يضع يده على ناصية ابنه أبي نَمِيٍّ ، ويقول : لم تزل
الأكدار على متواليه ، حتى ظهرت هذه الناصية .

صمد للإفرنج حينما غزوا جدة ، وندب الناس لقتالهم ، وأنفق نفقة عظيمة ، ولما بلغ الإفرنج صبره
وحصاره لهم انقلبوا خائبين مخذولين .

توفي سنة اثنين وتسعين وتسعمائة .

الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ١٦٧ ، الجامع اللطيف ٣٢٤ ، خبايا الزوايا لوحة ١٨١ ، خلاصة
السلام ٤٩ ، ٥٢ - ٥٦ . شذرات الذهب ٨/٤٢٢ .

(١) فى ١ : « النوى والأحجاز » ، وفى ب : « النوى والإجلال » ، وفى ج : « النور والإجلال » .

(٢) فى م : « أتيتكم فى جلايب » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج . وفى الأصول : « وهى أنمال » ،
والصواب ما أنبته .

ومن خول شعرائه المقلدين جيد محبتهم بطوق ولائه :

٥٦

شهاب الدين أحمد الفيومي

أديب نسق من جواهر كلامه أ كاليل دُرٍ ما لمنظومها سلك ، وجرت مياهُ
البلاغة في رياضِ نظامه فذابت كذوب التبر أخلصه السبك .
إذا امتدَّ خطوه إلى المجد وكرم الخيم ، فهو أسرع من رجع يد الذئب وأوسع
من خطو الظليم .

جمعت له الخطوط من تلالها ووهادها ، وقيدت له القلوب بأزمة ودادها .
وأنشده يوماً قصيدة بائئة ، امتدحه بها ، فلما وصل إلى قوله فيها :
يهتزُّ من تحت السلاح كأنه ربحانة لعبت بها ريح الصبا
جنى على ركبته ووثب ، وتطايّر من أحداقه شرر الغضب ، وكاد أن
يُكلّمه بالسيف السيوف ، ويخلع عليه خلعاً حمراء بلا أزرار فصلتها يد الخوف ،
فلما قال بعده :

في كل منبت شعرة من جسمه أسد يمدُّ إلى الفريسة مخلباً
قال : عفوت عما فات ، أولئك يُبدّل الله سيئاتهم حسنات .
« وديوان » شعره مشهور ، ودُرُّ براعته في نادى الأدب منثور .
ولما ارتحل إلى القاهرة ، قال متشوقاً بأُمّ القرى معاهده ومآثره :

يَا رَبِّ لَا وَضَلْ وَلَا سَلَوْتُ لَا زَوْرَةً مِنْ طَيْفِهِمْ لَا لِقَاءَ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي وَضَلِهِمْ مَطْمَعٌ فَلَا تُعَذِّبْ مُهْجَتِي بِالْبَقَا
 وله فيه مدائح عديمة الأمثال ، سائرة في الآفاق سيرة الأمثال ، منها قصيدته التي
 عارض بها قصيدة (صَفِيٍّ الدِّينِ^(١) الحِلِّيِّ ، التي مطلعها^(٢) :

أَذَابَ التَّبَرُّ فِي كَأْسِ اللَّجَيْنِ رَشَاءً بِالرَّاحِ مَحْضُوبُ الْيَدَيْنِ
 وأولها :

بَدَتْ فَاَرَتْكَ شَمْسَ الْمَطْلَعَيْنِ فِتَاةٌ أَسْهَرَتْ بِالْمَطْلِ عَيْنِي
 وعلى منوالها قصيدة الشَّهابِ الْمَنْصُورِيِّ ، أحدُ الشُّعْبِ السَّبْعَةِ ، وأولها :
 بِسَكْمَتِكَ يَا غَزَالَ الْأَجْرَعَيْنِ وَقَدْ رِيحَتْ عَلَيْكَ الْأَجْرَعَيْنِي^(٣)
 ومن شعره قوله مُضْمِنًا :

لَقَدْ عَذَلْتُ فَلَانَ الدِّينِ حِينَ عَلَا عَلَيْهِ عَبْدٌ فَقَالَ أَقْلِلْ مِنَ الْعَذَلِ
 فَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ لِي أُسْوَةٌ بَانْحَاطِ الشَّمْسِ عَنْ رُحْلِ
 وله أيضا :

أَوَاخِرُ الْخَمْرِ فِيهِمَا عَلَى الْأَوَائِلِ فَضْلُ
 تَمْرٌ دَوْرًا فَدَوْرًا وَكَلَّمَ مَرَّ يَحُلُو

وله في مَن اسمه حسين :

تَرَكْتَ جَفْنِي وَاصِلًا وَالْكَرَى رَأَى فَجُدَّ بِالْوَصْلِ فَالْوَصْلُ زَيْنٌ^(٤)

(٢) ديوانه ٢٥٧ .

(١) ساقط من : ١ ، ب ، ج .

(٣) « الأجرعين » الأولى : تثنية الأجرع ، وهي بلفظ التثنية : علم الموضع باليُمامة . انظر معجم البلدان ١٣٤/١ . والثانية مركبة من لفظين : « الأجر » ، وهو الثواب ، و « عيني » ، وهي : الباصرة .

(٤) يشير إلى واصل بن عطاء ، وتعذر نطقه الراء .

ولا تُجِبْنِي عَنْ سُؤَالِي بَلَا فَاَلْقَبُ يَخْشَى كَرَبَ لَا يَا حُسَيْنَ^(١)
وفى قوله : « زين » لميهم غيرُ زين ، لأن العامة تقول فى حروف الهجاء زين ،
والصحيح فيها زاء بالمد والقصر ، ويقال زى بزنة كى ، كما قاله ابن جني^(٢) .
وأما هذه فتحريف قبيح .
وله أيضا :

حَجَّ لِلْبَيْتِ اخْتِلَاسًا وَفَسَادًا لِلْأَنَامِ
مُذْ رَأَاهُ النَّاسُ قَالُوا حَجَّ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ^(٣)



(١) يشبر إلى مقتل الحسين بن على ، بكر بلاء .

(٢) انظر لسان العرب (زوى ، زى ي) ٣٦٦ / ١٤ ، ٣٦٧ .

(٣) « الحرام » فاعل « حج » وليست صفة للبيت .

٥٧

السيد حسن بن أبي نُمي *

ثم خلفه ابنه حسن ، ومن حديث مناقبه مستفيض حسن .
* وما محاسنُ شَيْءٍ كُلُّهُ حَسَنُ *

فقد سارت^(١) بمآثره الرُّكبان ، وتحلَّى بذكره كلُّ لسان .
فالْحَلَّ يعرفه ، والْحَرَمُ ، والمجدُّ ينطقُ بمحامده والكَرَمُ .
وإنما المرءُ حديثٌ بعدهُ فكنْ حديثاً حسناً وعي

فقد خَفَّتْ في الخافِقَيْنِ راياتُ مَسْكارِمِهِ ، ونُصِبَتْ على أعلامِ كُتُبِهَا بينَ مَعَالِمِهِ ،
وسرَّتْ سَحَابُ كَرَمِهِ ولها من غُرَّتِهِ بَرِيقُ ، وتفرَّقتْ أنهارُ جُودِهِ في كلِّ فَرِيقِ ،
حتى طَمَّتْ على هَضْبَاتِ العُذْيَبِ والعَقِيقِ .

وله فَصْلُ فضاءِ عُلُوِّ حِلِّ بَيْنِ الرِّفْقِ والبَاسِ ، وأيس عن إِذْراكِ حَدْسِهِ^(٢) فيه إِيَّاسِ^(٣) ،

(*) حسن بن أبي نُمي محمد بن بركات الحسني .

ولد سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة .

واستقل بسلطنته الحجاز بعد موت أبيه أبي نُمي ، سنة اثنين وتسعين وتسعمائة ، فقام بها

خير قيام .

وكان صاحب فضل باهر ، وأدب غز ، ومحاضرة فائقة ، واستحضر غريب . توفي سنة عشرة

بعد الألف

خبايا الزوايا لرحمة ٨٢ ب ، خلاصة الأثر ٢/٢ ، خلاصة الكلام ٥٦ - ٦١ .

(١) في ١ : « بمحاسنه » .

(٢) في ١ : « خدمته » ، وفي ب : « حديثه » .

(٣) أبو وائلة إِيَّاس بن معاوية المزني ، قاضي البصرة ، يقول فيه الجاحظ : « كان فقيه البدن ، دقيق
المسلك في الفطن ، وكان صادق الحس نقاباً ، وكان عجيب الفراسة ملهما » . توفي سنة اثنين
وعشرين ومائة .

اليان والتبيين ٩٨/١ - ١٠١ ، ثمار القلوب ٧٢ ، ٧٣ ، وفيات الأعيان ٢٢٣/١

بين حماسة وسماحة ، وفصاحة وصباحة .

إذا زان قوماً بالمناقب واصفٌ ذكّرنا له فضلاً يزينُ المناقباً
وجلالة هيبته لا تُريد حاجباً ، وشيمٌ شُمُّ لو تجسّمت كانت بوجه الدهر
عيناً وحاجباً .

فكم أورد النجيم سيفه الجرد عن العلائق ، وأصدره نائراً على غدير لامته من
الدّماء شقائق .

من فتية إذا تصافحوا بالصفاح ، تهللت ضاحكةً بالنجيم تُغور الجراح .
حليمٌ إذا ما الحلمُ فكَّ حزامه وقوفٌ ولو كان الوقوف على حجر
مع محاضرات لو سمع بها الراغب ^(١) سعى لها راغباً ، وأبكار أفكار لا يكافئها
إلا من كان بمتاع الحياة خاطباً .

ما عذُرُ من ضربت به أغراقه حتى بلغن إلى النبيّ محمد ^(٢)
أن لا يمدّ إلى المكارم باعه ويفال غايات العلا والسودد
متخلّقا حتى تكون ذبوله أيدي الزّمان عماء للفرقد
بلغني أن بعض بني عمه ورد نديّه ، جاراً لذيل التّيه والحميّة الهاشميّة ، فتصدّر
عليه شخصٌ في ذلك النّادى ، فتجمّدت أساريره وسيفُ حدّته من غمّد التّصبر بادى ،
فلما فطن لذلك قال : إنه ليقودني زمامُ العجب ، ويهزّ عطفَ أن يحجّتي ساعد ^(٣) الطّرب ،
بقصيدة المتنبّي ، التي أولها ^(٤) :

(١) يعنى الحسين بن محمد الأصفهاني ، المعروف بالراغب ، صاحب محاضرات الأدباء ، توفي سنة ٥٠٢ .
انظر بغية الوعاة ٢/٢٩٧ ، تاريخ حكماء الإسلام ١١٢ ، روضات الجنات ٢٤٩ .

(٢) سقط هذا البيت والبيتان بعده من : أ ، ب ، ج .

(٣) في أ : « ساعة » .

(٤) افتتاحية قصيدة يمدح بها أبا الحسن المغيرة بن علي بن بشر العمي . ديوانه ٩٢ .

فَوَادَّ مَا تَسْلِيهِ الْمُدَامُ وَعُمُرُهُ مِثْلَ مَا تَهَبُّ اللَّثَامُ
فَتَسْلَى بِذَلِكَ وَتَعْلَلُ ، وَتَبْسِمَ وَجْهَ مَسَرَّتِهِ بَعْدَ الْقُطُوبِ وَتَهْلَلُ ، إِذْ فِيهِمْ تَلْوِيحُهُ ،
لِقَوْلِهِ فِيهَا (١) .

وَلَوْ كَانَ الْمَسْكَنُ لَهُ عُلُوٌّ لَطَارَ الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ
وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلِي ، مِنْ فَصْلِ :

لَوْ كَانَ الشَّرْفُ بِالْمَسْكَنِ ، مَا انْحَطَّتِ النَّارُ وَعَلَا الدُّخَانُ .
وَقَوْلِي مِنْ قَصِيدَةٍ :

لَمْ أَذْرِ يَوْمَ الْحَرْبِ هَلْ نَارَ السَّرَى أَمْ خَيْمَةُ نُصِيبَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ سَرَى
أَمْ نَالَهُ شَرَفٌ يَمَسُّ نِعَالَهُ فَعَلَا رُءُوسَ عِدَائِهِ حِينَ تَكْبَرَا
أَمْ رَاحَ مُشْتَكِيًا إِلَى خَلَاْقِهِ دَوَسَ الْجِيَادِ عَلَيْهِ حَتَّى يُنْصَرَا
وَمَا يَحْسُنُ إِبْرَادَهُ هُنَا قَوْلُ أَحْمَدَ الْمَعْرِيّ :

قُلْ لِلرَّئِيسِ أَبِي مُحَمَّدٍ الرِّضَا قَوْلَ امْرِئٍ أَبْلَاهُ حُسْنُ بَلَاءِ
مِنْ حَوْلِ بَرٍّ كَتَبَتْكَ الْبَهِيَّةُ سَادَةً أَلَمَاءَ وَالْفَضْلَاءَ وَالرُّؤُسَاءَ
لَوْ أَنْصَفُوكَ وَهَمَّ قِيَامُ أَشْبَهَتْ أَشْخَاصَهُمْ أَمْنَالَهَا فِي الْمَاءِ
وَمِنْهُ أَخَذَ الْأَرَجَانِيُّ قَوْلَهُ (٢) :

هَذَا الزَّمَانُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ كَدَرٍ يَحْكِي انْقِلَابَ لِيَالِيهِ بِأَهْلِيهِ (٣)

(١) رَوَايَةُ الدِّيَوَانِ ٩٢ :

وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ

وَفِي خِلَاصَةِ السَّلَامِ : « وَلَوْ أَنَّ تَعَالَى الْجَيْشُ » .

(٢) دِيَوَانُهُ ٤٣٦ .

(٣) فِي الدِّيَوَانِ : « هَذَا زَمَانٌ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ كَدَرٍ » .

غدير ماء تراءى في أسافله خيال قوم تمشوا في نواحيه^(١)
 فالرجل تنظر مرفوعاً أسافله والرأس ينظر منكوساً أعاليه^(٢)
 وقوله « على مافيه من كدر » من حشو اللوزينج ، أما ترى قول المعري^(٣) :
 والخل كالماء يبدى لى ضمائرهُ مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
 وأحسن من هذا كله قولي :

خليلى ذى الدنيا الدنية لم نزل نعادى فتى حراً شريف الناقب
 أسافلهما تعلو أعاليها كما يراه ليذب عارف بالواقب
 إذا صوّرت للناس معكوسة بدت فلا تعجبن والدهر بجز العجائب^(٤)
 عود إلى سيرة ابن سيّد الناس ،^(٥) الذى تسير^(٥) الصبا بعبير لطفه طيبة الأنفاس :
 كنت قبل أن تُعري أفراس الصبا ، ويتفرق شمل الأيام أيدي سباً ، لما أرتحلت
 مع والدى لذلك المجد ، لنجتلي وجه المليحة في الحمار الأسود ، رأيت وقد أبيض عنبر
 لمتّه ، وثقب الشيب مفقر هامته ، وقد علا هام الستين ، وترقى شرف السبعين .
 وإن امرأ قد سار سبعين حجة إلى منهل من وزده لأقرب
 مشمراً لحاضها^(٦) ، واقفاً على حياضها ، بفكرة ما كانت النيران تخمد
 لو رزقت بعض ذكائها ، وبكر همة إذا جليت لا يُعد غير الجحد من
 أكفائها .

(١) في الديوان : « خيال قوم قيام من أعاليه » .

(٢) في الديوان :

فالرجل تنظر مرفوعاً أخامصها والرأس يوجد منكوساً أعاليه

(٣) شرح التنوير على سقط الزند ٤٢/١ ، وشروح سقط الزند ١٣٢/١ .

(٤) في ١ : « إذا صور » ، وفي ب ، ج : « إذا صوروا » .

(٥) في ١ : « التى تصير » ، وفي ب ، ج : « التى تسرى » .

(٦) في ١ ، م : « لمضاضها » ، والثبت في : ب ، ج .

قد قَلَمْتُ يَدُ عَزَائِمِهِ أَظْفَارَ الْخُطُوبِ ، وَكَادَتْ لَا تَطَأُ الْحَرَمَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ الصَّبَا
وَالْجَنُوبِ .

يسوق^(١) لِأَعْدَائِهِ جُنُودَ الْخُتُوفِ ، وَيَرَى وُجُودَهُمْ ذَنْبًا لَا يَمْتَدِرُ عَنْهُ غَيْرُ السَّنَةِ
السُّيُوفِ .

فَكُلُّ حَدِيثٍ^(٢) صَدَرَ مِنْهُمْ وَحَدَّثَ ، لَا يَرْفَعُهُ إِلَّا التَّيَمُّ بِتَرَابِ الْجَدَثِ .
وَلَى صَوَارِمِهِ تَكْذِيبَ قَوْلِهِمْ فَهِنَّ السِّنَةُ أَفْوَاهُهَا الْقِمَمُ^(٣)
إِذَا تَرَبَّعَ رَأْيُهُ فِي نَادٍ وَاحْتَبَى ، قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْهِمُّ وَحُلَّتْ الْحَبَى .
يَضْطَرِبُ لِهَيْبَتِهِ إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُ النَّصْرِ سُمْرُ الرَّمَا حِ ، وَسَالَتْ بِسَوَاحِجِ الْجُرُودِ
وَأَعْنَاقِ الْمَطَايَا الْوِهَادُ وَالْبِطَاحِ .

وَكَانَ مِنْ سُنَّةِ سَلَفِهِ ، وَمَنْ خَلَفَهُمْ مِنْ خَيْرِ خَلَفِهِ ، أَنْ يُقَدِّمَ لِلْإِمَامَةِ مَنْ قَدَّمَ مَتَهُ
الْأَيَّامَ ، وَفِي الْمَثَلِ : « أَكْبَرُ مِنْكَ بِيَوْمٍ أَعْرَفُ مِنْكَ بِعَامٍ » .



وَكَانَ يَلِيهِ سِنًا ذُو الرَّأْيِ الصَّائِبِ ، أَغْرَى السَّعْدَ وَالْوَجْهَ وَالْمُنَاقِبَ :

(١) فِي أَيْدِي هَذَا زِيَادَةٌ : « بِهَا » .

(٢) فِي ب ، م : « حَدَّثَ » ، وَالثَّبُوتُ فِي : أ ، ج .

(٣) فِي أ : « أَفْوَاهُهَا الْقِسَمُ » .

٥٨

أخوه السيد الأجل ثَقَبَة *

مَنْ لَوْ وَجَّهَ لِدُرِّ السَّكْوَاكِ سِنَانَ هِمَّتِهِ ثَقَبَةً .
وَمِشْكَاتُهُ بِصِيرَتِهِ مُشْرِقَةٌ بَنُورِ الْيَقِينِ ، وَكَلَامُهُ يَذُتُّ عَلَى الْفَصَاحَةِ نِشَارَ
الْجَوْهَرِ الثَّمِينِ .
وَكُلٌّ مَنِ نَسَلَهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالْإِمَامَةِ ، وَأَنْ يَتْلُوَ فِي صَحْفِهَا ^(١) آيَاتِ
مَجْدِهِ أَمَامَهُ .

فمنهم من جمل لذلك وسيلته ، الدُّخُولَ فِي حَوَاشِيهِ وَمُصَاحَرَتَهُ ، وَلِسَانُ حَالِهِ
يُنَادِي فِيمَا يُبْدِي وَيُعِيد ^(٢) : ﴿ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ .



(*) ذكره الخفاجي أيضا ، في خبايا الزوايا لوحة ٨٣ ب ، والمحجى ، في خلاصة الأثر ، عند ذكر أخيه
حسن المتقدم ، وابن زيني دحلان ، في خلاصة الكلام ٦١ ، وذكر أن وفاته كانت سنة ثمان بعد الألف .
وذكر صاحب الخلاصة طرفا مما وقع بين ثقبه وأخيه حسن .

وانظر في ضبط ثقبه حاشية العقد الثمين ٣/٣٩٥ .

(١) في ١ ، ب ، ج : « صفونها » .

(٢) سورة هود ٧٩ .

فلما برع :

٥٩

حسين *

وترعرع ، وليس لامة النجاة وتدرع .
وهو بحر نوال أمواجه الهمم ، وروض سيادة الفخر والكرم .
لم يزل يرسل له هدايا وتحف ، ويتضرع له بمودة بأنواع الخلوص تحف .
فقال له والده يوما ^(١) في أنشاء الكلام : إيدن الحسين في أن يلى الرفاة في
هذا العام .

فقال له : تريد أن تصيف السباع ، وهذه ضباع المنحنى جيع !
فلما علم مافى هذه الكفاية ، صرع ^(٢) من النكاية ، صرح اليأس بجوابه ، وهجم
على قلبه ثم أحل تباريح الجوى به .
فرجع بخفى حنين ، وشاهد منه كربلاء حسين ، حتى ذاق بسيف الحسرة طعم
الشهادة ، وليس عليه الدهر من دياحيه حداده .
فسقى قبره ريق الفوادى الباسمة البروق ، وإن كان فيه بحر كرم يعذب في أفواه
الأمانى ويروق .



(*) الشريف حسين بن حسن بن أبى ندى .

ذكر الحفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ٨٣ ب ، وابن زبى دحلان ، فى خلاصة الكلام ٦١ .

(١) فى ١ . ب ، ج : « مرة » .

(٢) فى ١ : « صرح من النكاية » وفى ج : « تصريح فى الكناية » وهو ساقط من : ب .

ثم نهض أخوه :

٦٠

مسعود *

على قدميه ، طالعا بدره المسعود بين نجوم أتباعه وخديمه .
وهو إذ ذاك في المعرفة علم ، وفي طريق المجد ثبت القلب ثابت القدم .
يتبسّم لغرته وجه النهار ، ويُناجيه السعد بما في ضائره من الأشرار .
وله حسنات شعرٍ ماخطّ في مجموع الدهر مثلها ، ولا سجت وُزقُ الفصاحة بلحنه
في ذؤابة هاشمية قبلها .

ومسعود لو مسَّ عوداً بسعديه أوزق ، لما جال في بشر حيماء من ماء
الندى وترقّق .

مع شجاعة يرتعد لها الأسد والأسل ، ويعدّ الصعن في الهيجاء كالقُبُل .
كما قلت فيه :

مَقْلًا لهنَّ إشارة المتكلمِ	قومٌ غزوتهم رأيتَ جُسُومَهُمْ
نظرت فراقَ الرُّوحِ تبكي بالدمِ	من كلِّ مُقْلَةٍ طَعْنَةٍ نَجْلَاءِ مُذْ
من لائمِ النِّقَمِ المُشَارِ المظلمِ	رَمَدَتْ فَكَحَلَهَا مَرَاوِدُ سُمْرِه
صَلَّتْ فَتَسْجُدُ وَهِيَ ذَاتُ تَيْمَمِ	وَكَاثِمًا رَمَدَتْ لَخُوفِ قَوَاضِيهِ

(*) ذكره الخفاجي أيضا ، في خبايا الزوايا لوحة ٨٣ ب ، وابن زيني دحلان ، في خلاصة الكلام ٦٢ ، وذكر أنه كان موصوفا بالشجاعة والقوة ، لكنه لم يسلك مسلكا مرضيا ، فتوفى وهو شاب .

فلم يزل يخطب من الملك كواعب أبكاره ، حتى أدركه الغرق في حياض تمانه
المتربة من بحار أفكاره .

فأرست بسواحل شعوب ، وأنشدته الحال بلسان الخطوب (١) :

* عيأ به مات المحبون من قبل *

فبلغ في سفينة أمه وفاته ، وسبقه الأجل كما سبق السيف العذل وفاته .
فرايت جنازته والدموع حوله طوفان ، وقد أرست سفينة تابوته على جودي
القفاء والأحزان .



(١) عجز بيت المتنبي ، صدره :
* عزيز أمي من داؤه الحدق النجل *

فلما بدل الأمنية بالمنية ، وسقاء الدهر كأس المُنون رويةً ، قام مقامه :

٦١

أبو طالب *

مترشحاً لأمرها ، مترقباً بعد موت ثقبه لاجتلاء بدرها .
 وكان قبلُ لا يرد مورداً من مناهل آماله ، إلا وقد غصَّ بقذى رُقباته وعذَّاله :
 لم ترِدْ ماءَ حَسَنِكَ العَيْنِ إِلَّا شَرِقتَ قَبْلَ رِيِّها بِرَقِيبِ
 فأراد والذمُّ أن يقلَّده بصارمها ، ويجعلَ هيا كلَّ جِيادِهِ في أجْيادها مُقامَ تَمائمها ،
 فأرسل الأميرَ بهرامَ ، فَرَطاً ^(١) يستسقي ^(٢) له ماءَ المَرَامِ ، وهو منتظرٌ لها انتظارَ ليلَةٍ
 القَدَرِ ، راجياً أن يحلَّ منها محلَّ القلبِ من الصَّدْرِ .
 فنثرَ على ذلك الرسولُ ، جواهرَ الإحسانِ والقَبُولِ ، وأهدى له مع كتابِ العهدِ

(*) أبو طالب بن حسن بن أبي نَمي ، الغريفي الحسفي .

ولد سنة خمس وستين وتسعمائة .

آلت لآله إمارة مكة بعد أخيه الشريف مسعود ، نيابة عن أبيه ، ثم أمر أبوه أمراءَ الحجاز أن
 يلبسوه الخلعَ السكبرى ، وألبسوا أخاه عبد المطلب الخلعَ الثانية ، واستصدر من السلطان محمد خان بن
 مراد ، تقريراً بذلك ، فأجيب إلى ملتمسه ، وسترِدَ صورةَ هذا الرسومِ أثناءَ الترجمة . ولما مات والده ،
 ولحقه أخوه عبد المطلب استقل بالملك .

وكان حسن الهيئة ، شديد الهيئة ، كريماً .

توفي سنة اثنى عشرة بعد الألف ، بحلٍ يقال له العشة ، من جهة اليمن ، وحلَّ إلى مكة ،
 ودُفِنَ بالمعلاة .

تراجم الأعيان ١/ ٢٤٥ ، خبايا الروايات لوحة ٨٣ ب ، خلاصة الكلام ٦٢ - ٦٤ ، خلاصة
 الأثر ١/ ١٣١ - ١٣٥ .

(١) الفرط ، بالتحريك : المتقدم قومه إلى الماء .

(٢) في ١ : « يستقي » .

خَلَعًا حِسَابَ ، أَرْهَى مِمَّا تَوَشَّحَتْ بِهِ مَعَاطِفُ الْكُتُبَانِ ، وَأَلْبَسَتْهُ عَطَايَا الرِّبِيعِ
قُدُودَ الْأَغْصَانِ .

فَكَانَ كَمَا قِيلَ :

قَرَّتْ عَيُونُ الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ بِخَلْعَةِ الشَّمْسِ عَلَى الْبَدْرِ
زَرَّ عَلَيْهِ الْمَلَكُ فَضْفَاضَهَا وَإِنَّمَا زَرَّ عَلَى الْبَحْرِ
مَا هُوَ إِنْعَامٌ وَلَكِنَّهُ مَا خَلَعَ الْغَيْثُ عَلَى الزَّهْرِ

فَأُفِيضَتْ عَلَيْهِ خِلْعَةٌ مُعَلَّمَةٌ ، وَأَصْبَحَتْ قَلَانْدُ الْجُودِ فِي جِيدِ السِّيَادَةِ مُنْظَمَةٌ .

مِمَّا تَقَرَّرَ بِهِ عَيْنُ الزَّهْرَا ، وَبَرَفَعَ اللَّهُ بِهِ لآلِ الْبَيْتِ ذِكْرًا .

وَأَمْرُهُ بِالْدهْرِ عَابَثَ ، وَأَغْصَانُ الْمَنَابِرِ بِأَسْمِهِ مُورِقَةٌ أَثْنَاثٌ ^(١) .

وَأَمَطَرَ عَلَيْهِ عِمَادُ ^(٢) الْكَرَمِ وَنَمِيًّا وَوَلِيًّا ، وَتَلَّى مَنشُورَهُ الْمُعَرَّبَ عَنْ أَنَّهُ أَصْبَحَ

لَأَبِيهِ وَلِيًّا .

فَقَبُوهَا صَدْرَ الْخِلَافَةِ وَالْجَلَالَةِ ، وَوَرِثَهَا عَنْ أَبِيهِ حَيًّا لَا عَنْ كَلَالَةٍ ^(٣) .

فَأَقْرَبَ بَعْمَهُدِهِ لِسَانًا السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَنُودِيَ هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْطَاءُ وَطَانَتَهُ

وَالْحِلَّ وَالْحَرَمَ .

قَامَ فُطَافٌ بِالْبَيْتِ شُكْرًا لِذَلِكَ الْإِنْعَامِ الْجَسِيمِ ، فَكَادَ يُمَسِّكُهُ عِرْقَانِ رَاحَتِهِ لَمَّا

اسْتَمْلَ الرُّكْنَ وَالْحَطِيمَ .

وَصُورَةُ مَنشُورِهِ ^(٤) ، وَهُوَ مِمَّا أَنْشَأَتْهُ بِأَمْرِ رَئِيسِ الْكُتُبِ :

(١) أَثُ الْبَيْتِ : كَثُرَ وَالنَّفْتُ .

(٢) الْعِمَادُ : أَوَّلُ مَطَرِ الرَّبِيعِ .

(٣) الْكَلَالَةُ : مَنْ لَا وَالِدَ لَهُ وَلَا وَلَدَ . انْظُرِ الْقَامُوسَ (ك ل ل) .

(٤) نَقْلُ الْحَجِيِّ ، فِي خِلَاصَةِ الْأَنْزَالِ ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ قِسْمًا مِنْ هَذَا الْمَنشُورِ ، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ زُبَيْنِ دَحْلَانَ ،

فِي خِلَاصَةِ الْكَلَامِ ٦٢ .

« الحمد لله الذى نشر على الخافقين أعلامَ عدله ، وزين حُللَ الوجود
بجوده وفضله .

ونشكره شكراً تطوف وفود الإخلاص حول كعبته ، وتقصر الفصاحة
بعد التخليق فى أفق البلاغة عن أن تكون مُزدلفةً من شكر نعمته ، وتسجد له
الأفلام فى كعبة الطرس المكسوء بسواد ميداده ، وتسعى للصفا فى مواقف
إصداره وإيراده .

وصلات الصلوة المسكية النسيم ، العنبرية الشميم ، تتوالى توالى القطار المكرر
على تلك الأفطار ، وللتوى الذى ترأبه إنميد البصائر والأبصار :

حيّاك ياتربة الهادى الرسول حيا بمنطق الرعد باد من فم الشجب
ضممت أعظم من يدعى بأعظم من يسعى إليه أخو فضـل ولم ينجب
وحزت أوضح من يهذى وأفصح من يبذى وأرجح من يعزى إلى نسب
محمد المرسل بكتاب تمسك بأهداب سحر البلاغة والإيجاز ، واستوثق دون بُلغاء
العرب بمرى الإعجاز ، فرمى قلوب المعارضين بجمراته ، وكحل بصائر المطيعين بميل
الهداية فأقرؤا ببيّنات آياته .

وعلى آله وصحبه ، وجنده وحزبه ، أولياء عهده ، والخلفاء من بعده ، ماجرّدت
صوارم البروق من أغمد الغمام ، وسرى نسيم نجاد فابتسمت له ثغور النور
فى السكائم .

هذا ، وقد أظهر الله عزّ سلطانه كنز سرّه المكنون ، بقوله ^(١) : ﴿ وَاقْذَرْنَا
فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ ، فَعَلِمَ بِهِ سِرُّ
الأمر ، فى قوله ^(٢) : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ ﴾ .

فإنه ليس بعد النبوة والرسالة إلا مراتب الصلاح ، ولهذا كانت الرعايا بلا سلطان كالأجسام بلا أرواح .

وما الشريعة إلا روضة زاهية الثمار ، مفتحة الأنوار ، تجري من تحتها الأنهار ، والسلطان مقعد لها بالحراسة ، يحميها من كل جان بشوكة السياسة .

وإذا كان ظل الله في أرضه ، وشمسه المتضح بأنوار سنن سنته وفرضه ، فعلى من طمعت عليه الشمس أن يمنح لظله ، ويقبل في دوحه إحسانه وفضله .

فإنه الشمس الذي تضيء بدور الكواكب بأنواره ، والبحر الذي تستمد جداول الأمراء من أنهاره .

والسما الذي تتمنطق الجوازه لخدمته ، ويخاف الأسد أن يمد إليها يد سطوته .
والجنة التي تحت ظلال السيوف ، والمتقرب إليه بمحاسن الأعمال ، والمستجار به من الصروف .

والحرم الذي يأمن فيه الخائف ، وكعبة اللطائف البادية لكل طائف .
والربيع الذي اعتدلت أيامه بالعدالة ، فصدحت حمامه الثناء على أغصانها الميأدة المليئة .

وتهتز أعواد المغاير بأسميه فهل ذكرت أيامها وهي أغصان
ومما ينبغي أن يرسم في صحائف الأفكار ، ويجعل طرازاً على كعبة المحاسن والآثار ،
أنه من أهم ما ينتم به من جمال الحجة^(١) زيه ، خدمة طيبة الطيبة ، ومكة المشرف بها
سائر الأفطار الحجازية ، معدن جوهر النبوة ، ومهبط آيات الوحي المتلوة ، ومشرق
شموس الأنوار المحمدية ، ومظهر الآثار^(٢) العلوية العلية .

(١) الحجة : العقل .

(٢) في ١ : « الأسرار » .

ومَثْوَى مَنْ شَرَّفَ اللَّهُ بِهِ نَوْعَ الْإِنْسَانِ ، وَالْأَنْمُودَجَ الَّذِي صَاغَهُ اللَّهُ ^(١) تَمْثَالًا لِلْجَنَانِ ، كما ورد في السُّنَّةِ ^(٢) : « مَا بَيْنَ قَبْرِى وَمَنْبَرِى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ » .

وكذلك أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ، وَأُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْهُ الْأَسَاسُ .

كَأَنَّمَا هُوَ مِغْنَاطِيسٌ أَنْفَسِنَا نَحِيْشُمَا كَانَ دَارَتْ نَحْوَهُ الصُّوَرُ

وكان أَوَّلَى مَا يَقْلُدُهُ الْإِنْسَانُ عَقْدَ جَوَاهِرِ الْإِحْسَانِ ، وَيَجْتَهِدُ فِي تَقْلِيدِهِ ، وَتَأْيِيدِ تَأْيِيدِهِ ، وَيَتَوَجَّهُ بِتَاجِ التَّكْرِيمِ ، وَيُعَمِّمُهُ ^(٣) بِحُلَلِ التَّبَجُّيلِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَيُجْزِلُ الصَّلَاةَ لَجَنَابِهِ الْمَوْصُولِ ، وَيُضْمِرُ لَهُ فِي الْقُلُوبِ الْقَبُولَ ، بِدَوْرِ فَلَكِ السَّعَادَةِ ، وَصُدُورَ مُسْنَدِ السِّيَادَةِ ، السَّادَةِ ^(٤) الْأَجْلَاءِ ^(٥) الْأَشْرَافِ ، فخر آل عبد مناف .

وكيف لا يزدادون حُبًّا ، بعد قوله ^(٦) : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ .

كلُّ مَنْ لَمْ يَرْ فَرَضًا حُبَّهُمْ فَهُوَ فِي النَّارِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامًا ^(٧) وبالجملة ، فَإِنْ مَادَحَهُمْ كَمَنْ قَالَ لِلْأَسَدِ : مَا أَشَدَّ شَجَاعَتَكَ . وللبحر المحيط : مَا أَوْسَعَ سَاحَتَكَ .

لأَسِيْمَا طَوْدُ الْمَجْدِ الشَّامِخِ الْمُنِيفِ ، الْمَرْفُوعُ عَلَيْهِ ^(٨) عِلْمُ الْعِزِّ وَالنَّسَبِ الشَّرِيفِ .

(١) ساقط من : أ .

(٢) أخرجه مالك ، في موطأه (باب ما جاء في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، من كتاب القبلة) ١٩٧/١ ، والبخارى ، في صحيحه (باب فضل ما بين القبر والمنبر ، من كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة) ٧٧/٢ ، ومسلم ، في صحيحه (باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ، من كتاب الحج) ١٠١٠/٣ ، والجميع بلفظ : « ما بين بيتي ومنبري » ، وانظر شرح النووي على مسلم ١٦١/٩ .

(٣) في أ ، ب ، ج : « ويعمه » .

(٤) سقط من : أ .

(٥) سقط من : أ ، ب ، ج .

(٦) سورة الشورى ٢٣ .

(٧) سقط هذا البيت من : أ ، ب ، ج .

(٨) في أ : « على » ، والكلمة ساقطة من : ب .

تاجُ هامةِ بنى الحسن والحسين الجنابِ العالى ، مَفْرِسُ ثَمَرَاتِ المعانى والمعالى .

العريق الحسيب ، الأصيل النَّسيب .

ذُخْرُ الأَنام ، فخرُ اللَّيالى والأَيام .

زهرة الشَّجرة العَلَوِيَّة ، فرع الدَّوْحَةِ النَّبَوِيَّة .

إذا وجهُهُ أو رأْيُهُ أو فِصَالُهُ تَبَلَّجَنَ فى لَيْلٍ تَجَلَّتْ غِيَاهِيَّةُ

صارمُ الخليفة المُنعمِ فى رِقَابِ أعدائِهِ ، ورحمته المُمِطِرة دُرَّرَ سَحَابُهَا عَلَى أولِيائِهِ .

الحسنُ الذَّاتِ والصفَّات ، أبو الحاسنِ حسن بن أبى نُعمَى بن بَرَكَات ، أَيْدُهُ اللهُ

بِنَصْرِ لا يَبْلَى جَدِيدُهُ ، ولا تَنْتَثِرُ^(١) بِيَدِ الحَوَادِثِ عَقُودُهُ ، آمِينَ .

وقد ورد من جانبِهِ^(٢) رسول ، تَلَقَّاهُ مِنْ سُدَّتِنَا نَسِيمُ القَبُولِ .

إذ جاب الفَيَاقِىَ مِنْ حَزَنِهَا وَسَهْلَهَا ، وَأَدَّى الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا .

وكان كَالِئِيلِ سَلَاكٍ بَيْنَ الجُفُونِ فَأَجَادَ ، وَمَتَّعَ العِيونَ بِإِعْمَادِ الصَّلَاحِ والسَّدَادِ .

ومعه مَذْشُورٌ أَرْقَ مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ ، مُعْرِبٌ عَنِ العَيْنِ بِالْأَثَرِ .

فأخبر أَنَّ مَرِسلَهُ أَرَادَ الفَرَاغَ ، وما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلَاغُ .

وتَضَمَّنَ مَنشُورُهُ المَذْكَورَ ، أَنَّهُ أَرَادَ الاِسْتِرَاحَةَ مِنْ نَصَبِ المَنَاصِبِ ، والتَّقَاعَدَ عَمَّا

بِهَا مِنَ المَرَاتِبِ ، رَغْبَةً عَنْ زُخْرُفِ الحَيَاةِ ، إِلَى خِدْمَةِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ .

وَأَنْ نَجَلَهُ النَجِيبُ الجَلِيلُ ، الحَسِيبُ الأَصِيلُ .

النَّاشِىُّ فى حِجْرِ الشَّرَفِ البَاهِرِ ، المُسْتَخْرَجُ مِنْ أَكْرَمِ العِناصِرِ .

لَيْثٌ غَابَةِ بِيضِ الصَّفَاحِ ، وَمُثْمِرٌ العَسَّالَةِ الرَّمَّاحِ .

(١) فى ا ، ب : « يَنْثَرُ » .

(٢) فى م : « جَنَابِهِ » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

عليه أمانة الإمارة ، ونخايل النجابة والصدارة :
بلغ السيادة في ابتداء شبابه إن الشباب مطية للشؤدد
(١) وسأل أن يقلده (١) صارم إمارة تلك الديار ، وما يتبعها من
البلدان والأقطار .

على ماجرت عليه عادة سلفه الذي سلف ، وقانون من خلقهم من الخلف .
فأجنبناه إلى مرأه ومرايه ، وأمددناه بإسعافه وإسعاده ؛ لأنه إنما نزع صارمها من
يده الأخرى ، وجعل خاتمها بعد يمن اليمنى في يسار اليسرى .

فسارت الإمارة من حرم إلى حرم ، ولم تخرج من جيران نجد وذى سلم .
فعلية ، بعد ما خلعتنا عليه حلالاً تأنق واشيها ، ورقت على نسيج وحده حواشيها ،
ونظرنا إليه بنظرنا الذي هو إكسير ، أن يحسن في العمل والتدبير .
وينظر إلى الرعايا بعين الرعاية ، ويصونهم عن أهل الضلالة والغواية .
ويؤمن تلك المفاسك ، ويحرس تلك المسالك .

ويختار من قومه من يحرس أطرافها من الأعداء (٢) ، ويحدها من كل قاصري
فعله تعدى (٣) .

ويبطل مافيه من المكوس والمظالم ، ويقيم الحدود على مستحقها من
كل باغ وظالم .

ليجلى في صحائف تلك البلاد الحسنات ، ويمحو مافيه من آثار السيئات .
ويتصرف في بندر جدة على العهد القديم ، ومن جاور ذلك المقام

(١) في م : « سأل أن يقلده » ، والثبت في : ١ ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/١٣٢ .

(٢) في م : « العدى » ، والثبت في : ١ ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/١٣٢ .

(٣) في م : « اعتدى » ، والثبت في : ١ ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/١٣٢ .

فَلْيُسْعِفْهُ بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ ، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِطُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ
الْأَلِيمِ ﴾ ^(١) .

ويحرس الوافدين إلى ذلك البلد الأمين ، لإقامة شعائر الدين .

ويحمي بحمايته مَنْ وَرَدَ أَوْ صَدَرَ ، ويحرس مواردِهم الصافية من الكدر .

ويلاحظ مالاخيل عليه الصلاة والسلام من صالح الدعوات ، في قوله : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ ^(١) .

ثم ليعلم كلُّ مَنْ كحل بصره بإئتمد منشورنا الكريم ، وشفف مسامعه بآلئ
لفظه العظيم .

يَمْنٌ فِي دَارَةِ تِلْكَ الدِّيَارِ ، أَوْ هَالَةِ تِلْكَ الْأَقْطَارِ ، وانتظم في سِلْكِ سُكَّانِ
الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ .

مِنَ السَّادَاتِ الْكِرَامِ ، وَالْقَضَاةِ وَالْحُكَّامِ ، وَوَلَاةِ الْأُمُورِ وَالْأَعْيَانِ ، وَالْوَافِدِينَ
عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَالشُّكَّانِ .

أَنَّ إِمَارَةَ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَاكِرِ ، وَمَا حَاطَتْ بِهِ مِنَ الْأَصَاغِرِ
وَالْأَكْبَرِ ، وَسَائِرِ الْوُظَائِفِ وَالْمَنَاصِبِ ، وَالْجِهَاتِ وَالرَّائِبِ ، مُفَوَّضَةٌ إِلَى السَّيِّدِ
السَّنْدِ أَبِي طَالِبِ .

نَاطِرًا بَعِينَ الْإِنصَافِ ، مُتَجَنِّبًا سَبِيلَ الْإِعْتِسَافِ .

مُصَرِّفًا جَمِيعَ الْمُسْتَحَقِّينَ بِحُسْنِ التَّصْرِيفِ ، صَارِفًا مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ بِرَأْيِهِ الشَّرِيفِ .
وَقَدْ أَقْتَنَاهُ مَقَامَ نَفْسِنَا فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ النَّقْضَ وَالْإِبْرَامَ .

وَالْمَلَامَةَ السُّلْطَانِيَّةَ حُجَّةً لِمَا فِيهِ مَرَقُومٌ ، مُحَقِّقَةً ^(٢) لِمَا فِيهِ ^(٢) مِنْ

منطوقٍ ومفهومٍ .

(٢) في خلاصة الكلام ٦٢ : « كافية » .

(١) سورة البقرة ١٢٦ .

فلم يتحقق من وقف على هذا الخطاب ، ومن عنده علم من الكتاب ، من أهل مكة زادها الله شرفاً ومافى جوارها ، وطيبة الطيبة طيب الله ثراها وسائر أقطارها ، وبقية الثغور ، الباسمة لدولتنا بمباييم السرور ، من حاضرها وبأديها ، أنا أعطينا القوسَ باريها ،

فلم تكُ تصلحُ إلّا له ولم يكُ يصلحُ إلّا لها ^(١)
 سدّد الله سهامَ رأيه في أغراض الصّواب ، وفتح له ^(٢) بمفاتيح الشّمر ^(٣) كلَّ مُغلّقٍ من الأبواب .
 ماسقطتُ من كِفِّ الثّريّا الخواتيم ، ورقّت على منابر الأغصان خطباءُ الحمايم ، والسلام .

وإذ انهمينا إلى هذا المقام ، فاضغِ لما نقضه عليك من عجائب الأيام ، فإن المصدور لا بدّ له من نفثة ، ومن جهده المسيرُ يطلب على الطّريق مُكثّنة .
 فاعلم أننا رأينا كلّ مُلكٍ له مُبتدأٌ تظهر فائدته وعائدته في خبره ، وانتهاء يقف السعدُ بعد وِردِه عند صدر صدره .
 ثم يرجع ماجرى إلى قراره ، فيُنذِر الإقبال بإذباره ، ويعود تدميره في تدميره ويُقدّر صانعُ القدر أديمه على مقدار تقديره .
 وإلى الله ترجع الأمور ، وعلى بحور الإرادة يجرى الفلكُ ويدور .
 وقد تظهر قبل آخره فيه قوّة ، فيُظهر فرعون طغيانه وعُتُوّه ، وللشمس زوال إذا ارتفعت ، وللثمرة سقوط إذا زهت وأينعت .

(١) في خلاصة الكلام : « بمفاتيح السر » .

(٢) البيت لأبي المتاهية في مدح الخليفة المهدي ، وهو في ديوانه ٣١١ .

وقد يزيدُ قبل الانطفاء نورُ المصباح ، ويحصل المريض إفاقةً يُسمع بعدها الصياح .

وتسمى هذه الأطباء النعشة الأخيرة ، فكم من نعشة تُقرب من السقيم نعشة ، وهذا في غير الخلافة النبوية ، فإنها بالحي^(١) الذي لا يموت^(٢) محمية .

وقد كان انتهاء صعود الشرف في الحجاز بالسيد حسن ، وفي المغرب بمولاي أحمد ، وفي الروم بالسلطان مراد ، ونحن الآن لا ندرى ما يريد ولا ما يُراد ، فقد ذهب سليمان وانحلت الشياطين ، ووقف الرجاء على شفا جُرفٍ هارٍ بين قومٍ مجانين ، فالجواد دون الحمار المصري ، وأبو جهل وعظ الحسن البصري :

فقلْ بـ... الدهر يأتى بصرفه . وقلْ لليالى : إفعلى ما بدا لك

وقلت :

قد جنَّ شَيْخِي وفي الأمثال من قديم إن الشباب جنونٌ بُرؤه كبره^(٣)
ياربِّ فاعقدْ بقولنَّج له دُبْرًا حتى يعودَ عليه بعد ذا ضرره^(٤)



(١) في ب ، ج : « بالله الحى » .

(٢) في ١ : « القيوم » .

(٣) أخذ هذا من قول محمد بن عبيد الله العتي :

قالت عهدُك مجنوناً فقلت لها

التنيل والمحاضرة ٨٨ .

(٤) القوانج : مرض معوى مؤلم ، يعسر معه خروج الثفل والريح . القاموس (ق و ل ن ج) .

٦٢

قطب الدين المسكى النهروانى أصلاً ومختبداً *

قطبُ مركزِ دائرة تلك الأقطار ، والصدرُ المستودع لما فيها من الأسرار .
وهو فاضل جردى فى بساتين^(١) فضله جداولُ الآداب ، وتمسك الشعْرُ منه
بأعظم الأسباب .

فوقف دون مدام ضده وحسوده ، ومن قيده الكلال لا تنفك^(٢) قيوده .
فذاك كمن جارى جواداً بمقرِفٍ قوائمه مشكولة بحران^(٣)
فسماه مجده مُطلعة لكواكب شعره ، وزهرة عمره سُقيت بماء سروره وبشرة .
تقطع عند كرمه الآمال وتعجز الأمانى ، ويقصر سلكُ الألفاظ عن^(٤) نظم ما فيه
من دُرر المعانى .

(*) قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد ، النهروانى ، الهندى ، الحنفى .

ولد سنة سبع عشرة وتسعمائة .

وأخذ عن والده ، وعن عبد الحق السنباطى ، ومحمد التونسى ، وناصر اللقانى .

وكان بارعا متفننا ، فى الفقه ، والتفسير ، وعلوم العربية ، ونظم الشعر ، وشعره فى غاية الرقة .

كتب « تاريخا لمسكة المشرفة » ، وألف « طبقات الحنفية » ، وقد احترق فى جملة كتبه .

توفى سنة تسعين وتسعمائة .

خبايا الزوايا لوحة ١٨٧ ، شذرات الذهب ٤٢٠/٨ .

والنهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط ، من الجانب الشرقى ، حدها الأعلى متصل ببغداد .

معجم البلدان ٨٤٦/٤ .

(١) فى ١ : « تفك » .

(٢) فى ١ : « ميادين » .

(٣) المقرف من الفرس وغيره : ما يدانى الهجنة ، أى أمه عربية لأبوه ، لأن الإقرف من قبل الفعل ،
والهجنة من قبل الأم . القاموس (ق ر ف) . وشكل الدابة : قيد قوائمه . وحرنت الدابة حرانا فهى
حرون ، وهى التى إذا استدر جريها وقفت . القاموس (ح ر ن) .

(٤) فى ١ : « فى » .

وتقبلُ أفواهُ الأقلامِ لَمَى مِدَادِهِ ، ويهيمُ سُوَيْدَاهُ كُلُّ لَبِيبٍ فِي سَوَادِهِ .
وتفتتح^(١) عيونُ الأنوارِ لتُشاهدَ ساطعَ أنوارِهِ^(٢) ، وتترنمُ حمائمُ الحرمِ
بأسجاعِهِ وأشعارِهِ .

ويهبُ نسيم^(٣) نجدٍ لشفهِهِ برقتِهِ عليلاً ، ويجرُّ على ثَرَاهِ تِيهًا بمُضَاهَاتِهِ لَهُ
ذِيلاً بَلِيلًا .

لتغذِّيه بِلِيَانِ فصاحةِ نجدٍ وذى سَلَمٍ ، واقتناصِهِ أَوَابِدَ المعارِفِ بها فاعجبَ لمن حلَّ
له الصَّيْدُ فِي الْحَرَمِ .

وقد شحذَ مُرْهَفَ طبعِهِ بِيَدِ الكَمالِ ، وسنَّ أسَلَّةَ^(٤) لسانِهِ فاجتَلَى بِهِ فِرْنَدُ
سِحْرِهِ الْحَلالِ .

حتى تَفَيَّاتُ فتوى تلكِ الأفطارِ ظلالَ براعَتِهِ ، وسالتُ مَسَائِلُ المسائِلِ فِي
جِيَادِ براعَتِهِ .

فكان قُطْبُ تلكِ الدائِرَةِ ، وعليهِ مَدَارُ فلكِ الفضلِ وبِهِ الأمثالُ سائِرَةٌ .
فمُوَلَّ أمورِها عليه ، ومُنْصَرَفُ وجوهُ الإقبالِ إِلَيْهِ .

حتى أصبحَ عاطِلُ حالِهِ حَالِيَا ، ومرْتَفِعُ حَظُّهُ عَنِ وَهَادِ الخمولِ عَالِيَا .
فلا يَرُدُّ مَكَّةَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالصَّلَاحِ ، إِلَّا قِيَّاهُ ظِلَالِ الكَرَمِ وَالسَّاحِ ،
وَهَزَّ عِطْفَ أَمَلِهِ بِنَشْوَةِ الارْتِياحِ .

إلى أن تَعْدَى الأَجَلَ ، مِنْ القُطْبِ دَائِرَةُ الأَمَلِ ، فدارتْ عَلَيْهِ رَحَى المَنُونِ ،
وطحنتْ دَقِيقَ أَفكارِهِ السَّنُونِ .

(٢) ساقط من : ١ .

(١) في ١ : « وتفتح »

(٣) في ١ : « صبا » .

(٤) في ١ : « أسنة » ، وفي م : « أسنة » ، والمثبت في : ب ، ج .

فدعاه الله لجوارِ الجنان ، وتلقاه جدُّه بروحِ رحمةٍ ورِيحان ، وطافت بمشواه
وفودُ الغفران .

وقد نعاها الفضلُ والكرم ، وناحت لفراقه حمامُ الحَرَم .

حمامُ أبلت في الحنين لباسها فلم يبقَ منها غيرُ طوقٍ بجيدها
فمما تهادته الرُّكبانُ من شوارده ، وعُلّق في كعبةِ الفصاحة من نتفِ وقصائده ،
قوله ^(١) :

أقبل كالفضن حين يهتز	في حُلٍ دون لطفها الخرز
مُهَفِّفُ القَدِّ ذو مُحِبِّا	بعارض الخلد قد تطرّز
دارَ بخديّه وأوَّ صُدغِ	والصَّادُ من لحظه تلوز
الخمِرُ والجمرُ في لَمَاهُ	وخدّه ظاهرٌ ومُلفِزٌ ^(٢)
يشكوله الخصرُ جورِ ردْفِ	أزعجه حمْلُه وأعجز ^(٣)
طلبتُ منه شِفَاءَ سُقْمِي	فقال : لحظي لذاك أعوز
قد غفر الله ذنبَ دهرِ	لمثلِ هذا المليح أبرز
جزَّ فؤادي بسيفِ لحظِ	أواه لو دام ذلك الجز ^(٤)
أفديه من أغيدٍ مليحِ	بالحسنِ في عصرِه تميز
كان نديمي فمُدَّ رَأْيِي	أسيره في الهوى تعزّز
حرّم من وصنّه مُباحًا	لما أحلَّ القلي وجوز ^(٥)

(١) شذرات الذهب ٨/٤٢٠ ، ٤٢١ .

(٢) في شذرات الذهب : « من لاه » .

(٣) في ١ : « أمجزه حملة وأمجز » ، وفي شذرات الذهب : « أنقله حملة وأمجز » .

(٤) في شذرات الذهب : « جز فؤادي ذلك الحز » .

(٥) ساقط من شذرات الذهب .

يا قلب لا تسأل عن هَوَاهُ واثبتت وكن في الغرام مَرَكَزُ^(١)
وقلت في عَرُوضه :

مَنْ عِلْمُ الْفَصْنِ حِينَ يَهْتَزُّ	مَيْلَ قُدُودٍ تَمِيلُ فِي الْخَزِّ
غَيْدُ رِمَاحِ الْقُدُودِ مِنْهَا	لَيْسَتْ بَغَيْرِ الْفَوَادِ تُرَكِّزُ
وإن يَكُنْ هَزُّهَا دَلَالًا	لَيْسَ لَغَيْرِ الطَّعَانِ ذَا الْهَزِّ
كَمْ وَعَدْتُ بِالْوِصَالِ مُضَيِّ	وَعُودُهُ بِالْمِطَالِ تُنْجِزُ ^(٢)
وَمَا حَسُودٌ إِذَا تَوَارَى	تَرَاهُ مِنْ غَيْظِهِ تَمَيِّزُ
فِي أَلْفَى الْقَوَامِ لَيْنٌ	بِعَطْفَةِ الصَّدْعِ مِنْهُ تُهْمِزُ ^(٣)
خِطَابُهُ يُطْرِبُ الْأَمَانِي	وَلَوْ يَهْزُؤُ عَلَى طَنْزِ ^(٤)
وَشَتْمُهُ كَالْمَدِيحِ يُطْرِي	وَمُسَهَبُ الْقَوْلِ مِنْهُ مُوجِزُ
كَمْ لَحْظَةٍ مِنْهُ لِي بِطَرْفٍ	فِيهَا رِضَاهُ عَلَى مُلْفِزِ ^(٥)
لَهُ مُحِيًّا بِدَيْعٍ حُسْنٍ	فِيهِ جَمِيعُ الْجَمَالِ يُكَنِّزُ
وَلِي بِهِ مَطْلَبٌ مَصُونٌ	بِقُلِّ صُدْعٍ لَهُ مُرَّرِزُ ^(٦)
لَوْ لَمْ يَكُنْ حُبُّهُ بَقَلْبِي	مَا كَانَ بَيْنَ الصُّلُوعِ يُحَرِّزُ
قَضِيبُ آسٍ عَلَى كَثِيبٍ	أَزْعَجُهُ رِدْفُهُ وَأَعْجِزُ
كَأَنَّمَا خَصَرُهُ خَفَاءٌ	مَعْنَى لَهُ ذَا الْجَمَالِ الْقَزُّ ^(٧)

(١) في شذرات الذهب : « يا قطب لا تسأل عن هَوَاهُ » .

(٢) في ١ : « بالوصل مضى » .

(٣) في م : « ليس تهمز » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

(٤) طَنْزِهِ : سَخِرَ . (٥) في ١ : « على رضاه ملغز » .

(٦) رز الباب : جعل له رزة ، وهي حديدة يدخل فيها القفل ونحوه .

(٧) في م : « ذو الجمال » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

جلَّ الإلهُ البديعُ صُنْعاً ومنَ لهذا للليحِ أبرزُ
 فاغتمَ زمانَ السرورِ واطربَ ففرصةُ العمرِ فيه تُنهرُ
 وانظرُ بساطَ الربيعِ يدعو لصفوِ عيشٍ عليه قد عَزَّ (١)
 مهْدَهُ لاجتماعِ شملِ مُنبِتُ بُرْدِهِ مُطرَزُ (٢)
 تُنحَرُ فيه الزُّقُقُ نحراً طَبِيقُ فيه مفاصلُ الخَزِّ
 والوُرُقُ في روضِهِ تنادى من دَلٍّ في الحبِّ فهو قد عَزَّ
 كذلك قد ذلَّ في الورى من بغيرِ ربٍّ له تعَزَّزُ
 كطالبِ الصُّوفِ من لثيمِ وهو لجربِ السَّلابِ قد جَزَّ
 وكان من عَزَّ بَزَّ قَدَمًا واليومَ من بَزَّ فهو قد عَزَّ (٣)
 وهذه حُلَّةٌ تَرَقَّتْ عن نسجِ بُردِ يرقُّ أَوْقَزُ (٤)
 لها على القطبِ دائِراتُ أضْحى لها في الحضيضِ مَرَكَزُ

وله في الوزير سنان (٥) لما فتح اليمن :

لك الحمدُ يا مولايَ في السَّرى والجهرِ على عِزَّةِ الإسلامِ والفتحِ والنَّصرِ
 كذا فليكنَ فتحُ البلادِ إذا سَعَتْ له إِلَهَمُ العَلَمِيا إلى شَرَفِ الذِّكرِ

(١) في ١ : « قد بز » .

(٢) في م : « مشتت برده » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٣) قولهم : « من عزيز » أى : من غلب سلب . انظر الفاخر ٨٩ ، ٩٠ ، مجمع الأمثال ١٧٤/٢ .

(٤) في م : « برد يروق » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٥) سنان باشا ، الوزير الأعظم ، صاحب الآثار العظيمة في البلاد الإسلامية ، ولى الحكومة في مصر أيام السلطان سليم بن سليمان ، ثم عينه السلطان لإعادة الاستقرار ، إلى اليمن بعد عصيان مطهر بن شرف الدين يحيى الزيدى ، فتوجه ، وأصلح ما كان اختل ، واستنقذ ما كان مطهر أخذه ، بعد وقائع وأموار كثيرة ، وانتصر المسلمون تحت قيادته على الفرنج وأخرجوهم من تونس ، كما عينه السلطان لحرب النمسا . توفي سنة أربع بعد الألف .

خلاصة الأثر ٢١٤/٢ - ٢١٧ .

جنود رمت من كوكبان خيامها
تجرؤ من الأنطال كل غصنفر
عساكر سلطان الزمان مليكنا
حتى حوزة الدين الحنيفي بالقنا
ومنها :

وحين أنام أن قد اختل جاربنا
وساق لها جيشا خميسا عرم رما
لدى أسد شاكي السلاح عريته
وزير عظيم الشأن ثاقب رايه
ومنها :

سنان عزيز القدر يوسف عصره
ومنها (٤) :

وهل تطمع الأعداء في ملك تبع
أبي الله والإسلام والسيف والقنا
ومن مشهور شعره قوله (٥) :

الدنلى والكاس والقرقف
إن كان ماتعجب به قسمتي
وللفقيه الكتب والمصحف
فليقتسمها مثل ما يعرف (٦)

(١) كوكبان : جبل قرب صنعاء . معجم البلدان ٤ / ٣٢٧ .

(٢) في ب ، ج ، م : « اختل جلبنا » ، والمثبت في : ا .

(٣) في ا : « له أسد » .

(٤) البيتان في خلاصة الأثر ٢ / ٢١٥ .

(٥) في خلاصة الأثر :

فهل يطمع الزيدى في ملك تبع
وبأخذه من آل عثمان بالسكر

(٦) في ا : « فليقتسمها » .

(٦) شذرات الذهب ٨ / ٤٢١ .

كم يزدرى الكاس ويهزؤها يخشى على هذا الفتى يقصف^(١)
 يسب شراب الطلاء عامداً أليس في الحكم من ينصف^(٢)
 فأنزع الكأس على غيظه وعاطنيتها أيها الأهيف
 وقل هو القطب ببخر الهوى قد عام والله به يلطف
 وله أيضاً^(٣) :

أحبة قلبي أنتم قد وردتم ممي منهل اللذات وهو نعيم
 والله ما استغنيت عنكم بغيركم وإني إليكم ماحيت فقير
 وله أيضاً :

أحسن من غفلة الرقيب ولحظة الوعد من حبيب
 وقبلة كانت اختلاسا في وجنتي شادين ربيب
 كتب أديب إلى محب طالت به مدة المغيب
 تترك من سطرته إليه أقيم من عاشق طروب
 وله أيضاً :

يداعرق في خده فسألته إذا ما تبدى قال لي وهو يمزح
 ألا إن ماء الورد خدي إناؤه وكل إناء بالذي فيه ينضح
 وهذا مثل أورده الميذاني في « أمثاله »^(٤) ، ولم يزد فيه على قوله : كل إناء يرشح

(١) في شذرات الذهب :

كم يزدرى الزجاج وشرابها أخشى على هذا الفتى يقصف

(٢) هذا البيت والبيتان بعده مما لم يرد في شذرات الذهب .

(٣) سقط من : هذه المقدمة ، والبيتان بعدها .

(٤) جمع الأمثال ٧٣/٢ .

بما فيه . ويُروى : يفضح بما فيه . أى يتحلب . انتهى .

وقد سبقه إلى هذا مجير الدين بن تميم^(١) ، كما وقفت عليه في « ديوانه » بقوله :

سقى الله رَوْضًا قد تبدَّى لنا ظري به رَشَاءً كالغُصْنِ يلهو ويمرحُ
وقد نضحت خداه من ماء وزده وكلُّ إناء بالذى فيه ينضحُ

وعن الشيخ نصر الله بن مجلى أنه رأى في المنام سيّدنا أمير المؤمنين عليًّا بن أبى طالب ، كرّم الله وجهه^(٢) ورضى عنه^(٣) ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، تفتحون مكة ، وتقولون من دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، وقد تمّ على ولدك الحسين منهم ماتم !

فقال له : أما سمعت أبيات ابن الصيّف^(٤) ، يعنى به الحيف ييضم^(٥) ؟

فقلت^(٥) : لا .

قال : اسمعها منه .

فلما انتهت ذهب إلى داره ، وذكرت له ما رأيت في منامي^(٦) .

(١) محمد بن يعقوب بن على الإسعردى ، مجير الدين بن تميم ، سكن حماة ، وخدم الملك المنصور ، وكان جنديا محتشما ، شجاعا ، مطبوعا ، كريم الأخلاق ، بديع النظم ، رقيقه ، لطيف التخيل . توفي بحماة ، سنة أربع وثمانين وستائة .

فوات الوفيات ٢/ ٢٧٢ .

(٢) زيادة من : ١ .

(٣) فى ١ ، ب : « الصنى » ، والمثبت فى : ج ، م .

(٤) هو سعد بن محمد بن سعد بن الصيّف التميمى ، شاعر بغدادى ، كان فقيها ثم غلب عليه الأدب والشعر . توفي سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

وفيات الأعيان ٢/ ١٠٦ - ١٠٨ والقصة والأبيات فيه .

(٥) فى م : « فقال » .

(٦) فى م : « فلما انتهت ذهب إلى داره وذكر له ما رأيت فى منامه » ، والمثبت فى : ١ ، ب ، ج .

فبكي وحلف أنه نظمها في هذه الليلة ، ولم يقف عليها سواء ، وهي هذه ،
وأنشدها له :

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مَنَاسِجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالِ بِالْأَمِّ أَبْطَحُ
وَحَلَّيْتُمْ قَتْلَ الْأَسَارَى وَطَلَّمَا غَدَوْنَا عَلَى الْأَسْرَى نَمْنٌ وَنَضْفَحُ^(١)
وَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوْتُ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ^(٢)
وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى هَذَا أَبُو الْفَتْحِ كُشَاجِمٌ ، فَقَالَ^(٣) :
وَمُسْتَهْجِنٍ مَدَحِي لَهُ أَنْ تَكُوِّدَتْ لَنَا عُقْدَةُ الْإِخْلَاصِ وَالْحَرْثُ يُمْدَحُ^(٤)
وَيَأْتِي الذِّي فِي الْقَلْبِ إِلَّا تَبَيَّنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ
وَقُلْتُ فِي الْمَجَاءِ :

فَتَى كَانَ مِنْ قَبْلِ الشَّبَابِ مُوَاجِرًا وَقَدْ لَاطَ كَهْلًا وَهُوَ تَيْسٌ سَيَنْطَحُ
يَبِيعُ بِرَأْسِ الْمَالِ فِي السُّوقِ مَا اشْتَرَى وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَرْشَحُ
وَهَذَا الْمَثَلُ لَمْ أَرْ مَنْ شَرَحَ مَوْرَدَهُ وَمَضْرَبَهُ^(٥) ، وَهُوَ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ :
أَحَدُهُمَا ، وَهُوَ الظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ : أَنْ كُلَّ أَحَدٍ يُلَوِّحُ عَلَى ظَاهِرِهِ مَا فِي بَاطِنِهِ ، وَإِنْ
أَخْفَاهُ ؛ كَمَا قِيلَ : مَنْ أَسْرَّ سَرِيرَةً رَدَّاهُ اللَّهُ بِرِدَائِهَا .
وَالثَّانِي : أَنْ كُلَّ أَحَدٍ يُجَازِي مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ ، وَهُوَ الَّذِي قَصَدَهُ
الْخَيْصَ بَيْضَ .

وَقَدْ قُلْتُ فِي بَعْضِ الْفُصُولِ^(٦) :

-
- (١) فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ : « نَعْفُ وَنَضْفَحُ » .
(٢) فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ : « فَكُلُّ إِنَاءٍ » .
(٣) دِيوَانُ كُشَاجِمٍ ٢٨ .
(٤) فِي الدِّيْوَانِ : « لِأَنَّهُ تَأَكَّدَتْ ... وَالْحَقُّ يُمْدَحُ » ، وَفِي ١ : « أَنْ تَكْأَدَتْ » ، وَتَكْأَدُ الْأَمْرُ
فَلَانَا : شَقَّ عَلَيْهِ .
(٥) فِي ١ : « وَمَنْ ضَرَبَهُ » .
(٦) فِي ١ بَعْدَ هَذَا زِيَادَةٌ : « الْقَصَارِ » .

كلُّ عداوةٍ تزول إلا عداوةَ الحسد ، وكل زارعٍ لِمَا زرعَ حصَدٌ ، وبَيضةُ ابنِ دأية^(١) النَّعَّاب ، وإن جثا عليها طائوسٌ عَدْنٌ لا تُفْرِخُ إِلَّا الغراب ، وإن كان عُشُّه في سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، وقد غَذَّيْتَهُمَا من ثَمَارِ الْجَنَّةِ ومُنْتَهَا^(٢) .
وفي صحيح الخبر: « النَّاسُ يَحْزِنُونَ بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْرٌ فَخَيْرٌ ، وإن شَرًّا فَشَرٌّ » .

وقد قيل :

مَنْ قَالَ خَيْرًا فَلَهُ وَمَنْ يَهْلُ شَرًّا فَشَرٌّ
وقال قَطَرِي الخارِجِي مُتَمَثِّلًا : قيل للعُقْرَب : أنت محبوبسة في الشتاء ، أفلا تخرجين لمشارقِ الشمسِ بالغدَاوات ، كما تخرج الناس ؟
فقلت : ما أحسنَ أياديَّ عندهم في الصيف حتى آانس بهم في الشتاء .
ولله دَرُّ أَبِي الْقَاسِمِ الدُّبُوسِيِّ في قوله :^(٣) :

أقول بِنُصْحِ يَا بَنَ آدَمَ لَا تَنْمَ عن الخير ما دامتْ فَإِنَّكَ عَادِمٌ^(٤)
وإنَّ الَّذِي لَمْ يَنْصَحِ الْعُرْفَ فِي غِنَى إذا ما علاه الفقرُ لَا شَكَّ نَادِمٌ
فقدَّم صَنِيعًا عند يُنْسَرِكِ واغْتَمَمَ فأنتَ عليه عند عَسْرِكَ قَادِمٌ



(١) ابن دأية : هو الغراب .
(٢) مانه يمونه : احتمال موته ، وقام بكفائته .
(٣) هو علي بن أبي يعلى بن زيد الحسيني ، العلوي ، الدبوسي ، فقيه شافعي ، وكان إماما في الفقه والأصول والأدب . توفي ببغداد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة .
اللاباب ١/٤١٠ ، معجم البلدان ٢/٥٤٧ ، وهو منسوب إلى دبوسية ، بليد من أعمال الصفد ، من ما وراء النهر . انظر معجم البلدان ٢/٥٤٨ .
(٤) في ١ : « على الخير ما دمت فإنك عادم » ، وفي ب : « على الخير ما دامت فإنك نادم » ، وفي م : « على الخير مهما دمت لإنك عادم » ، والثبت في : ج .

جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين ، العلامة الإسفهرائيني
فاضلٌ نشأ بمكة بين تهامة ونجد ، ورُبِّيَ^(١) في حجر المعالي والمجد ، ففاق طبعه
رِقَّةً وطيباً نسيمَ التَّرجِسِ والورد .

وخلعت عليه الأيامُ جمالها ، وأفاض الله عليه فضلتها وأفضالها .
والله جميلٌ يحبُّ الجمال ، والدهرُ قد يُسمِّفه وإن كان عدواً لِأهل الكمال .
فأزكراً ومجداً ، وفاح عنبراً ونداً .
عطاءً ولا منٍّ وحُكْمٌ ولا هوى وحِلْمٌ ولا عجزٌ وعزٌّ ولا كبيرٌ
وهو في الفضلِ عصاميٌّ عريق ، وله عَذْبُ مَشْرَبٍ نشأ بين العذيب والعقيق .
وأنا وإن لم أره فقد صاحبتُ أخاه عليّاً ، ورأيتُهُ وقد رفعه الله مكاناً عليّاً ،
ففرزت بصُحْبَتِهِ^(٢) وقد طافت وفودُ الآمالِ حولَ كعبته .

جمال ذِي الأرضِ كانوا في الحياةِ وهم بعدَ المماتِ جمالَ الكُتُبِ والسَّيرِ^(٣)

فن شعره قوله :

فِنِجَانُ قَهْوَةٍ ذَا المَليحِ وعِينُهُ أَلْ كَحْلاهُ حَارَتْ فِيهِمَا الأَلْبَابُ
فَسَوَادُهَا كَسَوَادِهَا وَبَيَاضُهَا كَبَيَاضِهَا وَدُخَانُهَا الأَهْدَابُ

(١) ساقط من : أ ، ب ، ج .

(٢) ساقط من : أ .

(٣) البيت لأبي العلاء المعري ، وهو في شروح سقط الزند ١٤١/١ .

قال أبو منصور الجواليقي في كتاب « المعرب » ^(١) : الفنجان معرب ، وصوابه
فنجانة ، وفيه نظر ^(٢) .

وتشبيهه ^(٣) الدخان بالأهداب ^(٤) تشبيهه بديع .
ومثله في الحسن قول الصنوبري ^(٥) :

مُجَمَّرَةٌ طاف بها الفلّمانُ أبدعَ في صنعتها الزّمانُ
كأنّها فيما حكى العيانُ فوّارةً وماؤها دُخانُ
في برّكةٍ حصباؤها نيرانُ إذا تبدّت حزين الرّيحانُ
* وسُرّت الجيوبُ والأردانُ *

وقلتُ فيها ، من ^(٥) أرجوزة أيضا :

للهِ ما أحسنَهَا من مُجَمَّرَةٍ أنفاسُها طيّبةٌ مُعَطَّرَةٌ
كأنّها وريحُها طيّابُ نرجسةٌ من فوقها ضبابُ ^(٦)
وعلى ذِكرِ الأهدابِ انظرَ حسنَ قولي ، في مליحٍ لبسِ فرّوةٍ سمّور ^(٧) :
وظي من السّمورِ ألبسَ فرّوةً وماسَ كما هزّت صبا سُخرةً سرّوا
كأنّ عيونَ الناسِ من دهشةٍ به تخلفَ أهداباً فتحسبُها فرّوا ^(٨)
ولشيخنا العنابيّ ، من قصيدة :

قَهْوَةٌ لا صُداعَ فيها نَعَمٌ فيه هَامُزِيلٌ مِنَ الصُّداعِ مُرِيحٌ

(١) العرب ، للجواليقي ٢٤٩ ، ونصه : « والفنجانة والجمع فناجين : فارسي معرب ، ولا يقال فنجان
ولا إنجان » .

(٢) انظر شفاء الغليل ١٦٧ .

(٣) في ١ : « الأهداب بالدخان » .

(٤) سقطت الأبيات الثلاثة الآتية من : ١ .

(٥) (٦) الطيب : الطيب جدا .

(٥) في ١ ، ب ، ج : « في » .

(٧) السّمور : دابة يتخذ من جلدها فراء مثمّة . القاموس (س م ر) . والبيتان في السلافة ٤٢٥ .

(٨) في ١ ، ب ، والسلافة : « وإلا عيون الناس » ، وفي ج : « وولى عيون الناس » .

صَيْنَ فِي الصَّيْنِ مِسْكُهَا فَحَاها لَعَسَ فِي بِياضِ ثَغْرِ يُلُوحُ^(١)
 لَيْلُ وَضَلْ فِي صُبْحِ لُقْيَا حَبِيبِ طَابَ مِنْهَا غَبُوقُهَا وَالصَّبُوحُ
 وَلِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ الْبَكْرِيِّ^(٢) أَوْ لِمُحَمَّدِ مَامَايَ الْمَعْرُوفِ بِالرُّومِيِّ^(٣) :

أَنَا الْمَعشُوقَةُ السَّهْرَا وَأُجْلَى فِي الْفَنَاجِينِ
 وَعُودُ الْهِنْدِ لِي طِيبٌ وَذِكْرِي شَاعَ فِي الصَّيْنِ

وكتب جمال الدين للقطب المكي ، يهنيّه بشهر رمضان :

يَا شَيْخَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي أُمِّ الْقُرَى رَمَضَانُ هَلْ بِهِجْجَةٍ لَمْ تُوصَفِ
 قَتَنٌ وَحَدَّكَ إِنْ ذَاتَكَ أَصْبَحَتْ هِيَ أَشْرَفُ فِي أَشْرَفِ فِي أَشْرَفِ
 فَأَجَابَ ، وَأَجَادَ ، وَأَجَازَ :

يَا وَاحِدَ الْفُضْلَاءِ أَنْتَ جَمَانَا قَتَنٌ بِالشَّهْرِ الشَّرِيفِ الْأَشْرَفِ
 شِعْرٌ بِشِعْرِ لَارِبًا فِيهِ وَإِنْ زَادَ الْعِيَارُ فَوْزَنُ هَذَا الْأَشْرَفِ
 الْأَشْرَفِ فِي الْعُرْفِ بِمَعْنَى الدِّينَارِ ، نَسَبَةً لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، وَتَوْجِيدهُ
 جَرَّتْهُ الْقَافِيَةُ .

وَلَا بِنَ الْقَيْمِ^(٣) ، وَقَدْ مَدَحَ مِنْ أَجَابِهِ ، وَأَجَازَهُ :

وَلَمَّا مَدَحْتَ الْهَبْرِيَّ بْنَ أَحْمَدٍ أَجَازَ وَكَافَأَنِي عَلَى الْمَذْحِ بِالْمَذْحِ^(٤)
 فَعَوَّضَنِي شِعْرًا بِشِعْرِ وَزَادَنِي عَطَاءً فَهَذَا رَأْسُ مَالِي وَذَا رِجْلِي

(١) اللبس : سواد مستحسن في الشفة .

(٢) ساقط من : أ ، ب ، ج .

(٣) في ج : « ولابن القمر » ، وفي م : « ولابن القاسم » ، والمثبت في : أ ، ب ، وهو على بن عياد الإسكندري ، كان شاعر الوزير أحمد بن الأفضل الجمالي ، قتله الحافظ عبد المجيد بن محمد الفاطمي ضرباً ، وهو شاب ، سنة ست وعشرين وخمسمائة ، خريفة القصر ، قسم مصر ٤٣/٢ .

(٤) الهبري : الأسد ، والأسوار من أساورة الفرس ، وهو يعني الأمر بأحكام الله منصور بن أحمد الفاطمي ، ولد سنة تسعين وأربعمائة ، واستخلف وله خمس سنين وقتل سنة أربع وعشرين وخمسمائة النجوم الزاهرة ١٧٠/٥ - ٢٣٥ .

لَفَظْتُ مُلُوكَ الْأَرْضِ حَتَّى لَقِيْتَهُ فَسَكَنْتُ كَمَنْ شَقَّ الظَّلَامَ إِلَى الصُّبْحِ

وهذا من قول ابن سنان الخفاجي^(١) :

طَوَيْتُ إِلَيْكَ الْبَاخِلِينَ كَأَنِّي سَرَيْتُ إِلَى شَمْسِ الضُّحَى فِي الْغَيَاهِبِ

ومما يشبه هذا قول البيهقي^(٢) :

زَمَنْ الْوَرْدِ أَشْرَفُ الْأَزْمَانِ وَأَوَانُ الرَّبِيعِ خَيْرُ أَوَانِ^(٣)

أَدْرَكَ النَّزْجِسُ الْجَنِيَّ وَفَزْنَا مِنْهُمَا بِالْخُدُودِ وَالْأَجْفَانِ

أَشْرَفُ الزَّهْرِ زَارٍ فِي أَشْرَفِ الدَّهْرِ رِ فِصْلٍ فِيهِ أَشْرَفُ الْخِلَافِ^(٤)

ومدح البحتري طاهر بن إسماعيل الهاشمي ، فبعث له بدنانير ، وكتب معها^(٥) :

لَوْ يَكُونُ الْحَبَاهُ حَسْبَ الَّذِي أَنَا لَدَيْنَا لَهُ تَحَلُّلٌ وَأَهْلٌ

لَحَيْتَ اللَّجِينَ وَالْدَّرَّ وَالْيَا قُوتَ حَنُوءٍ وَكَانَ ذَاكَ يَقِلُّ^(٦)

وَالشَّرِيفُ الظَّرِيفُ بِسَمْحٍ بِالْعُدِّ رِ إِذَا قَصَرَ الصَّدِيقُ الْمَقِيلُ^(٧)

فردّها ، وكتب إليه :

بَابِي أَنْتَ أَنْتَ لِلْبُرِّ أَهْلٌ وَالْمَسَاعِي بَعْدُ وَسَعْيُكَ قَبْلُ

وَالنَّوَالُ الْقَلِيلُ يَكْثُرُ إِنْ شَاءَ مُرْجِيكَ وَالكَثِيرُ يَقِلُّ

(١) هو عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلي ، صاحب « سر الفصاحة » شاعر ، أديب ، تولى قلعة عزاز ، من أعمال حلب ، ومات بها مسموما ، سنة ست وستين وأربعمائة ، فوات الوفيات ٢٣٣/١ ، النجوم الزاهرة ٩٦/٥ .

(٢) أبو الفرج عبد الواحد بن نصر ، والأبيات في يتيمة الدهر ٢٨٠/١ .

(٣) في يتيمة الدهر : « أطرف الأزمان » .

(٤) في يتيمة الدهر : « أشرف الإخوان » .

(٥) القصة والأبيات في ديوان البحتري ١٦٦٦/٣ ، ١٦٦٧ .

(٦) في م ، ج : « لحيت اللجين » ، والمثبت في : أ ، ب ، والديوان ، وفي أ : « حبوا وكان » ، والمثبت في سائر الأصول ، والديوان .

(٧) البيت ساقط من : أ .

غير أني رددتُ بركَ إذْ كان رباً منك والربُّ لا يحلُّ^(١)
وإذا ماجزيتَ شعراً بشعرٍ يبلغُ الحقُّ والدنانيرُ فضلُ^(٢)
ومثله قول أبي القاسم الدَّوْدِي :

ربما قصر الصديقُ المقلُّ عن حقوقِ بهنٍّ لا يستقلُّ
ولئن قلَّ نائلُ فصفاهُ في ودادٍ ونيتٍ لا يقلُّ
أزخ سترًا على حقارةِ برّى هتكُ برِّ الصديقِ ليس يحلُّ
ولنورد^(٣) هنا ربَّ الشعر ، وما قيل فيه ؛ فإن الحديثُ شجون .
وقد قال الصَّغَوْبَرِيُّ :

لستُ أستحسنُ الربَّ في سوى الـ وُدِّ فأجزى مثلاً بمثلٍ وأضعفُ^(٤)
ولما هُنا الشعراءُ ابن طاهر بولاية خراسان وأنشده تمام بن أبي تمام^(٥) :
هناك ربُّ العرشِ هنا ما من جزيلِ الملكِ أعطاكَا
قرتُ بما أُعطيتَ إذا الحجا والباسِ والإنعامِ عيناكَا
أشرفتِ الأرضُ بما نلتَهُ وأورقَ العودُ بجدواكَا
استضعفَ الحاضرون شعره ، وقالوا : ما أبعدُ^(٦) ما بينه وبين أبيه .

(١) في ١ : « أردت برك » ، وفي م : « وددت برك » .

(٢) رواية الديوان :

وإذا ما جزيتَ بالشَّعرِ شعراً يَبْلُغُ الحَقُّ فالدَّنانيرُ فضلُ

وبعد هذا في الديوان : « قال : فأضعفها لي ، وردّها لي » .

(٣) في ١ : « ولندكر » . (٤) في ١ : « في شيء سوى » .

(٥) القصة والشعر في زهر الآداب ١/ ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ويعني بابن طاهر ، طاهر ابن عبد الله ابن طاهر .

(٦) في زهر الآداب : « يا بعد » .

فأجابه بعضهم بقوله ^(١) :

حيّاك ربُّ الناسِ حيّاكا إنّ الذي أملتَ أخطاكا
مدحتَ خِذْنًا منهما ماله ولو رأى مدحا لواساكا ^(٢)
فهاك إن شئتَ بها مدحة مثل الذي أعطيتَ أعطاكَا
فقال : أعزَّ الله الأميرَ ، الشُّعْر بالشُّعْر ربّا ، فاجعل بينهما منحا من ^(٣) الدراهم ؛
حتى يحلَّ ^(٤) .

فضحك ، وقال : إن لم يكن معه شعرُ أبيه ، فعه ظرفه . وأجزل جائزته .
وقال السَّراج الورّاق ^(٥) :

وعوّضني على شعري بِشعرٍ وجازى بالُحالِ على الحالِ ^(٦)
ولستُ ألومُه فيما أتاهُ لعادته قديما بالبدالِ
وكتب دِعْبِل لأبي دُلف ، وقد انقطع عنه ^(٧) :

(١) الذي في زهر الآداب أن طاهرا سأل بعض الشعراء أن يحميه .

(٢) في زهر الآداب :

فقلتَ قولًا فيه ما زانه ولو رأى مدحا لاساكا

(٣) في زهر الآداب : « صنجا » ، تصحيف .

(٤) في زهر الآداب بعد هذا زيادة : « لي ولك » .

(٥) هو عمر بن محمد بن حسن ، شاعر مصري مكثّر ، توفي سنة خمس وتسعين وستائة . فوات

الوفيات ١٠٧/٢ - ١١١ ، النجوم الزاهرة ٨/٨٣ .

(٦) هذا البيت والذي يليه سقطا من : ب ، ج . وفي أ : « وجازاني الحال عن الحال » .

(٧) هكذا ذكر الحفاجي أن هذه القصة جرت بين دعبل ، وأبي دلف ، والمصادر الأدبية تختلف في هذا الأمر اختلافا كبيرا ، فبعضها يذكر أن هذا حدث بين عبدالله بن طاهر وبين دعبل ، وبعضها يذكر أن هذا حدث بين علي بن جبلة وأبي دلف . انظر دهبان دعبل ١٧٥ ، ١٧٦ ، ومصادر تخريج الآيات . والقصة المذكورة في طبقات الشعراء ١٧١ ، وفيها أن الشعر لعلي بن جبلة العكوك ، وفيها أبيات أبي دلف أيضا .

هَجَرْتُكَ لَمْ أَهْجُرْكَ كُفْرَانَ نِعْمَةٍ وَهَلْ يُرْتَجَى نَيْلُ الزِّيَادَةِ بِالْكَفْرِ^(١)
 وَلَسَكُنِّي لِمَا أَتَيْتُكَ زَائِرًا فَأَفْرَطْتَ فِي بَرٍّ عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
 فَإِنْ زِدْتَنِي بَرًّا تَزَايَدْتُ جَفْوَةً فَلَا تَلْتَقِ طَوْلَ الْحَيَاةِ إِلَى الْحَشْرِ^(٢)
 فَوَجَّهْ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، مَعَ رُقْعَةٍ فِيهَا :
 أَلَا رَبُّ ضَيْفٍ زَائِرٍ قَدْ بَسَطَتْهُ وَآثَرَتْهُ قَبْلَ الضِّيَافَةِ بِالْبَشْرِ^(٣)
 أَتَانِي بِتَرْحِيبٍ فَمَا حَالُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ الْقَرَى وَالْبَشْرِ مِنْ نَائِلٍ نَزَرِ^(٤)
 رَأَيْتُ لَهُ فَضْلًا عَلَى بَقْعَةٍ مِنْهُ إِلَى أَنْ يَرَانِي مَوْضِعَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ^(٥)
 فَزَوَّدْتُهُ مَالًا يَقِلُّ بِقَاوِهِ وَزَوَّدَنِي خَدًّا يَدُومُ عَلَى الدَّهْرِ^(٦)
 فَرَدَّ دِعْبِلَ الْأَلْفِ ، وَقَالَ : الشُّعْرُ بِالشُّعْرِ ، وَالْبَرُّ رِبًّا .
 وَمِثْلُ قَوْلِ دِعْبِلَ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيَّ^(٧) :

(١) في الديوان وطبقات الشعراء : « هَجَرْتُكَ لَمْ أَهْجُرْكَ مِنْ كُفْرِ نِعْمَةٍ » .

(٢) في الديوان :

فَإِنْ زِدْتَنِي فِي بَرٍّ تَزَايَدْتُ جَفْوَةً وَلَمْ تَلْقَنِي حَتَّى الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ
 وفي طبقات الشعراء : « تَزِيدْتُ جَفْوَةً » ، ورواية نثر النظم ٥٩ توافق رواية الرِّيحَانَةِ ، وفيه :
 « فَا تَلْتَقِ » .

(٣) في طبقات الشعراء : « ضَيْفٌ طَارِقٌ ... وَأَنْتَ قَبْلَ الضِّيَافَةِ » .

(٤) في طبقات الشعراء :

أَتَانِي بِرَجْبِي فَمَا حَالُ دُونِهِ وَدُونِ الْقَرَى وَالْعُرْفِ مِنْ نَائِلِي سِتْرِي
 (٥) مكان هذا في طبقات الشعراء :

فَلَمْ أَعُدْ أَنْ أَدْنِيَهُ وَأَبْتَدَأْتُهُ بِبَشْرِ وَإِكْرَامٍ وَبِرٍّ عَلَى بَرٍّ

(٦) في طبقات الشعراء :

وَزَوَّدْتُهُ مَالًا بِرَجْبِي نَفَادُهُ وَزَوَّدَنِي مَدْحًا يُقِيمُ عَلَى الدَّهْرِ

(٧) شرح التنوير على سقط الزند ٤٠/١ ، وشروح سقط الزند ١٢٠/١ .

لو اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ فَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصَرِ^(١)
وَكُنْتُ كَتَبْتُ لِبَعْضِ النَّاسِ شِعْرًا فَأَجَابَ عَنْهُ بِشِعْرِ فَكَتَبْتُ لَهُ :

فَدَيْتُكَ قَدْ بَعَثْتُ الشَّعْرَ دُرًّا نَفِيسًا عِقْدُهُ مِنْ الرِّقَابِ
فَجِئْتُ بِمَنْلِهِ مِنْ غَيْرِ وَزَنِ يُعَفِّرُ فِي الْوُجُوهِ وَلَا يُحَايِ
عَمِلْتَ بِسُنَّةِ الْخُنَّارِ لَمَّا مَفَنَنْتَ بِهِ مَرِيعًا فِي جَوَابِي
وَقُلْتَ بِلَارِبَا وَفَيْتُ مَذْحَا بِمَدْحِ مَنْكَ صَرَنْتَ بِهِ تَرَابِي



(١) في التنوير والشروح الأخرى : « والعذب يهجر » .

٦٤

أخوه على العصامي*

كعبة المعالي ، ومن به حال الكمال حالي .
لا عيب فيه إلا أن لفظه عطّل الياقوت والدثر ، ولا عيب في نداءه إلا أنه يستعبد
كلّ حرّ .

فهو غرّة أجمال ، وصورة الكمال .
إذا نطق فما الروض زاره الحيا ، وإذا تهلّل فما النهر حيّاه برق السما .
ولعمري إن جدّه ، أسعد الله بجمع شمل الفضائل جدّه .
نفس عصام سودّت عصاماً وعلمته الكرّ والإقداماً^(١)
وهذا الحفيد عقد المناصب به نضيد .

لم يفتخر بأبائه ، ولم يبتهج بنضارة أضله ونمائه ، لما اعتصم بعروة الفضل
الوثقى ، وصعد إلى ربوة المجد وترقى ، وقال أنا عصامي لا عظامي ، وإن كنت
لذمار مآثرى حامى .

فألف وصنف ، ونوع قرى الأنماع وأنحف .

(*) على بن إسماعيل صدر الدين بن إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الإسفرايينى ، الشافعى ، العصامى .
تولى قضاء الشافعية بمكة .

وله حاشية على « شرح الاستعارات » لجده العصام .

توفى بمكة ، سنة سبع بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ٩٠ ب ، خلاصة الأثر ١٤٧/٣ .

(١) البيت للناطقة الديباني ، وعصام هو : عصام بن شهر الجرمى ، حاجب النعمان . انظر الأغاني ١١/١٢ .

وأفاد الطالب ، وحلّ بأُسنان قلمه عُقدَ المُشكلات الصّعاب .
وأقام في جوار بيتِ الله وِحمّاه ، معتزلاً عن الناس ولا بدّنع أن يعترزل جوار الله .
وكان ممّن وريّ به زنادي ، ورويّ من ورده فؤادي .
وسعّرت بالاستفادة منه ^(١) ناري ، وفكّ من ^(٢) رِبقة الجهل بفضلِه إساري .
ولم يزل يُرسل إلى وفود أخباره ، ويهدي نسيم نجدٍ إلى نفحاتِ آثاره .
إلى أن صمّ الخبر ، وعيَّ قائدُ الأثر .
وبيني وبينه مكنابات .

منها ، ما كتبته إليه مع سَمَك :
مولاي أطل الله بقاءك ، ورفعت على هام السّماك .
أنهى إليك ، فائراً للآلئ المعذرة بين يديك ، أني زرتُ البحر أخاك ، ويدّ الرّجاء
مدّت لما بهتت عيونُ الشّبّاك .

فأهدى إلى من السرّة ، ما كدتُ معه أضطاد حوت السّماك بشباك الجرّة .
وأرسل لزيارتي أواجهه ، فأنساني الدهر وخطبه فلا أدري أعرّض عني
أم واجهه .

وأهدى إلى حيثاناً كأنها خفاجر ، قطعت من الجوع الغلاصم ^(٣) والخصر .
فصيرّ جيداً أمالي حالياً ، وأذكرني وما كنت ناسياً ، بحر عطاياك ^(٤) وهو أكبر ،
ولكنّ الشيء بالشيء يُذكر .

(٢) ساقط من : م ، وهو في : ا ، ب ، ج .

(٢) في م : د عن « ، » ، والثبت في : ا ، ب ، ج .

(٣) الفلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، وانظر بقية المعاني في القاموس (غ ل س م) .

(٤) في ج ، : « عطائك » .

فأرسلتُ وإن كنتُ كمنَ أهدى للجنانَ غصَّ الزَّهرِ ، وأرسل الشَّمعَ للشمسِ
والتمرَّ لهجرَ :

أرسلتُ أنما كآ إلى مَنْ مجذؤه حلَّ الفلكَ
أرايتَ قبلي مُهْدِيَا أهدى إلى البحرِ السمكَ
وذكر مرَّةً في درسه قولَ الرئيس ابن سينا في بعض كتبه حديث : إنَّ الحكمةَ
لتنزلُ مِنَ السَّمَاءِ فلا تدخُلُ قلبًا فيه همُّ الغدِ .
فقلتُ : إنه لم يُسنده ، وهو بكلام النبوة أشبه .
وقد نظمته ، فقلتُ^(١) .

مَنْ يترك الدُّنيا يسدُّ أهلها ويقتطف زهرتها باليدِ^(٢)
لا تسكنُ التقوى ولا حكمةً منزلَ قلبٍ فيه همُّ الغدِ
وللإمام الشافعي^(٣) رضى الله عنه قريبٌ منه :

كم ضاحكٍ والمنايا فوق هامته لو كان يعلم غيباً مات من كمدِ
مَنْ كان لم يؤتَ علماً في بقاء غدٍ ماذا تفكرُهُ في رزقٍ بعد غدِ

(١) خلاصة الأثر ١٤٨/٣ .

(٢) في ١ ، ب : « يقد أهلها » ، والنبت في ج ، م ، وخلاصة الأثر .

(٣) خلاصة الأثر ١٤٨/٣ .

٦٥

أحمد المدنّي ، المعروف باليَتِيم ، مصفراً

دُرِّي في حِقَاقِ الدهر يَتِيم ، ودَوْحَةُ أدبٍ هزَّها مُرورُ النسيم .
بِعَذْبِ طَبْعٍ مُسَلَّسَل ، وبُرْدِ فصاحةٍ على الشَّعر مُهْلَهْل ، إذا نَسَجَ حُلَمَه على
مِنَوَالها فهو من الطَّرَازِ الأوَّل .

فهو تَوَّءَم نسيم السَّحَر ، وشقيقُ الماء والزَّهر .
وربيبُ الحسن سَقَاهُ ماء الصَّبَا ، وخِذْنُ الحمايِلِ قَدِمَ عليها رسولُ الصَّبَا .
مع خِلاعةٍ ومَجُون ، وحديثِ صَبَابَةٍ كلُّها شَجُون .
في فتيةٍ يَنْظِمُهُم الطَّرَب ، نظمًا يَرْقُصُ له الحَبَب :
لا يُجْمِعُونَ على غير الحرام إذا تَجَمَّعُوا كحَبَابِ الرَّاحِ وانتَظَمُوا
فمن دُرِّه اليَتِيم ، وعِقدُه النِّظِيم :

للهِ مُحْكَم قهوةٍ تُجَلِّي لنا في أبيضِ الصَّيْنِ طابِ ثَرابِها
فكائنًا هي مُقَلَّةٌ مكحولةٌ ودُخانُها مِن فوقها أَهدابُها

ونحوه ماقلته :

زرتُ روضَ الحى الأريضِ سُحَيْرًا إذ دَعَانِي إليه سَجْعُ الطَّيِّورِ
وكانَ الشَّقِيقَ تحتِ ضَبَابٍ بِحَمَرٍ فوقه بُخَارُ البُخُورِ
وقد مرَّ قريبا نحوهُ (١) .



٦٦

سراج الدين بن عمر الأشهل المدنيّ

سِرَاجٌ وَهَّاجٌ أَشْرَقَتْ مِنْهُ أَنْوَارُ الْفَصَاحَةِ ، وَانْجَلَتْ أَبْكَارُ أَفْكَارِهِ فِي حُلُلِ الْمَلَاةِ .

حَدِيقَةُ سِجَرٍ ، وَحُقَّةُ شِجَرٍ^(١) .

تَقَطَّرُ مِنْهُ مِيَاهُ اللَّطْفِ الْجَارِيَةِ ، وَتَجْرِي بِرِقَّةِ الْحِجَازِ وَظَرْفِ الْعِرَاقِ وَجَزَالَةِ الْبَادِيَةِ .

وَلَمْ يَزَلْ مَقِيماً بِجَوَارِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ أَشْرَفُ تَحِيَّةٍ ، حَتَّى أَطْفَأَ سِرَاجَهُ صَرَصَرُ الْمَنِيَّةِ .
فَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

أَرْسَلْتُ رُسُلِي لِقَهْوَةِ سَجَرَا فَمَا أَتَوْا سُرْعَةً مِنَ الْكَسَلِ
فَقِيلَ صِفْهَا فَقُلْتُ مُقْتَبِسًا جَاءَتْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ
وَلَهُ أَيْضًا :

مَا الْحَالُ قَالُوا صِفْ لَنَا فَلَمَلَّ مَا بَكَ أَنْ يُزَاحَ
فَأَجِبْتُ مَا يَخْفَاكُمْ حَالُ السَّرَاجِ مَعَ الرِّيحِ
وَقَدْ سَبَقَهُ لِمَثَلِهِ^(٢) ، فِي كَثِيرٍ مِنْ شَعْرِهِ السَّرَاجُ الْوَرَّاقُ .
فَمِنْ مُحَاسِنِهِ قَوْلُهُ^(٣) :

بُنِيَ اقْتِدَى بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ فَزِدْتُ سُورُواً وَزَادَ ابْتِهَاجًا^(٤)

(١) إشارة إلى العنبر الشجري ، المنسوب إلى الشجر ، وهو صقع على ساحل بحر الهند . انظر معجم البلدان ٢٦٣/٣ .

(٢) ساقط من : ١ .

(٣) البيتان في فوات الوفيات ١٠٨/٢ .

(٤) عجز هذا البيت في الفوات : « وراح أبرى سعيا وراجا » .

فَمَا قَالَ لِي أَفٌّ فِي غَمْرِهِ لِيَكُونِي أَبَا وَلَكُونِي سِرَاجًا^(١)

وله أيضا^(٢) :

إِلَهِيَّ قَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَشُكْرًا لِنِعْمَتِكَ الَّتِي لَيْسَ تُكْفَرُ^(٣)
وَعَمَّرْتُ فِي الْإِسْلَامِ فَازْدَدْتُ بِهِجَّةً وَنُورًا كَذَا يَبْدُو السِّرَاجُ الْمَعْمَرُ
وَعَمَّمَ نَوْرُ الشَّيْبِ رَأْيِي فَسَرَّيْنِي وَمَا سَاءَنِي أَنْ السِّرَاجَ مُنَوَّرُ
وَلِلْسِرَاجِ الْوَرَّاقِ أَيْضًا^(٤) :

كَمْ قَطَعَ الْجُودُ مِنْ لِسَانٍ قَلَدَ مِنْ نَظْمِهِ النُّحُورَا
فَهَا أَنَا شَاعِرُ سِرَاجٍ فَاقْطَعْ لِسَانِي أَرِذْكَ نُورَا
وَلِلشُعْرَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ كَثِيرُ أَشْعَارٍ ، تَعَلَّقَ بِأَمْمَائِهِمْ ، وَقَدْ نَحَوْتُ نَحْوَهُمْ لَمَّا قُلْتُ :
قَالُوا نَرَاكَ سَقَطْتَ مِنْ رُتَبٍ أَتَرَى الزَّمَانَ بِمَثَلِ ذَا غَلِطَا
قُلْتُ الشَّيَاطِينُ اللَّثَامُ عَلَوْا وَلِذَا الشَّهَابُ مِنَ الْعُلَا سَقَطَا



(١) في فوات الوفيات : « فَمَا قَالَ لِي أَفٌّ مَذْكَانَ لِي » .

(٢) سقطت هذه الأبيات ، للسراج الوراق من : ا ، ب ، ج . وهي في : م ، وفوات الوفيات ١٠٨/٢ .

(٣) في الفوات : « سَتَيْنِ حِجَّة » .

(٤) سقط هذان البيتان أيضا للسراج الوراق من : ا ، ب ، ج ، وها في : م ، وفوات الوفيات ١٠٨/٢ .

٦٨، ٦٧

عبد الرحمن ، وعلى ابنا كثير المكيان*

أديبان هما في وجه الكمال غرّة ، وجوادان سماه كرمهما للعافين قرّة .

امتطيا ظهر المجد ، ونزلا بطن تهامة وظهر نجد .

بهمة إذا غزتها النوائب ، كانت عن حدّ المرهفات نوائب .

التجّاف في الدولة الحسنية إلى طراز الدّول ، وأويا لها حيث لا عاصم من طوفان
الخطوب إلّا ذلك الجبل .

فأصبحت يد الجود لأسباب الغنى رابطة ، ونظمت عقود الكرم في جيد

أملهما^(١) بلا واسطة ، ففي تلك الأكتاف بحار تفرق فيها الآمال ، ويرشح من عرق
الجبل لها جبين السحاب المطال .

من كل من مسحت راحة إحسانه ، قدّى الفقر عن عين زمانه .

فنادى لسان العيان ، قد وضح الصّبح لمن له عينان .

فما أنشد لعبد الرحمن قوله :

كبار زماننا أضحوّا صغاراً وقد غضب الزمان على الكبار
كان زماننا من قوم لوط له ولع بقديم الصغار

(*) ترجمهما الشهاب الحفاجي أيضا ، في خبايا الزوايا لوحة ٩٢ ب .

(١) في ب ، م ، « أملها » ، والمثبت في : ا ، ج .

وفي معناه ^(١) قول المعمار :

أَبْرَى مُغْرَى بِالْأَوَاطِ الَّذِي يَقْبَحُ لَاسِيًّا عَلَى مَثَلِهِ
أَوْقَفَ حَالِي لَا تَسْلُ مَا جَرَى وَصَرْتُ خَلْفَ النَّاسِ مِنْ أَجَلِهِ ^(٢)

وقلت :

وَزَمَانٌ فِيهِ الصَّغِيرُ يُقَدِّمُ أَتْرَاهُ لَذَلِكَ الذَّنْبِ يَنْدَمُ ^(٣)
لَعَنَ اللَّهُ قَوْمَ لُوطٍ فَهُمْ قَدْ عَالَمُوهُ التَّقْدِيمَ حَتَّى تَقْدَمُ
وَقُلْتُ أَيْضًا ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا تَقْدَمُ :
أَقُولُ لِهَذَا الدَّهْرِ عَقَبًا عَلَى مَ لَا تَقْدَمُ مَنْ قَدْ قَدَّمَتْهُ الْوَرَى حَقًا
فَهُمْ بِتَقْدِيمِ الْمَقْدَمِ تَوْبَةً فَكَانَ الَّذِي قَدْ رَامَ تَقْدِيمَهُ عِلْقًا

وعما أنشدته لعلّ بن كثير قوله :

صَحِبْتُ الْأَنَامَ فَأَلْفَيْتُهُمْ وَكُلُّ يَمِيلُ إِلَى شَهْوَتِهِ
وَكُلُّ يُرِيدُ رِضَى نَفْسِهِ وَيَجْلِبُ نَارًا إِلَى بُرْمَتِهِ
فَلِلَّهِ دَرٌّ فَتَى عَارِفٍ يُدَارِي الزَّمَانَ عَلَى فِطْنَتِهِ
يُجَازِي الصَّدِيقَ بِإِحْسَانِهِ وَيُبْقِي الْعَدُوَّ إِلَى قُدْرَتِهِ
وَيَلْبَسُ لِلدَّهْرِ أَثْوَابَهُ وَيَرْقُصُ لِلْقِرْدِ فِي دَوْلَتِهِ

وقوله : « يجلب ناراً إلى برمته » البرمة : قدر من حجارة ، بلغة أهل مكة .

(١) في أ ، ب ، ج : « المعمار » ، والثبت في م .

وهو : أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الأسدي البغدادي ، جلال الدين ، كاتب ، شاعر ، أديب ، فيلسوف .
توفي بالحلة ، سنة اثنتين وأربعين وسبعائة .

الأعلام ، للزركلي ٤ / ١٩٨ .

(٢) في أ : « فلا تسل » .

(٣) في م : « فيه الصغير تقدم » ، والثبت في : أ ، ب ، ج .

هذا المثل كقولهم في مثل آخر : « كلٌّ يَحِطُّبُ في حَبْلِهِ ، ويجرُّ النارَ لِقُرْصِهِ » ^(١) أي رغيغفه .

وما أحسن ^(٢) قوله أيضا ^(٣) :

ويوم قرَّ زاد أزياحُـه يَخْمِسُ الأبدانَ من قرْصِها ^(٣)
يومٌ توذُّ الشمسُ من برِّده لو جرَّت النارَ إلى قرْصِها
وفي ^(٤) معنى قوله : « ويرقص للقرد » إلخ ، قولُ الأهوازي ^(٥) :
قُلْ لمن لَامَ لا تَلْمِني كلُّ امرئٍ عالمٌ بِشأنه
لا ذنبَ فيما فعلتُ إني رقصتُ للقرْدِ في زمانه
من كَرَمِ النفسِ أن تراها تحتَمِلُ الذِّلَّ في أوَانِه
ولأبي تمام ^(٦) :

لا بدَّ يانفسُ من سُجودٍ في زَمَنِ القِرْدِ للُقُودِ

وتقدّم الصغار دالا قديم، بمن ابتلى به الثعالبى ، وقد اشتكاه بقوله ، في قصيدة له :

لكَ الدنيا وما فيها بلادٌ تلاحظُها بعَيْنُكَ احتِقاراً ^(٧)
تَكَبَّرَ ذا الزَّمانُ على بَنيهِ فِعْشٌ حَتَّى تَمَلَّه الصَّغارُ
وصار صِغارُهُم فيه كِباراً فَدُمَ حَتَّى تَرَدَّهُمُ صِغارُ
خدمتُ لكَ الملوكةَ أَرُوضُ نَفْسِي لَأَمَنَ تَحْتَ خِدْمَتِكَ العِثارُ
ولو كانتَ لنا الدنيا جَعَلْنَا لكَ الدنيا وما فيها نِثاراً



(١) في م : « إلى قرصه » ، والثبت في : ا ، ب ، ج .

(٢) في م : « قول الآخر » ، وسقطت كلمة « الآخر » من : ا ، وفي ج : « قوله » ، والثبت في : ب .

(٣) في م : « زاد أرواحه » ، والثبت في : ا ، ب ، ج .

(٤) من هنا إلى نهاية بيت أبي تمام الآتي ساقط من : ا ، ب ، ج .

(٥) في الأصول : « الأهوازي » .

(٦) ليس في ديوانه . (٧) في ا ، ب ، ج : « ومن فيها بلاد »

٦٩

محمد بن أبي الخير ابن العلامة ابن حَجَر الهَيْتَمِيّ ،

الْمَكِّيُّ مَنْشَأُ وَمَوْطِنَا *

بليغٌ عَذْبُ الْبَيَانِ ، نَجِيبٌ سَبْطُ الْبَفَانِ ، طَوِيلُ النَّجَادِ وَسَيْفُ الْأَسَانِ .

رَأَيْتُهُ وَأَنَا بِالْحِجَازِ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّكَالِ حِجَازُ .

وَأَنْشَدَنِي لَهُ شِعْرًا مِنْ خَيْرِ الْأُمُورِ ، وَقَدْ يَقَعُ مَا يَحُلُو طَيْفَ الشُّرُورِ .

إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَهُ فِي الْأَهَاجِي ، وَمِنْهُ مَا هُوَ فِي الْمُعْتِمَاتِ وَالْأَحَاجِي .

فَمَا أَنْشَدَنِي لَهُ قَوْلُهُ :

يَا ذَا الَّذِي مِنْ خَالِهِ حَبِيسَةٌ سَوْدَاءُ فِي الْخَلْدِ الشَّدِيدِ الصَّفَا^(١)

دَعْنِي أَقْبِلْهَا تُزِيلُ الضَّنَى فَالْحَبِيسَةُ السَّوْدَاءُ فِيهَا الشَّفَا

وله في مליح اسمه على :

لِعَلِّي مُحَاسِنٌ مَا لَهَا قَطُّ مُشْبِهٌ

وَبِشَامَاتٍ خَدَّهُ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ^(٢)

والدعاء بـ « كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ » مَخْتَصٌّ بِالْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣)

فِي لِسَانِ النَّاسِ ؛ لِأَنَّهُ أَسْلَمَ صَدِيقًا ، وَلَمْ يَسْجُدْ لغيرِ اللَّهِ ، وَقَدْ رَوَى الشَّيْخَةُ فِيهِ أَثْرًا ،

وَهُوَ أَنَّ أُمَّهُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ ، كَانَتْ إِذَا جَاءَتْ لَصَنَمٍ أَحْسَتْ بِتَحْوِيلِ

وَجْهِهِ عَنْهُ^(٤) فِي بَطْنِهَا .

وَلَمْ نَرْ فِيهِ نَقْلًا لغيرِهِمْ . انْتَهَى .



(*) ترجمه الشهاب الحفاجي أيضا ، في خبايا الزوايا لوحة ٩٣ ب ، وفي ا ، ب : « موطنا ومنشا » ،

وفي ج : « مولدا ومنشأ » .

(١) في م : « في خاله » ، والثبت في : ا ، ب ، ج .

(٢) في م : « وبشامات خده » ، والثبت في : ا ، ب ، ج .

(٣) بعد هذا في ا زيادة : « وكرم الله وجهه » .

(٤) ساقط من : ا .

٧٠

العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي *

نزيل مكة ، شرفها الله

علامة الدّهر خصوصا الحجاز ، فإذا نُشِرتْ حُللَ الفضل فهو طراز الطراز .
فكم حُبَّتْ وفودُ الفضلاء لكعبته ، وتوجّهتْ وجوهُ الطّلب إلى قبيلته .
إن حدث عن الفقه والحديث ، لم تتقرّط الأذان بمنزل أخباره في
القديم والحديث .

فهو العلّيام والسّنَد ، ومن تفكّ سهامُ أفكارِه الزّرد .
تأليفه غررٌ مُنِيرات ، أضاءتْ في وجوه دُهمِ المشكلات .
١) فكم أغنى بِتُحَفِ أفكارِه (٢) مُحتاجا ، وأوضح للإرشاد منهاجا (١) .

(*) أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حجر ، الهيتمي ، السعدي ، الأنصاري .
ولد سنة تسع وتسعمائة ، في محلة أبي الهيثم ، من إقليم الغريبة ، بمصر .
ودرس بالجامع الأحمدي ، بطنطا ، وبالجامع الأزهر ، بالقاهرة .
وأُذن له بالإفتاء والتدريس ، وعمره دون العشرين .
برع في علوم كثيرة ، من التفسير ، والحديث ، والفقه ، وعلوم العربية ، والتصوف .
وحج ثلاث مرات ، وفي الأخيرة أقام بمكة بعياله ، يدرس ، ويفتي ، ويؤلف ؛ حتى توفى سنة
ثلاث وسبعين وتسعمائة .

خبايا الزوايا لوحة ٩٥ ب ، وفيها أنه والد المار ، ديوان الإسلام لوحة ١٣٤ ، شذرات الذهب
٨/٣٧٠ ، النور السافر ٢٨٧ .

(١) ساقط من : ١ ، ب .

(٢) في ج : « جواهره » .

« وكفَّ الْمُتَبَدِّعَةُ » بالصَّوَاعِقِ^(٢) و « الزَّوْاجِرُ »^(٣) ، وفاق بأقواله المعتمدة الأول والآخِر^(١) .

وُلُود اللَّيَالِي عَنْ مِثْلِهِ عَقِيمٌ ، وَدِرِّيَاقُ نَفَثَاتِ طَبْعِهِ السَّلَامِ شِفَاءُ كُلِّ سَقِيمٍ .
نُشِرَتْ عَلَى الدُّنْيَا خِلْعُ الْفَرَّاحِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِبَدِيعِ صِفَاتِهِ الْمَدَحِ .
أَقْلَامُ فَتَاوَاهُ مَفَاتِيحُ مَا أُرْتِجَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُسْكَلَةِ ، وَالْعِلْمُ بَابٌ مُقْفَلٌ^(٤) مَفْتَاخُهُ^(٥) الْمَسْأَلَةُ .

وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ مُشَايِخِ الْوَدِيِّ ، الَّذِي وَرِثْتُ مِنْ^(٦) عَلَيْهِ طَرِيقِي^(٦) وَتَالِدِي .
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .



(١) زيادة من : ج على ما في سائر الأصول .

(٢) يشير إلى كتابه : « الصَّوَاعِقُ الْمَحْرَقَةُ » ، عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ وَالزُّنْدَقَةِ » .

(٣) يشير إلى كتابه : « الزَّوْاجِرُ عَنْ اقْتِرَافِ الْمَكْبَاهِرِ » .

(٤) في م : « مغلَق » ، وَالثَّبُوتُ فِي : أ ، ب ، ج .

(٥) في أ : « مَفَاتِيحُهُ » .

(٦) في م : « عِلْمُهُ طَارِقِي » ، وَالثَّبُوتُ فِي : أ ، ب ، ج .

٧١

علاء الدين بن عبد الباقي *

صاحب كغاب « الطراز المنقوش ، في محاسن الحبوش » .
رأيتُه فرأيت منه عَذْبَ بيانٍ بديع ، في صورة أديبٍ خليع .
ورأيت كتابه هذا وهو في وجهٍ أدبه شامة ، وعَيْنًا في مُحْيَا عمره نظر به
الدهرَ وشامه .

وله ربيعُ أدبٍ ورقيق ، وسُلافةُ خلاعةٍ نقلها قَبْلُ ورقيق .
وأنشدني من شعره ، طرفًا لم يتعطر كتابي بنشره .
وكتاب ابن الجوزي في معناه ، فاح من مسكٍ مداده عَرَفُ طيبه وشذاه :
مُصَوِّرٌ مِنْ حَادِقِ الْحَسَنِ مُرَكَّبٌ مِنْ مُلَحِّ الْخِيَلِ
كَأَنَّهُ فِي نَظَرِ الزَّمَانِ إِنْسَانٌ عَيْنِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ



(*) ترجمه الحفاجي أيضا ، في خبايا الزوايا لوحة ١٩٦ . وذكر حاجي خليفة ، في كشف الظنون ١١٠٩/٢ ، كما ذكر كتابه ، فقال : « الطراز المنقوش في محاسن الحبوش ، لأبي المعالي علاء الدين محمد ابن عبد الباقي البخاري المكي ، ألفه سنة ٩٩١ هـ » .

٧٢

القاضي حسين المالكي المكي*

سما سحاب الكرم ، وصائد قنص المعالي في حي الحرم .
إذا نشرت صف نداء طوى ذكر حاتم طي ، أو رفعت رايات علاه فليس
غير الشؤدد في (١) .

أو ذكر الكرام فهم له خدم ، أو أينعت رياض مبحرة دارت أنهار جوده
حولها خدم .

ذو همة نظمت راحتها عقد الكرام ، وبددت مانجمع من خطوب الأيام .
بطبع الذ من محادثة الحبيب ، وأعذب من مفاكهة الصديق الأريب .
وغرة أشهر من مثل ، وعن الملوك فلا تسأل .
شريف النسب ، سري الحسب .

إذا أخصبت بماء الندى عذباته الخضر ، أجذبت ساحته من الحمر والصففر .
إن قال يا عنبر جاء الشذا أو قال يا قوت جاء الذهب (٢)
يشرق نور النبوة من بارق أسرته ، وتطلع بدور الهدى من هالة أسرته .
ثم لم تزل الشعود في خدمته قائمة ، وعيون النوائب عن معاليه نائمة .

(*) ترجمه المفاجي أيضا ، في خبايا الزوايا لوحة ١٩٦ ، ونعته : « قاضي القضاة » .

(١) يريد « النى » ، وهو الغنيمة .

(٢) في ١ ، ج : « إن قال يا عنبر جاء الندى » ، وفي ب : « جاء الفدا » .

راقياً من مطالع الكمال أوجها^(١)، بمحياً يفيض سماء من بدور التّم أوجها .
إلى أن تولّى قضاء طيّبة الطيّبة^(٢)، وأمست خيام سَعْدِهِ على هامِ
الفلك مُطَنِّبة .

قَبْداً محاقُ بدره ، وخُتِمتْ بيد القضاء صُحفُ عُمره .
ويقال : إنه هبّت عليه شُعبُ بعواصفِ السّوم ، وجرّعه ساقى أجله
كأسِ السّوم .

وكان في شَرخِ شِدْبِيَّتِهِ ، وإقبالِ رايةِ طليعَتِهِ ، في خُمولٍ يرى الدهرَ الصّبرَ كيف
يكون ، ويمرّزُ وأخطوب عليه تهوّن .

همُّ الفتى في الأرضِ أغصانُ الغنى أبداً وليست كلَّ حينٍ تُورقُ



(١) الأوج : العلو .

(٢) ساقط من : ١ .

٧٣

شيخنا العلامة علي بن جَار الله الْمَسْكِيّ ، الحَنْفِيّ ، الخطيب ،

مفتي الحرمين الشريفين *

خطيبٌ مُصَقِّع ، لفظه بالفصاحةِ مُوشَّى مُوشَع .
إذا انحدر من تلعتِه ماء بلاغته ، وسال ببطحاء أم القرى سَلْسَال براعتِه ، شهد
بفضله الناسُ من فاجرٍ وبرٍّ ^(١) ، وكاد ^(٢) يخضرُّ تحته أعوادُ كل منبر .
فتمتزُّ أعـــــــــــــــــوادُ المنابرِ باسمِه فهل ذكرتْ أيامها وهي أغصانُ ^(٣)
فطر الحافل طيباً ، فلا ندرى أضنَّح طيباً أم ضمَّ خطيباً .
رأيتُه وقد طعن في السنِّ وليس له غير العصا قنّاً ، وقد رقي شرف السبعين
وهي سُلَّمُ القفا .
وهو ينشرُ في ناديه حَبَرَ الربيع الأنيث ، وترفع له الفتاوى في عصره
وأسانيدُ الحديث .

ووردتُ منهلَ إفادته رائقاً ، وأخذتُ من إجازاته ماصرتُ به على الأقران فائقاً .
وهو في مذهب النعمان لشيخنا المقدسي ^(٤) شقيق ، وأم القرى لم تلد مثله
من نجيب عريق .



(*) علي بن جَار الله بن محمد ، القرشي ، الخزومي ، الظهري ، الحنفي ، الشهير بابن ظهيرة .

كان المفتي والخطيب بالحرم المكي .

وكان مشغلاً بالعلم ، منصرفاً لآليه .

ألف وأفاد ، وله ديوان شعر .

وكان بصره في آخر عمره ، توفي سنة عشر بعد الألف ، وقد جاوز التسعين .

خبايا الزوايا لوحة ٩٦ ب ، خلاصة الأثر ١٥٠/٣ .

(١) في ب ، م : « ومن بر » ، والمثبت في : أ ، ج .

(٢) في أ ، ب ، ج زيادة : « أن » .

(٣) تقديم في صفحة ٤٠٠ .

(٤) يعني نور الدين علي بن محمد بن علي الخزرجي المقدسي ، من أكابر الحنفية في عصره ، وسير ترجمه

الحفاجي في قسم مصر .

٧٤

على الكيزواني المغربي*

نزيل مكة المشرفة

صوفي أقام بمكة لابسا برّداً التقى ، حتى أحرمَ وتجرّد من لباس البقا .
وله شعر على طريقة أرباب الحقيقة .
كقوله :

رقّ الشرابُ ورقتِ الكاساتُ وتشابهها فاضأتِ المشكاةُ^(١)
اشربْ هنيئاً إن فهمتَ حديثنا أنتَ الكلمُ وذاتك الميقاتُ
وهو كقول الصّاحب^(٢) ابن عبّاد^(٣) :
رقّ الزجاجُ وراقتِ الخمرُ وتشابهافتشا كلّ الأمرُ^(٤)
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

(*) أبو الحسن على بن أحمد بن محمد ، الكيزواني ، الحموي ، الصوفي .
وهو منسوب إلى كازوا ، فقياس النسبة إليه كازواني ، لكن اشتهر بالكيزواني ، وكان يقول :
أنا السكي زواني .

ولد تقريباً سنة ثمان وثمانين وثمانمائة .
وتوجه بحبه الشيخ علوان الحموي إلى بروسيا ، من بلاد الروم ، ودخل حلب ، فاجتمع عليه خلق
كثير ، ثم دخل دمشق .

توفي بين مكة والطائف ، سنة خمس وخمسين وتسعمائة .
خبيا الزوايا لوحة ١٩٧ ، وفيه أنه حريد المقرئ ، ديوان الإسلام لوحة ١٧١ ، شذرات الذهب
٣٠٧/٨ ، طبقات الشعراء ١٨٠/٢ ، وهو فيه : « على الكازروني » .

(١) في ج ، م : « وراقت الكاسات » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٢) ساقط من : ا ، ب ، ج .

(٣) ديوانه ١٧٦ .

(٤) في الديوان : « ورقّت الخمر » .

٧٥

معين الدين بن البكاء *

نزِيل مَكَّة المَكْرَمَة المَعُظْمَة ، شَرَّفَهَا اللهُ

نَدِيمٌ دَمِثُ الْأَخْلَاقِ ، مُتَوَشِّحٌ بِرُودٍ لُطْفُ حَوَاشِيهَا رِقَاقُ .

فَهُوَ لِلْأَدْبَاءِ صَدْرٌ ، وَنَادِيهِ مِثْلُهُ وَاسِعُ الصَّدْرِ .

نَبَتَتْ دَوْحَتُهُ فِي رِيَاضِ الْحَسَبِ ^(١) ، فَاجْتَنَى مِنْهَا زَهْرَةَ الْحَيَاةِ وَفَوَاكِهِ الْأَدَبِ .

وَلَهُ مِنْ طَيْبِ الْأَنْفَاسِ ، مَا تَسْكُرُ مِنْهُ ^(٢) الْحَمِيَّاءُ وَالْكَاسُ ، مِمَّا هُوَ أَحْلَى مِنْ ثَمَرَاتِ

الْأَمَانِيِّ غِيبٍ مَرَارَةِ الْيَاسِ .

وَهُوَ مِمَّنْ سَاجَلَتْهُ وَأَنَا لِلْأَدَبِ مُمْتَنِحٌ ^(٣) ، وَنَادَمْتُهُ وَالْعَمْرُ مُورِقٌ بِالسَّرَةِ

مُشْمَرٌ بِالْفَجَاحِ .

لِيَالِي أَعْطَيْتُ الْبَطَالََةَ مِقْوَدِي تَمَرُّ اللَّيَالِي وَالشُّهُورُ وَلَا أُدْرِي

(*) معين الدين بن أحمد ، البلخي ، المصري ، ابن البكاء .

نزِيل مَكَّة المشْرِفَة .

أديب فاضل .

قدم من مصر إلى مكة سنة ثمانين وتسعمائة ، صجبة الركب المصري ، ثم أقام بها في ظلال بني حسن ، وكانت له خصوصية بالشريف مسعود .

توفي بالمدينة المنورة ، سنة أربعين وألف ، عن سن عالية .

خبايا الزوايا لوجه ١٣٩ ب ، خلاصة الأثر ٤/٤٠٦ ، ديوان الإسلام لوجه ١٢٣ .

(١) في ١ : « الأدب » .

(٢) في م : « به » ، والمثبت في : ١ ، ب ، ج .

(٣) في ١ ، ب ، ج : « مناح » .

وكان بعد ما وقع له بالرؤوم هاجر لبني حسن ، وأقام في ظلهم بمكة مؤتلفاً بهم
انتلاف المقالة بالوسن .

فأينعت زهرته^(١) بعد الذبول ، وسقاه صيب كرمهم وهبت له نسيمات القبول .
فلما توفى السيد مسعود ، تبدل بالنخس السعود .

فجدد^(٢) ديباجته وارتمحل ، عملا بقولهم : إذا نبأ بك منزل فتحوّل .
ولأمر ما ثنى القرن عطفه ، وجدع قصير أنفه .
وكانت أيامه غضة نضرة ، تسكاد في عصره تقطر منها مياه المسرة .

وكان في جمع المعارف والنوادر ممن لم ير الدهر نظيره ، ولم يطن^(٣) على سماعه
حديث كأحاديثه النضيرة .

فهو ذكاء^(٤) الفلك ، وما هو بشر بل ملك .

فما ترشح من قطراته ، وجرى في المسامع من عذب كلماته ، قوله^(٥) .

يا شقيق الروح والجسم ويا دوحة بالودّ فضلاً أثمرت
بحياة الودّ إلا صنّته لمحبّ روحه قد سمرت^(٦)
كنت لا أخشى حسوداً لا ولا عينَ واشٍ إن بسوء نظرت
وأرى الودّ وهى بُنيانه ما كان العين إلا أثرت

(١) في م : « ثمرته » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٢) في م : « فجدد » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

(٣) طن : صوت . (٤) ذكاء : هو الشمس .

(٥) خلاصة الأثر ٤/٤٠٦ .

(٦) ترتيب هذا البيت في خلاصة الأثر الرابع ، وهو فيه :

فبحقّ الودّ إلا صنّته لحقير روحه قد سمرت

ومن شعره تذييل لبیت القاضی ^(١) الفاضل ^(٢) :

ترامت و مرآتُ السماءِ صَقِيلَةٌ فأنثَرُ فيها وجهُها صورةَ البدرِ
ولاحتْ عليها حَلِيها وعُقودُها فأنثَرُ فيها صورةَ الأنجمِ الزُّهَرِ

وله أيضا ^(٣) :

حاذِرُ زُوَيْلَةٍ أَنْ تَمَرَّ بِبَابِهَا وطعامها كُنْ آيسًا من خَيْرِهِ ^(٤)
فموسَّطُ القتلى يقولُ بها انظروا مَنْ لَمْ يَمُتْ بالسيفِ مات بغيرِهِ

وهو تضمن لقول ابن نُباتة السَّعْدِيُّ ، من قصيدة ^(٥) :

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بالسيفِ مات بغيرِهِ تعددتِ الأسبابُ والداءُ واحدُ
ومن شعره قوله في تقسيم الأيام ^(٦) :

الدهرُ أربعةُ أيامُهُ انحصرتْ صَحْوٌ وَغَيْمٌ وَرِيحٌ ثُمَّ أَمطارُ
فَالصَّحْوُ ظَرْفٌ لِإِصْلَاحِ الْمَآرِبِ إِذْ تُقْضَى من الصَّيْدِ يَوْمَ الْغَيْمِ أَوْ طَارُ ^(٧)
وَيَوْمٌ رِيحٌ لِنَوْمٍ لَا حَرَكَ بِهِ وَيَوْمٌ هَطْلٌ لِلسَّمَاءِ لِلْكَأْسِ مِذْرَارُ ^(٨)
وَالْيَوْمَ قَدْ نَثَرْتُ دُرًّا سَحَابُهُ عَلَى بَسَاطِ رَبًّا يَكْسُوهُ أَزْهَارُ ^(٩)
فَبَادِرِ الْكَأْسِ يَا بَدَرَ الزَّمَانِ فَمِنْ ضِيَاءِ وَجْهِكَ لَا فِي الْأُفُقِ أَقَارُ



(١) ساقط من : ١ ، ب ، وهو في : ج ، م ، وخلاصة الأثر .

(٢) خلاصة الأثر ٤/٤٠٦ .

(٣) خلاصة الأثر ٤/٤٠٧ .

(٤) قال الحبي في شرح هذا البيت : « وزويلة ، بمعجمة ، مصغرة : محلة بمصر ، كـباب زويلة ، ووجه تسميتها يعرف من الخطط ، وتواريخ مصر » .

(٥) وفيات الأعيان ٢/٣٦٥ ، بهذه الرواية ، خلاصة الأثر ٤/٤٠٧ ، ضمن أبيات ، وروايته : « ولوت واحد » .

(٦) خلاصة الأثر ٤/٤٠٧ .

(٧) في ١ : « فالصحو وقت » ، وفي خلاصة الأثر : « تقضى من الحب » .

(٨) في خلاصة الأثر : « للـكأس أسرار » .

(٩) في ١ ، ب ، ج : « واليوم قد نثروا » . والمثبت في : م ، وخلاصة الأثر .

العلامة عبد الرحمن الخياري*

نزيل المدينة المنورة^(١) ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

فاضلٌ إذا جُمعت الفضائلُ فهو مُنتهىُ الجُوع ، وكاملٌ كماله كشمَرِ الجنةِ غير^(٢)
مقطوع ولا مَمْنوع .

لمَّا رأى الوقتَ سيقاً لا يقطعُ إلا الأعمار ، وأن المرءَ قبلَ فَوْتِ الفرصةِ على
أيامِهِ بالخيار ، لم يَمُضْ له وقتٌ في غيرِ العبادة ، ولا ساعةٌ في غيرِ الاستفادة والإفادة .
بوجهٍ أبلج وضَّاح ، يلوح من رُتبه نورُ السَّداد والصلاح .

كأنَّ اللهَ جمعَ له المناقبَ فاخترَ منها وانتقى ، ورأى أن أحسنها وأكرمها التقى .
وآثارُ أفعاله يحسدها الحورُ والأما ، ويعرق خجلاً منها خدُّ الرُّوض بالقدى .

أبدى صنيعك تقصيرَ الزمانِ ففى خدَّ الربيعِ طلوعُ الوردِ من خجلِ
وكان في زمنِ الطَّلب ، ومنافسة^(٣) إخوانى أولى الأدب ، صديقَ روحى وشقيقها ،
ورينحانَ مَسرَّتى وشقيقها .

(*) عبد الرحمن بن على بن موسى الخياري ، الشافعي .

نزيل المدينة المنورة ، وخطيبها ، وعهدتها ، الإمام الجليل .

أخذ عن علماء مصر ، مثل النور الزيادي ، وأبي بكر الشنواني ، وأحمد الغنيمي ، ومحمد الحفاجي
وأجازوه ، وشهدوا له بالفضل ، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر .

ثم هاجر إلى المدينة المنورة ، وسكنها سنة تسع وعشرين وألف ، وانتفع به أهلها .

توفى سنة ست وخسين وألف ، ودفن ببقيع القرقة .

خلاصة الأثر ٣٦٧/٢ .

(١) في أ بعد هذا زيادة : « المكرمة » .

(٢) في م : « لا » ، والثبت في : أ ، ب ، ج .

(٣) في ب ، م : « ومنافسة » ، والثبت في : أ ، ج .

وعودُ الزمان خَضُرَ وَرِيقٌ ، ووجهُ بشره بِسَامٌ طَلِيقٌ .
ولما رأى أَنَّ اللهَ أوصى بالجار ، رحلَ لَطِيبَةَ الطَّيِّبَةِ ^(١) وسكن في جِوَارِ
النَّبِيِّ المختار .

فدخل رَوْضَةً من رياض الجنة في حياته ، وإذا أنعم اللهُ على عبدٍ حَبَاهُ بِنِعْمَةٍ
لا يسلبها منه بعد مماته .

فكتبتُ له مُتَشَوِّقًا لِقَائِهِ ، ومُلْتَمِسًا صَالِحَ دُعَايِهِ ^(٢) :

يا نَسِيمًا من نحو طَيِّبَةٍ سَارِي	مُهْدِيًا عِطْرَ نَدَّهَا وَالْعَرَارِ
مُزْرِيًا نَشْرُهُ بَعْنَبِرِ شَجَرٍ	في حشا جَوْنَةٍ الْفَتَى الْعَطَّارِ ^(٣)
خَذْ فَوَادِي فَذَاكَ تَجَمَّرُ شَوْقِي	وَعِرَامٌ بِمُضَمَّرِ الْوَجْدِ وَاِرِي ^(٤)
مُوقِدًا فِيهِ عَنَبْرًا من مَدِيحِي	لِحَبِيبِ الْمُهَيَّمِنِ الْخُتَارِ ^(٥)
لِمَقَامِ بِمُقْتَضَاهُ بَلِيغٍ	لا يُوفِي بِبَلَاغَةِ الْأَنْوَارِ
وَفَصِيحٍ فَصَاحَةِ الْلفْظِ فِيهِ	زَادَ حُسْنًا بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ ^(٦)
وَلَمَنَ فِي ذُرَاهُ مِنْ كُلِّ جَارٍ	حَازَ حِفْظًا لَعْنَتِهِ بِالْجَوَارِ
فَهُمْ خَزَرَجِي وَأَوْسِي وَإِنْ لَمْ	يُسْعِفِ الدَّهْرُ بِالْمُنَى أَنْصَارِي

(١) ساقط من : ١ (٢) خلاصة الأثر ٢/٣٦٨ .

(٣) في خلاصة الأثر : « من ربا نشره » ، وتقدم ذكر العنبر الشجري ، في صفحة ٤٢٩ .

(٤) في ١ : « بجر شوق » ، ورواية البيت في خلاصة الأثر نقلًا عن الشهاب الحفاجي :

خَذْ فَوَادِي فَذَاكَ تَجَمَّرُ شَوْقِي وَعِرَامِي بِمُضَمَّرِ الْوَجْدِ دَارِي

و « داري » في هذه الرواية نسبة إلى دارا ، وهي بلدة في لُفَّ جَبَل ، بين نصيبين وماردين ، يقول
ياقوت : « ومن أعمالها يجلب الحلب الذي تتطيب به الأعراب » معجم البلدان ٢/٥١٦ .

(٥) في خلاصة الأثر : « موقد فيه » .

(٦) ساقط من : خلاصة الأثر .

سَيِّمًا صِنَوِيَّ الشَّقِيقُ لِرُوحِي وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَامِي الذِّمَارِ^(١)
 قَدْ تَمَلَّى بِرَوْضَةٍ حَازَ فِيهَا مُثَمَّرَ السَّعْدِ مُزَهَّرَ الْأَنْوَارِ^(٢)
 بَاعَ دُنْيَا دَنْتَ بِأُخْرَى تَسَامَتْ فَعَدَا فِي مَبِيعِهِ بِالْخِيَارِ
 فَمَسَاهُ يَمْنٌ لِي بِدَعَاءِ مُسْتَجَابٍ فِي لَيْلِهِ وَالنَّهَارِ
 لِيَحْزُزَ الشَّهَابُ أَعْظَمَ سُؤْلِ وَأَمَانَ مِنْ مَطْلَعِ الْأَنْوَارِ^(٣)
 مَا رَتَدَى اللَّيْلُ مِنْ بُرُودِ الدِّيَابِجِ حُلَّةً طُرُزَتْ مِنَ الْأَسْحَارِ^(٤)
 فَأَجَابَ سَقَى اللَّهُ ثَرَاهُ :

بَعْدَ إِهْدَا أَسْنَى السَّلَامِ السَّارِي مِنْ رُبَا طَيِّبَةٍ أَجَلُ الدِّيَارِ^(٥)
 فَاتَّقَا طَيِّبُهُ شَذَا كُلِّ مَسْكٍ فَاتَّقَا نُورُهُ دُجَى الْأَسْحَارِ
 لِحَبِيبٍ فِي اللَّهِ خَلٍ وَفِيَّ طَيِّبِ الْأَصْلِ ذِي الثَّنَاءِ السَّارِي
 أَحْمَدُ الْفَعْلِ وَالشَّهَابُ الْمُرْجَى كَاشِفُ الْمَشْكَلاتِ كَنْزُ الْفَخَارِ
 دَامَ فِي نِعْمَةٍ وَعِزٍّ وَلُطْفٍ مِنْ إِلَهٍ الْوَرَى الْكَرِيمِ الْبَارِي
 مُحْيِيًا سُنَّةَ الْأَلَى سَبْقُوهُ بِاتِّبَاعِ الْأَلَى وَحَسَنِ الْوَقَارِ
 وَصَلَاةٍ مَعَ السَّلَامِ دَوَامًا لِلنَّبِيِّ الْمُمَجَّدِ الْمُخْتَارِ
 وَلَّالٍ وَصَحْبِهِ مَا ضُمَّحَلَّتْ ظُلُمُ الظُّلَمِ بِاجْتِلَا الْأَنْوَارِ^(٦)

(١) في خلاصة الأثر : « الشقيق وروحي » .

(٢) في خلاصة الأثر : « مظهر الأنوار » .

(٣) ق م : « من مطلع الأقدار » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) مكان هذا البيت في خلاصة الأثر :

وَصَلَاةُ الْإِلَهِ فِي كُلِّ حِينٍ لَكَ تُهْدَى بِأَسَيْدِ الْأَبْرَارِ

(٥) خلاصة الأثر ٣٦٨/٢

(٦) في خلاصة الأثر : « من ربا طيبة مقام الخيار » .

(٧) في خلاصة الأثر : « ظلم الظلم لاجتلا الأنوار » .

فإني أحمد الله تعالى وأصلي وأسلم ، على نبيه صلى الله عليه وسلم .
وأعرض كثرة الأشواق ، وتزايد الوداد ، الذي لم يغيّره تماقُبُ المددِ والبُعاد .
ودوامَ الدّعاءِ المرجوِّ القبول ، لاسيّما تجاه "أشرفِ نبيٍّ وأكرمِ رسولٍ" .
ووصول مکتوبکم الکریم ، وحصول الشّرور بلوامیع مضمونه ، وبدائع مکتونه .
وقد بلغنا حسن سیرتکم فی المناصب ، ومزید العِفّة ، فجزاکم الله تعالى خیرا ،
وأعانکم وسدّدکم .
ولا تقطعوا أخبارکم السّارة ، جمع الله لنا ولکم خیري الدّنيا والآخرة ، بجاء المصطفى
الأمين ، آمین .

نفحة من نفحات اليمين ، ومن بلغنا خبره في هذا الزمان
ممن بقي بها من الفضلاء والشعراء ، وكان قريب العهد

فمنهم ، رحمهم الله تعالى :

٧٧

عبد الله بن شمس الدين بن مُطَهَّر الميَنِّي *

فرعٌ من ذُوابَةِ هاشم ، وَنَبْعَةٌ من وَشِيحِ تلكِ المكارم .
من آلِ مُطَهَّرٍ وهم ملوكٌ مُسْكِرَمُونَ ، لا يَمَسُّ صَحفَ مَجْدِهِم إلا المَطَهَّرُونَ ، من
حَدَثِ البَشَرِيَّةِ ، وَدَنَسَ الهَيُولَى ^(١) الدِّنِيَّةَ .

مِنْ كُلِّ مَنْ قَضَى لِلْعُلِيَاءِ وَطَرَهَا ، وَتَلَى آيَاتِ المَجْدِ وَسُورَهَا .
تَعَبَّقَ مِنْهُمْ أَنفَاسُ الثَّبَوَةِ ، وَتَجَرَّ عَلَى وَجْهِ البَسِيطَةِ أَذْيَالُ الفُتُوَةِ .
لم ^(٢) تُنْمَحَ مُحَاسِنُهُمْ مِنْ صَحفِ اللِّيَالَى والأَيَّامِ ، وَلَا تُشْمِرَ بِمِثْلِهَا أَغْصَانُ
البِرَاعِ والأَقْلَامِ .

مَغَارِسُ طَالَتْ فِي رُبَا المَجْدِ فَالْتَقَتْ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَالخُلَفَاءِ ^(٣)
إِذَا حَمَلَ النَّاسُ اللَّوَاءَ عِلَامَةً كَفَاهُمْ مُنَارُ النُّقْعِ كُلِّ لَوَاءٍ
حَتَّى أَغَارَتْ عَلَيْهِمُ جِيوشُ ابْنِ عُثْمَانَ فَذَوَى ذَلِكَ الثَّمَرُ ، وَاسْتَفْتَتِ الأَيَّامُ مَاءَ حَيَاتِهِمْ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا السَّكْدَرُ .

فَالْتَجَأَ إِلَى جَبَلِ كَوْ كَبَانَ ^(٤) ، وَاسْتَظَلَّ بِهِ مِنْ هَجِيرِ حَوَادِثِ الحِدْثَانِ

(*) ترجمه الشهاب الحفاجي أيضا ، في خبايا الزوايا لوحة ١٩٧ .

(١) الهيولي : القطن ، وشبه الأوائل طينة العالم به . انظر القاموس (هـ ل) .

(٢) في م : « ولم » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

(٣) في أ ، ب : « طالت من ربي المجد » ..

(٤) تقدم التعريف به في صفحة ٤١٢ .

وهو جبلٌ تضيء فيه قناديلُ النجوم ، وتلتفُّ على هامته عصاباتُ الغيوم .
بزاحمِ الأفلاكِ بالمفاكِبِ ، وتسكاد أن تلتقط سُكَّانَهُ لآلِئِ الكواكبِ .
عالٍ كأنَّ الجنَّ مُذْ مَرَدَّتْ جعلته مَرَقَاةً إلى السَّرِّ
وهو الآن تاجٌ على رأس الزَّمنِ ، وخالٌ تَنَزَّيْنِ به وَجَعَاتُ المينِ .

كأنما شَمَخَ كِبْرًا بِمُجَاوِرَةٍ مَن به نَزَلَ ، وصار كَبِيرَ أَنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزْمَلٍ ^(١) .
وَطَوَّدَ على ظَهْرِ الفِلاَةِ كأنه طُوَّالَ اللَّيَالِي مُطَرِّقٌ فِي العَوَاقِبِ ^(٢)
يُلَوِّثُ عليه الغَيْمُ سُودَ عَمَائِمٍ لها من وَمِيزِ البرقِ خُضْرُ ذَوَائِبِ
تُحْيِي به آثَارُ آبَائِهِ بعد مَمَاتِهَا ، وَيَرُدُّ رُوحَ المَسْكَرَمِ لِلْأَمَالِ بعد وفَاتِهَا ^(٣)
وفَوَاتِهَا ^(٤) .

فما النقطته من بعض السَّيَّارَةِ من أشعاره ، وأهدته إلى نِجَارِ المينِ من تُحَفِ آثَارِهِ ،
قوله من قصيدة مدح بها أخاه عزَّ الدين ^(٥) :

خَطَرَتْ فَقَالَ الفَصْنُ صَلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَبَدَتْ فَقَالَتْ لِلشَّمُوشِ تَحْجَبِي
وَسُمُوطُهُمُ سَادَرَتْ عَلَى لَبَائِهَا وَزَهَتْ فَقُلْنَا لِلنَّجُومِ تَغَيَّبِي
لَا حَتَّ لَنَا كَالْبَدْرِ ثُمَّ تَبَرَّقَعَتْ فَرَأَيْتُ بَدْرًا حَلَّ قَلْبَ الْعَقْرِبِ
وَبَجْدَهَا خَالٌ أَرَاهُ عَمَّهُ حُسْنًا وَنَاسِبَهُ بُلُونٍ أَجْنَبِي
فَلَطَرَفِهَا عَزُّ انْكَسَارِ جَفُونِهَا وَلِعِظْفِهَا تَبِيهُ الدِّلِّ الْمُعْجَبِ

(١) البجاد : ثوب مخطط ، والمزمل : الملفف .

(٢) هذا البيت والذي يليه ساقطان من : ا ، ب ، ج .

(٣) ساقط من : ا ، ب ، ج .

(٤) ف ب : « ومماتها » .

(٥) السيد عز الدين بن دريب بن المطهر بن دريب الحنفي ، كان سرياً ، فاضلاً ، عارفاً بالفقه ، مسعوداً ، ميموناً ، رحل إلى صعدة ، وتم له بها فضل ، وعرف بالعلم ، توفي سنة ثيف وستين وألف .

خلاصة الأثر ١١٠/٣ .

ومنها :

مُنَى عَلَى بَرَوْرَةٍ أَحْيَى بِهَا فِي أَنْسِ قُرْبِكَ أَوْعِدْنِي وَاكْذِبِي
رَقِّي بِعِزِّكَ يَا سَعَادُ لَذَلَّتِي مُنَى وَمُنِّي أَمَانِي أَشْعَبِ
مَا أَحْسَنَ الْأَطْمَاعَ يُرْجَى نَيْلُهَا وَالصَّبُّ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمَكْذَبِ

ومنها :

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَفُوزُ بِمَطْلَبِي مِنْ لَسَمِ ذِيكَ الْخُلْدِ الْهُدَى
مَنْ لِي بِشَمْسِي الْجَمَالِ مُنَمَّعٍ مَا دُونَهُ لِمُحِبِّهِ مِنْ مَذْهَبِ
مُتَلَوْنٍ كَمَا دَامَ مَعِيَ فَوْعُودُهُ لَقَبْنِي بِالْخَائِفِ الْمُتَرَقِّبِ
يَا قَلْبُ مَا لَكَ مَا انْقَلَبْتَ عَنِ الْهَوَى وَالْقَلْبُ قَدْ قَالَوا كَثِيرُ تَقَلُّبِ
خَلَّ النَّسِيبَ فَقَدْ أَطْلَتْ وَعَدُّ عَنْ ذَكَرِ الصَّبَابَةِ وَاشْتَغَلُ بِالْأَنْسَبِ
كَفَرُ زَخَارِفَ زُورٍ لَهْوٍ بِالثَّنَا وَأَنْشُرْ مُلَاتِ الْحَدِيثِ الْأَطْيَبِ
بِصِفَاتِ عِزِّ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَمَنْ مَا قَلَّتْ فِيهِ مِنَ الثَّنَا لَمْ تَكْذِبِ
حَدَّثْتُ وَقُلْتُ مَا شِئْتُ فِي أَوْصَافِهِ أَلْ حَسَنِي وَحَيَّ بِكُلِّ فَنٍّ مُعْجِبِ (١)
أَسَدٌ تَخَافُ الْأَسَدُ ثَمَلَبَ رُحْمِهِ وَعَجِبْتُ مِنْ خَوْفِ الْأَسَدِ لثَمَلَبِ

قوله : « صل على النبي » المراد به التعجب ، والناس يستعملونه (٢) بهذا المعنى كثيرا ،

كقول شيخ الشيوخ (٣) الأنصاري ، بحماسة :

فَن رَأَى ذَلِكَ الْوِشَا ح الصَّائِمَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ

(١) في ١ ، ب ، ج : « ما شئت من أوصافه » .

(٢) في ١ ، ب ، ج : « تستعمله » .

(٣) في ١ ، ب ، ج : « بحماسة الأنصاري » . تقديم وتأخير .

وقال عرقلة^(١) :

أقبل يهتز في غلالته من ليس بشفي لعاشق غلته
فقال كل امرئ تأمله ألف صلاة على رسول الله

وقد تابعهم ، فقلت في قصيدة :

طَبِيَّ عَلَى الصَّبِّ حِينَ سَلَّمَ صَلَّى عَلَى الْمُصْطَفَى وَسَلَّمَ
مُدْنَفُهُ وَالدموعُ بِحَرِّ بُتْرِبِ أَقْدَامِهِ تَيْمَمَ

ومثله قولهم : « الله أكبر » ، كما قال ابن النّبيه^(٢) :

الله أكبر ليس الحسنُ في العربِ كم تحت كُمةِ ذا التركيِّ من عَجَبِ^(٣)
وهو قد اقتدى بعلی بن الجهم ، في قصيدة مدح بها بعض الخلفاء^(٤) :

اللهُ أَكْبَرُ والنبيُّ مُحَمَّدُ والحقُّ أَبلَجُ والخليفةُ جَعْفَرُ
وقد عابه شعراء عصره ؛ حتى قال فيه مروان^(٥) يهجوهُ :

لَمَّا وَصَلْتَ إِلَى الإِمَامِ عَشِيَّةً وَكَذَبْتَهُ وَمَدَحْتَهُ بِأَذَانِ

وقال أيضا^(٦) :

أَرَادَ عَلِيٌّ أَنْ يَقُولَ قَصِيْدَةً بِمَدْحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَذَّنَا^(٧)

(١) عرقلة ، هو : حسان بن نمير ، الكلابي ، النديم ، أبو الندى ، الأعور . وعده السلطان صلاح الدين حين كان من أسراء نور الدين أنه إن ملك مصر أعطاه ألف دينار ، فلما سير لايه الأموال بعد ملكه مصر لجأه الموت . فلم ينتفع بفجأة الغنى . توفي سنة سبع وستين وخمسة ، وقد قارب الثمانين . فوات الوفيات ١١٢/١ .

(٢) ديوانه ٣٨ . وهو ابتداء قصيدة له في مدح الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب .

(٣) الكمة : القلائسوة المدورة .

(٤) ذكر المرزباني ، في الموشح ٥٢٧ هذا البيت ، وذكر اعتراض مروان بن أبي الجنوب عليه .

(٥) يعني ابن أبي الجنوب .

(٦) الموشح ٥٢٧ .

(٧) في الموشح : « أراد ابن جهم » .

فقلتُ له لا تمَجَلَنَّ بإقامةٍ . فاستُ على طهرٍ فقال كذا أنا ^(١)
والإمام النووي ^(٢) ، رحمه الله تعالى ، صرَّح في « الأذكار » ^(٣) بأن
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مثله ممنوعة شرعاً ، والوارد في مثله
« سبحان الله » .

وقال الحلبي ^(٤) من أئمة الشافعية : إنه جائز بلا كراهة ، ويُنَوِّها وجهه
في فقههم .

﴿ لطيفة ﴾

من غريب التمايخ ما وقع في مجلس أبي بكر بن زُهر ^(٥) ، من أن بعض
أدباء الأندلس كان عنده ، فدخل فاضلٌ من أهل خُراسان عليهم ، فأكرمه
ابن زُهر ، وأجله .

فقال الأندلسي : ماتقولُ في علماء الأندلس وأدبائهم وشعرائهم ؟

(١) في الموشح : « فقال ولا أنا » .

(٢) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، من كبار الشافعية ، ومن أعظم مصنفى الفقه . توفي سنة
ست وسبعين وستائة .

طبقات الشافعية الكبرى ١٦٥/٥ .

(٣) الأذكار ٤٠ وانظر ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحلبي ، أحد أئمة الدهر ، وشيخ الشافعيين بما وراء النهر ، كما
يقول تاج الدين السبكي . توفي سنة ثلاث وأربعمائة .

طبقات الشافعية الكبرى ٣٣٣/٤ .

(٥) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي ، الأندلسي ، الإشبيلي ، لم يكن في زمانه أحقق منه
بصناعة الطب . أخذها عن أبيه ، ولما شعر رقيق ، وموشحات افرد في عصره بإجادة نظمها ، توفي سنة
خمس وتسعين وخمسمائة .

معجم الأدباء ٢١٦/١٨ .

فقال : كَبَّرْتُ .

فلم يفهم جوابه ، واستَبْرَدَه .

فلم يفهم ابن زُهر إنكارَه .

ثم قال : أَقْرَأْتَ شعرَ الْمُتَنَبِّئِي ؟

قال : نعم ، وحفظته .

قال : أما سمعتَ قوله ^(١) :

كَبَّرْتُ حَوْلَ ديارهم لَمَّا بَدَتْ تلكَ الشُّمُوسُ وليس فيها المَشْرِقُ ^(٢)

فعلَى نَفْسِكَ فلتُكَبِّرْ ، وَلِفَنِّمِكَ فَاتَّهَمِ ^(٣) وَأُنْكِرِ .

فخجل ، واعتذر .

أقول : هكذا فلتتكن مُحَاوَرَةَ الأدباء .

وَأَرَادَ أَبُو الطَّيِّبِ بِتُكْبِيرِهِ التَّعْجِيبَ .

وقوله في القصيدة ^(٤) : « أسد » إلخ ، فيه إيهامٌ بِدَيْعٍ ؛ فَإِنَّ التَّلْعَبَ طَرَفُ الرُّمَحِ

الداخل في السَّفَانِ ، والحيوان المعروف .

ومثله قول ابن السَّاعَاتِيِّ ^(٥) :

وَلَوْ يَمْلِكُ الْمَلِكُ الْأَهْلَةَ عَنْده أَيْ فَخَرُهَا إِلَّا نِعَالًا لُجْرَدِهِ ^(٦)

إِذَا مَدَّ جَيْشًا لِلْعَدُوِّ تَلَاعَبَتْ نِعَالُ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ بِأُسْدِهِ

(١) ديوان أبي الطيب ٢١ .

(٢) في الديوان : « منها الشُّمُوسُ » .

(٣) في ١ ، ب ، ج : « اتهم » .

(٤) أي قصيدة المترجم السابقة . انظر صفحة ٤٥٣

(٥) علي بن محمد ، المعروف بابن الساعاتي ، شاعر مجيد ، خراساني الأصل ، دهمشي المولد والمنشأ ،

قاهري السكن والإقامة . توفي سنة أربع بعد الستائة .

وفيات الأعيان ٧٣/٣ .

(٦) لم أجد البيتين في ديوانه .

وقوله : « أو عديني واكذبي » يقطر منه ماء اللطافة ، كقول مهبّار^(١) :
 يا ماطلي بالدّينِ ماساءني إليك تَرْدَادُ المواعيدِ بي^(٢)
 إن كنتَ تُفْجِزَ ثم لا نلتقي فدمٌ على المَطلِ وقُلْ واكْذِبِ^(٣)
 وللشريف الرضي^(٤) :

يُجِبُّنِي مَطلُ غَريمِ الهوى الطُّولِ تَرْدَادِي إلى الماطلِ
 ومثله حسن كثير ، قديما وحديثا ، كقول الطُّفَرَاثِيِّ^(٥) :

وَتُجِبُّنِي المواعِدُ كاذباتٍ لَتَرْدَادِي إِلَيْهِ عَلَى المِطَالِ
 ولا بن الفارض ، رضى الله عنه^(٦) :

عِدِينِي بَوْضَلٍ وَأَمْطَلِي بِنَجَازِهِ فَعَمْدِي إِذَا صَحَّ الهوى حَسَنَ المَطلِ



(١) ديوانه ٧٦/٢ ، من قصيدة يمدح بها الوزير ابا القاسم الحسين بن علي المغربي .

(٢) في الديوان : « إليك ترديد المواعيد بي » .

(٣) رواية الديوان :

إن كنتَ تَقْضِيْ نَم لا نَلْتَقِيْ فَدُمٌ عَلَى المَطلِ وَعِدْ واكْذِبِ

(٥) ديوانه ١٠٩ .

(٤) ديوانه ٧١٤/٢ .

(٦) ديوانه ١٥٦/٢ .

٧٨

السيد حسين بن مطهر اليميني *

رحمه الله تعالى

هذا أيضا من أشرف العصريين .

وقد أنشدني له بعض أصحابنا شعراً يفوح منه عَرَفُ تِهَامَةِ وَنَجْدٍ ، وَبُتْرِجِمٍ
عَمَّا فِيهِ مِنَ الْمَجْدِ .

كقوله ، من قصيدة له :

ويزول عنك حَفِيظُكَ الْمُرْدَدُ (١)	مِنْ أَيْنَ يَخْلُقُ وَجَدُكَ الْمُتَجَدِّدُ
قالوا الرَّحِيلُ غَدَاً عَدِمْتُكَ يَا غَدُ	وَقَدْ اسْتَفَزَكَ بِالرَّحِيلِ مُودَعٌ
بأبي وبى كيف الْعَذِيبُ وَهُمْ مَدُ (٢)	يَا نَازِلِينَ عَلَى الْعَذِيبِ وَهُمْ مَدُ
خَضِرٌ عَلَى مَانِعِهِمْ دُونَ وَأَعْدُ	أُخْزَامُهُ وَبَشَامُهُ وَأَرَاكُهُ
	ومنها :

الحجُّ يُقَصِّدُ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً وَلَكِ الْعَوَالِمُ كُلٌّ حِينَ تَقْصُدُ

(*) ترجمه الشهاب الخفاجي أيضا ، في خبايا الزوايا لوحة ١٩٩ ، وابن معصوم ، في سلافة العصر ٤٤٩ .

(١) في ١ ، ب ، ج : « يخلق وجهك » .

(٢) العذيب : يخرج من قادسية الكوفة إليه ، بينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل ، وهي ستة أميال ؛ فإذا خرجت منه دخلت البادية ثم المغيبة . معجم البلدان ٦٢٦/٣ .

وشهد : جبل أحمر فارد ، من أخيلة الحمى ، حوله أبارق كثيرة في ديار غنى ، وقيل : شهد موضع في ديار بني عامر . معجم البلدان ٩٤٢/١ .

وهذا المعنى كثير مسبوق إليه ، كقول بعض العصريين :

كعبة أُسِّسَتْ عَلَى الْفَضْلِ لَكِنْ كُلَّ حِينٍ لَهَا تَحُجُّ الْوُفُودُ

وأصله قول سميعة بن سلام ، وقد قال له بعض ندمائه في بستان : ما أحسن

هذا البستان !

فقال له : أنت أحسن منه ؛ لأنه يؤتني أكله كل عام ، وأنت تؤتني

أكلك كل حين ..



ومن قُرْب عهدِه باليمن :

٧٩

عبد الهادي السوداني*
صاحب « الديوان » المشهور

فاضلٌ جمع في أغصان الألفاظ ثمارَ المعاني ، وعارفٌ بالله جنّاهُ في كلِّ
حينٍ داني .

شيخُ الطريقة ، العابرُ من قنطرة المجاز إلى الحقيقة .
جمع من بضائع الأدب مارات صُنعا ، وحسدته لِرقة نسجه يروُدُ صنعا .
ونسج من مُهلّل الأشعار في الشلوك ، ما كان قلّاه على منوال طرسه مكّوك .
وشعره مطبوع ، وعلى أكتف القبول مرفوع .
تلذُّ به الأسماع ، وتطرب على السماع .
وأكثره على لسان أهل^(١) العرفان ، الذي هو للحضرة الإلهية ترّجّان .
كقوله :

كيف حاروا فيك وأعجبّا يأمّني سمّعي ويا بصري
أنت لا تخفي على أحدٍ غير أعشى الفكر والنظر
حيرة عمت فأى فتى رام عرفانا ولم يحمر

(*) عبد الهادي بن محمد السوداني ، ثم الصنعاني ، الصوفي .
ولد سنة ثيف وسبعين وثمانمائة ، ونشأ بصنعاء ، وقرأ بها الفقه وغيره ، ثم لحقته جذبة ، فخرج
هاثما من صنعاء ، وسكن تعز .
توفي سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة .
الديرالطالع ٤٠٨/١ ، والشعر كله فيه ، وخبايا الزوايا لوحة ٩٩ ب . وفيها أيضا : « عبد الوهاب »
وعلى هامش م : « قوله عبد الهادي في نسخة عبد الوهاب » .
(١) ساقط من : ا ، ب ، ج .

وقوله من قصيدة :

عاذلي في الحبِّ أو خطرِه لست من ليلى ولا سمرة
أنا في وادٍ أظنك ما قلت في الأفياء من شجرة
لا تطل فيهِ الملام إلى أن تذوق الحلو من ثمرة
يا حلول الشعب من إصم أنشعوني النثر من زهرة^(١)

وهذه على مَنَوال قصيدة أبي نَواس ، التي مطلعها^(٢) :

أيُّها المنتاب من عُقرِه لست من ليلى ولا سمرة^(٣)
كَمَنَّ الشَّنانُ فيهِ لنا ككُمونِ النَّارِ في شجرة^(٤)
لا أدودُ الطيرَ عن شجرِه قد بلوتُ المبرَّ من ثمرة
وهي طويلة^(٥) في « ديوانه »^(٥) .



ومن قُرْب عهدِه أيضا :

(١) إضم : ماء يطأه الطريق بين مكة والمدينة . معجم البلدان ١/ ٣٠٥ .

(٢) ديوان أبي نَواس ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) العقر : البعد وطول العهد .

(٤) سقط هذا البيت والذي يليه من : أ . وفي الديوان : « ككُمونِ النَّارِ في حجرِه » ، وانظر التعليق على هذا البيت في هوامش الديوان .

(٥) ساقط من : أ ، ب ، ج .

٨٠

إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن محمد بن يوسف بن عمر بن عليّ العلوي الزبيديّ
الشافعيّ من ذرية النبيّ *

شارح «الكشاف» .

أغرّ يمانى ، منه ^(١) «تجنّى ثمار» الأمانى .

سحاب فضله أوطف ^(٢) الأهداب ، أخصبت به رياض المعانى والآداب .
نقاب ^(٣) محدث تم أفسكاره على أسرار الغيوب ، وربيع مريع إذا أنبت الربيع
البقل أنبت رينحان القلوب .

ولد بزبيد ، وبيت شرفه فيها ^(٤) مشيد .

ولدت به أم السيادة أوحدا متضمنا معنى العديد أكثر ^(٥)
ولدهر فيه عدات لا تعرف المظل ، ومقدّمات مرتبة لنتائج الفضل .
حتى ظهرت له اليد البيضاء فى الفنون العقلية والنقلية ، لا سيما ما أبدعه فى « شرح
الجامع الصغير » من دقائق العربية .

فكم شفى أفهاما مراضا قلوبها ، ولا يعرف الأذواء إلا طيبها .
كما قال تلميذه الصدر فيه من قصيدة :

وإن تسكن للنحو أضلا فلا غرو فإسماعيل أصل العرب

(*) ترجمه الشهاب الحفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ١٠٠ .

(١) فى ١ ، ب ، ج : « يجنى ثمر » .

(٢) أوطف : منهر .

(٣) ساقط من : ١ ، ب .

(٤) ساقط من : ١ .

(٥) سقط هذا البيت من : ١ ، ب ، ج .

مع شَرَفِ الحَسَبِ ، وَعُلُوِّ شَجَرَةِ النَّسَبِ .
فهو مُكْرَمٌ مُفَضَّلٌ ، مُعَمٌّ ^(١) مُخَوَّلٌ .
والفَخَارُ فنونٌ ، كما أن الحديثَ عنه شُجُونٌ ، والأخبارُ الصادقة على محاسنِهِ
عُيُونٌ .

وقد رأيتُ من آثاره أَبْكَارَ عَرَائِسَ ، وَحُوراً مَقْصُورَاتٍ فِي خِيَامِ
الْأَفْكَارِ أَوَانِسَ .

لا تَرْتَضِ الثَّرِيّاً عَقْداً والزَّهْرَةَ قُرْطاً ، ولا تَلْبَسُ الجُرَّةَ رداءً ومِرْطاً ^(٢) .
كـ « شرح الجامع الصغير » ، و « تعريف البيان » ، في شرح لَفْظَةِ الْعَجَلَانِ « ،
الزَّرْكَشِيُّ ^(٣) في المنطق والأصْلَيْنِ وَالْجَدَلِ .

وهو كما قال فيه نَسِيبُهُ الفاضل عفيف الدين :

يَاسَانِي جَهْلًا عَنْ أَسْمَاعِيلَ عَنْ مِقْدَارِ رُتْبَتِهِ وَرِفْعَةِ شَانِهِ
أَنْصِتْ تَجِدْ تَعْرِيفَهُ وَبَيَانَهُ كَافِيكَ عَنْ تَعْرِيفِهِ وَبَيَانِهِ
أَوَلَا فَعُذْرُكَ فِيهِ عُذْرٌ وَاضِحٌ وَالشَّيْءُ قَدْ يَخْفَى لِبُعْدِ مَكَانِهِ
وَلِشُعْرَاءِ عَصْرِهِ فِيهِ مَدَائِحُ كَثِيرَةٌ ، كَقَوْلِ عَامِرِ بْنِ هَارُونَ الْمَوْزَعِيِّ ^(٤) :
رَأَوْكَ فَضَلْتَهُمْ أَدْبًا وَتَمَتًّا فَنَالُوا مِنْكَ عُدْوَانًا وَهَيْتًا
وَرَأَمُوا النَّقْصَ مِنْكَ فَكَذَّبْتَهُمْ ظَنُّوهُمْ وَعَادَ الدَّمُ نَعْتًا
سَحَاهُمْ نَجْمٌ سَعَدِكَ أَنْ يَحُلُّوا بِحَالِكَ أَوْ يَحْوُمُوا حَيْثُ حُتَّتَا
تَصَرَّفَ يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ فِيمَا حَوَيْتَ مِنَ الْمَعَارِفِ حَيْثُ شِئْتَا

(١) في أ ، ب ، ج : « منع » ، والمثبت في : م ، والعم : الكريم الأعمام ، وكذلك المخول .

(٢) في م : « ولا مرطا » ، والمثبت في : أ ، ب ، ج .

(٣) أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، من فقهاء الشافعية ، له تصانيف في فنون عدة ، منها « لفظة العجلان » المذكور . توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٣/٣٩٧ ، شذرات الذهب ٦/٣٣٥ ، كشف الظنون ٢/١٥٥٩ ، واسم الكتاب فيه : « لفظة العجلان » .

(٤) نسبة إلى موزع ، موضع باليمن ، وهو المنزل السادس لحاج عدن ، معجم البلدان ٤/٦٨٠ .

وكيف يسومك الحسادُ خَسَفًا وانت أجلهم حَطًّا وبَحْتًا
وأبرعُ من تلفَّت المعالي إليه ومن برى قلعًا وأفقى
وقد ناديت لما سمرت ربِّي بما ناداه ذو النون بن متى^(١)
بأن يكفيك عادية الليالي وتضحبك السلامة حيث كُنَّا
وقد أوتيت سُؤلي فيك إذ لم تزل فوقًا ومن عاداك تحتًا
فدونكمها عروسًا من صديق تمت بصحبة الآباء مَتًا
وخذها غَضَّة من منطق لا بالفتح لا يمين ولا أرتًا
ربطتُ بها معالي الشمس قسرًا وقومتُ القوافي فيك نَحْتًا
يوذُ البدر لو ترضى به أن يكون لها أخًا والشمسُ أختًا
وقد حاز قدرًا عاليًا ووجاهة ، ونشر من الفضل ما أيد الله به عزَّه وجأه .
مع زهد ليس طرفه لزخرف الدنيا براني ، ولا بدع فالحكمة يمانية
والإيمان يمانِي .
روح الله روحه ، وزاد من نعيم الجنان فتوحه .

آخر الجزء الأول ، ويليه الجزء الثاني ، وأوله :

القسم الثالث

في مصر وأحوالها ، وسبب العود لرسومها وأطلالها

(١) يعني يونس عليه السلام . وهو يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ سورة الأنبياء ٨٧ .
(٢) الأرت : ما كان في لسانه بحمة .

فهرس

تراجم الجزء الأول

رقم الصفحة	رقم الترجمة	مقدمة المؤلف	القسم الأول
١٣ - ٣			
١٥			في محاسن أهل الشام ونواحيها
٢٦ - ١٧			١ - أحمد العناباتي
٢١ ، ٢٠			تنمة
٤١ - ٢٧			٢ - محمد الصالح الحلي
٣٣ ، ٣٢			ساحة
٤١ - ٣٧			فصل
٥٢ - ٤٢			٣ - حسن بن محمد البوريني
٧٧ - ٥٣			٤ - أبو المعالي درويش محمد الطالوي
٩٤ - ٧٨			٥ - محمد بن قاسم الحلبي
٨٧ - ٨٤			فصل
٨٩ ، ٨٨			فائدة
٩٠ ، ٨٩			فصل
٩٦ ، ٩٥			٦ - الأمير أبو بكر الحلبي
١٠٣ - ٩٧			٨ ، ٧ - إبراهيم ومحمد ابنا أحمد الحلبي ، المعروف بالملّا
(٣٠ - ريجانة - ١)			

- ٩ - يوسف بن عمران الحلبي
١٠٩ - ١٠٤
- ١٠ - سرور بن سنين الحلبي
١١٢ - ١١٠
- ١١ - حسين بن أحمد الجزري الحلبي
١٢٥ - ١١٣
- ١٢ - أبو بكر تقي الدين التاجر ، المعروف بابن الجوهري
١٢٧ ، ١٢٦
- ١٣ - شمس الدين محمد ، المعروف بالمنقار
١٣٠ - ١٢٨
- ١٤ - ابنه عبداللطيف
١٣٢ ، ١٣١
- ١٥ - شيخ الإسلام عماد الدين الحنفي الشامي
١٣٧ - ١٣٣
- ١٦ - بدر الدين بن رضى الدين الغزى ، العامري الشامي
١٤٤ - ١٣٨
- ١٧ - أبو الوفاء مصطفى بن العجّمي الحلبي
١٥٠ - ١٤٥
- ١٨ - تقي الدين بن معروف
١٥٧ - ١٥١
- فائدة مهمة
- ١٩ - محمد بن الرّومي ، المعروف بآمّاي ، ابن أخت الخليلي
١٥٧ - ١٥٣
- ٢٠ - زين الدين الإشعافي
١٦٤ - ١٥٨
- ٢١ - أبو بكر الجوهري الشامي
١٦٦ ، ١٦٥
- ٢٢ - شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي ، المعروف بابن الحنبلي
١٦٨ ، ١٦٧
- ٢٣ - أبو الفتح بن عبدالسلام المالكي المغربي ، نزيل الشام
١٧٣ - ١٦٩
- تكملة
- ٢٤ - علاء الدين بن مَلِيك الحموي
١٨٧ - ١٨٣
- ٢٥ - القاضي محب الدين بن تقي الدين الحموي
١٩٣ - ١٨٨
- ٢٦ - شهاب الدين السكنعاني الشامي
١٩٥ ، ١٩٤
- ٢٧ - معروف الشامي
١٩٦
- ٢٨ - نجم الدين بن معروف
١٩٩ - ١٩٧
- ٢٩ - محمد بن محمد الحكيم ، المعروف بابن المشنوق
٢٠١ ، ٢٠٠
- ٢٠٢

رقم الترجمة

رقم الصفحة

- ٣٠ - فتح الله بن بدر الدين محمود البيلوني الحلبي ٢٠٤ ، ٢٠٣
- ٣١ - القاضي ظهير الدين الحلبي ٢٠٦ ، ٢٠٥
- ٣٢ - بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي الحارثي ٢١٤ - ٢٠٧
- ٣٣ - خضر الموصلي ٢١٧ - ٢١٥
- فصل فيمن لقيته بالشام في رحلتي لمصر راجعاً من الروم : ٢٢٠ - ٢١٧
- ٣٤ - المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامي الحنفي ٢٢٧ - ٢٢١
- ٣٥ - أحمد بن شاهين الشامي ٢٣١ - ٢٢٨
- ٣٦ - الأمير منجك بن الأمير محمد بن منجك الجركسي ٢٥٦ - ٢٣٢
- ٣٧ - الفاضل أبو الطيب بن رضى الدين الغزي ، نزيل الشام ٢٦١ - ٢٥٧
- ٣٨ - عبدالحق الشامي ، المعروف بالحجازي ٢٦٧ - ٢٦٢
- رحلة المؤلف إلى حلب : ٢٦٨ - ٢٦٧
- ٣٩ - أبو الوفاء عمر بن عبد الوهاب الشافعي ، العرضي ، الحلبي ٢٧٣ - ٢٦٩
- ٤٠ - أخوه محمد بن عمر العرضي ٢٧٨ - ٢٧٤
- ٤١ - عمر بن عبد الوهاب العرضي ٢٨٠ - ٢٧٩
- ٤٢ - صلاح الدين الكوراني الحلبي ٢٨٣ - ٢٨١
- ٤٣ - السيد أحمد بن النقيب الحلبي ٢٨٥ ، ٢٨٤

٢٨٧

القسم الثاني :

في محاسن العصرين من أهل المغرب ، وما والاها

- ٤٤ - مولاي أحمد ، أبو العباس ، المنصور بالله ٣٠٠ - ٢٨٩

٢٩٦ - ٢٩٤

تنبيه

فصل

٣٠٠

٤٥ - أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين ، القطب ، الرباني الشنّواني
الوفائي

٣٠٨ - ٣٠١

٤٦ - محمد الفشتالي

٣٣٢ - ٣٠٩

فصل

٣٢٣ - ٣١٩

تنمّة

٣٢٤ ، ٣٢٣

فصل

٣٣٢ - ٣٣٠

٤٧ - محمد بن إبراهيم الفارسي

٣٥٠ - ٣٣٣

فصل

٣٥٠

٤٨ - الوزير عبد العزيز الثعالبي الأديب

٣٥٦ - ٣٥١

٤٩ - العلامة محمد دكروك المغربي

٣٦١ - ٣٥٧

تنمّة ، وفائدة مهمة

٣٦١ - ٣٥٩

خاتمة

٣٦٢

٥٠ - حسام الدين بن أبي القاسم الدّرعي المغربي

٣٦٤ ، ٣٦٣

٥١ - عبد العزيز الفشتالي

٣٦٦ ، ٣٦٥

٥٢ - عبد السلام بن سنّوس المغربي

٣٦٨ ، ٣٦٧

٥٣ - السيد عبد الخالق الفارسي

٣٦٩

٥٤ - السيد يحيى القرطبي

٣٧٤ - ٣٧٠

فصل

٣٧٦ ، ٣٧٥

رقم الصفحة

رقم الترجمة

ذكر مكة ومن بحماها ، صانها الله وحماها وزادها تشريفا

٣٨١ - ٣٧٧

وتكريما وتمظيما

٣٨٣ ، ٣٨٢

ذكر الدولة الحسنية

٣٨٤

٥٥ - أبو نعيم بن بركات

٣٨٧ - ٣٨٥

٥٦ - شهاب الدين أحمد الفيثومي

٣٩٢ - ٣٨٨

٥٧ - السيد حسن بن أبي نعيم

٣٩٣

٥٨ - أخوه السيد الأجل ثقبه

٣٩٤

٥٩ - حسين بن حسن بن أبي نعيم

٣٩٦ ، ٣٩٥

٦٠ - مسعود بن حسن بن أبي نعيم

٤٠٦ - ٣٩٧

٦١ - أبو طالب بن حسن بن أبي نعيم

٤١٦ - ٤٠٧

٦٢ - قطب الدين المكي النهر وائي أصلا ومختدا

٤٢٤ - ٤١٧

٦٣ - جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين ، العلامة الإسفرائيني

٤٢٧ - ٤٢٥

٦٤ - أخوه علي المصامي

٤٢٨

٦٥ - أحمد المدني ، المعروف باليتيم مصفرا

٤٣٠ ، ٤٢٩

٦٦ - سراج الدين بن عمر الأشهل المدني

٤٣٣ - ٤٣١

٦٨، ٦٧ - عبد الرحمن ، وعلي ، ابنا كثير المكيان

٤٣٤

٦٩ - محمد بن أبي الخير ، ابن العلامة ابن حجر الهيتمي

٤٣٦ ، ٤٣٥

٧٠ - العلامة شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيتمي

٤٣٧

٧١ - علاء الدين بن عبد الباقي

٤٣٩ ، ٤٣٨

٧٢ - القاضي حسين المالكي المكي

٤٤٠

٧٣ - شيخنا العلامة علي بن جار الله المكي ، الحنفى ، الخطيب ، مفتى

الحرمين الشريفيين

رقم الصفحة	رقم الترجمة
٤٤١	٧٤ - علي الكيزواني
٤٤٤ - ٤٤٢	٧٥ - معين الدين بن البكاء
٤٤٨ - ٤٤٥	٧٦ - العلامة عبد الرحمن الخياري
٤٥٥ - ٤٥١	٧٧ - عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمني
٤٥٧ - ٤٥٥	لطيفة
٤٥٩ - ٤٥٨	٧٨ - السيد حسين بن مطهر اليمني
٤٦١ ، ٤٦٠	٧٩ - عبد الهادي السوداني
٤٦٤ - ٤٦٢	٨٠ - إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل العلوي ، الزبيدي ، الشافعي ، من ذرية اليمني

بيان

توالى دار إحياء الكتب العربية نشر التراث الأدبي في القرن الحادى عشر
الهجرى ، بتحقيق :

عبد الفتاح محمد الحامو

فتصدر ، إن شاء الله ، على التوالى :

- ١ — ربحانة الألبا ، للخفاجى .
- ٢ — نفحة الربحانة ، المعجى .
- ٣ — سلافة العصر ، لابن معصوم .